

صلى الله عليه وسلم

لشرف
محررا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطالب

علي بن تقيع العلياني

جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات العليا
فروع العقيدة

الرسالة في نشر الدعوة الإسلامية

والرد على الطوائف الضالة فيه

بحث أعده لنيل درجة الدكتوراه الطالب

علي بن تقيع العلياني

باشراف ٢٨٦١ ر

فضيلة الشيخ محمد قطب



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة مممممممم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم : " واعبدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ^(١) . والقائل
" انكفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ^(٢) . والقائل : " يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ^(٣) . والقائل " فلاتهنوا وتدعوا الى السلم وانتم
الاعلون ^(٤) . . . واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم القائل
" بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل
رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امرى ومن تشبهه
يقوم فهو منهم ^(٥) . والقائل " لقدوة في سبيل الله او راحة خير من الدنيا
وما فيها ^(٦) . والقائل " من مات ولم يغفر ولم يحدث به نفسه مات على شعبة
من نفاق ^(٧) . ورضي الله عن صحابة رسول الله الذين اقتدوا به وساروا على
نهجه ونشروا دينه ودفنوا ارواحهم ثمنا لذلك فكان منهم من يرمى الطعم
من يده مع حاجته اليه ويستعجل الموت في سبيل الله ^(٨) . ومنهم من اعطى الله

(١) الانفال : ٦١

(٢) التوبة : ٤١

(٣) التوبة : ١٢٣

(٤) محمد : ٣٥

(٥) مسند احمد بن حنبل (٢ : ٩٢) .

(٦) صحيح البخاري (٣ : ٢٠١) .

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٥٦) .

(٨) انظر قصة استشهاد عبد الله بن رواحة في ابن هشام (٤ : ٣٧٣) ،

واستشهاد عمير بن الحمام في ابن هشام (٢ : ٦٢٨) .

عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ابدا تنجسا فيموت في سبيل الله وفناء
بعهده . ^(١) ومنهم من يذهب سرية وحده فيقتل سنديدا من مناديد الكفر
غير هيب ولا وجل . . ^(٢) ورضي الله عن تبعهم وسار على هديهم الي يوم
الدين وارجوان يكون منهم هارون الرشيد الذي كتب الي حاكم الروم - لما
نقض العهد وطالب بارجاع ما اخذه المسلمون من الروم من جزية :
(بسم الله الرحمن الرحيم - من هارون امير المؤمنين الي نقفور كلب
الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ماتراه دون ماتسمعه) .
ثم غزا الكفار بجيش يقوده هو بنفسه فخذ شوكتهم والزمهم الـذل
والصفار . ^(٣)
اما بعد . .

فقد اصيبت الامة الاسلامية في القرون المتأخرة في اعز ماتملك وهو
دينها ومنهجها الرباني الذي لا قيام لها الا به فتناولتها ماول الهدم
والتخريب حتي اصبح الناس يخرجون من دين الله افواجا كما كانوا يدخلونه
افواجا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد صحابته الكرام رضى
الله عنهم اجمعين . وهذه المصيبة العظيمة ناتجة عن امرين عظيمين :
الامر الاول : انحراف الامة الداخلي .

بدأ الانحراف في الامة الاسلامية مبكرا ثم بدأ يتسع حتي وصل الي
الحال التي هو عليها الان . ويمكن تلخيص اهم تلك الانحرافات فيما يلي :
(١) كانت الدولة الاسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته
الكرام تحتكم الي كتاب الله وسنة رسوله في كل شئون الحياة وكان
حكم الله يجرى على الحاكم والمحكوم سواء وكان الناس يتلقون اوامر الله

-
- (١) انظر قصة استشهاد عاصم بن ثابت بن ابي الافلح في ابن هشام
(٣ : ١٧١) .
(٢) انظر غزوة عبد الله بن انيس لخالد بن سفيان في مسند احمد (٣ : ٤٩٦) .
(٣) انظر البداية لابن كثير (١٠ : ١٩٤) .

واوامر رسوله صلى الله عليه وسلم للتنفيذ لا للمعرفة الذهنية فقط ولا للاحتيال عليها لاسقاطها ثم بدأ التساهل في تطبيق بعض احكام الله واستمر هذا الانحراف يتسع احيانا ويضيق احيانا حتى بلغ اقصى مداه في العصور المتأخرة .

(٢) كان حكم الدولة الاسلامية في ايدي علماء الامة الاتقياء امثال ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم اجمعين . ثم بدأ الانحراف وصار يتولى حكم المسلمين من ينقصه الفقه في دين الله والورع عن المحرمات في اغلب الاحيان بل لقد نزا على حكم المسلمين في فترات ليست قصيرة مبتدعة يدعون الي بدعتهم كبدعة الاعتزال في المأمون والمعتصم وكبدعة الرفض في الدولة الصوفية بل وحتى زنادقة كالعبيد بن واستمر هذا الانحراف حتى صار يحكم المسلمين في القرون المتأخرة كثير من العلمانيين والماسونيين والقوميين .

(٣) بعد ان كان الجهاد مستمرا وبلاد الكفار تدخل في دين الله تباعا وتنعم بتطبيق حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم عليها . اصبح قتال المسلمين لاجل الملك للجهاد واستمر الانحراف حتى صار بعض امراء المسلمين يستعينون بالكفار في قتال بعضهم بعضا لاجل شهوة الدنيا ومتاعها كما حدث في الاندلس وغيرها ممن بقاع المسلمين .

(٤) بعد ان كانت العقيدة صافية نقية لا تتلقى الا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم صارت تتلقى من كتب فلاسفة اليونان الوثنيين المترجمة ومن آراء الرجال ونظرياتهم ومن العقول البشرية القاصرة عن معرفة الحق كاملا فحدثت في الامة الاسلامية البدع العظيمة كبدعة الروافض وبدعة الصوفية وبدعة الجهمية وبدعة المعتزلة ونحو ذلك واستمر هذا الانحراف في الامة يفتت وحدتها ويضعف قوتها ويفسد عقيدتها ويجعلها مرتعا خصبا للبدعات والشركيات .

الامر الثاني :

استيلاء الكفار على بلاد المسلمين بالقوة العسكرية المصحوبة بالغزو الفكري فنحوا ماتبقى من شريعة الله عن الحكم وصارت البلاد المستعمرة تحكم بقوانين الكفار الوضعية وفيرت مناهج التعليم ووسائل الاعلام المختلفة وصيغت على نحو يجتث العقيدة الاسلامية من اساسها فاخترط الحابل بالنابل وفقد المسلمون اعز ما يملكون وهو العقيدة الصحيحة واصبح يطلق على الرجل اسم الاسلام لانه يقول لا اله الا الله فقط ولو كان لا يصلي ولا يزكي ولا يحكم شرع الله في اغلب شعونه بل قد يكون منتسبا الى حزب شيوعي يرى الشيوعية اصلح من الاسلام ويجاهد بكل ما اوتي من قوة لاجلال المذهب الشيوعي محل الاسلام او منتسبا الى حزب قومي يجرى التجمع تحت راية القومية خبير من التجمع تحت راية لا اله الا الله . وانتشرت من جراء الغزو الفكري والعسكري في ابناء المسلمين المفاهيم العلمانية التي تجعل الدين مسألة شخصية يمارسه الانسان بينه وبين ربه . اما واقع الحياة فتحكمه الخطة وقوانين من وضع البشر بآرائهم واهوائهم لاتعتمد على كتاب الله ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وظهرت الدعوة التي الانسانية الواحدة وبرزت على انها الهدف النبيل السامي الذي يجب ان تسعى له البشرية بكاملها وجعلت عوضا عن التقرب الى الله والمراد منها ان لا يكون هناك تمايز بين المسلمين والكفار بل يعيش البشر مع بعضهم سواسية مختلفين لا يكدر صفو عيشتهم ولهوهم حروب دينية ولا يوجد بينهم بغضاء بسبب العقيدة بل يعتبر الانسانيون الحرب من اجل الظهار المعتقد او نشره جريمة يعاقب عليها القانون . . واصبحنا نرى اناسا ممن المسلمين وقد يطلق عليهم علماء يستحون ان يذكروا آيات الجهاد واحاديثه امام اصدقائهم من الكفار ويستحون من ذكر الايات والاحاديث الامرة ببنفس الكفار والبراءة منهم وتحمر وجوههم خجلا من ذكر احكام الجزية والاسترقاق وقتل الاسرى . . ويودون لو محوا تلك الايات والاحاديث ممن

القرآن والسنة حتى لا ينتقد هم العالم (المتحضر . .) واذ لم يستطيعوا ذلك لان الله قد حفظ دينه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١) فانهم قد قاموا بما يستطيعون فأولوا تلك الايات والاحاديث تأويلات تشبه تأويلات الباطنية في اكثر الاحيان ودفعمهم الى تلك التأويلات اعداء الله " الموسومون بالمستشرقين " بما يخرجونهم به من انتقادات حادة حينما وبما يفتحونه لهم من باب التأويلات الباطلة احيانا ونتيجة لذلك لا يكاد المرء يسمع الان الا رنين العبارات الاثية : السلام العالمي . . . التعايش السلمي . . الحدود الامنة . . المجتمع الدولي المستقر البعيد عن ويلات الحروب . .

وان كان هناك حروب فلايسمح ان تكون لله ولا لاعلاء كلمة الله وخفض كلمة الكفر ولا لانقاذ المستضعفين في الارض وانما تكون لاجل الوطن ولاجل القومية ولاجل المصالح الاقتصادية ولاجل حفظ التوازن الدولي ونحو ذلك وان كان هناك طائفة تريد ان تكون حربها لاعلاء كلمة الله وتخفيض كلمة الكفر تنهال عليها عبارات الشتم والتفجير . انظروا انهم متطرفون . . اعداء السلام . . متزمتون يرون نشر الدين بالعنف . . مصاصون للدماء . . يريدون القضاء على حضارة القرن العشرين . .

هذا هو الواقع التعيس للامة الاسلامية في عصرنا الحاضر ولان الله قد اوجب علينا نصر دينه وانظهار حجته اخذت هذا البحث موضوعا لرسالة الدكتوراه في قسم العقيدة بجامعة ام القرى واسأل الله سبحانه ان ينصرنا ويثبت اقدامنا . . (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (٢) وان يجعلنا من الطائفة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال طائفة من امتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون) (٢) قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابابطين

(١) الحجر : ٩

(٢) محمد : ٧

(٣) صحيح البخارى (٨ : ١٤٩) .

(وليس المراد الظهور بالسيف بل بالحجة دائما وبالسيف احيانا)^(١) .
 وقد حرصت في هذا البحث على اكثر الادلة من الكتاب والسنة
 واقوال العلماء المشهود لهم بالفضل وذلك لان شبه الخصوم مدعومة
 ومبرزة من قبل وسائل الاعلام والتوجيه في عصرنا الحاضر لا ميراد . .
 وحرصت على ايراد النصوص بالفاظها تامة من غير اختصار في
 اغلب الاحيان حتى ولو كانت طويلة - وذلك لان المختصر قد لا ينقل
 مراد المؤلف كاملا ولان الهدف هو فائدة القارىء . وهذا منهج للعلماء
 القدامى وبعض المحدثين .

هذا وقد قسمت البحث الى اربعة ابواب وخاتمة .

الباب الاول بعنوان : منهج الدعوة الى الله تعالى قبل
 تشريع الجهاد القتالي . ويشتمل على خمسة مباحث :

- (١) وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٢) هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الاسرار والجهر بالدعوة
 الى الله تعالى .
- (٣) تربية الرسول صلى الله عليه وسلم للرعييل الاول على تحمل اعباء
 الدعوة .
- (٤) الفتنة والابتلاء .
- (٥) الصبر والثبات .

والباب الثاني بعنوان : منهج الدعوة الى الله بعد تشريع

الجهاد القتالي . ويشتمل على ثمانية مباحث :

- (١) تعريف الجهاد وحكمه .
- (٢) مراحل تشريع الجهاد .
- (٣) اهداف الجهاد وغايته .

(١) الرسائل النجدية (٨ : ٢٢٨) .

- (٤) حكم جهاد المرتدين والمنافقين .
 - (٥) الترغيب في الجهاد وبيان فضائله .
 - (٦) التهيب من ترك الجهاد وبيان نواقبه .
 - (٧) اثر الجهاد على نشر الدعوة الاسلامية .
 - (٨) صور جهادية من الرعييل الاول .
- والباب الثالث بعنوان : موقف نلاميذ الاستشراق والاستعمار من

احكام الجهاد . وفيه اثنا عشر مبحثا وهي :

- (١) تمهيد : كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين .
 - (٢) قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط .
 - (٣) حكم بغض الكافرين .
 - (٤) حكم دار الحرب والكفر ودار الاسلام .
 - (٥) حكم الرق .
 - (٦) حكم الجزية .
 - (٧) حكم الاسرى .
 - (٨) الدعوة الى القومية .
 - (٩) الدعوة الى الوطنية .
 - (١٠) الدعوة الى الانسانية .
 - (١١) الدعوة الى زمالة الاديان .
 - (١٢) الدعوة الى السلام العالمي .
- والباب الرابع بعنوان : الفرق الضالة في بعض احكام الجهاد

ويشتمل على فصلين :

الفصل الاول بعنوان : الفرق القديمة وفنيه :

(١) المرجئة

(٢) الصوفية

(٣) الشيعة الامامية

(٤) الجبرية الجهمية

والفصل الثاني بعنوان : الفرز الحديثة وفيه :

(١) القاديانية

(٢) البابية والبهاية

والخاتمة في اهم نتائج البحث .

هذا وانني اشكر الله سبحانه وعالي علي ان وفقني الى اتمام

هذا البحث مع اعترافي بالعجز والتقصير .

ثم اشكر استاذي الفاضل المشرف علي هذا البحث فضيلة

الشيخ محمد قطب فقد نفحنى الله به منذ ان كنت طالبا في السنة

المنهجية فجزاه الله عني خير الجزاء وأخردعوانا ان الحمد لله

رب العالمين وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . .

الباب الاول

ملهج الدعوة الى الله تعالى قبل تشريع الجهاد القتالي

- (١) وصف موجز للجاهلية التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم
- (٢) هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاسرار والجهر بالدعوة الى الله
- (٣) تربية الرسول صلى الله عليه وسلم للرعييل الاول على تحمل اعباء الدعوة
- (٤) الفتنة والابتلاء
- (٥) الصبر والثبات

(١) وصف موجز للجاهلية التي بعد فيها
الرسول صلى الله عليه وسلم .

تطلق الجاهلية على الحال التي كان عليها العرب قبل الاسلام
من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب
والكبر والتجبر وغير ذلك .^(١)

وكل من اتصف بشيء من صفات الجاهلية الخبيثة ففيه شعيرة
من ذلك لقوله تعالى : (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم ينظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية . . . الآية)^(٢) . ولقوله صلى الله عليه وسلم - لا احد
اصحابه لما غير الاخر بانه ابن السوداء - (انك امرؤ فيك جاهلية)^(٣) وهذا
يدل على ان الجاهلية ليست فترة زمنية محددة تنتهي ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم بل كل من رفض الاهتداء بوحي الله ورفض الحكم بما
انزل الله فهو في جاهلية^(٤) . قال تعالى : (افحكم الجاهلية يبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)^(٥) .

والجاهلية طارئة على الفطرة البشرية فالاصل في الفطرة البشرية
الاستسلام لله سبحانه ومعرفته والخضوع له ومحبته والانقياد لــــه
والخوف من سطوته . قال تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون)^(٦) .

- (١) انظر لسان العرب لابن منظور (١١ : ١٣٠) .
(٢) آل عمران : ١٥٤
(٣) صحيح البخاري (١ : ١٣) .
(٤) انظر جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب (ص ١٥) .
(٥) المائدة : ٥٠
(٦) الروم : ٣٠

وقال صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . . .) (١) . وقال صلى الله عليه وسلم ذات يوم فسى خطبته الا ان ربي امرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني يومى هذا كل مال نحلته عبدا حلال واني خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا . . . الحديث . (٢)

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : (ان الله اخرج ذرية آدم من صلبه امثال الذر واخذ عليهم العهد ان لا يشركوا به شيئا كما قال تعالى (٧ : ١٧٢) واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا) ورأى فيهم الانبياء مثل السرج ورأى فيهم رجلا من انورهم فسأل عنه فاعلمه انه داود فقال كم عمره ؟ قال ستون سنة قال وهبت له من عمرى اربعين سنة وكان عمر آدم الف سنة ورأى فيهم الاعمى والابرص والمبتلى قال يارب لم لا سويت بينهم ؟ قال انى احب ان اشكر فلما مضى من عمر آدم الف سنة الا اربعين اتاه ملك الموت فقال انه بقى من عمرى اربعون سنة فقال انك وهبتها لابنك داود فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجدت ذريته فلما مات آدم بقى اولاده بعده عشرة قرون على دين ابائهم دين الاسلام ثم كفروا بعد ذلك وسبب كفرهم الغلوفى حب الصالحين كما ذكر الله تعالى فى قوله (٢٠ : ٢٣) وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وذلك ان هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم فماتوا فى شهر فخاف اصحابهم من نقص الدين

(١) صحيح البخارى (٢ : ٩٧) .

(٢) صحيح مسلم مع النووى (١٧ : ١٩٧) .

بعد هم فصوروا صورة كل رجل في مجلسه لاجل التذكرة بأقوالهم واعمالهم اذا رأوا صورهم ولم يعبدوهم ثم حدث قرن وآخر فعظموهم اشد ممن تعظيم من قبلهم ولم يعبدوهم ثم طال الزمان ومات اهل العلم فلما خلت الارض من العلماء التي الشيطان في قلوب الجهال ان اولئك الصالحين ماصوروا صور مشائخهم الا ليستشفعوا بهم الى الله فعبدوهم فلما فعلوا ذلك ارسل الله اليهم نوحا عليه السلام ليردهم الى دين آدم وذريته الذين مضوا قبل التبديل فكان من امرهم ما قص الله في كتابه ثم عمر نوح واهل السفينة الارض وبارك الله فيهم وانتشروا في الارض امما وبقوا على الاسلام مدة لاندرى ما قدرها ثم حدث الشرك فارسل الله الرسل وما من امة الا وقد بعث الله فيها رسولا يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك كما قال تعالى (١٦ : ٣٦) ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (٢٣ : ٤٤) ثم ارسلنا رسلا تنرا كلما جاء امة رسولها كذبوها . . . (الاية) (١) .

وبهذا يظهر انه كلما احلوك الظلام وانحرفت الفطرة البشرية وطمس الشرك ارسل الله الى البشر رسولا يعيدهم الى الفطرة التي توحيد الله ونبذ الشرك حتى كان آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم والجاهلية التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشنع الجاهليات . يقول ابو الحسن الندوي : (كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من احطاد وار التاريخ بلا خلاف فكانت الانسانية متدلية منحذرة منذ قرون وما على وجه الارض قوة تمسك بيدها وتمنعها ممن التردى وقد زادت ايام سرعة في هبوطها وشدة في اسفافها وكان الانسان في هذا القرن قد نسي خالقه فنسى نفسه ومصيره وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح وقد خفت دعوة الانبياء

(١) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عبد الوهاب (ص ١٠-١١) .

من زمن والمصاييح التي اوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت
بعدهم او بقيت ونورها ضعيف ضئيل لا ينير الا بعض القلوب فضلا عن
البيوت فضلا عن البلاد وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة
ولاذوا الى الاديرة والكنايس والخلوات فرارا بدنيهم من الفتن وضنا
بانفسهم اورغبة الى الدعة والهدوء وفرارا من تكاليف الحياة وجددها
واخفاقا في كهاج الدين والسياسة والروح والمادة . ومن بقى منهم
في تيار الحياة اصطلح مع الملوك واهل الدنيا وعاونهم على اثمهم
وعد وانهم واكل اموال الناس بالباطل (١) .

والمطلع على كتاب الله عز وجل الذي انزله لكشف عوار الجاهلية
وتصحيح عقائد الناس واعمالهم يرى العجب العجاب من تخطيطات
الجاهلية في شتى جوانب الحياة . فالجاهلية لا تؤمن بوحداية الله
بل تجعل له شركاء في العبادة . قال الله تعالى عن الجاهليين
(وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب . وانطلق الملائكة منهم ان امشوا
واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملئمة
الاخرة ان هذا الا اختلاق) (٢) . وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله
مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٣) وقال
تعالى (ويوم يحشرهم جميعنا ثم يقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون) (٤) . وقال تعالى : (انرايتم اللات والعزى ومناة

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندي (ص ٣٧) .

(٢) سورة ص : ٤ - ٧

(٣) يونس : ١٨

(٤) سبأ : ٤٠ - ٤١

الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هـى
 الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
 الا الثن وماتهورى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (١) .

والجاهليين لا يؤمنون بالبعث والنشور بل يسخرون من ذلك
 (وقالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) (٢) ان هـؤلاء
 ليقولون ان هى الاموتتنا الاولى وما نحن بمفشرين فاتوا بآبائنا ان كنتم
 صادقين (٣) (بل عجيبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء
 عجيب اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم
 وعندنا كتاب حفيظ) (٤) (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام
 وهى رميم) (٥) (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) (٦) .

ويمارس الجاهليون التشريع من دون الله فيحلون ويحرمون على
 مقتضى اهوائهم (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
 شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من
 قبلهم... الاية) (٧) . (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا
 فقالوا هذا لله بزعيمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى
 الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون . وكذلك زين
 لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم
 ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . وقالوا هذه انعام وحرث حجر

(١) النجم : ١٩ - ٢٣

(٢) الانعام : ٢٩

(٣) الدخان : ٣٤ - ٣٦

(٤) ق : ٢ - ٤

(٥) يس : ٧٨

(٦) النحل : ٣٨

(٧) النحل : ٣٥

لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت شهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء اعليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١) .

وبيلغ السخف احيانا بالجاهليين منتهاه حينما ينسبون تشريعاتهم وما يرتكبونه من فواحش الى الله عز وجل (واذ افعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون) (٢) . وقد كانت جل تصرفات الجاهلية في منتهى الخساسة والسفول وذلك ان قاعدة العبودية عندها غير صحيحة فهي تتوجه بالشعائر التعبدية الى ارباب مختلفة وتستمد الشرائع والعقائد والاحكام والمفاهيم من ارباب كثيرين وتحتكم الى الطاغوت والهوى والشيطان . يقول الاستاذ محمد قطب (لقد كانت تستعبدهم في الحقيقة ارباب اربعة اوفئات اربع من الارباب في آن واحد . ربوبية الاصنام المعبودة والجن والملائكة وغيرها من المعبودات التي يعبدونها لتقريبهم الى الله زلفى او لتشفع لهم عند الله . وربوبية القبيلة . وربوبية العرف الموروث عن الاباء والاجداد . وربوبية الهوى والشهوات وهذا كله مع ادعاء العبادة نظر بالله والمعرفة النظرية بانه خالقهم وخالق الكون والحياة) (٣) .

وقد وصف الجاهلية التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عاش فيها فترة من حياته وهو جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فقال في خطابه لملك الحبشة : (. . . ايها الملك كنا قوما اهمل

(١) الانعام : ١٣٥ - ١٤٠

(٢) الاعراف : ٢٨

(٣) منهج التربية لمحمد قطب (٢ : ٢٣) .

جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسبي الجوار يأكل القوى منا الضعيف^(١) . وتقول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها - في وصف نكاح الجاهلية - (ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء . فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل الى الرجل وليته او بنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر كان الرجل يقول لامراته اذا طهرت من طمئها ارسلني الى فلان فاستبضعي منه ويحترلها زوجها ولا يمسه ابدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت ومر ليالي بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من احبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البنائياكن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما فمن ارادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتا^(٢) به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم^(٣) .

-
- (١) الفتح الرباني للبنا (٢٠ : ٢٢٦) قال البنا في تخريجه الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته بطوله عن ابن اسحاق ، واورده الهيثمي وقال رواه احمد ورجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسمع .
 (٢) التا^(٢) يعني التصق .
 (٣) صحيح البخاري (٦ : ١٣٣) .

هذه حال معظم عرب الجزيرة - حين بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم - في العقائد والاخلاق . ولم يكن اهل الكتاب باحس - من حالاً منهم . فهم لا يؤمنون بوحداية الله تعالى . قال الله عنهم (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواهم يضاؤون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) (١) .

(لقد كفروا الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا والله ملك السموات والارض وما بينهما ما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم . . . الاية) (٢)) لقد كفروا الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار . لقد كفروا الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) (٣) . وكما وافق اليهود والنصارى مشركى العرب فى عدم الاعتراف بوحداية الله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله وافقوهم فى التشريح من دون الله فنصبوا لانفسهم اربابا تحل وتحرم بغير اذن من الله . قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (٤) قال الشيخ عبد الرحمن ابن حسن فى تفسير هذه الاية : (. . . الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الاية قد فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) التوبة : ٣٠

(٢) المائدة : ١٧ - ١٨

(٣) المائدة : ٧٢ - ٧٣

(٤) التوبة : ٣١

لعدى بن حاتم وذلك انه لما جاء مسلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليه هذه الاية قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم رواه احمد والترمذى وحسنه وعبد بن حميد وابن ابى حاتم والطبرانى من طرق . قال السدى استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى (وما امرنا الا ليعبدوا الهيا واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) . فان الحلال ما احله الله والحرام ما حرم الله والدين ما شرعه الله فظهر بهذا ان الاية دلت على ان من اطاع غير الله ورسوله واعرض عن الاخذ بالكتاب والسنة فى تحليل ما حرم الله او تحريم ما احله الله واطاعه فى معصية الله واتبعه فيما لم يأذن به الله فقد اتعذه ربا معبودا وجعله لله شريكا وذلك ينافى التوحيد الذى هو دين الله الذى دلت عليه كلمة الاخلاص لا اله الا الله فان الاله هو المعبود وقد سمي الله تعالى طاعتهم عبادة لهم وسماهم اربابا كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا . . . الاية . آل عمران : ٨٠) اى شركاء لله تعالى فى العبادات (اى اأمركم بالكفر بعد ان انتم مسلمون) وهذا هو الشرك فكل معبود رب وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع ربا ومعبودا كما قال تعالى (وان اطعتموهم انكم لمشركون - الانعام : ١٢١)^(١) . ويقول الله عن اهل الكتاب (الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطافت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا)^(٢) وكما كان فى مشركى العرب من يشرع من عند نفسه ثم يقول زورا وبهتانا هذا من عند الله كذلك وجد

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٨٥ - ٨٦) .

(٢) النساء : ٥١

في اهل الكتاب من يفعل ذلك (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)^(١) . ولا نظيل بذكر اوصاف الجاهليات المحيطة بجاهلية العرب فان الجاهليات مهما اختلفت معبوداتها وامكنتها وازمنتها تتشابه الي حد كبير كما قال الله تعالى (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون)^(٢) . ومرجع هذا التشابه ان الجاهليات مهما اختلفت صورها فلا بد ان تشرك مع الله غيره في شيء من خصائصه التي لا تجوز الا له سبحانه كالطاعة المطلقة والتشريع وهم الغيب والرزق والاحياء والاماتة والنفع والضرر والحسب والتعظيم والخضوع والتذلل والخوف والرجاء والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والسجود والركوع والتحاكم الي غير ذلك من الامور التي اذا صرفت او اقربها العبد لغير الله اشرك معه غيره واذا اشرك شخصي او قبيلة او امة باي نوع من انواع الشرك المخرج من الملة صاروا في جاهلية .

وقد بحث الرسول صلى الله عليه وسلم الي الثقلين وسائر المعمورة احوح ماتكون الي هديه ورسالته اذ لا يوجد فيها دولة او امة مؤسسة علي توحيد الله عز وجل كما جاء في الحديث الصحيح (. . . وان الله نظر الي اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وقال انما بعثتك لا بتليك وابتلي بك . . . الحديث)^(٣) .

(١) البقرة : ٧٩

(٢) البقرة : ١١٨

(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٧) .

ولننظر الان في الفصول الاتية كيف بدأ الرسول صلى الله عليه
وسلم دعوته وما هو المنهج الذي سلكه في اخراج العباد من عبادة
الارباب الي عبادة الواحد القهار وفي اخراج الناس من ظلام الشرك الي
نور الاسلام .

(٢) هدى الرسول صلى الله عليه وسلم
فى الاسرار والجمهور بالدعوة الى الله .

الاسرار بالاسلام يشتمل على ثلاث صور :

الصورة الاولى : ان يسر الشخص بالاسلام خوفا من الكفار ويأتى شعائر الكفار الخاصة بهم من عبادات وطقوس تقية . وهذه الصورة لا يحل ان يفعلها المسلم الا فى حالة واحدة وهى حالة الاكراه الملجى . قال الله تعالى : (. . . من كفر بالله من بعد ايمانه الامن اكوه وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (١) . قال ابن كثير فى تفسير هذه الاية : (. . . اتفق العلماء على انه يجوز ان يوالى المكروه على الكفر ابقاء لمهجته) (٢) . وقال الشوكانى (. . .) وانما صح استثناء المكروه من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما لا يظهر الامن الكافر لولا الاكراه قال القرطبي اجمع اهل العلم على ان من اكروه على الكفر حتى غشى على نفسه القتل انه لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر وحكى عن محمد بن الحسن انه اذا اظهر الكفر كان مرتدا فى الظاهر وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتبين منه امراته ولا يصلى عليه ان مات ولا يرث اباه ان مات مسلما وهذا القول مردود على قائله مدفوع بالكتاب والسنة . وذهب الحسن البصرى والاوزاعى والشافعى وسحنون الى ان هذه الرخصة المذكورة فى هذه الاية انما جاءت فى القول وامسا فى الفعل فلارخصة مثل ان يكوه على السجود لغير الله ويدفعه ظاهر الاية فانها عامة فيمن اكوه من غير فرق بين القول والفعل ولا دليل لهؤلاء القاصرين للآية على القول وخصوص السبب لا اعتبار له مع عموم

(١) النحل : ١٠٦

(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٥) .

اللفظ كما تقرر في علم الاصول . ا . هـ)^(١) . واذا كان يباح للمسلم التظاهر بالكفر في حال الاكراه الملجبي مع اطمئنان قلبه بالايمان فسان الثبات على الاسلام حتى يقتل عليه افضل واعظم اجرا قال ابن بطال (اجمعوا على ان من اكره على الكفر واختار القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة)^(٢) . وقد بوب على ذلك الامام البخاري بابا بعنصوان (من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر) وورد فيه جملة احاديث منها حديث خباب بن الارث قال (شكونا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ثل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الاتدعولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحرير من دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه . . . الحديث)^(٣) .

وقد اثني الله على اصحاب الاخذ ود لما صبروا على دينهم حتى هلكوا عليه بل ان احدي نساءهم لما تقاضت عن الوقوع في النار التي اضرمتها لهم الملك الكافر انطق الله صبيها الذي ترضعه فقال يا امه اصبري فانك على الحق^(٤) وقد ضرب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اروغ الامثلة في الثبات على الاسلام والاستغفاف بكيد الطغاة وسأقتصر على ذكر مثالين يبينان قوة ايمان الصحابة واخذهم بالعزيمة في حال الشدائد رغبة فيماءند الله والدار الآخرة .

المثال الاول : قصة حبيب بن زيد الانصاري رضي الله عنه فانسه لما قال له سيلمة الكذاب - لعنه الله - اتشهد ان محمدا رسول الله

-
- (١) فتح القدير للشوكاني (٣ : ١٩٧) .
 (٢) فتح الباري لابن حجر (١٢ : ٢٨٢) .
 (٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٢ : ٢٨١) .
 (٤) انظر قصة اصحاب الاخذ ود بتمامها في صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ١٣٠) ، وتفسير ابن كثير (٨ : ٣٨٨) .

قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال لا اسمع فلم يزل يقطعه اربعا
اربا وهو ثابت على ذلك رحمه الله رحمة واسعة. (١)

المثال الثاني : قصة عبد الله بن حذافة السهمي فانه لما اسرته
الروم جاءوا به الي ملكهم فقال له تنصر وانا اشرك في ملكي وازوجك
ابنتي فقال له لو اضليتني جميع ماتلك وجميع ماتلكه الحرب على
ان ارجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت فقال
اذا اقتلك قال انت وذاك فامر به فسلب وامر الرماة فرموه قريبا من يديه
ورجله وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم امر به فانزل ثم امر بقدر
وفي رواية ببقرة من نحاس فاحميت وجاء باسير من المسلمين فالتصاه
وهو ينظر فاذا هو عظام تلوح وعرض عليه فابى فامر به ان يلقي فيها
فرفع في البكرة ليلقي فيها فبكي فطمع فيه ودعاه فقال له اني انما
بكيت لان نفسي انما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله
فاحببت ان يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هـذا
العذاب في الله فقال له الملك فقبل رأسي وانا اطلقك فقال وتطلق
جميع اسارى المسلمين ؟ قال نعم فقبل رأسه فاطلقه واطلق معه جميع
اسارى المسلمين عنده فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق
على كل مسلم ان يقبل رأس عبد الله بن حذافة وانا ابدأ فقام فقبل
رأسه. (٢)

الصورة الثانية : ان يسر المسلم باسلامه ولكنه لا يأتي شيئا من
امور الشرك وعبادات المشركين وطقوسهم . ويباح للمسلم ان يكتم اسلامه
اذا خاف او كان هناك مصلحة شرعية في كتم اسلامه والادلة على هذه
الصورة كثيرة جدا منها قصة مؤمن آل فرعون فقد ذكرها الله في مقام

(١) انظر قصصه في تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٥) ، والاصابة لابن حجر

(١ : ٣٠٧) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤ : ٥٢٦) ، والاصابة لابن حجر (٢ : ٢٩٧) .

الثناء عليه لما دافع عن موسى عليه السلام وقد سماه الله مؤمنا مع كتمه
لايمانه قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . . . الاية)^(١) . قال
ابن العربي (. . . . اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مؤمنا حتى يتلفظ
بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف من ان يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله
تعالى انما تمنعه التقية من ان يسمعه غيره وليس من شرط الايمان
ان يسمعه الغير . . .)^(٢) . ومن الادلة ايضا مارواه البخارى في صحيحه
في قصة اسلام ابي ذر رضي الله عنه حيث قال له الرسول صلى الله عليه
وسلم في رواية ابي قتبية (اكنتم هذا الامر وارجع الي قومك)^(٣) وكذلك
مارواه البخارى في صحيحه معلقا بصيغة الجزم من قول الرسول صلى
الله عليه وسلم للمقداد (فكذلك كنت انت تخفي ايمانك بمكة من قبل)^(٤)
وكذلك ما فعله نعيم بن مسعود الاشجعي رضي الله عنه لما اسلم في
غزوة الاحزاب فكتم ايمانه على الاحزاب حتى اوقع بينهم الشقاق والاختلاف^(٥)
وكذلك الحجاج بن علاط السلمى رضي الله عنه فانه كتم اسلامه على
اهل مكة واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكذب على اهل
مكة وقال لهم بان محمدا هزم في خيبر حتى جمع امواله التي كانت بمكة^(٦)
كل هذه الاخبار الصحاح تدل على جواز كتمان الاسلام لفرض شرعي .

-
- (١) غافر : ٢٨
(٢) احكام القرآن لابن العربي (٤ : ١٦٥٩) وفي النص تصحيف
صححته من احكام القرآن للقرطبي (١٥ : ٣٠٨) .
(٣) صحيح البخارى مع الفتح (٧ : ١٣٤) .
(٤) صحيح البخارى مع الفتح (١٢ : ١٦٨) .
(٥) انظر قصة في فتح الباري لابن حجر (٧ : ٣٠٩) .
(٦) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٣٣٩) وقال شعيب الارناؤوط
واخوه عن قصة الحجاج ان سندها صحيح .

الصورة الثالثة : ان يسر المسلم بالدعوة الى الله تعالى اذا خاف على نفسه او خاف على اتباعه من المسلمين وهم قلة والدليل على ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة بمكة . قال الحافظ ابو نعيم : (وكان صلى الله عليه وسلم فيما قاله عروة بن الزبير وابن شهاب ومحمد بن اسحاق من حين انزل عليه اقرأ باسم ربك الذي خلق الى ان كلف الدعوة وانفجارها فيما انزل عليه فاصدح بما تؤمر واعرض عن المشركين وانذر عشيرتك الاقربين وقل انى انا النذير المبين ثلاث سنوات لا يظهر الدعوة الا للمختصين به)^(١) . وقال عمرو بن عبسة رضى الله عنه (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بعث وهو يومئذ مستخف فقلت انت ما انت قال انا نبي قلت وما نبي قال رسول الله قلت اللـه ارسلك قال نعم قلت بم ارسلك قال بان يعبدوا الله ويكسروا الاوثان ويصلوا الارحام قلت نعم ارسلك فمن اتبعك على هذا قال حر وعبد يعنى ابا بكر وبلا لا فكان عمرو بن عبسة يقول لقد رأيتني وانا ربيع الاسلام فاسلمت ثم قلت اتبعك يا رسول الله قال لا ولكن الحق بارض قومك فاذا ظهرت فاتني)^(٢) . وروى البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة . . . الحديث . قال ابن حجر يعنى فى اول الاسلام^(٣) . وروى ابن سعد بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصدع بما جاء من عند الله وان ينادى الناس بامره وان يدعوهم الى الله فكان يدعوهم

-
- (١) دلائل النبوة لابي نعيم (ص ٢١٤) .
 (٢) رواه الحاكم فى المستدرک (٣ : ٦١٧) وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وقال الذهبى صحيح وقارن بما فى مسند احمد (٤ : ١١١) .
 (٣) صحيح البخارى مع الفتح (٨ : ٣٠٧) .

اول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا الى ان امر بظهور الدعاء^(١) .
وقال ابن مسعود رضى الله عنه مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا
حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فخرج هو واصحابه^(٢) .
وقد استطردت في ذكر النصوص الدالة على ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يخفي دعوته في بداية امره لما سمعته من بعض الدعاة
بان مرحلة الدعوة السرية لم يكن لها ادلة صحيحة وهذا وهم كبير فان
بعض الاحاديث الدالة على ذلك في صحيح البخارى كما تقدم وقد
درج عموم اهل السير على ذكر مرحلة الدعوة السرية بما فيهم من غلبت على
سيرهم الدقة والتحري كالحافظ ابن القيم فانه قال (واقام صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو الى الله سبحانه مستخفيا)^(٣) وكالشيخ
محمد بن عبد الوهاب فقد ذكر هذه المرحلة مستندا على حديث
رواه الترمذى . قال الترمذى حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن
عمرو بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهم قالوا اقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة ثلاث سنين مستخفيا ثم اعلن في الرابعة^(٤) . وبعد هذه
المرحلة من مراحل الدعوة التي استمرت ثلاث سنوات امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بان يصدع بالحق ويظهر الدعوة وينذر عشيرته
قال تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كينناك
المستهزئين)^(٥) . وقال تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين)^(٦) . واخرج
البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال (لما نزلت وانذر

(١) الطباقات لابن سعد (١ : ١٩٩) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٩١٤ .

(٣) زاد المعاد (١ : ٣٨) .

(٤) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٦٠) .

(٥) الحجر : ٩٤ - ٩٥ .

(٦) الشعراء : ٢١٤ .

عشيرتك الاقربين سعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل
يقول يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل
اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجااء ابو لهب وقريش
فقال ارايتكم لو اخبرتم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم
مصدقى . قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين
يذى عذاب شديد فقال ابو لهب تبأ لك سائر اليوم هذا جمعتنا
فنزلت تبأ ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب^(١) . وباستقراء
نصوص السيرة ودعوة الانبياء التى قص الله فى القرآن الكويم يظهر لى
ان الجهر بالدعوة الى الله حتى يسمعها القاصى والدانى والقريب
والبعيد وحتى يعلو صوت الحق هو الاصل فى الدعوة الى الله تعالى
كما قال سبحانه (قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه
اذ قالوا لقومهم انا براؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدأ حتى تؤمنوا بالله وحده . . .
الاية)^(٢) . وكل الرسل الذين قص الله علينا اخبارهم فى القرآن قالوا
لقومهم جهرة اعبدا الله وحده ولا تشركوا به شيئا قال تعالى (ولقد
بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من
هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين)^(٣) . وقال تعالى - بعد ان ذكر محاجة ابراهيم عليه
السلام لقومه واقامته الحجة عليهم وذكر سيرة جمع من رسل الله مع
قومهم - (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . . . الاية)^(٤) .

(١) صحيح البخارى مع الفتح (٣٨٦ : ٨) .

(٢) الممتحنة : ٤

(٣) النحل : ٣٦

(٤) الانعام : ٩٠

لكن اذا غلب علي ظن الداعي الي الله ان دعوته تجتث من اساسها بسبب الجهر بها او خاف ان يناله اذى محقق لا يقدر علي تحمله فعليه ان يسر بها اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة الدعوة الاولى يقول البوطي (ومن اجل هذا اجمع جمهور الفقهاء علي ان المسلمين اذا كانوا من قلة العدد او ضعف العدة بحيث يغلب علي الظن انهم سيقتلون من غير اى نكاية في اعدائهم اذا ما اجمعوا قتالهم فينبغي ان تقدم هنا مصلحة حفظ النفس لان المصلحة المقابلة وهى مصلحة حفظ الدين موهومه او منفية الوقوع ويقرر العزبن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا الجهاد قائلًا (فاذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام لما في الثبوت من فوات النفس مع شفاء صدور الكفار وارغام اهل الاسلام وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة) قلت - القائل هو البوطي - وتقدير مصلحة النفس هنا من حيث الظاهر فقط اما من حيث حقيقة الامر ومرماه البعيد فانها في الواقع مصلحة دين اذ المصلحة الدينية تقتضي في مثل هذه الحال ان تبقى ارواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الاخرى والا فان اهلاكهم يعتبر اضراا بالدين نفسه وفسحا للمجال امام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدودا امامهم من السبل والخلاصة انه يجب المسالمة او الاسرار بالدعوة اذا كان الجهر او القتال يضر بها ولا يجوز الاسرار في الدعوة اذا امكن الجهر بها وكان ذلك مفيدا (١) هـ .
واذا كان الجهر بالاسلام والدعوة اليه مرحلة حتمية في خط سير الدعوة فان الاصل في اعداد العدة ورسم الخطط لازالة الجاهلية ان يكن سرا الا ان تقتضي المصلحة الشرعية غير ذلك .

(١) فقه السيرة للبوطي (ص ٧٧) .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مليئة بالادلة على كتمان
تحركاته بابي هو وامى اذا كانت المصاحبة الشرعية في الكتمان كما
صنع صلى الله عليه وسلم في هجرته . روى البخارى في صحيحه عن عائشة
رضي الله عنها قالت (فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر
الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا
في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال ابو بكر فداله ابي وامى والله ما جاء به
في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر
اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت يارسول الله قال
فاني قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحابة بابي انت يارسول
الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي
انت يارسول الله احدى راحتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم باليمن قلت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة
في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم
الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر بنغار في جبل ثور فكننا فيه ثلاث ليال يبيت في الغار
عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقى فيدلج من عندهم بسحر
فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكتادان به الا وعاه حتى ياتيهم
بخبر ذلك حين يختلط الظلام (المديث) (١) . فهل بعد هذا
الاجراء من الرسول صلى الله عليه وسلم المعصوم المؤيد من الله اجراء
في السرية والتكتم عندما تدعو الحاجة . وقد روى البخارى في صحيحه
ايضا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لسراقة لما لحقهم في سفر الهجرة
(اخف عنا)^(٢) وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقب

(١) صحيح البخارى مع الفتح (٧ : ١٨٣ - ١٨٥) .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح (٧ : ١٨٨) .

خرجوا الى ميعادهم مع رسول الله يتسللون تسلل القطا وكنتموا امرهم
على قومهم وعلى قريش لما سألتهم عن ذلك واقروهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم .^(١)

هذا هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في الاسرار والجهـر
بالاسلام والدعوة اليه يسرا احيانا ويجهر احيانا حسبما تقتضيه المصلحة
الشرعية وليست المرحلة السرية منسوخة بعد الامر من الله بالصـدع
والانذار بل حكمها باق كلما احتاج المسلمون الى ذلك كأن يكونوا في
حالة مشابهة لحالة الجاهلية الاولى التي بعث فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم والدليل على ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في
حوادث كثيرة . فقد امر صلى الله عليه وسلم ابا ذر بكنم اسلامه كما في
صحيح البخارى عندما خاف عليه من قريش .^(٢) واسلام ابي ذر متأخر اذ كان
بعد ان اعلن صلى الله عليه وسلم بدعوته وصدع بها يدل على ذلك
ما جاء في بعض روايات البخارى وهي رواية عبد الله بن الصامت اذ قال
الرسول صلى الله عليه وسلم لابي ذر انه قد وجهت لى ارضي ذات نخل
فهبل انت مبلغ عنى قومك عسى الله ان ينفعمهم بك^(٣) . ولكن ابا ذر رضى
الله عنه لم يكنم اسلامه كما امر بل قال والذي نفسى بيده لا صرخـن
بها بين ظهرائيهم . يقول ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث وكأنه
فهم ان امر النبي صلى الله عليه وسلم له بالكتمان ليس على الايجاب بل
على سبيل الشفقة عليه فاعلمه ان به قوة على ذلك ولهذا اقره النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه

(١) انظر مسند احمد بن حنبل (٣: ٤٦١) .

(٢) انظر الصحيح مع الفتح (٧: ١٣٤) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فتح البارى (٧: ١٣٤) .

الاذية لمن قاله وان كان السكوت جائزا والتحقيق ان ذلك مختلف باختلاف الاحوال والمقاصد وبحسب ذلك يترتب وجود الاجر وعدمه (١).

وهذا الذي ذكره ابن حجر هو الحق الذي لامرية فيه فان الجهر احيانا يكون محرما وذلك اذا ترتب عليه مفسدة محضة كأن تستأصل شأفة المسلمين بسببه من غير فائدة ترجع على الاسلام والمسلمين والاسرار احيانا يكون محرما وذلك اذا ترتب عليه مفسدة محضة كأن ينتشر الكفر وينخفض الاسلام ولم يكن هناك مانع شرعي من اظهار الدعوة الي الاسلام . يقول ابن تيمية : (وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما اذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات او تراخمت فانه يجب ترجيح الراجح منها فيما اذا تراخمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فان الامر والنهي وان كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فان كان الذي يفوت من المصالح او يحصل من المفاسد اكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرما اذا كانت مفسدته اكثر من مصلحته لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة . فمتى قدر الانسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها والا اجتهد برأيه لمعرفة الاشياء والنزائر وقل ان تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدالاتها على الاحكام) (٢) . وكون السرية في الدعوة الي الله تجب احيانا لا يدل على انها مساوية للجهر بالحق والمدع به واقامة الحجة على الناس بل الاصل هو الجهر بالاسلام والدعوة اليه كما اسلفت وانما تجب السرية لضرورة من الضرورات ~~كما يجب على الانسان احيانا ان يتناول لحم~~ ~~الخنزير مع حرمة اذ يحسى على نفسه الهلاك المتيقن كأن يكون يمكن~~ ~~ليس عنده الا لحم خنزير ولو لم يتناوله لمات جوما . قال القاسم~~

(١) فتح الباري (٧ : ١٣٤) .

(٢) الحسبة في الاسلام لابن تيمية (ص ٧٧ - ٧٨) .

(قال النخعي انه قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الاحيان وهو ما اذا حان على نفسه ولم يجد غيرها)^(١).

ومن هذا الباب ترك سب الهة المشركين اذا ترتب على ذلك سب الله تعالى كما قال سبحانه (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عظيهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)^(٢) . قال الشوكاني في تفسير هذه الاية (وفي هذه الاية دليل على ان الداعي الى الحق والناهي عن الباطل اذا خشى ان يتسبب عن ذلك ما هو اشهر من انتهاك محرم ومخالفة حق ووقوع باطل اشد كان الترك اولى به بل كان واجبا عليه وما انفع هذه الاية واجل فائدتها لمن كان من الحاملين لحجج الله المتصددين لبيانها للناس اذا كان بين قوم من الصم البكم الذين اذا امرهم بمعروف تركوه وتركوا غيره من المعروف واذا نهاهم عن منكر فعلوه وفعلوا غيره ممن المنكرات عنادا للحق وبنفا لاتباع المحققين وجراءة على الله سبحانه فان هؤلاء لا يؤثر فيهم الا السيف وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة وجعل المخالفة لها والتجرؤ على اهلها ديدنه وهجيرا كما يشاهد ذلك في اهل البدع الذين اذا دعوا الى حق وقعوا في غير من الباطل واذا ارشدوا الى السنة قابلوها بما لديهم من البديعة فهؤلاء هم المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع وهم شر من الزنادقة لانهم يحتجون بالباطل ويتتمون الى البدع ويظهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين والزنادقة قد الجمعتهم سيوف الاسلام وتحاماهم اهلهم وقد ينفق كيدهم ويتم باطلهم وكفرهم نادرا على ضعيف من ضعفاء المسلمين معتكم

(١) محاسن التأويل (٦: ٥١٠)

(٢) الانعام : ١٠٨

وتحرز وخيفة ووجل . وقد ذهب جمهور اهل العلم الى ان هذه الاية محكمة ثابتة غير منسوخة وهي اصل اصيل في سد الذرائع وقطع التطرق الى الشبه (١) .

قلت وسب الالهة المنهى عنه في هذه الاية الكريمة ليس هو بيان بطلان عبادتها قطعاً وذلك لان بيان ان الالهة المدعاة مع الله لا تضر ولا تنفع ولا تجوز عبادتها هو عين التوحيد ولا يتم التوحيد الا بصرف جميع العبادات لله والكفر بما يعبد من دون الله . قال تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (٢) . والقرآن كله مليء بالتحذير من عبادة غير الله وبيان بطلان ذلك وان سماه المشركون سباً فهو في الحقيقة ليس سباً . قال الحاكم (نهوا عن سب الاصنام لوجهين : احدهما انها جماد لا ذنب لها . والثاني ان ذلك يؤدي الى المعصية بسب الله تعالى والذي يجب علينا بيان بغضها وانها لا تجوز عبادتها وانها لا تضر ولا تنفع وانها لا تستحق العبادة وهذا ليس بسب) (٣) .

ولقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق كاملاً كما اراده الله كما مر معنا من جمعه صلى الله عليه وسلم لبطن قريش وعلان التوحيد والرسالة عليهم وتخويفهم بعذاب الله يوم القيامة . يقول ابن كثير (والمقصود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر يدعو الى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ولا يصدده عن ذلك صاد ويتبع الناس في انديتهم ومجامعهم

(١) فتح القدير للشوكاني (٢ : ١٥٠) .

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٦ : ٦٧٩) .

ومحافلهم وفي المواسم ومواقف الحج يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوى وغني وفقير جميع الخلق في ذلك عنده شرع سوا^(١) . وقد امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باعلان المفاصلة مع الجاهلية وعدم مهادنتها قال تعالى (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون)^(٢) . وقال عز وجل (فلاتعالمكذابين . ودوا لو تدهن فيدهنون)^(٣) . وقال (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا)^(٤) .

وقد نفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما امر به فقراً على الكفار كتاب الله الذي اوضح شركهم غاية الوضوح وابطل حججهم غاية البطلان وابان لهم عقيدة التوحيد (وكذلك فصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لاتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين)^(٥) . وقد راع الكفار هذا الهجوم الصارخ من الله ورسوله على عقيدة الشرك وتعريفها تعريفة كاملة فحاولوا جهدهم ان يثنوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولكنهم باءوا بالخسران يدل على ذلك قصة عتبة بن ابي ربيعة حيث^(٦) قال يامعشر قريش الا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا - وذلك حين اسلم حمزة ورأوا اصحاب

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤٠ : ٣) .

(٢) الكافرون : ١ - ٢

(٣) نون : ٨ - ٩

(٤) الاسراء : ٧٣ - ٧٥

(٥) الانعام : ٥٥ - ٥٦

(٦) قال الابناني ان سند هذه القصة حسن . انظر فقه السيرة

للغزالي (ص ١١٣) .

رسول الله يزيدون ويكثرون - فقالوا بلي يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه
فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
اخي انك منا حيث قد علمت من الشطرنج العشرة والمكان والنسب
وانك قد اتيت قومك بامر عظيم ففرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم
وعبت به الهتهم ودينهم وكثرت به من مضي من آباءهم فاسمع مني حتى
اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابا الوليد اسمع . قال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما
جئت به من هذا الامر ما لاجمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا
مالا وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرنا ونترك
وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رعيانا تراه
لا تستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطيب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك
منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه او كما قال لسه
حتى اذا فرغ عتبه قال له النبي صلى الله عليه وسلم افرفت يا ابا الوليد
قال نعم قال اسمع مني قال افعل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم
يعلمون) فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فلما سمع بها عتبة
انصت لها والتي بيديه خلفه او خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع منه
حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد لها ثم
قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك (١) .

واجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الله
وابلاغ هذا الدين للبشرية امر مجمع عليه بين المسلمين . قال القاسمي
(لاختفاء في ان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ التام وقام به
اتم القيام وثبت في الشدائد وهو مطلوب وصبر على البأساء والضراء

(١) انظر القصة مستوفاة في البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٦٣) .

وهو مكروب ومحروب وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي ثم انتصب لجهاد الاعداء وقد احاطوا بجهاته واحدقوا بجنباته وصار باثخانسه في الاعداء محذورا وبالرعب منه منصورا حتى اصبح سراج الدين وهاجبا ودخل الناس في دين الله افواجا . روى البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنهما قالت لمسروق من حدثك ان محمدا كتم شيئا ما انزل الله عليه فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك . . الاية وفي الصحيحين عنها ايضا انها قالت لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الاية وتخفى في نفسك ما لله مبديا وتخشى الناس والله اعق ان تخشاه . وروى البخارى وغيره عن ابي جحيفة قال قلت لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهمما يعطيه الله رجلا من القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر وقال البخارى قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم . قال ابن كثير وقد شهدت له صلى الله عليه وسلم امته بابلاغ الرسالة واداء الامانة واستنطقهم بذلك في اعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع وقد كان هناك من اصحابه نحو من اربعين الفا كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ ايها الناس انكم مسئولون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وادي بيت ونصحت فنجعل يرفع رأسه ويرفع يديه الى السماء وينكبهما اليهم ويقول اللهم هل بلغت . . (١) . وقد نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم نهجه في تبليغ دين الله والدعوة اليه ومراغمة

(١) معان التاويل للقسامي (ص ٢٨٤ - ٢٨٨) .

الجاهلية واخذهم انفسهم بالعزائم في اغلب احيانهم وليس هنا مجال استعراض ذلك وانما اقتصر على مثالين للدلالة على ذلك .

المثال الاول : قصة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقد روى

البناري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت لم اعقل ابـسوى قط الا وهما يد ينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكوة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا قبل الحبيشة حتى اذا بلغ برك الضماد لقيه ابن الدغنه وهو سيد القاره فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فانا اريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي قال ابن الدغنه ان مثلك لا يخرج ولا يخرج فانك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نواصب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك فارتحل ابن الدغنه فرجع مع ابي بكر فطاف في اشراف كـسار قريش فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نواصب الحق فانفذت قريش جوار ابن الدغنه وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنه مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا قد خشينا ان يفتن ابناؤنا ونساءنا قال ذلك ابـس الدغنه لابي بكر فطفق ابو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتني مسجدا بفناء داره وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن فانزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الي ابن الدغنه فقدم عليهم فقالوا له انا كنا اجرنا ابا بكر على ان يعبد ربه في داره وانه جاوز ذلك فابتني مسجدا بفناء داره واعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا ان يفتن ابناؤنا ونساءنا فاته فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه

في داره فعل وان ابي الا ان يعلن ذلك فسله ان يرد عليك ذمتك فاننا
 كرهنا ان نخفرك ولسنام قرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتي ابن
 الدغنه ابا بكر فقال قد علمت الذي عقدت لك عليه فاما ان تقتصر على
 ذلك واما ان ترد الي ذمتي فاني لاحب ان تسمع العرب اني اخفرت فسي
 رجل عقدت له قال ابو بكر اني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله
 (١)
 الحديث).

فانظر الي اصرار ابي بكر رضي الله عنه علي الاستعلان بالحق
 في تلك الظروف العصبية وتركه لجوار المشرك مع شدة حاجته اليه رغبة
 فيما عند الله والدار الآخرة .

المثال الثاني : قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال ابن
 اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال لما اسلم عمر قال
 اي قريش انقل للحديث فقيل له جميل بن مضر الجمحي فخذ ا عليه قال
 عبد الله وفدت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رأيت حتى
 جاءه فقال له اعلمت يا جميل اني اسلمت ودخلت في دين محمد صلى
 الله عليه وسلم قال فوالله ما راجعه حتى قام يجرد اءه واتبعه عمر واتبعته
 انا حتى قام على باب المسجد صرخ باعلي صوته يامعشر قريش - وهم فسي
 انديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبأ قال يقول عمر من خلفه
 كذب ولكني قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
 وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال
 وطلح فقعده وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان
 لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم او تركتموها لنا قال فبينما هم
 على ذلك اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة حبره وقميص موشى حتى وقف
 عليهم فقال ماشأنكم فقالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امــــرا

فماذا تريدون اترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لابي بعد ان هاجر السبي المدينة يا ابت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك قال ذاك اى بنى العاص بن وائل السهمي^(١) فهل بعد هذه المراغمة للجاهلية من مراغمه وهل بعد هذا الاصرار على اظهار الحق من اصرار الاماكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي هو وامى فعلى اكتاف هؤلاء الابطال وامثالهم قام دين الله وعز جانبه وانخفض الشرك واهله ولننظر الان كيف قام صلى الله عليه وسلم بتربية هذا الجيل الفذ لعل دعاة اليوم يقتبسون شعلة من نور تلك التربية تنير لهم الطريق فى جاهليتهم المعاصرة .

(١) ذكر هذا الحديث ابن كثير فى البداية والنهاية (٣ : ٨١ - ٨٢) وقال هذا اسناد جيد قوى .

(٣) تربية الرسول صلى الله عليه وسلم
للرعيل الاول علي تحمل اعباء الدعوة .

ان المتبع للقرآن الكريم والسنة المطهرة يجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم ربي اصحابه علي تمثل الاسلام الذي اراده الله وذلك بتعليمهم كتاب الله وتفسيره لهم وبتطبيق تعاليم الاسلام امامهم ليقتمدوا به وارشادهم بالسنة القولية والفعلية الى دين الله القويم وتعليمهم مالم يكونوا يعلمون مما فيه صلاح دينهم ودنياهم فهذه هي مهممة الرسول صلى الله عليه وسلم كما اخبر الله عز وجل بذلك . قال تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) (١) . وقال عز وجل (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (٢) . وقال : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (٣) . وباستعراض السور المكية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية في مكة ينظر لنا عدة امور ركز عليها القرآن وجلاها ووضحها فاية الوضوح وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهد في بيانها وتربية اصحابه عليها . ويمكن تلخيص اهمها فيما يلي :

(١) ترسخ العقيدة الصحيحة وثبيتها في قلوب المؤمنين وايضا حياها للناس كافة وذلك ببيان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وحقوق هذين التوحيد بين العالميين من الايمان بكل ما اخبر الله به من

(١) البقرة : ١٥١

(٢) البقرة : ١٢٩

(٣) آل عمران : ١٦٤

الملائكة والكتاب والنبين والقدر خيره وشره واليوم الآخر واثبات
الرسالة للرسول عليهم السلام والايمان بكل ما اخبروا به .
فتوحيد الربوبية هو اثبات حقيقة الرب تعالى وصفاته وافعاله
واسمائه الحسنی ليس كمثلہ عشیۃ في ذلك كله كما اخبر به عن نفسه وكما
اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افصح القرآن عن هذا النوع كل
الانصاح فقد عرف القرآن المكي للناس من هو الاله الذي يجب ان
يعبد وه باسمائه وصفاته وافعاله قال تعالى الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فتعرف الله الي الناس بانه الرحمن
(١) (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی)
(قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) (٢) (ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (٣) (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) (٤) وغير
هذه الايات آيات كثيرة تعرف الله فيها الي عباده بانه الرحمن وبانسه
الرحيم بهم (انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه
غفور رحيم) (٥) (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك
من بعدها لغفور رحيم) (٦) (قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض انه كان غفورا رحيماً) (٧) (فالله خير حافظاً وهو ارحم الراحمين)
(٨) (وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين) (٩) وغير هذه الايات كثيرة جدا .

(١) الاسراء : ١٠

(٢) مريم : ١٨

(٣) الزخرف : ٣٦

(٤) الملك : ٣

(٥) الانعام : ٥٤

(٦) الاعراف : ١٥٣

(٧) الفرقان : ٦

(٨) يوسف : ٦٤

(٩) الاعراف : ١٥١

وتعرف الي عباده سبحانه بانه بكل شيء محيط (ان ربي بما
يعملون محيط)^(١) (الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء
محيط)^(٢) (بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط)^(٣) وتعرف
الي خلقه سبحانه بانه على كل شيء قدير (وان يمسك الله بخير فهو على
كل شيء قدير)^(٤) (الي الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير)^(٥) ثم الله
ينشيء النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير^(٦) الي غير ذلك من
الايات التي تبين قدرة الله سبحانه على كل شيء .

وتعرف الي عباده بانه العليم بكل شيء كان اولم يكن . (قل
يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم)^(٧) (يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم)^(٨) وتعرف الي خلقه بانه الحكيم (وهو
القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) (ولله المثل الاعلى وهو العزيز
الحكيم)^(٩) (ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم)^(١٠) (كذلك يومئى
اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)^(١١) . وتعرف سبحانه الي
عباده بانه هو الذى يحيى ويميت (اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى
ويميت)^(١٢) (هو يحيى ويميت واليه ترجعون)^(١٣) (وهو الذى يحيى ويميت

-
- (١) هود : ٩٢
(٢) فصلت : ٥٤
(٣) البروج : ٢٠
(٤) الانعام : ١٧
(٥) هود : ٤
(٦) العنكبوت : ٢٠
(٧) يس : ٧٩
(٨) الشورى : ١٢
(٩) الانعام : ١٨
(١٠) النحل : ٦٠
(١١) الشورى : ٣
(١٢) البقرة : ٢٥٨
(١٣) يونس : ٥٦
(١٤) المؤمنون : ٨٠

وله اختلاف الليل والنهار (١) . وكما تعرف الله الى خلقه باسمائه الحسنى وصفاته العليا في كتابه العزيز فقد عرفهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوى بابي هو وامى قال الحاكم حدثنا ابوزكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى ثنا ابو عبد الله محمد بن ابراهيم العبدى ثنا موسى بن ايوب النصبي وحدثنا ابو بكر احمد بن اسحاق الفقيه انبأنا محمد بن احمد بن الوليد الكرابيسى ثنا صفوان بن صالح الدمشقي قال حدثنا الوليد بن مسلم ثنا شعيب بن ابي حمزة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاه دخل الجنة انه وتر يحب الوتر هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز الذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير العليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المنيف . وقال صفوان في حديثه المقيت واليه ذهب ابو بكر محمد بن اسحاق في مختصر الصحيح - الحسين الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدى المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الفنى المغنى الضار النافع النور الهدى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور . هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين باسانيد صحيحة

دون ذكر الاسامي فيه والعللة فيه عندهما ان الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الاسامي فيه ولم يذكرها غيره وليس هذا بعللة فاني لا علم باختلافا بين ائمة الحديث ان الوليد بن مسلم وثق واحفظ واعلم واجل من ابي اليمان وبشر بن شعيب وعلي بن عياش^(١) واقرانهم ممن اصحاب شعيب^(٢).

ثم اورد الحاكم شاهدا لهذا الحديث من طريق عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان عن ايوب وعن هشام بن حسان جميعا عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة وفيه زيادة ونقصان وقال عن عبد العزيز بن الحصين بانه ثقة ولكن تعقبه الذهبي وقال بل ضعفه^(٣). قال الشيخ حافظ حكيم

- (١) هؤلاء ممن روى عنهم اصحاب الصحيحين وفرض الحاكم الزام اهل الصحيحين باخراج هذا الحديث .
- (٢) المستدرك للحاكم (١: ١٦- ١٧) وانظر الترمذي في الدعوات باب اسماء الله الحسنى رقم (٣٥٠٢) وقال هذا حديث غريب حدث به غير واحد عن صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث وانظر شرح السنة للغوي (٥: ٣٢) بتحقيق شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش وقال المحققان في التعليق على هذا الحديث وقال العافظ ولم ينفرد به صد وان فقد اخرجه البيهقي من طريق موسى بن ايوب النصيبي وهو ثقة عن الوليد ايضا وقد صححه ابن حبان (٢٣٨٤) والحاكم (١: ١٦) وقال النووي في الاذكار انه حديث حسن وقال ابن كثير في تفسيره والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء مدرج في هذا الحديث وانما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد انه بلغه عن غير واحد من اهل العلم انهم قالوا ذلك اي انهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان ابن عيينة وابوزيد اللغوي . . . وقد رد الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص ٥٤) مقالة ابن كثير هذه بقوله ولا يخفك ان هذا العدد قد صححه امامان وحسنه امام فالقول بان بعض اهل العلم جمعها من القرآن غير سديد ومجرد بلوغ واحد انه رفع ذلك لا ينتهز لمعارضة الرواية ولا تدفع الاحاديث بمثله . . . هـ
- (٣) المستدرك (١: ١٧) .

(واعلم ان اسماء الله عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث ابي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين لحديث ابن مسعود عند احمد وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امك ناصيتى بيدك ما خفي حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغى لكل من سمعها ان يتعلمها .

واعلم ان من اسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه الا مقترنا بمقابلته فاذا اطلق وحده او هم نقصا تعالى الله عن ذلك فمنها المعطى المانع والضار النافع والقابض الباسط والمعز المذل والخافض الرافع فلا يطلق على الله عز وجل المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده بل لابد من ازيد واجها بمقابلاتها اذ لم تطلق في الوحي الا كذلك ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن الا مضافا الى ذوق قوله تعالى (عزيز ذوانتقام) او مقيدا بالمجرمين كقوله تعالى (انا من المجرمين منتقمون) (١) ولا شك ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوا الله باسمائه الحسنی وصفاته العلیا اذ هي مبثوثة في القرآن الكريم الذي كان يتلوه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فغالب الايات تخص بصفات الله تعالى واسمائه الحسنی لتأكيدھا وترسيخھا في النفوس ولكي يعبد الله بمقتضاها فان النفس التي تعرف الله حق معرفته لا تصرف شيئا من انواع العبادة لغيره سبحانه .

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول للحكيمي

فمن عرف ان الله احكم الحاكمين وان الحكم له وحده معرفة جازمة صادقة هل يتصور منه التحاكم الي غير الله او الشك في حكمته سبحانه ومن عرف انه الضار النافع المحيي المميت هل يتصور منه الخوف من شيء ان يصيبه بأذى بغير اذن من الله ومن عرف ان الله سبحانه هو المعطي المانع الرزاق الوهاب هل يتصور منه ان يطلب الرزق من غيره سبحانه ومن عرف ان الله هو المطلع على خفايا الصدور المحيط بكل شيء القادر على كل شيء العليم بكل شيء السميع البصير هل يتصور منه ان ينتهك محارم الله كلما خلا بنفسه . لقد تربي الرعيل الاول رضوان الله عليهم على فهم صفات الله واسمائه الحسنی وهدوه بمقتضاها فعظم الله في نفوسهم واصبح رضاه سبحانه غاية مقصد هم وسعيهم واستشعروا مراقبته لهم في كل الاوقات فكبحوا جماح نفوسهم من ان تنزل واللهم مطلع عليها . وبهذا يظهر ان توحيد الربوبية ركيزة عظيمة يبنى عليها توحيد الالهية الذي دعت اليه جميع الرسل . وقد تظهر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضد توحيد الربوبية وهو اعتقاد متصرف مع الله عز وجل في اي شيء من تدبير الكون من ايجاد او اعدام او احياء او اماتة او طلب خير او دفع شر بغير اذن من الله سبحانه واعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات اسمائه وصفاته كعلم الغيب وكالعظمة والكبرياء وكالحاكمية المطلقة وكالطاعة المطلقة ونحو ذلك . وقد امر الله الناس ان يوحدوه بمقتضى ماله من الاسماء والصفات وهذا التوحيد يسمى توحيد الالهية وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الله بأعمال العباد ، أما توحيد الربوبية فهو توحيد الله بأعماله سبحانه ، وقال سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد بل كل سورة من في القرآن فيها اشارة الى التوحيد . فالقرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الي عبادته وحده لا شريك له وخلق ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما امر ونهي والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرامه لاهل توحيدهم وما فعل بهم

في الدنيا وما يكومهم به في الآخرة فهو جزاء توحيدهم . واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم .^(١)

وقد جاء القرآن المكي مقررا توحيد الألوهية - توحيد القصد والطلب والارادة - مبينا ان كل رسول قد دعا قومه الى افراد الله بالعبادة . قال تعالى عن نوح عليه السلام (ولقد ارسلنا نوحا النبي قومه اني لكم نذير مبين ان لاتعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم) .^(٢) وقال عن هود عليه السلام (والي ماد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدا الله مالكم من اله غيره ان انتم الامفترين)^(٣) وقال عن صالح عليه السلام (والي ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدا الله مالكم من اله غيره)^(٤) وقال عن شعيب عليه السلام (والي مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدا الله مالكم من اله غيره)^(٥) وقال عن عيسى عليه السلام (ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)^(٦) .

وبالجملة فالرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم دعوا لتوحيد الألوهية وهو افراد الله بالعبادة واجتناب عبادة الطواغيت والامنام (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدا الله واجتنبوا الطاغوت)^(٧) .
وانواع التوحيد متلازمة فينا فيها كلها ما ينافي نوعا منها مثال

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٨٨) .

(٢) هود : ٢٥ - ٢٦

(٣) هود : ٥٠

(٤) هود : ٦١

(٥) هود : ٨٤

(٦) آل عمران : ٥١

(٧) النحل : ٣٦

ذلك دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه الا الله . فدعاء الداعي عبادة بل مخ العبادة وصرفها لغير الله شرك في الالهية . وسوءاله حاجته من جلب الخير او دفع الشر معتقدا انه قادر على قضاء حاجته شرك فسي الربوبية حيث اعتقد انه متصرف مع الله في ملكوته ثم انه لم يدعه هـذا الدعاء من دون الله الامع اعتقاده بانه يسمعه على البعد والقرب فسي اى وقت كان وفي اى مكان وهذا شرك في الاسماء والصفات حيث اثبت له سمعا محيطا بجميع السموعات لا يحجبه قرب ولا بعد فاستلزم الشرك فسي الالهية الشرك في الربوبية والشرك في الاسماء والصفات .^(١)

وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على تجريد التوحيد بانواعه كلها وكان هو صلى الله عليه وسلم مثالا حيا للمؤمن الموحد غاية التوحيد (قل انى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها ~~وا~~ ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)^(٢) وقد آتت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه ثمارها المباركة فتظهر الصحابة فى الجملة ما يضاد توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات فلم يحتكوا الا الى الله وحده ولم يطيعوا غير الله فى معصية الله ولم يتبعوا احدا على غير مرضاة الله ولم يحيوا غير الله كحب الله ولم يخشوا الا الله ولم يتوكلوا الا على الله ولم يلتجئوا الا الى الله ولم يدعوا دعاء المسألة والمغفرة الا الله وحده ولم يذبحوا

(١) انظر (ص ٢٨) من كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة الاسلامية للحكمي .

(٢) الانعام : ١٦١ - ١٦٤

الا لله ولم ينذروا الا لله ولم يستغيثوا الا بالله ولم يستعينوا فيمما لا يقدر عليه الا الله الا بالله وحده ولم يركعوا او يسجدوا او يحجوا او يطوفوا او يتعبدوا الا لله وحده ولم يشبهوا الله لا بالمخلوقات ولا بالمعدومات بل نزهوه غاية التخرية واثبتوا له ما اثبتت لنفسه او اثبتت له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف او تعطيل او تأويل ولم يخافوا خوف السر الامن الله وحده ولم يصرفوا الطاعة المطلقة الا لله وحده ولم يشركوا احدا من خلقه في خاصية من خصائص ربوبيته كالا حياء والامانة والرزق والعلم المحيط والقدرة الباهرة والقيومية والبقاء المطلق والتحليل والتحرير للخلق ونحو ذلك جعلنا الله ممن يحقق التوحيد قولا وعملا واعتقاد انه ولي ذلك والقادر عليه .

وكما جاء القرآن المكي موضعا عقيدة التوحيد جاء مثبتا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن كافة (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١) . (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (٢) . (واذا صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم) (٣) . وغير هذه الايات في القرآن الكريم كثير تثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للانس والجن كافة .

(١) سبأ : ٢٨

(٢) الاعراف : ١٤٥٨

(٣) الاحقاف : ٢٩ - ٣١

وكما رسخ القرآن المكي في قلوب الصحابة رضی الله عنهم العقيدة الصحيحة حول التوحيد بانواعه وحول الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة، صحح عقيدتهم حول الملائكة وانهم خلق من خلقه يسجدون له ولا يستكبرون من عبادته وليس لهم شرك في السماء ولا في الارض وانهم لا يضررون ولا ينجفون احدا الا بامره سبحانه (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) ^(١) . (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) ^(٢) (الحمد لله فاطر السموات والارض جامع الملائكة رسلا) ^(٣) (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) ^(٤) .

وكذلك سائر اركان الايمان الاخرى غرسها القرآن المكي في قلوب المؤمنين باسلوب القرآن المعجز ووضحها لكافة الناس فبين كيفية انزال القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) ^(٥) (الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني) ^(٦) (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء) ^(٧) .

وبين سبحانه ان له كتابا غير القرآن الكريم (وآتينا داود زبوراً) ^(٨)

-
- (١) الرعد : ١٣ .
 - (٢) النحل : ٤٩
 - (٣) فاطر : ١
 - (٤) سبأ : ٢٢
 - (٥) الاسراء : ٢٠٦
 - (٦) الزمر : ٢٣
 - (٧) الانعام : ٩١
 - (٨) الاسراء : ٥٥

(وانزل التوراة والانجيل . . . الآية)^(١) .

وبين سبحانه انه بعث كثيرا من الانبياء (وكم ارسلنا من نبي في
الاولين)^(٢) فبعضهم ذكرهم في القرآن وبعضهم لم يذكرهم (ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)^(٣) .

وركز القرآن المكي على اليوم الاخر غاية التركيز فقل ان توجد سورة
مكية لم يذكر فيها بعض احوال يوم القيامة واحوال المنعمين واحوال
المعذبين وكيفية البعث وكيفية حشر الناس ومحاسبتهم حتى لكأن
الانسان ينتظر الى يوم القيامة رأى العين (ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء
وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما
يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال
لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبعوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر
العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)^(٤) (بل الساعة موعدهم

(١) آل عمران : ٣

(٢) الزخرف : ٦

(٣) غافر : ٧٨

(٤) الزمر : ٦٧ - ٧٥

والساعة ادهى وامران المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون فسي النار على وجوههم ذوقوا مس سقر^(١) (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضعون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون^(٢)) (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم^(٣)) الى غير ذلك من الايات الكثيرة .

وكذلك ركز القرآن المكي على القدر واوضحه للناس وهو يشمل

اربع مراتب :

- المرتبة الاولى : علم الله المحيط بكل شيء (وماتكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولا تعلمون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر ممن ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين^(٤)) .
- المرتبة الثانية : كتابة كل شيء كائن (انا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين^(٥)) .
- المرتبة الثالثة : مشيئة الله النافذة وقدرته التامة (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا^(٦)) .

(١) القمر : ٤٦ - ٤٨

(٢) يس : ٤٨ - ٥٢

(٣) يس : ٧٧ - ٧٩

(٤) يونس : ٦١

(٥) يس : ١٢

(٦) فاطر : ٤٤

(١) (وماتشؤون الا ان يشاء الله) .

المرتبة الرابعة : خلق الله لكل شيء (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) (٢) .

ولم تقتصر تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه على تعليمهم اركان الايمان الستة المتقدمة بل صحح عندهم كثيرا من المفاهيم والتصورات والاعتقادات عن الكون والانسان والحياة والعلاقة بينهما ليسير المسلم على نور من الله يدرك هدف وجوده في الحياة ويحقق ما اراد الله منه غاية التحقيق ويتحرر من الوهم والخرافات .

والرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا يعلم الا ما اعلمه الله عن طريق القرآن او الوحي غير المقروء لذا نجد ذلك التصحيح اقلبه في القرآن . قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين) (٣) وقال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (٤) .

وبين سبحانه لماذا خلق الانس والجن فقال (وما خلقت الجن

(١) الانسان : ٣

(٢) الانعام : ١٠٢

(٣) الحجر : ٢٦ - ٣١

(٤) المؤمنون : ١٢ - ١٦

والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (١) وقال (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لاتعلمون) (٢).

وبين سبحانه اصل الكون وقدرة الله وحكمته في جعله مسخرا للانسان (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلاتذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يثقون (٣) ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم لـه بخازنين (٤) افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل

(١) الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٢) البقرة : ٣٠

(٣) يونس : ٣ - ٦

(٤) الحجر : ١٦ - ٢٢

زوج بهيج تبصرة وذكري لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا
فانبتنا به جنات وحب الحميد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا
للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الريح (١).

وانه لما يقوى الايمان في قلوب الرعيل الاول ان الله يؤيدهم
في معركتهم العقيدية مع الجاهلية فيكشف قبح الجاهليين واخلقهم
الشيعة ويبين تفاهة معبوداتهم وضحالة تفكيرهم وسوء تصرفاتهم
يقول تعالى - فاضحا ومنمدا ببعض زعماء الكفر - (تبت يدا ابي لهب
وتب ما اغني عنه ماله وما كسب سيجلي نارا ذات لهب وامراته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد) (ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى
ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم
يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة
فليدع ناديه سندع الزبانية) (٢) (ارأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدي
اعنده علم الغيب فهو يرى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفي الاتزر وازرة وزر اخرى) (٣) (ولا تطع كل حلاف مهين همار شاء بنميم
مناخ للخير معتد اثم عتل بعد ذلك زنيم) (٤).

وقال سبحانه عن معبودات اهل الجاهلية (ارأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكور وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى
الا اسماء سميتوها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الثلث وماتهنوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٥) (ايشركون
مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون

(١) ق : ٦ - ١١

(٢) العلق : ٩ - ١٨

(٣) النجم : ٣٣ - ٣٨

(٤) القلم : ١٠ - ١٣

(٥) النجم : ١٩ - ٢٣

وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عبادا ابتالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطنون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (١) . (قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد اللالمن بعضهم بعضا الا غرورا (٢)) وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليرد وهم لم يلحسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا مافى بطن هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انهم حكيم عليهم قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرمو ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (٣) .

كل هذه الامور المتقدمة التي استعرضنا طرفا منها هي التي تجعل الايمان راسخا قويا وهي طرق ترسيخ الايمان وتقويته في كل زمان ومكان . يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي (والطريق الى العلم بانه لا اله الا الله امور : احدها بل اعظامها تدبر اسمائه وصفاته وافعاله

(١) الاعراف : ١٩١ - ١٩٥

(٢) فاطر : ٤٠

(٣) الانعام : ١٣٥ - ١٤٠

الدالة على كماله وعظمته وجلاله فانها توجب بذل الجهد في التأله له والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

الثاني : العلم بانه تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك انه المتفرد بالالوهية .

الثالث : العلم بانه المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدينية فان ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع : مانراه ونسمعه من الثواب لولياؤه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لاعدائه المشركين به فان هذا داع الى العلم بانه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها .

الخامس : معرفة اوصاف الاوثان والانداد التي عبدت مع الله واتخذت الهة وانها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير او دفع شر فان العلم بذلك يوجب العلم بانه لا اله الا الله ويطلان الهية ماسواه .

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .

السابع : ان خواص الخلق الذين هم اكمل الخليقة اخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا وعلما وهم الرسل والانبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا بذلك .

الثامن : ما اقامه الله من الادلة الافقية والنفسية التي تدل على التوحيد اعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما اودعها من لطائف صنعته ويديع حكمته وفرائب خلقه (١) .

(١) انظر تفسير السعدي (٧: ١٦٦ - ١٦٧) .

(٢) تربية الرعيل الاول على مكارم الاخلاق وتنقيته من الرذائل .
 ان الاخلاق جزء مهم من العقيدة فالعقيدة الصحيحة لا تكون
 بغير خلق وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على مكارم
 الاخلاق باساليب متنوعة وكان صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم ما ينزل عليه
 من قرآن فاذا سمعوه وتدبروه عملوا بتوجيهاته قال ابو عبد الرحمن حدثنا
 من كان يقرئنا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يقرءون
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرات فلأياخذون في العشر
 الاخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم
 والعمل (١) .

والمتدبر للقرآن المكي يجده مليئا بالحث على مكارم الاخلاق وعلى
 تنقية الروح وتصفيتها من كل ما يعيق سيرها الى الله تعالى ورسول
 الهدى عليه الصلاة والسلام القدوة الكاملة والمربي الناصح للامة كان غاية
 في الخلق . قال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) (٢) وقد ربي اصحابه على
 الصدق والكوم والوفاء بالصهد وبر الوالدين وصلة الارحام واجتناب
 الفواحش والاثام وقول الزور واكل اموال الناس بالباطل الى غير ذلك من
 مكارم الاخلاق التي امر الله بها ورغب فيها والتي ترتفع بالانسان الى
 افق عال من الصلاح والاصلاح . (ومباد الرحمن النذير يمشون على
 الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم
 سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها
 كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
 يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
 النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
 يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) (٣) والذين لا يشهدون

(١) مسند احمد بن حنبل (٥ : ٤١٠) .

(٢) القلم : ٤

(٣) الفرقان : ٦٣ - ٦٩

الزور واذ امروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخسروا عليها صما وعميانا (١) (فما اوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامروهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون (٢) (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمنهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (٣) .

ويقول تعالى محذرا عن الكذب (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (٤) .

وناهيا عن الفحشاء والمنكر ومرشدا الى جملة من الاخلاق الرفيعة والصفات المحمودة (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما ييلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما

(١) الفرقان : ٧٢ - ٧٣

(٢) الشورى : ٣٦ - ٣٩

(٣) المؤمنون : ١ - ١١

(٤) النحل : ١١٦

كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها
وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد
الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفسد
وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون (١)
(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن
عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما
قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما
ارحمتني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان
للاوابين عفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر
تذيرا ان المبدرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا
واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا
ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعبد ملوما
محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا
بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايامكم ان قتلهم كان
خطئا كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا
النفوس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي
احسن حتى يبلغ اشده واطفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا واطفوا
الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسط المستقيم ذلك خير واحسن تأويلا
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه
مسئولا ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
ملولا كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها (٢)

(١) النمل : ٩٠ - ٩٧

(٢) الاسراء : ٢٣ - ٣٨

ويقول تعالى ذاكرا لوصايا لقمان لابنه ومرشدا لا تباعها لانها من
مكارم الاخلاق : (ولقد اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته
امه وهننا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير
وان جاهدك على ان تشرك بي ماليين لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما
في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اتاب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما
كنتم تعملون يا بني ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في
السماوات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلاة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مزحزا ان الله لا يحب كل مختال
فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير)^(١)
ولقد بين احد السابقين الى الاسلام - وهو جعفر بن ابى
طالب رضى الله عنه - مكارم الاخلاق التي جاءهم بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامرهم بالتزامها ورباهم عليها حتى اصبحت جزءا من
حياتهم يتلقون التعذيب والتشريد من بلادهم ولا يتنازلون عن شيء منها
فقال رضى الله عنه لملك الحبشة (ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية
نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسئ الجوار
ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا
نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده
ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا
ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام
- فعدد عليه امور الاسلام - ثم قال وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة

وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهبانا عن الفواحش
وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات فصدقناه وامنا به واتبعناه
على ما جاء به من الله تعالى فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به
شيئا وحرمنا ما حرم الله علينا واحللنا ما احل لنا فحدا علينا قومنا
فعد بوننا وفتنونا عن ديننا ليردنا الى عبادة الاوثان من عبادة الله
وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وطمونا وضيقوا علينا
وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجعنا
في جوارك ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك ، فقال له النجاشي هل
معك مما جاء به من شيء فقال له جعفر نعم قال فاقرأه على فقرا عليه
صدرا من " كهيعص" فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيتيه
ويكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما يتلى عليهم ثم قال
له النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة
(١)
الحدِيث .

(٣) تزكية ارواح الرعيال الاول بانواع العبادات .

تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى والتسبيح له
سبحانه امر مهم في الاسلام فان النفس البشرية اذا لم تتطهر من ادرانها
وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية المطلقة عليها . والعبادة
والمداومة عليها تعطي الروح وقودا وزادا ودفعاً قويا الى القيام بما
تؤمر به يدل على هذا امر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في ثلثي
سورة نزلت عليه بالصلاة والذكر وترتيل القرآن . قال تعالى (يا ايها

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للمصالحى (٢ : ٥١٩)
والفتح الربانى لترتيب مسند الامام احمد (٢٠ : ٢٢٩) وقال البنا
الحدِيث صحيح .

المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا اوزد عليه ورتل القرآن
ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم
قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذ كر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا (١).

فلاستعداد للامر الثقيل والتكاليف الشاقة هو بقيام الليل
والمدائمة على الذكر والتلاوة وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتوجيه من ربه عز وجل على تربية الصحابة من اول اسلامهم على تطهير
ارواحهم وتركيتها بالعبادة فقد روى الامام احمد والبيهقي وابن عبد
البر عن اسماعيل بن اياس بن عفيف الكندي عن ابيه عن جده قال كنت
امرا تاجرا فقد مت الحج في الجاهلية فاتيت العباس بن عبد المطلب
لابتاع منه بعض التجارة فوالله اني لعنده بمنى اذ خرج رجل مجتمع من
خباء قريب فنظر الى الشمس فلما رآها مالت توفأ فاسبع الوضوء ثم قام
يصلي ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه ثم
لم البث الا يسيرا حتى جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم
ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت
المرأة ثم خر الشاب ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة فقلت للعباس يا عباس
ما هذا قال هذا محمد بن عبد المطلب ابن اخي قلت من هذه المرأة قال
هذه امرأته خديجة بنت خويلد فقلت من هذا الفتى قال هذا علي بن
ابي طالب ابن عمه قلت فما هذا الذي يصنع قال يصلي يزعم انه نبي ولم
يتبعه على امره الا امرأته وابن عمه هذا الفتى وهو يزعم انه ستفتح عليه
كنوز كسرى وقيصر قال عفيف فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت اكون ثانيا
مع علي بن ابي طالب (٢).

(١) المزمل : ١ - ٨

(٢) سبل الهدى والرشاد للصالحى (٢ : ٣٩٩) .

وذكر ابن اسحاق ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلوا ذهبوا في الشعب واستخفوا بصلاتهم ولما خاف صلى الله
عليه وسلم على اصحابه في بداية الاسلام وعرف ان الكفار لا يقرونهم
بممارسة الصلاة وقراءة القرآن علنا دخل بهم دار الارقم وصار يصلي بهم
ويعلمهم كتاب الله عز وجل ولولا اهمية تزكية الروح بالعبادة والصلاة
والتلاوة لامرهم بتركها عند الخوف وحتى بعد ان اكتشفت قريش المكان
الذي يصلي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم باصحابه لم يترك الرسول
صلى الله عليه وسلم الصلاة والتلاوة لاجل الخوف . يقول الصالحى فى
سبب نزول قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا) (٢) (روى سعيد بن منصور والامام احمد والشيخان عن ابن
عباس وابن اسحاق وابن جرير عنه من طريق آخر فى الاية قال نزلت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة متوارفكان اذا صلى باصحابه
رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن
جاء به وتفرقوا عنه وابوا ان يسمعوا منه وكان الرجل اذا اراد ان يستمع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلوه وهو يصلى استرق السمع
دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع ذهب خشية اذا هم
فلم يستمع فان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين
يستمعون من قراءته شيئا فانزل الله تعالى ولا تجهر بصلاتك . . . الاية
بقراءتك فيها فيسب المشركون القرآن ويتفرقوا عنك ولا تخافت تسربها
فلا ينتفع بها اصحابك ولا من اراد ان يسمعها ممن يسترق ذلك لعلمه
يرعوى الى بعض ما يستمع فينتفع به وابتغ اقصى بين ذلك بين الجهر
والمخافتة سبيلا طريقا وسطا) (٣) .

(١) المرجع السابق (٢ : ٤٠٤) .

(٢) الاسراء : ١١٠ .

(٣) سبل الهدى للصالحى (٢ : ٤٦٨) .

وقد عرض الله في القرآن المكي على اقامة الصلاة واثنى على الذين
يخشعون في صلاتهم والذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجل احياء
ليلهم بذكر الله وعلى الذين يدعون الله ويسبحونه ويذكرونه . قال
تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين
هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون)^(١) (انا اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر) (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون)^(٢) (واقم الصلاة طرف النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)^(٣)
(اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر
كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا)^(٤) (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعك ترضى ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)^(٥) (اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم
الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم
ما تصنعون)^(٦) (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)^(٧) (فاصبر ان وعد الله

-
- (١) المؤمنون : ١ - ٤
(٢) السجدة : ١٥ - ٢٦
(٣) هود : ١١٤
(٤) الاسراء : ٧٨ - ٧٩
(٥) طه : ١٣٠ - ١٣٢
(٦) العنكبوت : ٤٥
(٧) الحجر : ٩٧ - ٩٩

حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) (١) (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار السجود) (٢) (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) (٣)

وهذه الايات الاخيرة تدل على ان العدة في حال الضيق والشدة هي الاكثار من الصلاة والذكر وتلاوة القرآن والالتجاء الى الله سبحانه وحده والاكثار من الدعاء (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم باخرين) (٤) (ا م من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ا له مع الله قليلا ما تذكرون) (٥)

ولا همية الذكر في اصلاح النفس وتركيتها وتوثيق صلتها بخالقها حتى عليه سبحانه في القرآن المكي قبل اكل الاحكام الشرعية (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذ كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين) (٦) (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك فدا الا ان يشاء الله واذ كر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لا اقرب من هذا رشدا) (٧) (واذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) (٨)

-
- (١) غافر : ٥٥
(٢) الطور : ٤٨ - ٤٩
(٣) ق : ٣٩ - ٤٠
(٤) غافر : ٦٠
(٥) النمل : ٦٢
(٦) الاعراف : ٢٠٤ - ٢٠٥
(٧) الكهف : ٢٣ - ٢٤
(٨) الذاريات : ٥٥

وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على هـذا النهج الكريم نهج تزكیه الارواح بالصلاة والذكر والدعاء والتسبيح والاستغفار حتى لقد اصبح جزءا من حياتهم لا يستطيعون التخلي عنه فهذا ابو بكر الصديق رضی الله عنه لما ابتمى بفناء داره مسجدا يذكر الله فيه ويصلي وغيره المشرك بين ان يترك ذلك وبين ان يحميه من كفار قريش اختار الاستمرار على النهج الذي رباه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم ما في ذلك من الخطر عليه . (١) وقد فرض الله على المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة في ليلة الاسراء وهـم لازلوا في مرحلة الاستضعاف والمطاردة وماذا الا لاثرها النفسى على الارواح المكودة المتعبة كما كان يقول صلى الله عليه وسلم لبلال (قم يا بلال فارحنا بالصلاة) . (٢)

(٤) تربية الروح الجماعية والعمل المنظم لدى الرعييل الاول .

كان صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى اعداد الصحابة خلقيا وسلوكيا يرعى شؤونهم تنظيما وقيادا فمهمته صلى الله عليه وسلم شاملة لهذا وذاك قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لاله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) . (٣)

(١) انظر قصته مستوفاة في صحيح البخارى كتاب الكفالة (٣ : ٥٨) .

(٢) مسند احمد بن حنبل (٥ : ٣٧١) .

(٣) الاعراف : ١٥٧ - ١٥٨

فممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم للمرحلة السرية في بدايئة الدعوة - كما مر في اول هذا البحث - عمل تنظيمي يهدف منه صلى الله عليه وسلم الى حماية الدعوة في بدايتها حتى لاتجتث من العروق وهي لم تنبت بعد وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى بل بوحى من الله واذا اجتهد في امر واقره الله عليه فهو موافق للحق والصواب وان المتتبع لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية يجده عليه السلام قد قام برعاية شئون اصحابه خير قيام يتجلى ذلك فيما يلي :

(١) لما اكتشف بعض كفار قريش بعض الصحابة رهوان الله عليهم وهم يصلون في شعاب مكة مستخفين بملااتهم وحصل بينهم سبب وتضارب امر عليه السلام اصحابه بالاجتماع في دار الارقم لكي يعبدوا الله بعيدا عن انظار قريش ويتعلموا ماينزل الله من القرآن - (١) .

(٢) لما اسلم بعض الصحابة الغرباء كضداد بن ثعلبة الازدي وعمرو بن عبسة وابوذر الغفاري امرهم صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومهم وذلك فيما ينهلرلى لامرين :

(أ) لكي ينشروا الاسلام في قومهم وقد فعلوا رضوان الله عليهم .
 (ب) محافظة على ارواحهم فان كفار قريش يضطهدون الغريب والضعيف الذي لاناصر له كما فعلوا بابي ذر رضي الله عنه عندما اعلن اسلامه .

(٣) لما اشتد الاذى على اصحابه بمكة امرهم بالهجرة الى الحبشة

(١) انظر (ص٧٧) من كتاب محمد رسول الله لمحمد رضا .
 (٢) انار الى قصص اسلام هؤلاء الصحابة في تراجمهم في الاصابة لابن حجر (٢ : ٢١٠) ، (٣ : ٥) ، (٤ : ٦٣) .

حفاظا على عقيدتهم وعلى ارواحهم .

(٤) من مظاهر حرصه صلى الله عليه وسلم على صحابته وتربيتهم على الثبات عند حلول الشدائد زيارته للذين يعذبون منهم ففى اماكن تعذب بهم وتشبثه لهم وتشيريه لبعضهم بالجنة كما كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول صلى الله عليه وسلم صـجرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .^(١)

(٥) ومن ذلك زيارته لابي بكر رضى الله عنه طرفى النهار كما تقول عائشة رضى الله عنها (لم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكوة وعشيا . . . الحديث)^(٢) . ولاشك ان زيارته المتكررة ما هي الا لغراض الدعوة للمجرد الزيارة فقط بدليل انه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك فى المدينة المنورة .

(٦) ومن ذلك ارساله مصعب بن عمير رضى الله عنه الى المدينة المنورة لتعليم المسلمين هناك الاسلام والقرآن والدعوة الى الله عز وجل .^(٣)

(٧) ما فعله صلى الله عليه وسلم فى هجرته من التخطيط والتنظيم كما سيأتى .

كل هذه الامور وغيرها ما سيأتى تفصيله تدل دلالة قاطعة على ان القيام بالدين ونشره بين الناس وتطبيق احكامه يحتاج الى اجتماع المؤمنين به تحت قيادة احدهم ليرعى شئونهم وينظم امورهم على مقتضى تعاليم الاسلام وليدفع عنهم الخطر اذا احدث بهم من اعدائهم فقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة سنة شرعية يجب التمسك بها والدعوة اليها ولاجل هذا اجمع المسلمون الذين يعتد باجماعهم

(١) الاصابة لابن حجر (٢ : ٥١٢) .

(٢) صحيح البخارى (٣ : ٥٨) .

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد (٣ : ٢٧١) .

على وجوب نصب خليفة من المسلمين يقوم بحراسة الدين ويسير المجتمع الاسلامي على احكام الشريعة الحنيفية (١) ولاهمية هذا الامر بالنسبة لقيام المجتمع المسلم فقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته وهو في العهد المكي على العمل الجماعي المنظم الهادف الى ازالة الجاهلية من الارض واحلال الاسلام محلها . يقول الاستاذ فتحى يكن : (ان المستقرى لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لكل خطرة من خطراته ولكل خطوة من خطواته تتبين له معالم التنظيم فى اسمى وادق صورة فمثلا على ذلك انه فى هجرته عليه السلام مع ابي بكر تبدت وطائفة من اللغات التنظيمية الجديدة بالدراسة والتأمل والتأسي ، من ذلك :

(١) طلبه الى علي بن ابي طالب المبيت فى سريره لتضليل المشركين ريثما يكون قد غادر مكة وبلغ غار ثور .

(٢) اختياره غار ثور الذى يقع فى اتجاه معاكس لطريق المدينة زيادة وامعانا فى تضليل المشركين الذين كانوا يدركون انهم مهاجر الى المدينة لا محالة .

(٣) تكليفه عبد الله بن ابي بكر بنقل مايجرى فى مكة من اخبار .

(٤) تكليفه اسما بنت ابي بكر بتأمين الطعام .

(٥) تكليفه عامر بن فهيرة ان يرمى غنم نهارا ويريحها عليهم ليلا ليأخذا حظهما من اللبن ولتطمس بحوافر الاغنام آثار الاقدام التى تتردد على الغار .

(٦) استتجاره رجلا من المشركين ليكون دليلا لهما على طريق المدينة .

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحي والمسدد بهدى العليم الخبير قد اتخذ جملة ترتيبات ومجموعة اجراءات فى واحدة من عشرات الحوادث فما بال العاملين للاسلام اليوم وقد انقطع الوحي واشكلت الامور وادلهمت الاجواء بكيد الاعداء لا يستغيثون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقتفون اثره فتكون لهم

اعين يبصرين بها واذان يسمعون بها بل ما بالهم لا يتعلمون من عدوهم دقة التنظيم وحسن التنظيم والقدرة على التنظيم . ان الاسلام يريدنا ان نكون قمة في كل شيء في امور ديننا ودنيانا وليس من الاسلام في شيء جهلنا بامور ديننا فالدنيا مطية الاخرة ان لم نحسن امتطاءها وتسخيرها في مصلحة الاسلام سخرها اعداؤنا ضدنا ونالوا بها منّا ومن اسلامنا كما هو حاصل اليوم . ان الاخذ باسباب القوة الحسيّة - والتنظيم اهم هذه الاسباب في رخصة شرعية لا يجوز تعطيلها او اهمالها بدليل قول الله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ثم بدليل نص نبوي لا مجال لتأويله وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب من احدكم اذا عمل العمل ان يتقنه) والحقيقة انه لا اتقان من غير تنظيم بالغ ما بلغت الطاقات والامكانيات اذ العبرة بالكيف لا بالكم والتنظيم جوهر الكيف ومادته الاولى والاهم . ا . هـ .^(١)

وكما ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على اتقان العمل وتذليله رباهم على التعاون على البر والتقوى وعلى العمل الجماعي لنشر الدعوة الاسلامية يدل على ذلك قول الله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) . فشرط السلامة من الخسران هو العمل بالصالحات والتواصي بالصبر على السير في الطريق الموصل الى الله والصبر على العوائق عن ذلك وقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم قدر هذا الامر العظيم حتى كانوا اذا التقى الرجلان منهم وارادا ان يفترقا قرأ احدهما على الاخر سورة العصر الى آخرها ثم يسلم احدهما على الاخر . وقال الشافعي لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .^(٢)

(١) ابجديات التصور الحركي للعمل الاسلامي لفتحى يكن (ص ١٧١-١٧٢) .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٨ : ٤٩٩) .

ويقول سيد قطب في تفسير هذه السورة (والتواصي بالحق ضرورة فالنهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحق كثيرة هوى النفس ومنطق المصلحة وتصورات البيئة وطغيان الطغاة وظلم الظلمة وجور الجائرين والتواصي تكبير وتشجيع واشعار بالقربى في الهدف والغاية والاخوة في العيب والامانة فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية اذ تتفاعل معا فتتضاعف وتتضاعف باحساس كل حارس للحق ان معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله وهذا الدين وهو الحق لا يقوم الا في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال ^(١) .

وقد وصف الله المؤمنين بان امرهم شورى بينهم ولولم يكونوا مجتمعين لما حصلت المشاورة . يقول الشيخ عبدالرحمن السعدى (طريقة القرآن في احوال السياسة الداخلية والخارجية اعلى طريقة واقرب السى حصول جميع المصالح الكلية والى دفع المفساد ولولم يكن فى القرآن من هذا النوع الا قوله تعالى فى سورة آل عمران (وشاورهم فى الامر) واخباره عن المؤمنين فى سورة الشورى (وامرهم شورى بينهم) . فالامر مفرد ومضاف الى المؤمنين وفى الاية الاولى قد دخلت عليه ال المفيدة للعموم والاستفراق يعنى ان جميع امور المؤمنين وشئونهم واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم معلق بالشورى والتعاون على الاهتداء الى الامر الذى يجرون عليه فى حل مشكلاتهم وتدعيم سلطانهم وتجنبيهم الخلاف المفضى الى تفكك قواهم وانحلال عراهم فهذا النظام العجيب الذى ارشد اليه القرآن هو النظام الذى يصلح لكل زمان ومكان ولكل امة ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الانفال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهذه الاية تصرح بوجوب الاستعداد للاعداء بكل ما تستطيعه من قوة عقلية ومعنوية ومادية مما لا يمكن حصره وفى كل

(١) فى ظلال القرآن (٦ : ٣٩٦٨) .

وقت ولكل عدو يتعين سلوكه ما يلائم ذلك الوقت ويناسبه ومن عجيب ما نبه عليه القرآن من النظام الوحيد ان الله عاتب المؤمنين بقوله في سورة آل عمران (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) فارشد الله عباده الى انه ينبغي ان يكونوا بحالة من الحكمة واستقامة الامور على طرقها بحيث لا يزعزعهم عنها فقد رئس مهما كان عظيما وما يكون ذلك الا بان يستعدوا لكل امر من امورهم الدينية والدنيوية بعدة من القادة متساوين او متقاربين في قوة القيادة والدرية والحنكة والسياسة الدينية والاقتصادية والحربية اذا فقد احدهم قام مقامه غيره . (١)

ومن ادلة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه على العمل الجماعي قوله لهم (. . . .) عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنى ابعد من اراد بحبوحه الجنة فلينزم الجماعة . . . (الحديث) (٢) وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (عليكم بالطاعة والجماعة فانها حبل الله الذي امر به) (٣) ويقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (يعني جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد اليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتفاء الى امره) (٤)

-
- (١) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدى (ص ١٢٧-١٢٩) .
 (٢) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه انظر تحفة الاحوذى (٦ : ٣٨٤) .
 (٣) تفسير الطبري (٤ : ٢٢) .
 (٤) الطبري (٤ : ٢١) .

ان مقصود البعثة المحمدية هو اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد والطواغيت الذين يعبدون البشر لانفسهم لا يتركون اتباعهم يتخلون عن عبادتهم بسهولة كما قال احد هم (قال منتم له قبل ان اذن لكم انه لكيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبنكم اجمعين) (١) فلا بد من جماعة مؤمنة لها قيادة تطاع في المعروف لكي تزيل الطواغيت وتقهرهم حتى يخلوا بين الاتباع والاسلام . لاجل هذا ارشد الله نبيه لان يقول (وقل رب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) (٢) قال قتادة في تفسير هذه الاية ان نبي الله اعلم ان لاطاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عز وجل ولحدود الله وفرائض الله ولاقامة دين الله وان السلطان رحمة من الله جعلها بين اظهر عباده لولا ذلك لاغار بعضهم على بعضي فأكل شديد هم ضعيفهم) (٣)

لقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم الرعيل الاول على هذه الروح فكان كل واحد منهم جنديا مرابطا ينتظر الاوامر من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يقدم على عمل الا بعد ان يستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم كما فعل عبد الرحمن بن عوف ومعه بعض الصحابة لما بلغ بهم الاذى مداه (فقالوا يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا اذلة قال انى امرت بالعفو فلا تقاتلوا فكفوا . . . الحديث) (٤)

(١) الشعراء : ٤٩

(٢) الاسراء : ٨٠

(٣) تفسير الطبرى (١٥ : ١٠٢) .

(٤) مستدرک الحاكم (٢ : ٣٠٧) .

وكذلك الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية قالوا له ان شئت ان نميل على اهل منى باسيافنا فقال لهم اني لم اومر^(١) . فهم رضوان الله عليهم ينتظرون الاوامر منه صلى الله عليه وسلم وهو بابي وامى ينتظرها من الرحمن الرحيم جل وعلا .

ومن بنود البيعة انه صلى الله عليه وسلم بايعهم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وفي هذا توجيه الى انه لا يقوم بدين الله ونشره ونصره الا جماعة لها قيادة تطاع في المعروف . قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا امروا عليهم احدهم رواه احمد . وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم احدهم رواه ابوداود قال الشوكاني - بعد ان ساق هذين الحديثين وذكر طرقهما وانه يشهد بعضها لبعض - وفيها دليل على انه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعدا ان يؤمروا عليهم احدهم لان فسي ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي الى التلاف فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل مايطابق هواه فيه لكون ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة واذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الارض او يسافرون فشرعيته لعدد اكثر يسكنون القرى والامصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم اولى واخرى^(٢) .

وان من تربية الروح الجماعية عند الرعييل الاول وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بانهم كالجسد الواحد كما جاء في صحيح البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم

(١) مسند احمد بن حنبل (٣: ٤٦٢) ، زاد المعاد لابن القيم

(٣: ٤٨) وقال المحققان لزاد المعاد شعيب الارناؤوط واخوه

عن الحديث اسناده صحيح .

(٢) نيل الاوطار للشوكاني (٨: ٢٨٨) .

وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر
والحمى^(١) وبانهم كالبنيان كما في صحيح البخارى قال صلى الله عليه
وسلم (ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه)^(٢) .
ووصفه صلى الله عليه وسلم دين الاسلام الذى يجمع المجتمع بانه
كالسفينة السائرة فى البحر وان الكفار والفساق قوم ارادوا خرقها واغرق
اهلها وان المسلمين لا ينجيهم من الخرق الا الاخذ على ايدى الفسدين
كما في صحيح البخارى قال صلى الله عليه وسلم (مثل القائم على
حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم
اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء
مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا
فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجسوا
ونجوا جميعا)^(٣) . فهذه مسئولية جماعية يجب ان يقوم بها المسلمون
مجتمعين لان الكفار يقومون بخرق السفينة وهم مجتمعون ولا يفل الحديد
الا الحديد لقد ادرك ذلك عمر رضى الله عنه منذ دخوله الاسلام فقال
للکفار - لما ضاربوه وهموا بقتله عند تحديه لهم باسلامه - (اقسم باللله
لو كنا ثلاثمائة لتركناها لكم او تركتموها لنا)^(٤) يعنى مكة . وادرك ذلك
الصحابي الجليل الذى قال لكسرى ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من
عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن جور الاديان الى عدل الاسلام^(٥)
بل ادرك ذلك الجاهليون وعرفوا ان دعوة الاسلام تعنى اجتماع الصحابة

-
- (١) صحيح البخارى (٧ : ٧٨) .
(٢) صحيح البخارى (١ : ١٢٣) .
(٣) صحيح البخارى (٣ : ١١١) .
(٤) قال الصالحى (٢ : ٤٩٨) فى سبل الهدى والرشاد وهذا مروى
بسند صحيح عن ابن عمر .
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٧ : ٣٩) .

مع الرسول صلى الله عليه وسلم على حرب الطواغيت الذين يمارسون الربوبية على البشر يقول المثنى بن حارثة - لما دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم في موسم الحج الى الاسلام - واني ارى هذا الامر الذي تدعونا اليه يا اخا قريش مما تكرهه الملوك^(١) .

فالدعوة الاسلامية اساسها افراد الله بالعبادة وازالة كـل ما يعبد من دون الله والتعاون والتناصر على ذلك وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على ذلك بل ان الاجتماع على ازالة الكفر ونشر الاسلام بد يهية من بد يهيات الدعوة لان الكفار يجتمعون على الباطل وعبادة الاوثان ويحاربون مجتمعين فلايزيل الاجتماع الا اجتماع مثله . يقول سيد قطب رحمه الله تعالى (. . .) ولكن الجاهلية التي تقوم على حاكمة البشر للبشر والشذوذ بهذا عن الوجود الكوني والتصادم بين منهج الجانب الارادي في حياة الانسان والجانب الفطري هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة الى الاسلام لله وحده والتي واجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في نظرية مجردة بل ربما احيانا لم تكن لها نظرية على الاطلاق انما كانت متمثلة دائما في تجمع حركي متمثلة في مجتمع خاضع لقيادة هذا المجتمع وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته وهو مجتمع عضوي بين افراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بارادة واعية او غير واعية للمحافظة على وجوده والدفاع عن كيانه والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجود وهذا الكيان في اي صورة من صور التهديد ومن اجل ان الجاهلية لا تمثل في نظرية مجردة ولكن تتمثل

(١) سبل الهدى والرشاد للصالحى (٢ : ٥٩٧) .

في تجمع حركي على هذا النحو فان محاولة الفناء هذه الجاهلية
 ورد الناس الى الله مرة اخرى لا يجوز ولا يجدي شيئا ان تتمثل في نظرية
 مجردة فانها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلا والمتمثلة
 في تجمع حركي عضوي فضلا على ان تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في
 حالة محاولة الفناء وجود قائم بالفعل لاقامة وجود آخر يخالفه مخالفة
 اساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وفي جزئياته بل لا بد لهذه
 المحاولة الجديدة ان تتمثل في تجمع عضوي حركي اقوى في قواعده
 النظرية والتنظيمية وفي روابطه وعلاقاته وشائجه من ذلك المجتمع
 الجاهلي القائم فعلا والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الاسلام على
 مدار التاريخ البشري هي قاعدة شهادة ان لا اله الا الله اي افراد الله
 سبحانه بالالوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمة افراده بها
 اعتقادا في الضمير وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة فشهادة
 ان لا اله الا الله لا توجد فعلا ولا تعتبر موجودة شرعا الا في هذه
 الصورة المتكاملة التي تعطىها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار
 قائمها مسلما او غير مسلم ومعنى تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية
 ان تعود حياة البشر بجملتها الى الله لا يقضون هم في اي شأن من
 شؤونها ولا في اي جانب من جوانبها من عند انفسهم بل لا بد لهم
 ان يرجعوا الى حكم الله فيها ليتبعوه وحكم الله هذا يجب ان يعرفوه
 من مصدر واحد يبلغهم اياه وهو رسول الله وهذا يتمثل في شطر
 الشهادة الثاني من ركن الاسلام الاول شهادة ان محمدا رسول الله .
 هذه هي القاعدة النظرية التي يتمثل فيها الاسلام ويقوم عليها وهي
 تنشى منها كاملا للحياة حين تطبيق في شؤون الحياة كلها يواجه
 به المسلم كل فرع من فروع الحياة الفردية والجماعية في داخل
 دار الاسلام وخارجها في علاقاته بالمجتمع المسلم وفي علاقات المجتمع
 المسلم بالمجتمعات الاخرى . ولكن الاسلام كما قلنا لم يكن يملك ان

يتمثل في نظرية مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقادا ويزاولها عبادة ثم
 يبقى معتنقوها علي هذا النحو افرادا ضمن الكيان العضوي للتجمع
 الحركي الجاهلي القائم فعلا فان وجودهم علي هذا النحو مهما كثر
 عدد هم لا يمكن ان يهدى الي وجود فعلي للاسلام ومن
 ثم لم يكن بد ان تتمثل القاعدة النظرية للاسلام " اي العقيدة " في تجمع
 عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي منفصل ومستقل عن التجمع العضوي
 الحركي الجاهلي الذي يستهدف الاسلام الغاء وان يكون محور التجمع
 الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ومن بعده في كل قيادة اسلامية تستهدف رد الناس الي الوهية الله
 وحده وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته وان يخلع كل من
 يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولاءه من التجمع الحركي
 الجاهلي - اي التجمع الذي جاء منه - ومن قيادة ذلك التجمع - في
 اي صورة كانت سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسنة
 والسحرة والعرافين ومن اليهم او في صورة قيادة سياسية واجتماعية
 واقتصادية كالتى كانت لقريش وان يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي
 الاسلامي الجديد وفي قيادته المسلمة . ولم يكن بد ان يتحقق هذا
 منذ اللحظة الاولى لدخول المسلم في الاسلام ولنطقه بشهادة ان لا اله
 الا الله وان محمدا رسول الله لان وجود المجتمع المسلم لا يتحقق الا بهذا
 لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب افراد مهما تبلغ كثرتهم
 لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون له وجود ذاتي مستقل يعمل
 اعضاءه عملاء كاعضاء الكائن الحي على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه
 وفي الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه ويعملون
 هذا تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي تنظم حركتهم
 وتنسقها وتوجههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الاسلامي ولمكانة
 ومقاومة وازالة الوجود الاخر الجاهلي وهكذا وجد الاسلام هكذا

وجد متمثلاً في قاعدة نظرية مجملة ولكنها شاملة يقوم عليها في نفس اللحظة تجمع عضوي حركي مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي ومواجه له هذا المجتمع ولم يوجد قط في صورة نظرية مجردة عن هذا الوجود الفعلي (١).

لقد استطرقت في اثبات ان الرسول صلى الله عليه وسلم ركز على تربية اصحابه على العمل الجماعي الذي يعتبر الفرد نفسه فيه جندياً رابطاً ينتظر الامر يصدر اليه من القيادة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرت من نقل اقوال العلماء في ذلك والذي حملني على هذا الاستطراد هو ما سمعته من بعض طلبة العلم - هداانا الله واياهم - من قولهم ان اجتماع الدعوة الى الله في جماعة لها قيادة تطاع في حال استضعاف اهل الاسلام وفريبتهم غير واجب لان هذا التجمع يعرض الدعوة الى الله الى غضب الطواغيت وبطشهم . وهذا القول خطير جدا فان قائله ذهل عن هدف الاسلام وذهل عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فاما ذهوله عن هدف الاسلام فلأن هدف الاسلام - كما اشرت سابقا - هو اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ولا يكون هذا الا بتجمع اشخاص عقيدتهم واحدة يقودهم احدهم ويقارعون المجتمعات التي تدبر لغير الله الواحد القهار كما قال تعالى (. . .) ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢) (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . . . الآية) (٣).

(١) معالم في الطريق لسيد قطب (ص ٤٨ - ٥١) .

(٢) البقرة : ٢٥١

(٣) الحج : ٤٠

ان واجب المسلم ان يحكم شريعة الله في كل صغيرة وكبيرة ففى الحياة ولا يستطيع ذلك الا ان يكون هو الحاكم للناس او ان يحكمه ممن يعتقد بدین الاسلام ويلتزم به لان الفرد لا يستطيع ان يعيش منعزلا عن الناس بتاتا فوجب عليه اذا ان يسعى بكل ما اوتي من قوة لكي يقود الناس بكتاب الله او يتولى عليه من يفعل ذلك لذا اوجب الله على المسلمين عزل الحاكم اذا رأوا منه كرا بواحا وتنصيب حاكم مسلم يقودهم بكتاب الله كما هو مبسوط فى كتب الفقه^(١).

وكثير من احكام الاسلام كاقامة الحدود والجمع والجماعات وامور القضاء لاتتم الا فى مجتمع مسلم وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب كما هو مقرر فى علم الاصول . يقول الاستاذ ابو الاعلى المودودى رحمه الله (اننا اذا اردنا عرض دعوتنا واجمال غايتنا واهدافها فى كلمات قليلة يمكننا ان نقسمها الى ثلاثة مطالب مهمة اساسية وهى بيانها :

(١) دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا الهيا ولا ربا غيره .

(٢) ودعوتنا لكل من اظهر الرضا بالاسلام ديننا ان يخلصوا دينهم لله ويتركوا انفسهم من شوائب النفاق واعمالهم من التناقض .

(٣) ودعوتنا لجميع اهل الارض ان يحدثوا انقلابا عاما فى اصول الحكم الحاضر الذى استبد به الطواغيت والفجرة الذين ملؤوا الارض

فسادا وان ينتزعوا هذه الامامة الفكرية والعملية من ايديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الاخر ويدعون دين الحق ولا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا .

وبعد ان يشرح الاستاذ ابو الاعلى المطلب الاول والمطلب الثانى بشرح قيم مفيد ليس هنا موضع ذكره يبين اهمية المطلب الثالث فيقول

(١) انظر نيل الاوطار للشوكاني (٧ : ١٩٨) فقد ذكر بحثا ممتعا فى هذا الموضوع .

(فتلك نتيجة طبيعية لما اسلفنا من معانى العبودية الكاملة واخلاص الدين لله وكون الانفس طاهرة من شوائب النفاق والاعمال بريئة من مظاهر التناقض كما لا يخفى على اللبيب المتفطن ان ذلك لا يتأتى الا باحداث انقلاب عام فى نظام الحياة الحاضر الذى يدور قطبه حول رحى الكفر والالحاد والفسوق والعصيان والذى يدبره ويدبر امره ويسير دفة شئونه رجال انحرفوا عن الله ورسوله واستنكفوا عن عبادته واستكبروا فى ارضه بغير الحق فما دامت ازمة امور العالم بايدي هؤلاء ومادامت العلوم والاداب والمعارف والصحف والتشريع والتنفيذ والشؤون الدولية والمالية والمسائل التجارية والصناعية تتحرك واليها بحركاتها وتتمشى عجالاتها حسب ارشادهم وورغباتهم لا يمكن للمسلم ان يعيش فى الدنيا مسلما متمسكا بمبادئه متبعا للشريعة الالهية منفذا لقوانينها فى حياته العملية فانه من المستحيل ان يتبع الرجل الدين الالهى الكامل المحيط بجميع نواحي الحياة وشعبها وهو يعيش فى بلاد تدين لقانون غير قانون الشريعة وتسير على منهاج غير المنهاج المرضى عند الله بل يتعذر عليه ان يتعهد تربية اولاده وتلقينهم مبادئ الدين الالهى وتعاليمه وان ينشئهم على الاخلاق المرضية والاداب الاسلامية الزكية لان نظام الكفر والالحاد الذى يعيش فى كنفه يسد فى وجهه سبل التربية الاسلامية والبيئة الكافرة التى يتنسم هواءها تأبى عليه الا ان يخذل القوم ويتخلق باخلاقهم ويتخلى عن مقومات دينه وخلقه تدريجيا وزد على ذلك انه من واجب العبد المسلم المخلص دينه لله ان يطهر ارض الله من ادناس الفساد والطغيان ويقيم فيها نظاما معتدلا على دعائم الصلاح والارشاد ومن الظاهر البين انه لا يتسنى النظر بهذا المقصد ولا تنال هذه البغية السامية مادام زمام امور العالم بيد الطغاة والمفسدين فى الارض يد يرونه كيفما يشاؤون ويتصرفون فى شؤونهم حسب ما يريدون وقد تحقق لنا بالتجربة فى هذا الزمان ان المتكبرين فى ارض الله بغير الحق السادرين فى غلوائهم بغيا وعدوانا هم العقبة

الكبرى في سبيل اقامة نظام الصلاح والصفة وانهم هم الذين يحولون دون توليد دعائم السلام والعدل وكذلك ثبت لنا باليقين والبرهان والمشاهدة انه لا امل في صلاح العالم ولا رجاء في استقامة الامور على موازين الرشاد والحق مادام اولئك الطغاة المنحرفون عن الله ورسوله يتصرفون في شؤون الملك ويرون اموره ويشرفون على جليلها وصغيرها . فمن مقتضيات اسلامنا ومبوديتنا الخالصة لله الواحد الاحد ان نجد ونجتهد ونبذل الجهود المتواصلة والمسامي المتتابعة للقضاء على زعامة ائمة الكفر والضلال واجتثاث النظم الباطلة من جذورها واحلال الامامة العادلة والنظام الحق محلها (١) .

واما ذموله عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على تكوين جماعة مؤمنة تنصره لكي يبلغ دين الله ويقوم المجتمع المسلم ولم يحدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ان عاش صحابي منعزلا عن جماعة المؤمنين لا يناصرهم ولا يتلقى الاوامر من الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب الهجرة من بلد الشرك الي بلاد الاسلام من اوضح الادلة على المراد . . يقول الخطابي وغيره (كانت الهجرة فرضا في اول الاسلام على من اسلم لقلعة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الي الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله افواجا فسقط فرض الهجرة الي المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به او نزل به عدو) (٢) .

قلت فاذا فرض الله على المسلمين الهجرة لاجل الحاجة الي الاجتماع فكيف لا يجب عليهم الاجتماع اذا كان لا يقوم المجتمع المسلم الذي يطبق احكام الله وحدوده ويجاهد الكفار الا به ثم لو تدبر هذا القائل

(١) تذكرة دعاة الاسلام للمودودي (ص ٩ - ١٩) .

(٢) نيل الاوطار (٨ : ٣٠) .

لتلك المقالة اقوال الصحابة وافعالهم لا تضح له الامر جليا فهذا ورقة بن نوفل رضي الله عنه لما اخبره صلى الله عليه وسلم بما رأى في بداية الوحي قال هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا . . . الحديث (١) .

ولاشك ان ورقة عرف هذه السنة الربانية وهى سنة الصراع بين الحق والباطل من قراءته للكتب السماوية السابقة فانه قد تنصر فسى الجاهلية وكان يكتب من الانجيل بالعبرانية كما فى صحيح البخارى . (٢)

وهذا العباس بن عباد بن نضلة الانصارى اخو بنى سالم بن عوف قال للصحابة ليلة العقبة الثانية اترهون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترهون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والاخرة وان كنتم ترهون انكم وانتم له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة . . . الحديث (٣) . فعدم نصره الحق هى خزي الدنيا والاخرة وقد اقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم يقل له انه فى حال الاستضعاف لا تجب نصره الحق . .

يقول الصالحى وروى ابن اسحاق والبيهقى والامام احمد وابنه عبد الله والطبرانى برجال ثقات عن ربيعة بن عباد قال انى لغلام شاب مع ابي بنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبائل من

-
- (١) صحيح البخارى (٣ : ١) .
 (٢) المصدر السابق .
 (٣) البداية والنهاية (٣ : ١٦٢) .

العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الابدان وان تؤمنوا بي وتمنعوني وتمنعوني حتى ابين عن الله عز وجل ما بعثني به . . . الحديث (١).

وروي الحاكم والبيهقي وابو نعيم وقاسم بن ثابت عن علي رضي الله عنه قال لما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وانا معه فذكر الحديث الي ان قال ثم دفعنا الي مجلس آخر عليه السكينة والوقار فتقدم ابو بكر فسلم فقال من القوم ؟ قالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بابي وامى هؤلاء ؟ قالوا نعم وفيهم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق قد غلبهم لسانا وجمالا وكانت له غد يرتان تسقطان على تربيته وكان ادنى القوم مجلسا من ابي بكر فقال ابو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق انا لانزيد على الالف ولن تغلب الف من قلة فقال ابو بكر وكيف المنعة فيكم فقال مفروق انا لاشد مانكون غضبا حين نلقى واشد مانكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يدلنا مرة ويديل علينا اخرى لعلي اخا قريش فقال ابو بكر ان كان بلغكم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هوذا فقال مفروق الام تدعوننا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوكم الي شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني عبد الله ورسوله والي ان تؤمنوا وتتصروني فان قريشا قد تظاهرت على الله وكذبت رسوله واستغفنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق والام تدعوا ايضا يا اخا قريش فوالله ما سمعت كلاما احسن من هذا فتلا رسول الله

(١) سبل الهدى والرشاد للصالحى (٢: ٥٩٤) .

صلى الله عليه وسلم " قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلك وماكم به لعلمكم تعقلون ^(١) . فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم رد الامر الى هاني بن قبيصة فقال وهذا هاني بن شيخنا وصاحب ديننا فقال هاني بن قبيصة مقالتك يا اخا قريش واني ارى تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلست اليه لاول له ولا آخر لذل في الرأي وقلعة نأر في العاقبة ان الزلة مع العجلة وانا نكوه ان نعقد على من وراءنا عقدا ولكن نرجع وننظر وننظر ثم كأنه احب ان يشركه المشني بن حارثة فقال وهذا المشني شيخنا وصاحب حربنا فقال المشني - واسلم بعد ذلك - قد سمعت مقالتك يا اخا قريش والجواب فيه جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك وانا انما نزلنا بين صريين احدهما اليمامة والاخر السمامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان قال انهار كسرى ومياه العرب فاما ما كان من انهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول واما ما كان مما يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وانا انما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا تؤوي محدثا واني ارى هذا الامر الذي تدعونا اليه يا اخا قريش مما تكوهه الملوك فان احببت ان تؤويك ونصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم في الرد اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه ارايتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله تعالي ارضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم اتسبحون الله وتقديسونه فقال النعمان

اللهم فلك ذلك (١) .

فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل من بني شيان بن
 ثعلبة ان ينصروه من قوم دون قوم واخبرهم ان دين الله لا ينصره الا من
 حاطه من جميع جوانبه وهل يعقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يطلب من قبائل العرب ان يؤمنوا به وينصروه وفي صحابته الذين آمنوا به
 وصدقوه من يرى ان نصرته والعمل تحت قيادته لازالة الجاهلية غير واجبة
 لئلا يبطلش بهم الكفار وهم في حال ضعف اللهم لا وماوجب في عهد
 الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدل دليل على اختصاصه به فهو فريضة
 محكمة للمسلمين عموما وقد امر الله المسلمين باقامة الدين وتطبيق
 الاحكام الشرعية وكل وسيلة مشروعة تؤدي الى هذا فهي واجبة والله
 اعلم .

(١) سبل الهدى والرشاد (٢: ٥٩٦ - ٥٩٧) والبداية والنهاية
 (٣: ١٤٤ - ١٤٥) وفي البداية زيادات ليست عند الصالحى .

(٤) الفتنة والابتلاء .

ابتلاء دعاء الحق من الرسل صلى الله عليهم وسلم واتباعهم امر لازم لا محيص عنه يدل على ذلك كتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (١) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الايات (وقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون استفهام انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يبتلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلابة زيد في البلاء وهذه الاية كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وهي قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة وقال في البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب . ولهذا قال ما هنا ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي الذين صدقوا فلي دعواهم الايمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه . ا . هـ (٢)

وقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتنة والابتلاء كغيره من عباد الله الصالحين فابتلى بدعاية الكفار ضده وضد دعوته اذ قالوا انه

(١) العنكبوت : ١ - ٣

(٢) تفسير ابن كثير (٦ : ٢٧٣) .

ساحر او شاعر او كاهن او مجنون وقالوا عن دعوته انها تفرق بين المرء وزوجه وانها كهانة وانها اساطير وانما يعلمه بشر وابتلى بابي هو وامسى بعرض المغريات عليه من الجاه والسلطان والمال والنساء لكي يترك دعوته او يعبد الهة الكفار سنة ويعبدون الله سنة او يداهنهم ويترك عيب الهتهم . قال تعالى (ودا لو تدهن فيدهنون) (١) قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) وابتلى صلى الله عليه وسلم بالمقاطعة الاقتصادية والتجويج كما هو معروف من حصار الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم في شعب ابي طالب وابتلى بالتمذيب الجسدي فمن عروة بن الزبير قال سألت ابن العاص فقلت اخبرني بشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ اقبل عليه عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . (٢)

وقال ابن كثير قال الامام احمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد فانه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلا جزور قريب منه فقالوا من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره فقال عقبة بن ابي معيط انا فاخذه فالتقاء على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فاخذته عن ظهره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم عليك بهذا المثلأ من قريش اللهم عليك بعنتة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بابي جهل بن هشام اللهم

(١) القلم : ٩

(٢) صحيح البخاري (٤ : ٢٤٠) .

عليك بعقبة بن ابي معيط اللهم عليك بابي بن خلف او امية بن خلف (شعبة الشاذلي) قال عبد الله فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا الى القليب فير ابي او امية بن خلف فانه كان رجلا ضخما فتقطع. وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ومسلم من طرق عن ابن اسحاق به والصواب امية بن خلف فانه الذي قتل يوم بدر واخوه ابي انما قتل يوم احد والسلا هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة وفي بعض الفاظ الصحيح انهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض اى يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله وفيه ان فاطمة لما القته عنه اقبلت عليهم فسبتهم وانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك وخافوا دعوته^(١).

وابتلى صلى الله عليه وسلم بتعذيب اصحابه واضطهادهم فانه عليه السلام يتألم لذلك غاية الالم وقد تفنن كفار قريش في تعذيب الرعيل الاول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وارضاهم وقد تحدث الصالحين في سيرته المسماة (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) حديثا مستفيضا عن تعذيب كفار قريش للرعييل الاول من الصحابة وذكر روايات متعددة جمعها من كثير من كتب السير اجتزى مما اورده مايلي :

قال فمن المستضعفين بلال رضي الله عنه وكان صادق الاسلام طاهر القلب قال ابن اسحاق وغيره فكان امية بن خلف يخرجها اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء احد احد انا كافر باللات

(١) البداية لابن كثير (٣ : ٤٤) .

والعزى . وروى البلاذرى عن عمير بن اسحاق قال كان بلال اذا اشتد عليه العذاب قال احد احد فيقولون له قل كما نقول فيقول ان لسانى لا ينطق به ولا يحسنه . وروى البلاذرى بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال لما اسلم بلال اخذه اهله فقمطوه والقوا عليه من البطحاء وجعلوا يقولون ربك اللات والعزى فيقول احد احد فأتى عليه ابو بكر رضى الله عنه فقال علام تعذبون هذا الانسان فاشتراه بسبع اواقى واعتقه وفى رواية للبلاذرى انه اشتراه بعبد كافر .

ومنهم خباب بن الارت رضى الله عنه فقد روى البلاذرى بسنده قال خباب عن نفسه لقد رأيتنى يوما وقد اوقدوا لى نارا ثم سلقونى فيها ثم وضع رجل رجله على صدرى فما اتقيت الارض الا بظهرى ثم كشف خباب عن ظهره فاذا هو قد برص . وروى البخارى فى صحيحه عن خباب رضى الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يارسول الله الاتدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال ان كان من كان قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأس احدهم فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير المراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه .

ومنهم ابو ذكيفة واسمه افلح ويقال يسار وكان عبدا لصفوان بن امية فاسلم حين اسلم بلال فاخذه امية بن خلف وربط فى رجله حبلا وامر به فجر ثم القاه فى الرمضاء فمر به جعل فقال اليس هذا ربك فقال الله ربي خلقتى وخلقك وخلقى هذا الجعل فغلط عليه وجعل يخنقه ومعه اخوه ابي بن خلف يقول زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره فاخرجه نصف النهار فى شدة الحر مقيدا الى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانه فلم يزل على تلك الحال حتى ماتوا انه قد مات ثم

افاق فمر ابو بكر رضي الله عنه فاشتراه واعتقه .

ومنهم عمار بن ياسر وابوه وامه سمية واخوه عبد الله كانوا يعذبون
اشد العذاب فمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبرا
آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر في العذاب واغلظت سمية لابي
جهل فطعنوها في قلبها فماتت ورمى عبد الله فسقط وغير هؤلاء كثير عذبوا
في الله وابتلوا منهم جارية بنى المؤمل بن حبيب ومنهم زهير الرومي
فقد روى انها عذبت حتى عميت فرد الله عليها بصرها (١) .

هذه سنة الله في خلقه لا بد للمؤمنين من ابتلاء وفتنة واختبار سواء
كانت بالسراء او بالضراء وما الاوامر والتكاليف الشرعية الا جزء من هذا
الاختبار . وهناك فوائد لابتلاء المؤمنين لا تحصى منها على سبيل المثال
لا الحصر :

(١) تربية المؤمنين وفضل معاد نهم وتمحيص مافي قلوبهم فهم ينضجون
بالمحن كما ينضج الطعام بالنار .

(قل لو كنتم في بيوتكم لجرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
وليبتلى الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور) (٢) .
يقول ابن القيم (. . . فان القلوب يخالطها بغليات الطبايع وميول
النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الخفة ما يضاعف ما اودع
فيها من الايمان والاسلام والجر والتقوى فلو تركت في عافية دائمة مستمرة
لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتحص منه فاقتضت حكمة العزيز ان قيبض
لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء ان لم
يتداركه طبيبه بازالته وتنقيته من جسده والاخيف عليه من الفساد
والهلاك . . .) (٣) . ويقول سيد قطب : (ان حقيقة الايمان لا يتم تمامها

(١) انظر سبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٧٦ - ٤٨٤) .

(٢) آل عمران : ١٥٤

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٢٣٧) .

في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في امر هذا الايمان مجاهدتهم
 باللسان بالتبليغ والبيان ومجاهدتهم باليد لدفعهم عن طريق الهدى
 حين يعترضونه بالقوة الباغية وحتى يتعرض في هذه المجاهدة للابتلاء
 والصبر على الجهد والصبر على الاذى والصبر على الهزيمة والصبر على
 النصر ايضا فالصبر على النصر اشق من الصبر على الهزيمة وحتى يتم
 القلب ويتميز الصنف وتستقيم الجماعة على الطريق وتمضي فيه راشدة صاعدة
 متوكلة على الله . حقيقة الايمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض
 لمجاهدة الناس في امر هذا الايمان لانه يجاهد نفسه اولا في اثناء
 مجاهدته للناس وتتفتح له في الايمان آفاق لم تكن لتتفتح له ابدا
 وهو قاعد آمن سالم وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين
 له ابدا بغير هذه الوسيلة ويبلغ هو بنفسه ومشاعره وتصوراته وبعاداته
 وطباعه وبانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه ابدا بدون هذه التجربة
 الشاقة المبررة . وحقيقة الايمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة
 والامتحان والابتلاء وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته وعلى
 حقيقة غايته ثم تتعرف هي على حقيقة اللبنة التي تتألف منها . مدى
 احتمال كل لبنة ثم مدى تماسك هذه اللبنة في ساعة الصدام .^(١)

(٢) رفع درجات المؤمنين ومضاعفة حسناتهم وتغيير خطاياهم حتى
 يمشي احد هم على الارض وما عليه خطيئة قال صلى الله عليه وسلم
 ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله
 وما عليه خطيئة رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .^(٢) وقال
 صلى الله عليه وسلم ما يصيب المسلم من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب
 ولا حزن ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها .^(٣)

-
- (١) فقه الدعوة للاستاذ سيد قطب اختيار احمد حسن (ص ١٤٠) .
 (٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي للمبارككوري (٧ : ٨٠٠) .
 (٣) صحيح البخاري (٢ : ٧) .

(٣) تطهير الصف المؤمن من ادعاء الايمان من المنافقين والذين نفي قلوبهم مرض فابان العافية والسراء يختلط الحابل بالنابل والخبث بالطيب وانما يقع التمييز بين الاصيل والدخيل بالمحسن والبلاء كما يتميز الذهب الحقيقي من الزائف بالامتحان بالنار (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (١) .

ان من الناس من يدخل في زمرة المؤمنين ويلبس لباسهم ويتكلم بلسانهم فاذا اصابته فتنة او محنة في سبيل دينه خارت قواه وانحلت عراه وبرىء ما كان يدعيه من قبل وعن هذا النموذج من البشر يقول الله تعالى : (ومن الناس من يقول آما بالله فاذا اوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلم المنافقين) (٢) . (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين) (٣) .

فالمحسن التي تعرض لاصحاب الدعوات هي التي تميز هذه الاصناف وتفرزهم من بين المؤمنين وتنفي الخبيث من صفوفهم كما ينفسي الكبر خبيث الحديد (٤) .

-
- (١) آل عمران : ١٢٩
(٢) العنكبوت : ١٠ - ١١
(٣) الحج : ١١
(٤) انظر كتاب الصبر في القرآن للقرضاوى (ع) ١٨٥ .

(٥) الصبر والثبات .

ان الله سبحانه جعل الفتنة والابتلاء ملازمة للمؤمنين لا يبد ان تحصل لهم كما اخبر بذلك عز وجل لحكم سامية واغراض جليلة ذكرونا اهمها فيما تقدم ولا يستفيد منها الا من صبر وثبت او من احدث له الفتنة اناية ورجوعا الى الله عز وجل .

وقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم والرعييل الاول على ما اعترضهم من فتن ومحن فاستفادوا منها عزيمة وتصميما على مواصلة الجهاد واستفادوا منها توبة واناية ورجوعا الى الله فهو الملجأ والمغيث في جميع الاحوال الى غير ذلك من الفوائد القيمة وذلك لادراكهم لحكم الفتن والابتلاءات ولمعرفتهم بربهم وللغاية من خلقهم فكل ما كان العبد بالله اعرف كان على قضاءه اصبر ولا مره اطوع . يقول ابن القيم (والصبر على البلاء ينشأ من اسباب عدة :

احدها : شهود جزائها وثوابها .

الثاني : شهود تكبيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود القدر السابق الجارى بها وانها مقدرة فسي

ام الكتاب قبل ان يخلق فلا بد منها فجزعه لايزيده الا بلاء .

الرابع : شهوده حق الله عليه في تلك البلوى وواجبه فيها

الصبر بلا خلاف بين الامة او الصبر والرضا على احد القولين فهو ما مور باداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى فلا بد له منه ولا تضاعفت عليه .

الخامس : شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال الله تعالى (وماصابكم

من مصيبة فيما كسبت ايديكم فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة فشغله شهود هذا السبب بالاستخفاف الذي هو اعظم الاسباب في دفع تلك

المصيبة قال علي بن ابي طالب مانزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة .

السادس : ان يعلم ان الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها

وان العبودية تقتضي رضاه بما رضى له به سيده ومولاه فان لم يوف قدر

المقام حقه فهو لضعفه فليززل الى مقام الصبر عليها فان نزل عنه نزل الى
مقام الظلم وتعدى الحق .

السابع : ان يعلم ان هذه المصيبة دواء نافع ساقه اليه الطبيب
العليم بمصلحته الرحيم به فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه
فيذهب نفعه باطلا .

الثامن : ان يعلم ان في عقبي هذا الدواء من الشفاء والعافية
والصحة وزوال الالم مالا تحصل بدونه فاذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء
ومراته فلينظر الى عاقبته وحسن تأثيره قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
وفي مثل هذا قال القائل :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الاجسام بالعلل

التاسع : ان يعلم ان المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وانما جاءت
لتمتحن صبره وتبتليه فيبتين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من
اوليائه وحزبه ام لا فان ثبت اصطفاه واجتباؤه وخلع عليه خلع الاكرام والبسه
ملابس الفضل وجعل اوليائه وحزبه خدما له وعونا له وان انقلب على وجهه
ونكس على عقبه طرد وصفح قناه واقصي وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر
في الحال بتضاعفها وزيادتها ولكن سيعلم بعد ذلك بان المصيبة في
حقه صارت مصائب كما يعلم الصابر ان المصيبة في حقه صارت نعمتا
عديدة وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين الا صبر ساعة وتشجيع القلب
في تلك الساعة . والمصيبة لا بد ان تقلع عن هذا وهذا ولكن تقلع عن
هذا بانواع الكرامات والخيرات وعن الاخر بالحرمان والخذلان لان ذلك
تقدير العزيز العليم وفضل الله يوتييه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

العاشر : ان يعلم ان الله يربي عبده على السراء والضراء
والنعمة والبلاء فيستخرج منه عبوديته في جميع الاحوال فان الصبر على

الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الاحوال ولما عبد السـواء
والعافية الذي يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه فليس من عبده الذين اختارهم لعبود يتسـوا
فلاريب ان الايمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الايمان
النافع وقت الحاجة واما ايمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه
منازل المؤمنين وانما يصحبه ايمان يثبت على البلاء والعافية فالابتلاء
كبر العبد ومحك ايمانه فاما ان يخرج تبرا احمر واما ان يخرج زغلا محضا
واما ان يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى
يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهبا خالصا . ا . هـ . (١)

ومما يعين على الصبر والثبات عند حلول الشدائد والمحن معرفة
الانسان بطبيعة الحياة الدنيا وان حياة الانسان محفوفة بالمتاعب والمشقة
(لقد خلقنا الانسان في كبد) (٢) ومعرفة الانسان بنفسه وانه هو وما يملك
ملك لله عز وجل يفعل به ما يريد (وما بكم من نعمة فمن الله) (٣) ويقتنيه
بالفرج من الله تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) (٤) وروى عن
الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب عسر يسرين . (٥) واقتدائه
باهل الصبر والعزائم الذين لهم لسان ذكو طيب (فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) . (٦)
وشدة حذره من الافات العائقة عن الصبر كالاستعجال والغضب
غير المحمود والحزن والضيق والياس . (٧)

-
- (١) طريق الهجرة لابن القيم (ص ٣٥٦ - ٣٥٨) .
(٢) البلد : ٤
(٣) النحل : ٥٣
(٤) الشرح : ٥ - ٦
(٥) تفسير ابن كثير (٨ : ٤٥٤) .
(٦) الاحقاف : ٣٥
(٧) انظر كتاب الصبر في القرآن للقرضاوى واحياء علم الدين للغزالي
(٤ : ٦٠) .

وبالقاء نظرة على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه نجد أنهم قد صبروا وثبتوا في العهد المكي لصنوف العذاب والابتلاء حتى صلب عودهم واستطاعوا ان ينشروا الاسلام في مدة وجيزة فسي بقاع كثيرة والامثلة على ثباتهم لا تحصى . فمن الامثلة على ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم ورباطة جأشه وانه لا تزلزه الخطوب والمحن ما رواه البخارى في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الشعاب فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة قد اظلمتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشيين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلايهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا^(١) . فهل بعد هذا الثبات والصبر من المصطفى صلى الله عليه وسلم من ثبات . . . رجل مهيب الجناح قد عذب وشرد وحوصر وفعل باصحابه كذلك بكل قتل بعضهم في التعذيب ثم يمكنه الله من الانتقام بدون مشقة عليه او كلفة ولكنه لا ينتقم ويكلم غيظه ويصبر على ما اصابه وكذلك الصحابة الذين رباهم صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم اجمعين . ومن الامثلة على ذلك ما يلي :

قال الصالحى قال عمرو بن الزبير فيما رواه ابن اسحاق عنه (اول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله ابن مسعود اجتمع يوما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

(١) صحيح البخارى (٤ : ٨٣) .

والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر بها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود انا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم اذا ارادوه . نال دعوني فان الله تعالى سيمنعني فغدا ابن مسعود حتى اتى المقام في الضحى وقريش فسي انديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن ثم استقبلها يقرؤها وتأملوه يتولون ما ذ قال ابن ام عبد ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاءوا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ماشاء الله ان يباغ ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك قال ما كان اعداء الله تعالى اهون على منهم الان ولئن شئتم لا غاد بينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد اسمعتهم ما يكرهون (١) .

ويقول الصالحى ايضا فى معرض كلامه عن رجوع من الصحابة من الحبشة الى مكة بعد الهجرة الاولى (.) ودخل عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة فلما قدم اولئك نفر مكة اشتد عليهم قومهم وسطت عليهم عشائرهم ولقوا منهم اذى شديدا ولما رأى عثمان بن مظعون ما فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى امان الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوى ورواحى آما بجوار رجل من اهل الشرك واصحابى واهل دينى يلقون من البلاء والاذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى فمشى الى الوليد فقال يا ابا عبد شمس وقت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال لم يا ابن اخى لعله اذاك احد من قومي قال لا ولكنى ارضى بجوار الله عز وجل ولا اريد ان استجير بغيره قال فانطلق الى المسجد فارد على جوارى علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يود على جوارى قال صدق قد وجدته وفيه كريم الجوار

(١) سبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٦٩) .

ولكنني قد احببت الا استجير بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره
ثم انصرف عثمان وليبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشد هـم
قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد الاكل شيء ما خلا الله باطل .
فقال عثمان صدقت .

فقال لبيد : وكل نعم لا محالة زائل .

فقال عثمان كذبت نعم الجنة لا يزول ، قال لبيد يامعشر قريش
والله ما كان يؤذي جليسكم فمتي حدث هذا فيكم . فقال رجل من القوم
ان هذا سفية من سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلأتجدن في نفسك ممن
قوله فرد عليه عثمان حتى شرى امرهما فقام ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها
والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان فقال اما والله يا ابن اخي
ان كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان بل
والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما اصاب اختها في الله عز وجل
واني لفي جوار من هو اعز منك واقدر يا ابا عبد شمس فقال له الوليد هلم
يا ابن اخي ان شئت الي جوارك فعهد فقال لا^(١) .

وغير هذه النماذج كثير وقد مر معنا مقاتلة عمر لكفار قريش فسي
بداية اسلامه فلما تعب من مقاتلتهم جلس وقال في عزم وثبات دنكم
فافعلوا ماشعتم والله لو كنا ثلاثمائة لتركتموها لنا او تركناها لكم ومر معنا
صبر بلال رضي الله عنه وثباته على الحق رغم ما عانى ومر معنا توجيه
الرسول صلى الله عليه وسلم لخباب بن الارت الي الصبر واخباره بان
الصبر على الفتنة ولو ادى الي ان ينشر الرجل نصفين هو دأب المؤمنين
السابقين .

وقد قص الله على المؤمنين في القرآن كثيرا من القصص التي يثبت
فيها اصحابها المؤمنون على الحق حتى يقتلوا كقصة اصحاب الاخدود

وقصة صاحب يمسس وقصة ابراهيم عليه السلام لما القي في النار وذلك لكي يقتدى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه باولئك في صبرهم وثباتهم (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤدك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)^(١) (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا وحتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين)^(٢) (ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا ولنصبرن على ما اذيتموننا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)^(٣) (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)^(٤) .

على مثل هذه العناصر، المابرة الثابتة من رسل الله واتباعهم يرتفع الحق وينخفض الباطل ومن هؤلاء تتكون القاعدة الصلبة التي يبنى عليها بنيان المجتمع الاسلامي .

ان الفتنة والابتلاء ان نتج عنها ضعف وخور وجبن وخوف واخذلاد الى الارض وتشتت وشكوك وانحن جاهلية فان المفتونين لا يصلحون لاقامة صرح الاسلام فيحتاج البناء الى قاعدة غيرهم وان نتج عنها قوة ايمان وصبر وثبات وصدق وعزيمة راسخة فقد اتت ثمارها التربوية وقامت القاعدة الصلبة التي تتحدى كل معول .

وكذلك كانت القاعدة التي اسسها الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي . يقول سيد قطب (لقد ولدت الحركة الاسلامية في مكة على محك الشدة فلم تكف الجاهلية - ممثلة في قريش - تحس بالخطـر الحقيقي الذي يتهددها من دعوة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

(١) هود : ١٢٠

(٢) الانعام : ٣٤

(٣) ابراهيم : ١٢

(٤) الانعام : ٩٠

وماتمثلة من كل ثورة على كل سلطان ارضي لا يستمد من سلطان الله ومن تمرد نهائي على كل طاغوت في الارض والفرار منه الى الله ثم بالخطب الجدى من التجمع الحركى العضوى الجديد الذى انشأته هذه الدعوة تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا التجمع الذى يدىن منذ اليوم الاول بالطاعة لله ولرسول الله ويتمرد ويخرج على القيادة الجاهلية الممثلة فى قريش والاضاع السائدة فى هذه الجاهلية . لم تكد الجاهلية - ممثلة فى قريش اول الامر - تحس بهذا الخطر وذاك حتى شنتها حربا شعواء على الدعوة الجديدة وعلى التجمع الجديد وعلى القيادة الجديدة وحتى ارصدت لها كل ما فى حقيبتها من اذى وكيد ومن فتنة ومن حيلة ، لقد انتفض التجمع الجاهلى ليدفع عن نفسه الخطر الذى يتهدد وجوده بكل ما يدفع به الكائن العضوى خطير الموت عن نفسه وهذا هو الشأن الطبيعى الذى لا مفر منه كلما قامت دعوة الى ربوبية الله للعالمين فى تجمع جاهلى يقوم على اساس من ربوبية العباد للعباد وكلما تمثلت الدعوة الجديدة فى تجمع حركى جديد يتبع فى تحركه قيادة جديدة ويواجه التجمع الجاهلى القائم مواجهة النقيض للنقيض . . .

وعندئذ تعرض كل فرد فى التجمع الاسلامى الجديد للاذى والفتنة بكل صنوفها الى حد اهدار الدم فى كثير من الاحيان ويومئذ لم يكن يقدم على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والانضمام الى التجمع الاسلامى الوليد والدينونة لقيادته الجديدة الا كل من نذر نفسه لله وتهياً لاحتمال الاذى والفتنة والجوع والغربة والعذاب والموت فى ابشع الصور فى بعض الاحيان .

بذلك تكونت للاسلام قاعدة صلبة من اصلب العناصر عودا فى المجتمع العربى . فاما العناصر التى لم تحتمل هذه الضغوط فقد فتنت عن دينها وارتدت الى الجاهلية مرة اخرى وكان هذا النوع قليلا فقد كان الامر كله معروفا مكشوفاً من قبل فلم يكن يقدم ابتداءً على الانتقال

من الجاهلية الى الاسلام وقطع الطريق الشائك المرهوب الا العناصر المختارة الممتازة الفريدة التكوين . وهكذا اختار الله السابقين من المهاجرين من تلك العناصر الفريدة النادرة ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين في مكة ثم ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين بعد ذلك في المدينة مع السابقين من الانصار الذين وان كانوا لم يصطلحوا في اول الامر كما اصطلاها المهاجرون الا ان بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم - بيعة العقبة - قد دلت على ان عنصرهم ذو طبيعة اصيلة مكافئة لطبيعة هذا الدين . . . قال ابن كثير في التفسير : قال محمد ابن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن رواحه رضى الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم - يعني ليلة العقبة - اشترط لربك ولنفسك كما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فمالنا اذا نحن فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل . ومن رواية ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية قال الامام احمد - ثم ذكر حديث البيعة عن جابر وفيه - فقمنا اليه واخذ بيده اسعد بن زرارة وهو من اصغرهم وفى رواية البيهقي وهو اصغر السبعين الا انا فقال رويدا اهل يثرب فانا لـم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله وان اخراجه اليوم مناواة للعرب كافة وقتل خياركم وتعضمكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه واجركم على الله واما انتم قوم تخافون من انفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو اعذر لكم عند الله قالوا ابط عنا يا اسعد فوالله لاندع هذه البيعة ولا نسلبها ابدا قال فقمنا اليه فبايعناه واخذ علينا وشروط وبعطينا على ذلك الجنة . فقد كان الانصار اذن يعلمون عن يقين واضح تكاليف هذه البيعة وكانوا يعلمون انهم لم يواعدوا على هذه التكاليف شيئا فى هذه الحياة الدنيا - حتى ولا النصر ولا الغلبة - وانهم لم يواعدوا عليها الا الجنة ثم كان هذا مدى وعيهم بها ومدى حرصهم

عليها فلا جرم ان يكونوا مع السابقين من المهاجرين الذين بنوا هذا
الاعداد هم القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم اول العهد بالمدينة . ا. هـ (١)
فصلى الله وسلم على محمد قائد الصابرين والثابتين ورضي الله
عن المهاجرين والانصار اهل الثبات والصبر الذين لولا الله ثم ثباتهم
وصبرهم لما وصل الينا هذا الدين الحنيف فجزاهم الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا وجعلنا من الذين يقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويسيرون على نهجه ونهج خلفائه واصحابه البرره . وهذا الذي ذكرت في
هذا الباب هو نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في مجال الدعوة في
العهد المكي على حسب فهمي لنصوص الكتاب والسنة والسيرة العطرة
اما نهجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة المقرونة بالجهاد القتالي في
العهد المدني فهو موضوع الباب الثاني فاليه . .

(١) ببعض تصرف من كتاب فقه الدعوة لسيد قطب اختيار احمد حسن

(ص ١٩٣ - ١٩٨) .

الباب الثاني

منهج الدعوة الى الله بعد تشريع الجهاد القتالي

- (١) تعريف الجهاد وحكمه
- (٢) مراحل تشريع الجهاد
- (٣) اهداف الجهاد وغايته
- (٤) حكم جهاد المرتدين والمنافقين
- (٥) الترغيب في الجهاد وبيان فضائله
- (٦) الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه
- (٧) اثر الجهاد على نشر الدعوة الاسلامية
- (٨) صور جهادية من الرعييل الاول

(١) تعريف الجهاد وحكمه .

(أ) تعريف الجهاد :

يقول ابن منظور (وجاهد العدو ومجاهدة وجهادا قاتله وجاهد في سبيل الله . وفي الحديث لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية . الجهاد محاربة الاعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول او فعل والمراد بالنية اخلاص العمل لله اي انه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لانها قد صارت دار اسلام وانما هو الاخلاص في الجهاد وقاتل الكفار والجهاد المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب او اللسان او ما اطاق من شيء) . (١) ا. هـ

وقال القسطلاني (والجهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو ومجاهدة وجهادا واصله جيهاد كقيتال فخفف بحذف الياء وهو مشتق من الجهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها او من الجهد بالضم وهو الطاقة لان كل واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه) . (٢)

ولما تعريف الجهاد في الشرع فهو قتال الكفار لاعلاء كلمة الله والمعاونة على ذلك كما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه الامام احمد في مسنده عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله عز وجل وان يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل قال الايمان قال وما الايمان قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت قال فاي الايمان افضل قال الهجرة قال فما الهجرة قال تهجر السوء قال

(١) لسان العرب لابن منظور (٣ : ١٣٥) .

(٢) ارشاد الساري للقسطلاني (٥ : ٣١) .

فأي الهجرة افضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال ان تقاتل الكفار اذا لقيتهم قال فأي الجهاد افضل قال من عقر جواده واهريق دمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عملان هما افضل الاعمال الامن عمل بمثلها حجة مبرورة او عمرة^(١) .

وبمثل هذا التفسير للجهاد الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر علماء الاسلام الجهاد فقال ابن حجر (بذل الجهد في قتال الكفار)^(٢) . وقال القسطلاني (قتال الكفار لنصرة الاسلام واعلاء كلمة الله)^(٣) وقال الكاساني (وفي عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتل في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان او غير ذلك او المبالغة في ذلك)^(٤) . وقال صاحب الدر المختار (الدعاء الى الدين الحق وقتال من لم يقبله)^(٥) .

وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على غير قتال الكفار كما قال صلى الله عليه وسلم (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)^(٦) .
وقوله صلى الله عليه وسلم للذي استأذنه في الجهاد احسني والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد^(٧) .

-
- (١) سند الامام احمد (٤ : ١١٤) وذكر ابن تيمية ان هذا الحديث رواه محمد بن نصر المروزي وحماد بن زيد انظر مجموع الفتاوى (٧ : ٧) .
- (٢) فتح الباري (٢ : ٦) .
- (٣) ارشاد السارى (٥ : ٣١) .
- (٤) بدائع الصنائع (٧ : ٩٧) .
- (٥) حاشية رد المحتار لابن عابد بن (٤ : ١٢١) .
- (٦) زاد المعاد (٣ : ٦) وقال محققا زاد المعاد شعيب الارناؤوط ، واخوه الحديث رواه احمد في المسند وابن حبان والحاكم وصحاحه ووافى الذهبي على تصحيحه واسناده جيد .
- (٧) صحيح البخارى (٤ : ١٨) .

ولكن لفظ الجهاد اذا اطلق فالمراد به قتال الكفار لاعلاء كلمة الله تعالى ولا ينصرف الي غير قتال الكفار الا بقريفة تدل على المراد كما فى الحديثين السابقين . يقول ابن رشد (وجهاد السيف قتال المشركين على الدين فكل من اتعب نفسه فى ذات الله فقد جاهد فى سبيله الا ان الجهاد فى سبيل الله اذا اطلق فلا يقع باطلاقه الا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا فى الاسلام او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١) .

ومما يدل على ان الجهاد اذا اطلق ينصرف الى قتال الكفار مايلى :

(١) عن ابي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا اجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال ابو هريرة ان فرس المجاهد ليستنى فى طوله فيكتب له حسنات . (٢) ودلالة هذا الحديث على المراد ظاهرة فالصيام والقيام هما من جهاد النفس ومع هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا احد ما يعدل الجهاد فدل على ان المراد بالجهاد اذا اطلق هو قتال الكفار لمجاهدة النفس .

(٢) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله اى الناس افضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله قالوا ثم من قال مؤمن نفسى شعب من الشعب يتقى الله ويدع الناس من شره . (٣)

(١) مقدمات ابن رشد (١ : ٣٦٩) .
 (٢) صحيح البخارى (٤ : ٢٠٠) .
 (٣) صحيح البخارى (٤ : ٢٠١) .

فالذي يتقى الله في شعب من الشعاب مجاهد لنفسه ومع هذا
ذكوه الله قسيما للمجاهد بنفسه وماله في سبيل الله فدل على
ان الجهاد اذا اطلق انصرف الى قتال الكفار .

(٣) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من آمن بالله وبرسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا
على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه
التي ولد فيها فقالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس قال ان في
الجنة مائة درجة اعد لها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين
الدرجتين كما بين السماء والارض . . . الحديث (١) . فقد سمي
الرسول صلى الله عليه وسلم من جلس في ارضه غير مجاهد مع انه
يجاهد نفسه على الصلاة والصيام ونحو ذلك من الجهاد النفسي
على التكليف الشرعية .

وكل الاحاديث التي تدل على فضائل الجهاد فالمراد بها
الجهاد الحقيقي وهو قتال الكفار لاعلاء كلمة الله تعالى ولا تحمل على
جهاد النفس وكذلك علماء الاسلام من محدثين وفقهاء اذا بويوا في
كتبهم للجهاد فالمراد به جهاد الكفار القتالي لامجاهدة النفس .
وليس جهاد النفس هو الجهاد الاكبر على الاطلاق كما يزعمه
المتصوفة ومن قلدهم لما سيأتي .

والعجب كل العجب ان بعض الباحثين المعاصرين زعم اتفاق
العلماء على ان جهاد النفس هو الجهاد الاكبر ان قال (وقد اتفقت
كلمة علماء المسلمين وفقهائهم على تسمية جهاد النفس والشيطان
بالجهاد الاكبر وجهاد الاعداء بالجهاد الاصغر قال الباجوري الجهاد
اي القتال في سبيل الله مأخوذ من المجاهدة وهي المقاتلة لا قامنة

(١) صحيح البخاري (٤ : ٢٠٢) .

الدين وهذا هو الجهاد الاصغر اما الجهاد الاكبر فهو مجاهدة النفس فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول اذا رجع من الجهاد رجعتنا من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر^(١) . فابن مستند الباحث على اتفاق العلماء والفقهاء . . هل الباجوري هو كل العلماء والفقهاء مع ان الباجوري الذي استدل الباحث بقوله لم يذكر اتفاق احد وانما احتج بما ذهب اليه بحديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه الباجوري غير صحيح ودليله الذي اعتمد عليه غير صحيح ايضا . يقول الدكتور محمد امين المصرى رحمه الله (ولو اردنا تقصى آيات القتال فى سبيل الله واحاديث القتال لما وسعنا الزمن . . . وبعد هذا كله يسمى قتال العدو وجهادا اصغرا ويروون فى ذلك حديثا يذكره الخطيب فى تاريخه من طريق يحيى بن العلاء قال حدثنا ليث عن عطاء ابن ابي رباح عن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تم خير مقدم وقد تم من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر مجاهدة العبد هواه . وقال البيهقى بشأنه اسناده ضعيف وتبعه العراقي فى تخريجه الاحياء وحكم السيوطى ايضا بضعفه فى جامعه الصغير ولكننا حين نرجع الى كتب التراجم لنعرف من هو يحيى بن العلاء راوى الحديث نجد فى ترجمته ما يزهنا فى حديثه وما يحملنا على هجر ما يرويه . يقول ابن حجر فى شأنه فى التقريب روى بالوضع اى انه اتهم بوضع الحديث . اما الذهبى فيقول فى ميزانه قال ابو حاتم ليس بالقوى وضعفه ابن معين وقال الدارقطنى متروك وقال احمد بن حنبل كذاب يضع الحديث . وبعد هذه الشهادات التى نتلوها بشأن هذا الرجل يجب ان نلفت الانتظار الى ان هذا الحديث برواية هذا الرجل لا تجوز روايته ولا ذكوه الاعلى

(١) آيات الجهاد فى القرآن لكامل سلامة الدقس (ص ١٠) .

سبيل التنبيه الي انها رواية متروكة ساقطة . والرواية التي ذكرنا
تعارض الاية الكريمة معارضة صريحة . قال تعالى (لا يستوى القاعدون من
المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدين في سبيل الله باموالهم وانفسهم
فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا
وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله عفورا رحيمًا)^(١) .

وقال الالباني عن حديث رجعنا من الجهاد الاصغر . . . ضعيف^(٢)
وقال حسن البنا رحمه الله (شاع بين كثير من المسلمين ان قتال العدو
هو الجهاد الاصغر وان هناك جهاد اكبر هو جهاد النفس وكثير منهم
يستدل لذلك بما يروى رجعنا من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر
قالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد القلب او جهاد النفس وبعضهم
يحاول بهذا ان يصرف الناس عن اهمية القتال والاستعداد له ونيية
الجهاد والاخذ في سبيله . فاما هذا الاثر فليس بحديث على الصحيح
قال امير المؤمنين في الحديث الحافظ بن حجر في تسديد القوس هو
مشهور على الالسنة وهو من كلام ابراهيم بن عبله وقال العراقي في
تخريج احاديث رواة البيهقي بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في
تاريخه عن جابر علي انه لو صح فليس يعطى ابدا الانصراف عن الجهاد
والاستعداد لانقاذ بلاد المسلمين ورد عادية اهل الكفر عنها وانما
يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها فليعلم)^(٣)
والذي اراه والله اعلم بالصواب ان وصف قتال الكفار بالجهاد
الاصغر وجهاد النفس بالجهاد الاكبر مغالطة لم يدل عليها دليل من

-
- (١) سبيل الدعوة الاسلامية لمحمد امين المصري (ص ٧١ - ٧٢) .
(٢) ضعيف الجامع الصغير (٤ : ١١٨) .
(٣) الجهاد في سبيل الله للبنا (ص ٨٠) .

كتاب ولا سنة ثم ان من جاهد نفسه حقيقة حتى تغلب عليها فانه يسرع الي امتثال امر الله عز وجل بقتال الكفار ومن تأخر عن قتال الكفار فليس بمجاهد لنفسه على امتثال امر الله فالتذرع بجهاد النفس قد يكون من الحيل الشيطانية الصارفة للمسلمين عن جهاد اعدائهم . وجهاد النفس يندرج تحته انواع كثيرة من اهمها جهاد العبد نفسه على اخلاص العبودية لله سبحانه والبراءة من الشرك واهله . ولا شك ان المجاهد في ميدان القتال اذا لم يحقق اخلاص العبودية لله والبراءة من الشرك واهله ورفض جميع انواع الشرك الاكبر لا يستفيد من جهاده فعلى هذا لا يقال جهاد النفس اكبر ولا جهاد الكفار اكبر باطلاق . بل يسأل القائل ما مرادك بجهاد النفس هل تريد جهادها على تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت ام تريد تهذيبها وتركيتها بالاذاكار المستحبة وصيام التطوع وقيام الليل ونحو ذلك فان اردت الاول فلا شك ان التوحيد هو رأس الامر ولكن ينبغي لك ان تأتي بالاسم الشرعي لكيلا لا تلبس على الناس فتقول مثلا جهاد النفس على تحقيق التوحيد اكبر من غيره من الاعمال لاسيما والحديث المروي بتقسيم الجهاد الي اكبر واصغر غير صحيح كما تقدم .

وان اردت الثاني فلا شك ان قتال الكفار لاعلاء كلمة الله لمن قدر عليه افضل من سائر التطوعات للاحاد يث المتقدمة وابن القيم رحمه الله اراد النوع الاول وهو تحقيق التوحيد عندما جعل جهاد النفس اصلا لجهاد الكفار يتضح ذلك من كلامه اذ قال (ولما كان جهاد اعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه كان جهاد النفس مقدا على جهاد العدو ونفي الخارج واصلا له فانه مالم يجاهد نفسه اولا لتفعل ما امرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط

عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله بل لا يمكنه الخروج الى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما الا بجهاده وهو واقف بينهما يثب على العبد من جهادهما ويخذله ويرجف به ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات والمشتهيات ولا يمكنه ان يجاهد ذنوبه العدوين الا بجهاده فكان جهاده هو الاصل لجهادهما وهو الشيطان قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) والامر باتخاذ عدو وتنبيه على استفراغ الوسع في محاربتهم ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الانفس فهذه ثلاثة اعداء امر العبد بمحاربتهم وجهادها (١).

فليس مقصود ابن القيم بجهاد النفس ما يفهمه بعض المتصوفة ومن قلد هم قديما وحديثا من ان جهادها هو تزكيتها بالذكر وسائر النوافل فقط وان هذا الجهاد هو الغاية فهو الاكبر الذي لا يلتفت من حقيقته الى ما هو دونه وبالتالي يكون من صفى باطنه بالاذكار والعبادات افضل من المجاهد الذي يقاتل الكفار لان الاول يجاهد الجهاد الاكبر والثاني يجاهد الجهاد الاصغر والمشتغل بالاكبر افضل من المشتغل بالاصغر عند جميع العقلاء .

والدليل على ان مقصود ابن القيم غير مقصود المتصوفة ما يلي :

- (١) ان ابن القيم جعل جهاد النفس وسيلة لجهاد العدو وفسى الخارج فهل تكون الوسيلة اكبر من الغاية وهل يكون الطهور الذي لا تقبل الصلاة بدونه افضل من الصلاة نفسها . .
- (٢) ان ابن القيم اراد بجهاد النفس التزام شرع الله بكامله والدعوة اليه بما في ذلك تحقيق التوحيد والكفر بالطاغوت ولا شك ان جهاد

(١) زاد المعاد (٣ : ٦) .

الكفار بالسيف هو ثمرة تحقيق التوحيد فالكفر بالطاغوت هو اجتنابه
وبغضه ونهاية البغض المقاتلة والمحاربة يقول ابن القيم (نجهاد
النفس اربع مراتب :

احداها : ان يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذى
لافلاح لها ولاسعادة فى معاشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه
شقيت فى الدارين .

الثانية : ان يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم
بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : ان يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه
والا كان من الذين يكتمن ما انزل الله من الهدى والبيانات ولا ينفعه
علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : ان يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله
واذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله (١) .

فتعلم دين الحق والعمل به والدعوة اليه والصبر على ما يعترض
الطريق ليس هو جهاد المتصوفة المراد لان قتال الكفار هو من دين
الحق فكيف يكون مجاهدا لنفسه من يرى تصفية الباطن اكبر من تصفية
الارض من دين الشرك اما ان يكون تصفية الباطن وسيلة لتصفية
الارض من الشرك واهله فنعم ولكن لا يحل الوقوف عند الوسيلة دائما
وابدا فلو اشتغل رجل بالوضوء وكلمة فرغ من وضوء بدأه من اوله حتى
ذهب وقت الفريضة كان عاصيا لله لا طائعا وبهذا يتضح ان اطلاق
الجهاد الاكبر على جهاد النفس فيه ايها وربما يكون فيه تشبيط وتنويم
لمشاعر المسلمين فقد يقول قائل مادمت مشتغلا بالجهاد الاكبر فما

(١) زاد المعاد (٣ : ١٠) .

الداعي الى التشوق الى الجهاد الاصغر ويرضى بواقعه الذي هو فيه
ويصدق عليه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث
به نفسه مات على شعبة من نفاق^(١) نسأل الله العافية .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣ : ٥٦) .

(ب) حكم الجهاد :

الجهاد نوعان :

١ - جهاد الطلب والابتداء وهو تطلب الكفار في عقر دارهم ودعوتهم الى الاسلام وقتالهم اذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الاسلام .
 وحكم هذا النوع فرض على مجموع المسلمين يدل على ذلك قول الله تعالى (فاذا انسلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) (١) . وقوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين) (٢) وقوله (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) (٣) الى غير هذا من الايات .
 ويدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويسيروا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال او خلال فايتهن ما اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فـان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم مال المهاجرين

(١) التوبة : ٥

(٢) التوبة : ١٣٦

(٣) التوبة : ٤١

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٢١٢) .

وعليهم ما على المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا منها فاخيرهم انهم
 يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين
 ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان
 هم ابوا فسلهم الجزية فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان
 هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم (الحديث) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه
 مات على شعبة من نفاق (٢)

كل هذه النصوص - وغيرها كثير في الكتاب والسنة - تفرض على
 المسلمين جهاد الكفار ابتداء وقد اجمع علماء الاسلام على ان جهاد
 الكفار وتطلبهم في عقرب دارهم ودعوتهم الى الاسلام وجهادهم ان لم
 يقبلوه او يقبلوا الجزية فريضة محكمة غير منسوخة وما نقل عن ابن عمر
 وعبد الله بن الحسن والثوري من ان جهاد الكفار ابتداء تطوع يريدون به
 انه ليس فرضا عينيا على كل مسلم بل هو فرض كفاي ويستحب ان يجاهد
 المسلم تطوعا اذا قام غيره بالفرض ولا يجوز حمل كلامهم على غير هذا
 يقول صاحب شرح فتح القدير - بعد تقريره لفرضية الجهاد بالادلة -
 (وبهذه ينتهي ما نقل عن الثوري وغيره انه ليس بفرض ويجب حمله
 ان صح على انه ليس بفرض عين) (٣) ويقول الجصاص (ان مذهب ابن عمر في
 الجهاد انه فرض على الكفاية وان الرواية التي رويت عنه في نفي فرض
 الجهاد انما هي على الوجه الذي ذكرنا من انه غير متعين على كل
 حال في كل زمان) (٤) . ولم يذكر ابن قدامة ولا ابن القيم عند كلامهما
 عن حكم الجهاد سوى الفرضية ولم يشيرا مطلقا الى ما روى عن ابن عمر

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢: ٣٨) .
 (٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣: ٥٦) .
 (٣) شرح فتح القدير لابن الهمام (٥: ٤٣٧) .
 (٤) تفسير الجصاص (٣: ١١٦) .

والثوري مما يدل على ان مانسب اليهما لم يصح عندهما او انهما لسم
 يفهما عنهما سوى الفرضية^(١). وقد نقل ابن عطية في تفسيره الاجماع على
 فرضية جهاد الابتداء والطلب فقال رحمه الله (واستمر الاجماع على
 ان الجهاد على امة محمد فرض كفاية فاذا قام به من قام من المسلمين
 يسقط عن الباقي الا ان ينزل العدو وبساحة للاسلام فهو حينئذ فرض
 عين وذكر المهدوي وغيره عن الثوري انه قال الجهاد تطوع وهذه
 العبارة عندي انما هي على سؤال سائل وقد قيم بالجهاد فقال لـه
 ذلك تطوع . ا . هـ)^(٢)

قلت وهذا التوجيه من ابن عطية حسن جدا فانه لا يليق بمن
 عرف مبادئ الاسلام ان يشك في وجوب الجهاد فضلا عن العلماء الاجلاء
 من الصدر الاول وما نقل لا يخلو من ثلاثة امور :

(١) اما انه لم تصح نسبه اليهم رحمهم الله وكثير من الاقويل لا اصل
 لها والوضع مارسه من لا اخلاق له على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فضلا عن العلماء .

(٢) واما ان ذلك صدر عنهم من قبيل الفتوى لشخص استفهام وقد
 كاه غيره فرض الجهاد فاخبروه بانه عليه تطوع فلن السامع ان
 ذلك مذهب المفتي في الجهاد مطلقا .

(٣) واما انهم قالوا ليس بفرض وهم يقصدون ليس بفرض عيني على كل
 احد بل هو كفاي ولا يجوز ان يظن بهم غير ذلك اطلاقا .

يقول حسن البنا رحمه الله بعد ان استعرض اقوال فقهاء
 الاسلام بوجوب الجهاد (فها انت ذا ترى من ذلك كله كيف اجمع اهل
 العلم مجتهدين ومقلدين سلفيين وخلفيين على ان الجهاد فرض كفاية

(١) انظر المغني (٣٤٦ : ٨) ، وزاد المعاد (٣ : ٧١) .

(٢) تفسير ابن عطية (٢ : ٤٣) .

على الامة الاسلامية لنشر الدعوة (١) .

وهذا الذي ذكرته من ان جهاد الابتداء والطلب فرض كفاية اذا قام به من يك سقط الاثم عن الباقي هو مذهب جمهور العلماء وذهب بعض السلف الصالح رضوان الله عليهم الى ان جهاد الابتداء والطلب فرض عين مثل جهاد الدفع تماما وهذا القول مروى عن بعض الصحابة وسعيد بن المسيب . يقول ابن حجر (وقد فهم بعض الصحابة من الامر في قول الله عز وجل (انفروا خفافا وثقالا) العموم فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا منهم ابو ايوب الانصاري والمقداد بن الاسود وغيرهم) (٢) . وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى (انفروا خفافا وثقالا) (وقال علي بن زيد عن انس عن ابي طلحة كهولا وشبابا ماسمع الله عذراحد ثم خرج الى الشام حتى قتل وفي رواية قرأ ابو طلحة (٣) سورة براءة فاتي على هذه الاية (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) فقال اري ربنا يستنفرنا شيوها وشبابا جهزونسي يا بني فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله حتى مات ومع ابي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك فابي فركب البحر فمات فلم يجد وا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد تسعة ايام فلم يتغير فدنفوه بها) (٤) . ويؤيد صحة هذه الرواية عن ابي طلحة رضي الله عنه ما ذكره ابن حجر في الاصابة حيث قال (وقال ثابت عن انس مات ابو طلحة غازيا في البحر فما وجد وا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام ولم يتغير اخرجهم الفسوى في تاريخه وابو يعلى واسناده صحيح) (٥) .

(١) الجهاد للبنا (ص ٨٤) .

(٢) فتح الباري (٦ : ٢٨) .

(٣) هو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الخزرجي مشهور بكنيته وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم لصوت ابي طلحة

في الجيش خير من فيئه . انظرت رجمته في الاصابة (١ : ٥٦٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ : ٩٧) .

(٥) الاصابة لابن حجر (١ : ٥٦٧) .

ويقول ابن حجر (ان جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم
 اما بيده واما بلسانه واما بماله واما بقلبه)^(١) . ويقول ابن القيم (. . . .) ثم
 فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرما ثم ماذونا به ثم مأمورا به
 لمن بدأهم بالقتال ثم مأمورا به لجميع المشركين اما فرض عين على
 احد القولين او فرض كفاية على المشهور والتحقيق ان جنس الجهاد
 فرض عين اما بالقلب واما باللسان واما بالمال واما باليد فعلى كل مسلم
 ان يجاهد بنوع من هذه الانواع اما الجهاد بالنفس ففرض كفاية واما
 الجهاد بالمال ففي وجوبه قولان والصحيح وجوبه لان الامر بالجهاد به
 وبالنفس في القرآن سواء كما قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
 باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) . وعلق
 النجاة من النار به ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال (يا ايها الذين
 آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
 وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
 يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة
 في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)^(٢) . وذكر القرطبي عدة روايات عن
 بعض الصحابة والتابعين تدل على انهم لا يرون للمسلم رخصة في
 ترك الغزو اذا امكته ذلك فقال رحمه الله (واسند الطبري عمــــن
 رأى المقداد بن الاسود بخصم على تابوت صراف وقد فضل على التابوت
 من سمه وهو يتجهز للغزو ف قيل له لقد عذرك الله فقال ات علينا سورة
 البعوث " انفروا خفافا وثقالا " وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب الى
 الغزو وقد ذهب احدى عينيه ف قيل له انك عليل فقال استنفر الله
 الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع)^(٣) .

(١) فتح الباري (٦ : ٢٨) .

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٧٢) .

(٣) تفسير القرطبي (٨ : ١٥١) .

فهذه النصوص عن بعض الصحابة والتابعين تدل على مذهبهم في الجهاد وانهم يرون جهاد الابتداء والطلب فرضا على القادر ولكن الذي يترجح لدى والله اعلم بالصواب هو مذهب الجمهور القائلين بان جهاد الابتداء والطلب فرض كفاية اذا قام به جماعة من المؤمنين فيهم غناء لنشر الاسلام والدعوة اليه فليس على كل مسلم ان يخرج معهم . وذلك للدلالة التالية :

(١) قوله تعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) قال القرطبي عند تفسير هذه الاية : فيها ان الجهاد ليس على الاعيان وانه فرض كفاية كما تقدم اذا لو نفر الكل لضاع من وراءهم من العيال فليخرج فريق منهم للجهاد وليقم فريق يتفقهون في الدين ويحفظون الحريم حتى اذا عاد النافرون اعلمهم المقيمون ما تعلموه من احكام الشرع وما تجدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم) .^(١)

(٢) قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدون درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدون اجرا عظيما) .^(٣)

يقول ابن قدامة - محتجا لمذهب الجمهور - (ولنا قول الله تعالى (لا يستوي القاعدون) وهذا يدل على ان القاعديين غير آثمين مع جهاد غيرهم وقال الله تعالى (وما كان المؤمنون

(١) التوبة : ١٢٢

(٢) تفسير القرطبي (٨ : ٢٩٣) .

(٣) النساء : ٩٥

لينفروا كافة فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا) ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث سرايا ويقيم هو وسائر اصحابه (١) . وقال الكاساني (وعد الله عز وجل المجاهد يــــن والقاعد بن الحسنين ولو كان الجهاد فرض عين في الاحوال كلها لما وعد القاعد بن الحسنين لان القعود يكن حراماً) (٢) .

(٣) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى لحيان ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد ايكم خلف الخارج في اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم فمن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في اهله بخير فقد غزا (٤) .

(٤) فعله صلى الله عليه وسلم وسيرته فقد كان يخرج في الغزوة تارة ويبقى تارة ويؤمر غيره على الغزوة او السرية ولم يكن يخرج جميع اصحابه بل بعضهم وهذا امر واضح مستفيض كما في غزوة مؤتة وغيرها . يقول السرخسي (. . .) ونوع هو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين لحصول المقصود وهو كسر شوكة المشركين واعزاز الدين لانه لو جعل فرضاً في كل وقت على كل احد عاد على موضوعه بالنقص . والمقصود ان يأمن المسلمون ويتمكنوا من القيام بمصالح دينهم ودنياهم فاذا اشتغل الكل بالجهاد لم يتفرغوا للقيام بمصالح دنياهم (٥) .

-
- (١) المغني لابن قدامة (٣٤٦:٨) .
 (٢) بدائع الصنائع (٩٨:٧) .
 (٣) صحيح مسلم مع النووي (٤١:١٣) .
 (٤) صحيح مسلم مع النووي (٤٠:١٣) .
 (٥) المبسوط للسرخسي (٣:١٠) .

وإذا تقرر لدينا ان غزو الكفار في عقد دارهم ودعوتهم الى الاسلام وقتالهم ان لم يقبلوه او يقبلوا الجزية فرض على المسلمين فما الذي يسقط الفريضة عن المسلمين ؟ هل يجب على المسلمين غزو الكفار في كل شهر ام في كل عام ام ماذا ؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

(١) الجمهور على ان غزوة واحدة في العام تسقط الفريضة والباقي تطوع وحجتهم على ذلك ان الجزية تجب بدلا عن الجهاد والجزية لا تجب في السنة اكر من مرة اتفاقا فليكن بدلها كذلك^(١).

قال القرطبي (وقسم ثان من واجب الجهاد فرض ايضا على الامام اغزاء طائفة الى الحد وكل سنة مرة يخرج معهم بنفسه او يخرج من يثق به ليدعوهم الى الاسلام ويرغمهم ويكف اذا هم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا في الاسلام او يعطوا الجزية عن يد ومن الجهاد ايضا ما هو نافلة وهو اخراج الامام طائفة بعد طائفة ويحث السرايا في اوقات الخرة وعند امكان الفرصة والارصاد لهم بالرباط في موضع الخوف واطهار القوة^(١) .

(٢) القول الثاني : انه يجب غزو الكفار في عقد دارهم كلما امكن ذلك من غير تحديد بعدد قال ابن حجر عن هذا القول (وهو قوي^(٢)) وقال القرطبي (والتناقل عن الجهاد مع اظهار الكراهة حرام^(٣)) .

وهذا القول - وان لم يقل به الجمهور - فانه هو الذي تجرأ به الذمة في نظري والله اعلم بالصواب وذلك لما يلي :

-
- (١) القرطبي (١٥٢ : ٨) .
 (٢) فتح الباري (٢٨ : ٦) .
 (٣) القرطبي (١٤١ : ٨) .

(١) ان النصوص الامرة بالجهاد لم تحدده بعدد فالتحديد زيادة على النصوص ولكون الجزية لا تجب الا مرة في العام وهي بدل عنه فالجزية حكم شرعي له حكم عظيمة منها اظهار ذل الكفار وعزز المؤمنين ومنها اعطاء الكفار فرصة بمخالطتهم للمسلمين تحسنت احكامهم فاذا رأوا احكام الاسلام العادلة اسلم من فيه خير منهم فليست الجزية بدلا عن الجهاد مطلقا فللمسلمين ان يصلحوا الكفار مدة من الزمن كما سيأتي ولا يقاتلونهم في وقت الصلح وليس الصلح بدل الجهاد .

(٢) ان مجاهدة الكفار وغزوهم في ديارهم كلما امكن ذلك هو اللائق بغاية الجهاد فان من اهم غايات الجهاد ازالة الفساد من الارض ومد سلطان الاسلام على الارض كلها ولا يسقط وجوب الجهاد عن المسلمين الا بعد تحقيق الغاية العظمى وهي الاستيلاء على الارض كلها حتى لا يبقى شبر واحد الا وهو خاضع لحكم الاسلام او بعد ان يبذلوا وسعهم في سبيل تحقيق غاية الجهاد فعند ذلك يسقط عنهم الوجوب لان الغاية تحققت بل لانهم بذلوا ما استطاعوا ولن يكلف الله نفسا الا وسعها ، قال تعالى (اتقوا الله ما استطعتم) ومن اجل ذلك قال ابن حجر عن هذا القول - اعني وجوب الجهاد كلما امكن - انه قوى كما تقدم اضافة الى ان القول بان غزوة واحدة في السنة يسقط بها الوجوب ربما جراً من يتولى امر المسلمين ممن لم يكن لديهم اخلاص شديد لنشر الاسلام على التساهل في امر الجهاد والقيام بغزوة واحدة لا يعد لها العدة الكافية خروجاً من الوجوب فحسب كما حصل في بعض العصور الاسلامية ابان ضعف بعض حكام المسلمين وانشغالهم بتوافه الامور عن عظامها .

(٣) تعليق غزو الكفار بالامكان اولى من تعليقه بعدد معين لان الجهاد

معناه بذل الوسع والطاقة في مجاهدة الكفار . وليس ممارسة
الجهاد في جهة واحدة من جهات المسلمين بكافية بل الواجب
على المسلمين في حال الاستطاعة مجاهدة من يلهم من الكفار
قال ابن عابدين في حاشية رد المحتار (واياك ان تتوهم ان فرضيته
تسقط عن اهل الهند بقيام اهل الروم مثلا)^(١)
ويكون غزو الكفار في عقد دارهم فرضا عينيا في صور ذكر منها

العلماء مايلي :

- (١) اذا عين امام المسلمين شخصا بعينه للجهاد .
- (٢) اذا كان النفي عاما كأن يستنفر الامام اهل قرية او ناحية .
- (٣) اذا كان للمسلمين اسرى عند الكفار حتى يستنقذوا من ايديهم
- (٤) اذا حضر المسلم جيش المسلمين في حال قتال مع الاعداء فانه
يجب عليه الجهاد^(٢) .

ويشترط لوجوب جهاد الابتداء والطلب على المسلم خمسة

شروط هي :

- (١) التكليف
- (٢) السلامة من الضرر
- (٣) الحرية
- (٤) الذكورية
- (٥) الاستطاعة

والكلام على هذه الشروط مبسوط في كتب الفقه وليس من هدف

هذا البحث تقصي الاحكام الفقهية .

-
- (١) حاشية رد المحتار لابن عابدين (٤ : ١٢٤) .
 - (٢) انظر فتح الباري (٦ : ٢٨) والمغني لابن قدامة (٨ : ٣٤٦) ،
والقوانين الفقهية لابن جزي (ص ١٢٦) .

النوع الثاني من انواع الجهاد : جهاد الدفاع وحكمه فرض عين على المسلمين عموما حتى يندفع شر الاعداء وهذا باجماع علماء الاسلام . قال الجصاص (ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين انه اذا خاف اهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وانفسهم وذرائعهم ان الفرض على كافة الامة ان ينفر اليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين وهذا لا خلاف فيه بين الامة اذ ليس من قول احد من المسلمين اباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذرائعهم)^(١) . وقال البابر في العناية على الهداية (واما العينية في النفي العام فبالاجماع لانه من اغاثة الملهوف والمظلوم)^(٢) .

ويقول القرطبي (اذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الاقطار او بحلولة بالعقر فاذا كان ذلك وجب على جميع اهل تلك الدار ان ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا كل على قدر طاقته من كان له اب بغير اذنه ومن لا اب له ولا يتخلف احد يقدر على الخروج من مقاتل او مكتر فان عجز اهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم ان يخرجوا على حسب مالزم اهل تلك البلدة حتى يعلموا ان فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركهم وبمكثه غياثهم لزمه ايضا الخروج اليهم فالمدون كلهم يد على من سواهم حتى اذا قام بدفع العدو واهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها مقلد الفرض عن الاخرين ولو قارب العدو دار الاسلام ولم يدخلوها لزمهم ايضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله وتحمي البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدو ولا خلاف

(١) الجصاص (٣ : ١١٤) .

(٢) العناية على الهداية بهامش شرح فتح القدير (٥ : ٤٤٠) .

في هذا (١) .

ولا اصيل بذكر نصوص العلماء في هذا الشأن فان كون جهاد
الدفاع فرض عين محل اجماع ولم اجد في اي كتاب من كتب الفقهاء
المعتبرة مخالفا للاجماع على ان احكام الجهاد المتقدمة هي اذا كان
للمسلمين دار وسلطان وكان بهم قوة على الجهاد واما اذا لم يكن
فهذا ما سنبحث حكامه في مراحل تشريع الجهاد .

(١) تفسير القرطبي (٨: ١٥١) .

(٢) مراحل تشريع الجهاد .

مر الجهاد الاسلامي بنوعيه جهاد الطلب والابتداء وجهاد الدفاع بعدة مراحل قبل ان يصل الى حكمه النهائي الذي تقدم وهي :

(١) المرحلة الاولى :

مرحلة الكف عن المشركين والاعراض عنهم والصبر على اذاهم مع الاستمرار في دعوتهم الى دين الحق وبيان دين الاسلام بالادلة وبيان تفاهة معبودات الجاهلية وضلال اهلها وخسارتهم في الدنيا والاخرة . وقد بينا في الباب الاول من هذا البحث سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة في مجال الدعوة والتربية ونبيين الان سيرته في الجهاد القتالي .

نهى صلى الله عليه وسلم اصحابه عن قتال اهل مكة في هذه الفترة فقال لمن قال له " كنا في عز ونحن مشركون فلما آذنا صرنا اذلة " (اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا . . . الحديث)^(١) . وقد ذكر الله هذا النهي في القرآن الكريم فقال تعالى (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واتيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اغرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلًا)^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم - لما استأذنه اهل يثرب ليلة العقبة " ان يميلوا على اهل مني فيقتلوهم - " اني لم امر بهذا^(٣) .

(١) رواه النسائي (٣ : ٦) والبيهقي (١١ : ٩) والمستدرک (٣٠٧ : ٢) وقال علي شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) النساء : ٧٧

(٣) مسند احمد بن حنبل (٤٦٢ : ٣) والحديث صحيح حيث ورد في سياق بيعة العقبة الثانية رواية كعب بن مالك قال محققا زاد المعاد

(٣ : ٤٨) شعيب واخوه اخرجاه ابن هشام (١ : ٤٤٠ ، ٤٤٧) ،

واحمد (٣ : ٤٦٠ - ٤٦٢) والطيالسي (٢ : ٩٣) . . . وسند صحيح .

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى (قل للذين آمنوا يفتنوا للذين لا يرجون أيام الله)^(١) . اي يصفحوا عنهم ويحملوا الاذى منهم وهذا كان في ابتداء الاسلام امروا ان يصبروا على اذى المشركين واهل الكتاب ليكون ذلك لتأليف قلوبهم ثم لما اصرروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد هكذا روى عن ابن عباس وقتاده^(٢) . وقال ابن حجر (فاول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية الى المدينة اتفاقا)^(٣) . وقال القرطبي (ولم يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال مدة اقامته بمكة)^(٤) . وقد تكلم الشهيد سيد قطب عن حكمة الامر بالكف عن القتال في المرحلة المكية بكلام اراه غاية في الادب مع الله مع حسن استنباط ونسب لاهداف الاسلام وغاياته انقله بتمامه (فاما لماذا لم يأذن الله للمسلمين في مكة بالانتصار من الظلم والرد على العدوان ودفع الاذى بالقوة وكثيرون منهم كان يملك هذا فلم يكن ضعيفا ولا مستضعفا ولم يكن عاجزا عن رد الصاع صاعين مهما يكن المسلمون في ذلك الوقت قلة . اما حكمة هذا والامر بالكف عن القتال واقامة الصلاة وابتاء الزكاة والصبر والاحتمال حتى وبعض السلمين يلقي من الاذى والعذاب ما لا يطاق ويعضهم يتجاوز العذاب طاقتهم فيفتن عن دينه وبعضهم لا يحتمل الاستمرار في العذاب فيموت تحت وطأته . اما حكمة هذا فلسنا في حل من الجزم بها لاننا حينئذ نتألى على الله ما لم يبين لنا من حكمه ونفرض على اوامره اسبابا وعلا قد لا تكون هي الاسباب والعلل الحقيقية او قد تكون ولكن يكون وراءها اسباب

(١) الجاثية : ١٤

(٢) تفسير ابن كثير (٧ : ٢٥١) .

(٣) فتح الباري (٦ : ٢٧) .

(٤) تفسير القرطبي (٣ : ٣٨) .

وعلى اخرى لم يكشف لنا عنها ويعلم سبحانه ان فيها الخير والمصلحة وهذا هو شأن المؤمن امام اى تكليف او اى حكم فى شريعة الله لسم بين الله سببه محدد اجازما حاسما فمنها ما خطر له من الاسباب والعلل لهذا الحكم او لذلك التكليف او لكيفية تنفيذ هذا الحكم او طريقته اداء ذلك التكليف مما يدركه عقله ويحسن فيه فينبغى ان يعتبر هذا كله مجرد احتمال ولا يجوز مهما بلغت ثقته بعلمه وعقله وتدبره لاحكام الله بان مراه هو حكمة هو الحكمة التي ارادها الله نصا وليس وراءها شىء وليس من دونها شىء فذلك التحج هو مقتضى الادب الواجب مع الله ومقتضى ما بين علم الله ومعرفة الانسان من اختلاف فى الطبيعة والحقيقة . وبهذا الادب الواجب نتناول حكمة عدم فرض الجهاد فى مكة وفرضته فى المدينة . نذكر ما يترأى لنا من حكمة وسبب على انفسه مجرد احتمال وندع ما وراءه لله لان فرض على امره اسبابا وعللا لا يعلمها الا هو ولم يحدد ما هو لنا وبطلنا عليها بنص صريح انها اسباب اجتهادية تخطى وتصيب وتنقى وتزيد ولا ينبغى بها الا مجرد تدبير احكام الله وفق ما تظهره لنا الاحداث فى مجرى الزمان .

(أ) ربما كان ذلك لان الفترة المكية كانت فترة تربية واعداد نفسى بيئة معينة لقوم معينين وسط ظروف معينة ومن اهداف التربية والاعداد فى مثل هذه البيئة بالذات تربية نفس الفرد العربى على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم يقع على شخصه او على من يلوذون به ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته ولا تعود ذاته ولا من يلوذون به محور الحياة فى نظره ودافع الحركة فى حياته وتربيته كذلك على ضبط اعصابه فلا يندفع لاول مؤثر كما هى طبيعته ولا يهتاج لاول مهيج ليتم الاعتدال فى طبيعته وحركته وتربيته على ان يتبع مجتمعا منظما له قيادة يرجع اليها فى كل امر من امور حياته ولا يتصرف الا وفق ما تأمره

مهما يكن مخالفا لمألوفه وعاداته وقد كان هذا هو حجر الاساس في اعداد شخصية العربي لانشاء المجتمع المسلم الخاضع لقيادة موجهة .

(ب) وربما كان ذلك ايضا لان الدعوة السلمية اشد اثرا وانفذ في مثل بيعة قريش ذات العنجهية والشرف والتي قد يدفعها القتال معها في مثل هذه الفترة الي زيادة العناد والى نشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة التي اثارت حرب داحس والغبراء وحرب البسوس اعواما طويلة تفانت فيها قبائل برمتها وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في اذهانهم وذكرياتهم بالاسلام فلانتهدا بعد ذلك ابدا ويتحول الاسلام من دعوة الي ثارات وذحول تنسى معها فكرته الاساسية وهو في مبدئه فلان تذكر ابدا .

(ج) وربما كان ذلك اجتنابا لانشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم انما كان ذلك موكولا الي اولياء كل فرد يعذبونه هم ويفتنونهم ويؤذونهم ومعنى الاذن بالقتال في مثل هذه البيعة ان تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال هذا هو الاسلام ولقد قيلت حتى والاسلام يأمر بالكف عن القتال فقد كانت دعاية قريش في الموسم في اوساط العرب القادمين للحج والتجارة ان محمدا يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد والمولى بقتل الولي في كل بيت وكل محلة .

(د) وربما كان ذلك ايضا لما يعلمه الله من ان كثيرين من المعاندين الذين يفتنون اوائل المسلمين عن دينهم ويعذبونهم ويؤذونهم هم بانفسهم سيكونون من جند الاسلام المخلص بل من قادته الم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء .

(هـ) وربما كان ذلك ايضا لان النخوة العربية في بيعة قبلية من عاداتها ان تشور للمظلوم الذي يحتمل الاذى ولا يتراجع وبخاصة اذا كان

الاذى واقعا على كرام الناس فيهم وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة في هذه البيئة فابن الدغنه لم يرغى ان يترك ابا بكر وهو رجل كريم يهاجر ويخرج من مكة ورأى في ذلك عارا على العرب وعرض عليه جواره وحمايته وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب ابي طالب بعد ما طال عليهم الجوع واشتدت المحنة بينما في بيئة اخرى من البيئات ذات الحضارة القديمة التي مردت على الذل قد يكون السكوت على الاذى مدعاة للمهزء والسخرية والاحتقار من البيئة وتعظيم المؤذى الظالم المعتدى .

(و) وربما كان ذلك ايضا لقلّة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة الي بقية الجزيرة او بلغت اخبارها متناثرة حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض ابنائها حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة الي قتل المجموعة المسلمة القليلة حتى ولو تلووا هم اضعاف من سيقتل منهم ويبقى الشرك وتنمحي الجماعة المسلمة ولم يقم في الارض للاسلام نظام ولا وجد له كيان واقعى وهو دين جاء ليكون منهج حياة وليكون نظاما واقعيا عمليا للحياة .

(ز) في الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة لتجاوز هذه الاعتبارات كلها والامر بالقتال ودفع الاذى لان الامر الاساسى في هذه الدعوة كان قائما وقتها ومحققا هذا الامر الاساسى هو وجود الدعوة . وجودها في شخص الداعية صلى الله عليه وسلم وشخصه في حماية سيوف بني هاشم فلا تمتد اليه يد الاوهى مهددة بالقطع والنظام القبلى السائد يجعل كل قبيلة تخشى ان تقع في حشر مع بني هاشم اذا هي امتدت يدها الي محمد صلى الله عليه وسلم فكان شخص الداعية من ثم محميا حماية

كافية وكان الداعية يبلغ دعوته اذن في حماية سيوف بني هاشم ومقتضيات النظام القبلي ولا يكتمها ولا يخفيها ولا يجرو احد على منعه من ابلاغها واعلانها في ندوات قريش في الكعبة ومن فوق جبل الصفا وفي اجتماعات عامة ولا يجرو احد على سد فمه ولا يجرو احد على خطفه وسجد نه او قتله ولا يجرو احد على ان يفرض عليه كلاما بعينه يقوله يعلن فيه بعض حقيقة دينه ويسكت عن بعضها وحين طلبوا اليه ان يكف عن سب الهتهم وعيبها لم يكف وحين طلبوا اليه ان يسكت عن عيب دين آبائهم واجدادهم وكونهم في جهنم لم يسكت وحين طلبوا اليه ان يدهن فيدهنوا اي يجاملهم فيجاملوه ان يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا هم بعض عبادته لم يدهن وطلبي الجملة كان للدعوة وجودها الكامل في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم محروسا بسيوف بني هاشم وفي ابلاغه لدعوة ربه كاملة في كل مكان وفي كل صورة ومن ثم تكن هناك الضرورة القاهرة لاستعجال المعركة والتفاضي عن كل هذه الاعتبارات البيعية التي هي في مجموعها مساندة للدعوة ومساعدة في مثل هذه البيعة . هذه الاعتبارات كلها فيما نحسب كانت بعض ما اقتضت حكمة الله معه ان يأمر المسلمين بكف ايديهم واقامة الصلاة وايتاء الزكاة لتم تربيتهم واعدادهم ولينتفع بكل امكانيات الخطة في هذه البيعة وليقف المسلمون في انتظار امر القيادة في الوقت المناسب وليخرجوا انفسهم من المسألة كلها فلا يكون لذواتهم فيها حظ لتكون خالصة لله وفي سبيل الله والدعوة لها وجودها وهي قائمة ومؤداة ومحمية ومحروسة (١) .

(٢) المرحلة الثانية : اباحة القتال من غير فرض .

ومن ادلة هذه المرحلة قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا

(١) في ظلال القرآن (٢ : ٧١٣ - ٧١٥) .

وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حـق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) (١).

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية (وقال غير واحد من السلف هذه اول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على ان السورة مدنية وقد اله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت الاليق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلوا امر المسلمين و **هـ** **ا** **ك** **ل** **م** العشر بقتال الباقين لشق عليهم ولهذا لما بايع اهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفا وثمانين قالوا يا رسول الله الانمىل على اهل الوادى - يعنون اهل منى - لىالى منى فنقتلهم فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم انى لم اوامر بهذا فلما بغى المشركون واخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من بين انهم وهموا بقتله وشردوا اصحابه شذر مذر فذهب منهم طائفة الى الحبشة وآخرون الى المدينة فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجت معوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعقلا يلجئون اليه شرع الله جهاد الاعداء فكانت هذه الآية اول ما نزل في ذلك) (٢).

(٣) المرحلة الثالثة: فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط . ومن ادلة هذه المرحلة قوله تعالى (. . . فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كل ماردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم

(١) الحج : ٣٨ - ٤٠

(٢) تفسير ابن كثير (٥ : ٤٣٠ - ٤٣١) .

واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا^(١) . يقول ابن تيمية عن هذه المرحلة (. . . وكذلك) يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال فان تولوا فخذوهم الايات وكذل من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله وان كانت الهدنة عقدا جائزا غير لازم^(٢) . ويدل على هذه المرحلة ايضا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابن تيمية رحمه الله عليه (فمن المعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يحارب احدا من اهل المدينة بل وادعهم حتى اليهود خصوصا بطون الاوس والخزرج فانه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه وكان الناس اذ قدمها على طبقات منهم المؤمن وهم الاكثرون ومنهم الباقي على دينه وهو متروك لا يحارب ولا يحارب وهو والمؤمنون من قبيلتيه وحلفائهم اهل سلم لا اهل حرب حتى حلفاء الانصار اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على حلفهم^(٣)) .

(٤) المرحلة الرابعة :

قتال جميع الكفار على اختلاف اديانهم واجناسهم ابتداء وان لم يبدأوا بقتال حتى يسلموا او يدفعوا الجزية على خلاف بين العلماء فيمن تؤخذ منه الجزية سيأتي تفصيله وهذه المرحلة بدأت من انقضاء اربعة اشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة ومن بعد انقضاء العهد المؤقتة وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل على هذه المرحلة الاخيرة وعليها استقر حكم الجهاد ومن ادلتها قوله تعالى (فاذا انسلك الشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)^(٤) .

(١) النساء : ٩٠ - ٩١

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١ : ٧٣) .

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (ع ٩٤) .

(٤) التوبة : ٥

وقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)^(١) . وقوله صلى الله عليه وسلم (. . . اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال او خلال . . . الحديث)^(٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فـ اذا فعلوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله)^(٣) .

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الاسلام في مؤلفاتهم من كل مذهب يقول السرخسي (وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا في الابتداء بالصفح والاعراض عن المشركين قال الله تعالى " فاصح الصبح الجميل " وقال تعالى " واعرض عن المشركين " ثم امر بالدعاء الى الدين بالوعظ والمجادلة بالاحسن فقال تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ثم امر بالقتال اذا كانت البداية منهم فقال تعالى " اذن للذين يقاتلون بانهم ظالموا " اي اذن لهم في الدفاع وقال تعالى " فان قاتلوكم فاقتلوهم " وقال تعالى " وان جنحوا للسلم فاجنح لها " ثم امر بالبداية بالقتال فقال تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة " وقال تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها

(١) التوبة : ٢٩

(٢) مسلم مع النووي (١٢ : ٣٨) .

(٣) صحيح مسلم مع النووي (١ : ٢١٢) .

فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فاستقر الامر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فرض قائم الى قيام الساعة^(١) .
وقال الشافعي (وانزل الله عز وجل فيما يثبت به اذا ضاق من اذاهم " ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " ففرض عليه ابلاغهم وعبادته ولم يفرض عليه قتالهم وابدان ذلك في غير آية من كتابه
ثم اذن الله عز وجل لهم بالجهاد ثم اذن لهم بان يبتدوا المشركين بقتال قال الله عز وجل " اذن للذين يقاتلون . . . الاية " .
واباح لهم القتال بمعنى ابانه في كتابه فقال " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم " ولما مضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة من هجرته انعم الله فيها على جماعات باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها ففرض الله عز وجل عليهم الجهاد بعد اذ كان اباحة لافرضا فقال تبارك وتعالى كتب عليكم القتال . . . الاية^(٢) .

وقال ابن رشد (واول ما بعث الله نبيه عليه السلام بالدعاء الى الاسلام من غير قتال امره به ولا اذن له فيه ولا جزية احلها لله فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك عشر سنين وهي السن التي اقام بمكة وحينئذ انزل الله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وقولهم فاعف عنهم واصفح وقوله لا اكراه في الدين وما اشبه ذلك من الايات فلما هاجر الى المدينة اذن الله تعالى له وللمؤمنين بقتال من قاتلهم وامرهم بالكف عن من لم يقاتلهم فقال تعالى " اذن للذين يقاتلون بانهم ظالموا وان الله على نصرهم لقدير " وقال تعالى " فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين " وقال تعالى " فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا

(١) الميسوط للسرخسي (١٠ : ٢) .

(٢) احكام القرآن للشافعي (٢ : ٩ - ١٩) .

اليك السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا" فكانت هذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين منذ هاجر الى المدينة الى ان نزلت سورة براءة وذلك بعد ثمان من الهجرة قاموا لله تعالى فيها بقتال جميع المشركين من اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال صلى الله عليه وسلم في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب الا من كان له عهد عند النبي صلى الله عليه وسلم فان الله اتمه له الى مدته فقال " الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين وفرض الله عز وجل الجهاد حينئذ على جميع المسلمين كافة فقال تعالى " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة" واعلموا ان الله مع المتقين (١) .

وقال ابن تيمية (. . . . فكان النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر مأمورا ان يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي احسن ويجاهدهم بالقرآن جهادا كبيرا قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية " فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا" وكان مأمورا بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر الى المدينة وصار له بها اعوان اذن له في الجهاد ثم لما قوا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سألهم لانهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت اليه وفود العرب بالاسلام امره الله تعالى بقتال الكفار كلهم الا من كان له عهد مؤقت وامره بنبيذ العهد المطلقة . . .) (٢) .

(١) مقدمات ابن رشد (١ : ٣٧١ - ٣٧٢) .
 (٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١ : ٧٤) .

وقال ابن القيم (فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وايده الله بنصره بعباده المؤمنين الانصار والف بين قلوبهم بعباد العداوة والاحن التي كانت بينهم فمنعته انصار الله وكتيبة الاسلام من الاسود والاحمر وبذلوا نفوسهم دونه وقدما محبته علي محبة الابناء والابناء والازواج وكان اولي بهم من انفسهم . رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فاذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم فقال تعالى " اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير" ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرما ثم ما ذونا به ثم ما مورا به لمن بدأهم بالقتال ثم ما مورا به لجميع المشركين اما فرض عليه علي احد القولين او فرض كفاية علي المشهور (١) .

قلت وقد استقر امر الجهاد علي المرحلة الاخيرة التي ذكرت في سورة التوبة وهي قتال المشركين حتى يسلموا وقتال اهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا او يدفعوا الجزية مع الذل والصغار قال ابن القيم (. . . . فاستقر امر الكفار معه بعد نزول براءة علي ثلاثة اقسام محاربين له واهل عهد واهل ذمة ثم الت حال اهل العهد والصلح الي الاسلام فصاروا معه قسمين محاربين واهل ذمة) (٢) .

وروي الحاكم عن علي بن عبد الله بن عباس قال سمعت ابي يقول سألت علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها امان (٣) . وقال ابن كثير عند تفسير سورة التوبة (هذه السورة

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٦٩ - ٧١) .

(٢) زاد المعاد (٣ : ١٦٠) .

(٣) المستدرك للحاكم (٢ : ٣٣٠) .

الكريمة من اواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال البخاري حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن ابي اسحاق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة^(١) .

قلت ولكن سورة براءة المقررة لحكم المرحلة الاخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولا اعتبر علماء السلف ان المرحلة الاخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل قال ابن العربي (قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم . . . الاية ناسخ لمائة واربعة عشر آية)^(٢) . والقول بالنسخ مروى عن الضحاك بن مزاحم والربيع بن انس ومجاهد^(٣) وابو العالية^(٤) والحسين بن الفضل^(٥) وابن زيد^(٦) وموسى بن عقبة^(٧) وابن عباس^(٨) والحسن وعكوة وقتادة^(٩) وابن الجوزي^(١٠) وعطاء^(١١) . وكذلك قال بالنسخ ابن تيمية والشوكاني^(١٢) والقرطبي^(١٣) وجمع من

-
- (١) تفسير ابن كثير (٤: ٤٤) .
 - (٢) احكام القرآن لابن العربي (١: ٢٠١) .
 - (٣) ابن كثير (٤: ٥٥) .
 - (٤) البغوى (١: ١٦٨) .
 - (٥) فتح القدير للشوكاني (١: ١٩١) .
 - (٦) القرطبي (٨: ٧٣) .
 - (٧) القرطبي (٢: ٣٣٩) .
 - (٨) الجصاص (٣: ٨١) .
 - (٩) فتح القدير (١: ٤٩٧) .
 - (١٠) زاد المسير لابن الجوزي (٣: ٣٧٦) .
 - (١١) البغوى (٣: ١٢٢) .
 - (١٢) الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (ص ٢٦) .
 - (١٣) فتح القدير للشوكاني (١: ٢٧٥) .
 - (١٤) تفسير القرطبي (٢: ٣٣١) .

العلماء في شتى العصور الاسلامية يقول صد يق حسن البخارى (وماورد
في موادعتهم او في تركهم اذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ بانفاق
المسلمين) .^(١)

وذكر ابن تيمية عن موسى بن عقبة عن الزهري كانت سيرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عدوه قبل ان تنزل براءة يقاتل من قاتله
ومن كف يده وعاهده كف عنه قال الله تعالى " فان اعتزلوكم فلم
يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا" وكان القرآن
ينسخ بعضه بعضا فاذا انزلت آية نسخت التي قبلها وعمل بالتي انزلت
وبلغت الاولي منتهى العمل بها وكان ماقد عمل بها قبل ذلك طاعة
لله حتى نزلت براءة^(٢) .

وادي الزركشي انه ليس في مراحل الجهاد نسخ بل يعمل
بكل مراحل عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها وعاب على
من قال بالنسخ اذ قال (قسم بعضهم النسخ من وجه آخر الى ثلاثة
اضرب الثالث : ما امر به لسبب ثم يزول السبب كالامر حين
الضعف والقلّة بالصبر وبالمفطرة للذين لا يرجون لقاء الله ونحوه من
عدم ايجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم
نسخه ايجاب ذلك وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وانما هو نسيء كما
قال تعالى " او نسيها" فالمنسأ هو الامر بالقتال الى ان يقوى
المسلمون . وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الاذى ،
وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الايات
الامرة بالتخفيف انها منسوخة بآية السيف وليست كذلك بل هي من
المنسأ بمعنى ان كل امر ورد يجب امثاله في وقت ما لعله توجب ذلك
الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر وليس بنسخ انما
النسخ الازالة حتى لا يجوز امثاله ابدأ^(٣) .

- (١) الروضة الندية (٢ : ٣٣٣) .
(٢) الصارم السلول لابن تيمية (١٠٣) .
(٣) البرهان للزركشي (٢ : ٤١ - ٤٢) .

واتى السيوطي في كتابه الاتقان بكلام الزركشي هذا غير انه لم ينسبه له^(١) مع انه ذكر في كتابه الاكليل بان آية السيف ناسخة لآيات العفو والصفح والمصالحة^(٢).

والحقيقة ان الزركشي رحمه الله صادق في قوله ان مراحل الجهاد يعمل بها في الظروف المشابهة للظروف التي شرعت فيها مخطيء في تضعيفه لاقوال السلف القائلين بالنسخ لان السلف لا يقصدون بالنسخ المعنى الذي هو يقصده " وهو الازالة حتى لا يجوز امثاله ابدأ " وانما يقصدون معنى اعم واشمل من ذلك فان النسخ عندهم يشمل التقييد والبيان والتخصيص ونحو ذلك فليس للزركشي ان يحاكم السلف الى اصطلاح المتأخرين وهذه غفلة منه رحمه الله عن قصد السلف بالنسخ يقول ابن تيمية عن مفهوم النسخ عند السلف (. . . .) ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الا بآية اخرى تفسرها وتنسخها او بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القران وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون معارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد لا يفهم منها . وقد فهمه منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الابهام والافهام نسخا وهذه التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم واصل ذلك من القاء الشيطان ثم يحكم الله آياته فما القاه الشيطان في الازهان من ظن دلالة الآية على معنى لم يدل عليه سمي هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخا كما سموا قوله تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم " ناسخا لقوله " فاتقوا الله حق تقاته " وقوله " لا يكلف الله نفسا الا وسعها " ناسخا لقوله " ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء " وامثال ذلك مما

(١) انظر الاتقان للسيوطي (٣ : ٦٦) .

(٢) انظر الاكليل في استنباط التنزيل (ص ١١٦) .

ليس هذا موضع بسطه^(١) . وقد رجح بعض العلماء في العصور المتأخرة ما ذهب اليه الزركشي^(٢) ، لنا منهم ان قول السلف يخالف قول الزركشي في العمل بمراحل الجهاد والحقيقة ان الخلاف بين الزركشي وعلماء السلف هو في مسمى النسخ لافي العمل بمراحل الجهاد والا فالسلف لا يكلفون المستضعف من المسلمين الذي حاله مشابهة لحال الرسول في مكة بالقتال وانما الواجب عليه ان يجتهد لكي يصل الي حال قسوة يجاهد فيها الكفار لان الحال التي توفى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم هي تمام الدين التي يجب على المسلمين بذل قصارى الجهاد لتحقيقها في الواقع البشرى واليك اقوال السلف المؤيدة لهذا .

قال ابن حجر - عند الكلام على مهادة الكفار بما لا يدفعه المسلمون لهم في حال الضرورة - (واما اصل المسألة فاختلف فيه فقال الوليد بن مسلم سألت الاوزاعي عن موادة امام المسلمين اهل الحرب علي ما يؤديه اليهم فقال لا يصلح ذلك الا عن ضرورة كسغل المسلمين عن حربهم قال ولا بأس ان يصلحهم علي غير شيء يؤدي ونه اليهم كما وقع في الحديبية . وقال الشافعي اذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادة نتمهم علي غير شيء يعطونهم لان القتل للمسلمين شهادة وان الاسلام اعز من ان يعطى المشركون علي ان يكفوا عنهم الا في حالة مخافة اصطلام المسلمين لكثرة العدو لان ذلك من معاني الضرورات وكذلك اذا اسر رجل مسلم فلم يطلق الا بفدية جاز^(٣) . وقال ابن قدامة (. . . . لا تجوز المهادة مطلقا من غير تقدير مدة لانه يفضي الي ترك الجهاد بالكلية^(٤) وتجوز مهادة نتمهم

-
- (١) مجموع الفتاوى (١٣ : ٣٠) .
 (٢) انظر في ظلال القرآن (٣ : ١٥٩٠) ومناهل العرفان للزرقاني (٢ : ١٥٠) .
 (٣) فتح الباري لابن حجر (٦ : ١٩٨) .
 (٤) بعض العلماء كابن تيمية وابن القيم يرى جواز المهادة من غير تقدير مدة لكنهم يرون انها عقد جائز غير لازم للمسلمين فسخه اذا رآوا المصلحة في ذلك . انظر الجواب الصحيح (١ : ٧٤) وزاد المعاد (٣ : ٧٠) .

علي غير مال لان النبي صلى الله عليه وسلم هاد نهم يوم الحد يبيية
علي غير مال ويجوز ذلك علي مال يأخذه منهم فانها اذا جازت علي
غير مال فعلي مال اولي واما ان صالحهم علي مال نبذله لهم فقد اطلق
احمد القول بالمنع منه وهو مذنب الشافعي لان فيه صفارا للمسلمين
وهذا محمول علي غير حالة الضرورة فاما اذا دعت اليه ضرورة وهو ان
يخاف علي المسلمين الهلاك او الاسر فيجوز لانه يجوز للاسير فداء
نفسه بالمال فكذا ههنا ولان بذله المال ان كان فيه صفار فانسه
يجوز تحمله لدفع صفار اعظم منه وهو القتل والاسر وسبي الذرية
الذين يفضى سببهم الي كفرهم (١).

وقال ابو حنيفة (لا ينيى مادة اهل الشرك اذا كان
بالمسلمين عليهم قوة وان لم يكن بالمسلمين قوة عليهم فلا بأس بالمادة
وقال الشيباني - بعد ذكره لكلام ابي حنيفة هذا - واذا خاف المسلمون
المشركين فطلبوا مواد عنهم فابى المشركون ان يوادعهم حتي يعطيهم
المسلمون علي ذلك ما لا فلا بأس بذلك عند تحقق الضرورة (٢).

وقال ابن جزى الفرناطي المالكي (. . . لا يجوز الانصراف
من صف القتال ان كان فيه انكسار المسلمين وان لم يكن فيجوز
لمتحرف لقتال او تحيز للى فئة والتحرف للقتال هو ان يظهر الفرار
وهو يريد الرجوع مكيدة في الحرب والتحيز الي الجماعة الحاضرة
جائز واختلف في التحيز الي جماعة غائبة من المسلمين او مدينة ولا يجوز
الانهزام الا اذا زاد الكفار علي ضعف المسلمين والمعتبر العدد فسي
ذلك علي المشهور وقيل القوة وقيل اذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر
فما لم يحل الانهزام ولو زاد الكفار علي الضعف . وان علم المسلمون
انهم مقتولون فالانصراف اولي وان علموا مع ذلك انهم لا تأثير لهم فسي

(١) المغني لابن قدامة (٨: ٤٥٩ - ٤٦١) .

(٢) شرح السير الكبير للسرخسي (ص ١٦٨٩ - ١٦٩٢) .

نكاية العدو ووجب الفرار وقال ابو المعالي لا خلاف في ذلك (١) . فهذه الاقوال التي سلفت من مذاهب الائمة الاربعة وغيرهم تبين ان مقصود السلف بالنسخ في مراحل الجهاد ليس هو ازالة حكم المراحل حتى لا يجوز العمل بها مطلقا فان هذا من التكليف بما لا يطاق في حال الاستضعاف والله سبحانه يقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

يقول ابن تيمية (. . . فمن كان من المؤمنين بارض هو فيها مستضعف او في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عن يؤذى الله ورسوله من الذين اتوا الكتاب والمشركين واما اهل القوة فانما يعملون بآية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في دينهم وبآية قتال الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٢) .

وبهذا يتضح انه لا خلاف بين الزركشي ومن نحا نحوه كسيد قطب وغيره وبين السلف في حكم مراحل الجهاد واما الخلاف في مسمى النسخ يقول سيد قطب (والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت اليها الحركة الجهادية في الاسلام بامر من الله لا باوائل الدعوة ولا باوسطها) (٣) . ويقول عليه رحمة الله (ان تلك الاحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في اي ظرف من ظروف الامة المسلمة بعد نزول الاحكام الاخيرة في سورة التوبة ذلك ان الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والامكنة والازمنة هي التي تحدد - عن طريق الاجتهاد المطلق - اي الاحكام هو انسب للاخذ به في ظرف من الظروف في زمان من الازمنة في مكان من الامكنة مع عدم نسيان الاحكام الاخيرة التي يجب ان يصار اليها متى اصبحت الامة الاسلامية في الحال التي تمكثها من تنفيذ هذه الاحكام كما كان

-
- (١) القوانين الفقهية لابن جزي (ص ١٢٨) .
 (٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٢٢١) .
 (٣) في ظلال القرآن (٣ : ١٤٣٦) .

حاليها عند نزول سورة التوبة وما بعد ذلك ايام الفتوحات الاسلامية التي قامت على اساس من هذه الاحكام الاخيرة النهائية سواء في معاملة المشركين او اهل الكتاب ان المهزومين في هذا الزمان امام الواقع البائس لذراري المسلمين - الذين لم يبق لهم من الاسلام الا العنوان - وامام الهجوم الاستشراقي الماكر على اهل الجهاد في الاسلام يحاولون ان يجدوا في النصوص المرحلية مهربا من الحقيقة التي يقوم عليها الانطلاق الاسلامي في الارض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد وردهم جميعا الى عبادة الله وحده وتحطيم الطواغيت والانظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير الله والخضوع لسلطان غير سلطانه والتحاكم الى شرع غير شرعه . ومن ثم نراهم يقولون مثلا ان الله سبحانه يقول " وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله " ويقول " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم " فالاسلام اذن لا يقاتل الا الذين يقاتلون اهل دار الاسلام في داخل حدود هذه الدار او الذين يهددونها من الخارج . وانه قد عقد صلح الحديبية مع المشركين وانه قد عقد معاهدة مع يهود المدينة ومشركيها . ومعنى ذلك في تصورهم المهزوم ان لاطلاقه للاسلام اذن بسائر البشر في انحاء الارض ولا عليه ان يتخذ الناس بعضهم بعضا اربابا من دون الله ففي الارض كلها مادام هو آمنة داخل حدوده الاقليمية . وهو سوء ظن بالاسلام وسوء ظن بالله سبحانه تمليه الهزيمة امام الواقع البائس النكد الذي يواجههم وامام القوى العالمية المعادية التي لا طاقة لهم بها في اللحظة الحاضرة . وهان الامر لو انهم حين يهزمون روحيا امام هذه القوى لا يحيلون هزيمتهم الى الاسلام ذاته ولا يحملونه على ضعف واقصمهم الذي جاءهم من بعدهم عن الاسلام اصلا ولكنهم يابون الا ان يحطوا بضعفهم وهم وهزيمتهم على دين الله القوي المتين . ان هذه النصوص التي يلتجئون اليها نصومي مرحلية تواجه واقعا معيننا

وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الامة المسلمة وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية لان واقعها يقرر انها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الاحكام . ولكن هنا ليس معناه ان هذه هي غاية المنى وان هذه نهاية خطوات هذا الدين . . . انما معناه ان علي الامة المسلمة ان تضي قدما في تحسين ظروفها وفي ازالة الصوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الاحكام النهائية الواردة في سورة التوبة والتي كانت تواجه واقعا غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية . ان النصوص الاخيرة تقول في شأن المشركين " براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الي الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الي مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه ما منه ذلك بانهم قوم لا يعلمون" . . . وتقول في شأن اهل الكتاب " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يصطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" . فاذا كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الاحكام فهم - اللحظة ومؤقتا - غير مكلفين بتحقيقها - ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولهم في الاحكام المرحلية سعة يتدربون معها حتى ينتهوا الي تنفيذ هذه الاحكام الاخيرة عند ما يكونون في الحال التي يستطيعون

معها تنفيذها . . . ولكن عليهم الا يلجأوا اعناق النصوص النهائية لتوافق احكام النصوص المرحلية وعليهم الا يحطوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوى المتين وعليهم ان يتقوا الله في مسخ هذا الدين واصابته بالهزال بحجة انه دين السلم والسلام . انه دين السلم والسلام فعلا ولكن على اساس انقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله وادخال البشرية كافة في السلم كافة انه منهج الله هذا الذي يريد البشر على الارتفاع اليه والاستمتاع بخيره وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الدعون اليه من اعلان ان هدفهم الاخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لاطلاق الحرية للناس افرادا في اختياره . . . انه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد وحين تكون الانظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد ايضا فانه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في ان يعيش داخل حدوده آمنا مادام انه لا يعتدى على حدود الاخرين ويصبح من حق هذه المذاهب والانظمة والاوزاع المختلفة ان تتعايش والايحاول احدها ازالة الاخر . فاما حين يكون هناك منهج الهى وشريعة ربانية ووضع العبودية فيه لله وحده وتكون الي جانبه مناهج ومذاهب واوزاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد فان الامر يختلف من اساسه ويصبح من حق المنهج الالهى ان يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد ويتركهم احرارا في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة لله وحده والمهزومون الذين يحاولون ان يلجأوا اعناق النصوص ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه فسي انطلق الاسلام وراء حدوده الاولى ليحرر البشر في الارض كلها من العبودية لغير الله ينسون هذه الحقيقة الكبرى وهي ان هناك منهجا ربانيا العبودية فيه لله وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد (١)

(٣) اهداف الجهاد وفاقته .

ان للجهاد حكما بالغة واهدافا جليلة لان الذى شرعه هو العليم الخبير فمادام ان الأمر به هو الحكيم فالحكمة والمصلحة ثابتة فيه قطعاً وتلمس حكمة الجهاد لا يتوقف القيام به على معرفتها عند المسلم الصادق . فان مقتضى العبودية ان ينفذ العبد امر سيده عرف حكمته او لم يعرف ولكن معرفة الحكمة تقوى العزائم وتشحذ الهمم وتيسر امر التكليف على المكلفين ونحو ذلك من الفوائد والمصالح ولخرج الى ما امرنا الله بالرجوع اليه - الكتاب والسنة - تأخذ منهما اهداف الجهاد وفاقته .

الهدف الرئيسى هو تعبيد الناس لله وحده واخراجهم من العبودية للعباد الى العبودية لرب العباد وازالة الطواغيت كلها من الارض جميعا واخلاء العالم من الفساد وذلك لان خضوع البشر لبشر مثلهم وتقديم انواع العبادة لهم من الدعاء والنذر والذبيح والتعظيم والتشريع والتحاكم هو اساس فساد الاجيال المتعاقبة من لدن نوح عليه السلام الى يومنا هذا وهو انحراف بالفطرة السوية عما خلقها الله عليه من التوحيد كما قال صلى الله عليه وسلم عن الله قال انى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا . . . الحديث (١) . فهدف الجهاد الاسلامى الاكبر هو ارجاع البشر الى الاصل وهو الملة الحنيفية التى تخضعهم لرب العالمين وتجعلهم يستمدون منه سبحانه منهج حياتهم الدينية ويعبدونه كما امر ولا يعبدون احدا غيره وهذا الخضوع لله هو الذى يحقق لهم السعادة والفلاح فى الدنيا والاخرة . يقول سيد قطب رحمه الله

(١) صحيح مسلم مع النووى (١٧ : ١٩٨) .

تحت عنوان منهج متفرد (والان يقول قائل اذا كان الاسلام وهو منهج الله للحياة البشرية لا يتحقق في الارض وفي دنيا الناس الا بالجهد البشرى وفي حدود الطاقة البشرية وفي حدود الواقع المادى للحياة الانسانية في البيئات المختلفة فما ميزته اذن على المناهج البشرية التي يضحها البشر لانفسهم ويبلغون منها ما يبلغه جهدهم فسبى حدود طاقتهم وواقعهم ولماذا يجب ان نحاول تحقيق ذلك المنهج وهو يحتاج الى الجهد البشرى ككل منهج فلا يتحقق منه شىء بمعجزة خارقة ولا يقهر الا هي ملزم وهو يتحقق في حياة الناس في حدود فطرتهم البشرية وطاقتهم العادية واحوالهم الواقعية . ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج ابتداءً لنحقق لانفسنا صفة الاسلام نركن الاسلام الاول : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وشهادة ان لا اله الا الله معناها القريب افراد الله سبحانه بالالوهية وعدم اشراك احد من خلقه معه في خاصية واحدة من خصائصها واولى خصائص الالوهية حق الحاقية المطلقة الذى ينشأ عنه حق التشريع للعباد وحق وضع المناهج لحياتهم وحق وضع القيم التي تقوم عليها هذه الحياة . شهادة " ان لا اله الا الله " لا تقوم ولا تتحقق الا بالاعتراف بان لله وحده حق وضع المنهج التي تجرى عليه الحياة البشرية والا بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لاسباب تتعلق بالمنهج ذاته فهو وحده المنهج الذى يحقق كرامة الانسان ويمنحه الحرية الحقيقية ويطلقه من العبودية . هو وحده الذى يحقق لله التحرر الكامل الشامل المطلق في حدود انسانيته وعبوديته لله التحرر من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس وما من منهج آخر في الارض يحقق هذه الخاصية الا الاسلام ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لانه وحده المنهج المبرأ من نتائج الجهل الانساني والقصور الانساني براءته من نتائج الضعف البشرى فواضعه هو خالق هذا الكائن الانساني العليم بما يصلحه ويصلح له وهو

المطلع على خفايا تكوينه وتركيبه وخفايا الملايسات الارضية والكونية كلها
في مدى الحياة البشرية كذلك).^(١)

والادلة على ان هدف الجهاد الاكبر (تعبيد الناس لله وحده
واخراجهم من العبودية للعباد وازالة الطواغيت كلها من الارض واخلاء
العالم من الفساد) كثيرة جدا يقول الله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) .^(٢) ويقول
تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان
الله بما يعملون بصير)^(٣) قال ابن كثير (ثم امر تعالى بقتال الكفار حتى
لا تكون فتنة اى شرك قاله ابن عباس وابوالعالية ومجاهد والحسن
وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدى وزيد بن اسلم ويكون الدين لله
اى يكون دين الله هو الظاهر على سائر الاديان) .^(٤) وقال ابن
الجوزى (ويكون الدين لله قال ابن عباس اى يخلص له التوحيد) .^(٥) وقال
ابن جرير الطبرى (فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد الا الله وحده
لاشريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الارض وهو الفتنة ويكون الدين
كله لله وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) .^(٦) وقال
الشوكاني (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فيه الامر بمقاتلة المشركين السى
غاية هي الاتكون فتنة وان يكون الدين لله وهو الدخول فى الاسلام
والخروج عن سائر الاديان المخالفة له فمن دخل فى الاسلام واقطع عن
الشرك لم يحل قتاله)^(٧) .

(١) هذا الدين لسيد قطب (ص ١٥ - ٢٠) .

(٢) البقرة : ١٩٣

(٣) الانفال : ٣٩

(٤) ابن كثير (١ : ٣٢٩) .

(٥) زاد المسير (١ : ٢٠٠) .

(٦) تفسير الطبرى (١٣ : ٥٣٧) .

(٧) فتح القدير للشوكاني (١ : ١٩١) .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ^(١) . ويقول صلى الله عليه وسلم " امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ولا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحسب الاسلام وحسابهم على الله ^(٢) . ويقول صلى الله عليه وسلم " بعثت بسنين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امرى ^(٣) وقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرا في حس الصحابة رضي الله عنهم اثناء معاركهم مع اعداء الله ففي صحيح البخارى عن جبير بن حية قال فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى اذا كنا بارض العدو وخرج علينا عامل كسرى في اربعين الفا فقام ترجمان فقال ليكلمنى رجل منكم فقال المخرة سل عما شئت قال ما انتم قال نحن اناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نص الجلد والنوى من الجوع وتلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينما نحن كذلك اذ بعث رب السموات ورب الارضين تعالى ذكره وجلت عظمته اليها نبيا من انفسنا نعرف اباه واه فامرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم ان نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده او تؤدوا الجزية واخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا انه من قتل منا صار الى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط ومن بقى منا ملك رقابكم ^(٤) . وذكر ابن كثير قصة ربحى بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد بن ابي وقاص الى رستم وفيها (. . .) فدخل عليه وقد زينوا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٩ : ١٣) .

(٢) صحيح البخارى مع الفتاح (٧٢ : ١) .

(٣) مجمع الزوائد (٤٩ : ٦) وقال رواه احمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وغيره وضعفه احمد وغيره وبقيه رجاله ثقات .

(٤) صحيح البخارى مع الفتاح (١٩٠ : ٦) .

مجلسه بالنمارق المذهبية والزرابي الحرير واظهر اليواقيت والالاسىء
الشمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الامتعة الشمينة وقد جلس
على سرير من ذهب ودخل ربيى بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة
ولم يزل راكبا حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض
تلك الوسائد واقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا لــــه
ضع سلاحك فقال انى لم اتم وانما جئتم حين دعوتمنى فان تركتمونى
هكذا والارجعت فقال رستم ائذنا لهما قبل يتوكأ على رمح فوق النمارق
فخرق عامتها فقالوا لهما اجاء بكم ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء
من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن
جور الاديان الى عدل الاسلام فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن
قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن ابى قاتلناه ابداحى نفضى الى
موعود الله قالوا وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من ابى
والظفر لمن بقى . . . (١)

وهذا الهدف السامى - المتضمن لاعلاء كلمة الله وهى الاسلام
واقامة سلطان الله فى الارض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى واخلاء
العالم من الفساد الاكبر الذى هو الشرك وماينتج عنه وازالة الطواغيت
الذين يحولون بين الناس وبين الاسلام ويعبدونهم لغير الله - موضع
اتفاق بين علماء الاسلام وهامى ثلثة من اقوالهم .

يقول الشافعى (فدل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
ان فرض الجهاد انما هو على ان يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى
يجتمع امران : احدهما ان يكون بازاء العدو والمخوف على المسلمين من
يمنعه .

والاخر : ان يجاهد من المسلمين من فى جهاده كفاية حتى

(١) البداية لابن كثير (٣٩:٧) .

يسلم اهل الاوثان او يعطي اهل الكتاب الجزية (١) .

ويقول محمد بن الحسن " فرضية القتال المقصود منها اعزاز الدين وقهر المشركين (٢) ويقول ابن القيم (والمقصود من الجهاد انما هو ان تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله فان من كون الدين كله لله اذلال الكفر واهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوساهله والرق على رقابهم فهذا من دين الله ولا يناقض هذا الا ترك الكفار على عزهم واقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة (٣) .

ويقول ابن عبد البر المالكي (يقاتل جميع اهل الكفر من اهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (٤) .

ويقول سيد قطب (ان بواعث الجهاد في الاسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الاسلام ذاته ودوره في هذه الارض واهدافه العليا التي قررها الله وذكر الله انه ارسل من اجلها هذا الرسول بهذه الرسالة وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات . ان هذا الدين اعلان عام لتحرير الانسان في الارض من العبودية للعباد - ومن العبودية لهواه ايضا وهي من العبودية للعباد - وذلك باعلان الوهية الله وحده سبحانه وربوبيته للعالمين ان اعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها واشكالها وانظمتها واطرافها والتمرد الكامل على كل وضع في ارجاء الارض الحكم فيه للبشر بصورة ممن

-
- (١) الام للشافعي (٤ : ١٦٧) .
 (٢) السير الكبير للشيباني (١ : ١٨٨) .
 (٣) احكام اهل الذمة لابن القيم (١ : ١٨) .
 (٤) (ص ٤٦٦) من كتاب الكافي في فقه اهل المدينة المالكي للحافظ ابن عبد البر .

الصور او بتعريف آخر مرادف الالهية فيه للبشر في صورة من الصور ذلك
 ان الحكم الذي مرد الامر فيه الى البشر ومصدر السلطات فيه هم البشر
 هو تأليه للبشر يجعل بعضهم لبعض اربابا من دون الله . ان هذا
 الاعلان معناه انتزاع سلطان الله المنتصب ورده الى الله وطرد
 المفتصبين له الذين يحكمون الناس بشرائع من عند انفسهم فيقومون منهم
 مقام الارباب ويقوم الناس منهم مقام العبيد ان معناه تحطيم مملكة
 البشر لاقامة مملكة الله في الارض او بالتعبير القرآني الكريم : " وهو الذي
 في السماء اله وفي الارض اله " ، " ان الحكم الا لله امر الاتعبد وا الاياه"
 ذلك الدين القيم" ، " قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
 وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا
 من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون" . ومملكة الله في
 الارض لا تقوم بان يتولى الحاكمة في الارض رجال باعيانهم هم رجال
 الدين كما كان الامر في سلطان الكنيسة والرجال ينطقون باسم الالهة
 كما كان الحال في ما يعرف باسم " الشيوقراطية" او الحكم الالهي المقدس
 ولكنها تقوم بان تكون شريعة الله هي الحاكمة وان يكون مرد الامر الى
 الله وفق ماقرره من شريعة مبينة . وقيام مملكة الله في الارض وازالة مملكة
 البشر وانتزاع السلطان من ايدي مفتصبيه من العباد ورده الى الله
 وحده وسيادة الشريعة الالهية وحدها والقوانين البشرية ككل
 اولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان لان المتسلطين على رقاب العباد
 المفتصبين لسلطان الله في الارض لا يسلمون في سلطانهم بمجرد
 التبليغ والبيان والانما كان ايسر عمل الرسل في اقرار دين الله في
 الارض وهذا عكس ما عرفه تاريخ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتاريخ هذا
 الدين على مر الاجيال . ان هذا الاعلان العام لتحرير الانسان في
 الارض من كل سلطان غير سلطان الله باعلان الوهية الله وحده وربوبيته
 للعالمين لم يكن اعلانا نظريا فلسفيا سلبيا انما كان اعلانا حركيا واقعيًا

ايجابيا اعلانا يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد الى العبودية لله وحده بلا شريك . ومن ثم لم يكن بد من ان يتخذ شكل الحركة الى جانب شكل البيان ذلك ليواجه الواقع البشرى بكل جوانبه بوسائل مكافئة لكل جوانبه والواقع الانساني امس واليوم وغدا يواجه هذا الدين بوصفه اعلانا عاما لتحرير الانسان في الارض من كل سلطان غير سلطان الله بعقبات اعتقادية تصورية وعقبات مادية واقعية عقبات سياسية واجتماعية واقتصادية وعنصرية وطبقية الى جانب عقبات العقائد المنحرفة والتصورات الباطلة وتختلط هذه بتلك وتتفاعل معها بصورة معقدة شديدة التعقيد واذا كان البيان يواجه العقائد والتصورات فان الحركة تواجه العقبات المادية الاخرى وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم على العوامل الاعتقادية التصورية والعنصرية والطبقية والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة وهما معا - البيان والحركة - يواجهان الواقع البشرى بجملة بوسائل مكافئة لكل مكوناته وهما معا لا بد منهما لانطلاق حركة التحرير للانسان في الارض الانسان كله في الارض كلها وهذه نقطة هامة لا بد من تقريرها مرة اخرى .

ان هذا الدين ليس اعلانا لتحرير الانسان العربي وليس رسالة خاصة بالعرب ان موضعه هو الانسان نوع الانسان ومجاله هو الارض كل الارض ان الله سبحانه ليس ربا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتقدون العقيدة الاسلامية وحدهم ان الله هو رب العالمين وهذا الدين يريد ان يرد العالمين الى ربهم وان ينتزعهم من العبودية لغيره والعبودية الكبرى فهي نذر الاسلام هي خضوع البشر لاحكام يشرعها لهم ناس من البشر وهذه هي العبادة التي يقرر انها لا تكون الا لله وان من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى انه في هذا الدين ولقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الاتباع في الشريعة

والحكم هو العبادة التي صار بها اليهود والنصارى شركين مخالفين لما امروا به من عبادة الله وحده اخرج الترمذي باسناده عن عدى بن حاتم رضى الله عنه انه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فاسرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على اخته واعطاها فرجعت الي اخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحدث الناس بقدمه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقه (اى عدى) صليب من فضة وهو (اى النبي صلى الله عليه وسلم) يقرأ هذه الآية " اتخذوا احوالهم وديانهم اربابا من دون الله " قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم " . وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله سبحانه نص قاطع على ان الاتباع في الشريعة والحكم هو العبادة التي تخرج من الدين وانها هي اتخاذ بعض الناس اربابا لبعض الامر الذي جاء هذا الدين ليلفيه ويعلم تحرير الانسان في الارض من عبودية لغير الله ومن ثم لم يكن بد للاسلام ان يتطرق في الارض لازالة الواقع المخالف لذلك الاعلان بالبيان وبالحركة مجتمعين وان يوجه الضربات للقوى السياسية التي تعبد الناس لغير الله اى تحكمتهم بغير شريعة الله وسلطانها والتي تحول بينهم وبين الاستماع الى البيان واعتناق العقيدة بحرية لا يتعرض لها السلطان ثم لكي يقيم نظاما اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا يسمح لحركة التحرر بالانطلاق الفعلي بعد ازالة القوة المسيطرة سواء كانت سياسية بحتة او متلبسة بالعنصرية او الطبقية داخل العنصر الواحد (١) .

ويقول ابو الاعلى المودودي (ان دعوة الاسلام الى التوحيد وعبادة الله الواحد لم تكن قضية كلامية او عقيدة لاهوتية فحسب شأن غيره من

(١) في ظلال القرآن (٣: ١٤٣٣ - ١٤٣٥) .

النحل والملل بل الامرانها كانت دعوة الى انقلاب اجتماعي ارادت فسى اول ما ارادت ان تقطع دابر الذين تسنموا ذروة الالوهية واستعبدوا الناس بحيلهم ومكايدهم المختلفة فمنهم من تبوأ مناصب السدنة والكهان ومنهم من استأثر بالملك والامرة وتحكم فسى رقاب الناس ومنهم من استبد بمنابع الثروة وخيرات الارض وجعل الناس عالة عليهم يتكفون ولا يجدون ما يتبلغون به فارادت دعوة الاسلام ان تقطع دابرهم جميعا وتستأصل شأفتهم استئصالا وهؤلاء تارة تسنمواقمة الالوهية جهرا وعلانية وارادوا ان يقهروا من حولهم من الناس على ان يذعنوا لامرهم وينقادوا لجبروتهم مستدين الى حقوقهم التي ورثوها عن آباءهم او استأثرت بها الطبقة التي ينتمون اليها فقالوا " ما علمت لكم من اله غيرى " ، و " انا ربكم الاعلى " و " انا احبى واميت " و " من اشد مناقرة الى غيرها من كلمات الاستكبار ودعاوى الالوهية التي تفوهوا بها وتجاسروا عليها بنفيا وعد وانا .

وطورا استغلوا جهل الدهماء وسفههم فاتخذوا من الامنام والتماثيل والهياكل الهة يدعون الناس ويريدونهم على اداء مظاهر العبودية امام هذه التماثيل والهياكل متوارين بانفسهم من ورائها يلعبون بعقول الناس ويستعبدونهم لاغراضهم وشهواتهم وهم لا يشعرون فيتبين من ذلك ان دعوة الاسلام الى التوحيد واخلاص العبادة لله الواحد الاحد وتنديده بالكر والشرك بالله واجتناب الاوثان والطواغيت كل ذلك يتنافى ويتعارض مع الحكومة^(١) والعاملين عليها المتصرفين فسى امورها والذين يجدون فيها سندا لهم وعونا على قضاء حاجاتهم واغراضهم ومن ثم ترى انه كلما قام نبي من الانبياء يجاهر الناس بالدعوة وخاطبهم قائلا " يا قوم اعبدا الله مالكم من اله غيره " قامت فى وجهه الحكومات المتمكنة فى عصره وثار عليه جميع من كانوا يستغلون خيرات

(١) يريد الحكومة التي تستعبد البشر من دون الله وتحلل وتحرم من عند نفسها .

البلاد ويستثمرونها ظالما وعد وانا خرجت تقاومه وتضع في سبيل الدعوة
 العقبات وذلك ان هذه الدعوة لم تكن مجرد بيان لعقيدة كلامية
 او شرح لمسألة من مسائل الالهيات وانما كانت نداء لانقلاب اجتماعي
 عالمي ماكانت بوادره لتخفي على المستأثرين بمناصب العز والجاه
 المستبدين بمناصب الثراء ممن يشمون راحة الاضطراب السياسي قبل
 حدوثة باعوام ، ان الاسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية
 وجملة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين في هذه الايام
 بل الحق انه نظام شامل يريد ان يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة
 الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهجا
 معتدلا يرى انه خير للانسانية من النظم الاخرى وان فيه نجاة
 للجنس البشري من ادواء الشر والظلم وسعادة له وفلاحا في العاجلة
 والاجلة معا ودعوته في هذا السبيل سبيل الاصلاح والتجديد والهدم
 والبناء عامة للجنس البشري كافة لاتختص بامة دون امة او طائفة
 دون طائفة فهو يدعو بني آدم جميعا الى كلمته حتى انه يهيب
 بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في ارضه واستأثروا
 بخيرات الارض دون سائر الناس يهيب بالملوك والامراء انفسهم
 وينادي بهم قائلا لاتطفوا في الارض وادخلوا في كنف حدود الله التي
 حدوها لكم وكفوا ايديكم عما نهاكم الله عنه وحذرکم اياه فان اسلمتم
 لامر الله ودينه لنظام الحق والعدل الذي اقامه للناس خيرا وبركة فلکم
 الامن والدعة والسلامة فان الحق لا يعادي احدا وانما يعادي الحق
 الجور والفساد والفحشاء وان يتعدى الانسان حدوده الفطرية وابتغى
 ما وراء ذلك مما لا حلال له فيه حسب سنن الكون وفطرة الله التي فطر
 الناس عليها فكل من آمن بهذه الدعوة وتقبلها بقول حسن يصير اعضرا
 في الجماعة الاسلامية او الحزب الاسلامي لافرق في ذلك بين الاحمر
 منهم والاسود او بين الغني منهم والفقير لهم سواسية كاسنان

المشط لافضل لامة على امة او لطبقة على اخرى وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي او الاممي الذي سمي حزب الله بلسان الوحي ومما ان يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سبيل الغاية التي انشئ لاجلها فمن طبيعته وما يستدعيه وجوده ان لا يألو جهدا في القضاء على نظم الحكم التي اسس بنيانها على غير قواعد الاسلام واستتصال شأفتها وان يستنفذ مجهوده في ان يستبدل بها نظاما للعرمان والاجتماع معتدلا مؤسسا على قواعد ذلك القانون الوسط العدلي الذي يسميه القرآن الكريم " كلمة الله " فان لم يبذل هذا الحزب الجهد المستطاع ولم يسع سعيه وراء تغيير نظم الحكم واقامة نظام الحق نظام الحكم المؤسس على قواعد الاسلام ولم يجاهد حق جهاده في هذه السبيل فانتته غايته وقصر عن تحقيق البغية التي انشئ لاجلها فانه ما انشئ الا لادراك هذه الغاية وتحقيق هذه البغية بغية اقامة نظام الحق والعدل ولاغاية له ولاعمل الا الجهاد . " كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " ولا يظن احد ان هذا الحزب " حزب الله بلسان الوحي ^(١) مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين يعظون الناس في المساجد ويدعونهم الى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات ليس الا . . . ليس الامر كذلك وانما هو حزب انشأه الله ليحمل لواء الحق والعدل بيده ويكون شهيدا على الناس ومن مهمته التي القيت على كاهله من اول يوم ان يقضي على منابع الشر والعدوان ويقطع دابر الجور والفساد في الارض والاستغلال الممقوت وان يكبح جماح الالهة الكاذبة الذين تكبروا في ارض الله بغير الحق وجعلوا انفسهم اربابا من دون الله ويستأصل شأفة الوهيتهم ويقيم نظاما للحكم والعرمان صالحا

(١) كثيرا ما يرد مثل هذه اللفظة في عبارة بعض الكتاب المعاصرين ولا شك انه لم يرد لافى السنة ولا في الكتاب وصف الله بأن له لسانا والمنهج الاسلامي وصف الله بما ورد والتوقف عما لم يرد .

يتفياً ظلالة القصاصى والدانى والفنى والفقير والى هذا المعنى اشار الله تعالى فى غير واحدة من آى الذكو الحكيم .

" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " .

" الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير " .

" هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كله ولو كره المشركون " .

فتبين من كل ذلك ان هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية الامر ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم لان نظام العمران الفاسد لا يقوم الا على اساس حكومة مؤسسة على قواعد العدل وان الفساد فى الارض وكذلك ليس من الممكن ان يقوم نظام للحكم صالح ويؤتى اكله الا بعد ما ينتزع زمام الامر من ايدى الطفافة المفسدين ويأخذه بايد يهم رجـال يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا واضف الى ذلك ان هذا الحزب بصرف النظر عما يرمى اليه من اصلاح العالم وبث الخير والفضيلة فى انحاء الارض كافة لا يقدر ان يبقى ثابتا على خطته متمسكا بمنهاجه عاملا وفق مقتضياته مادام نظام الحكم قائما على اساس آخر سائرا على منهاج غير منهاجه وذلك ان حزبا مؤمنا بمبدأ ونظام للحياة والحكم خاص لا يمكن ان يعيش متمسكا بمبدئه عاملا حسب مقتضاه فى ظل نظام للحكم مؤسس على مبادئ وغايات غير المبادئ والغايات التى يؤمن بها ويريد السير على منهاجها فان رجلا يؤمن بمبادئ الشيوعية ان اراد ان يعيش فى بريطانيا او المانيا متمسكا بمبدئه سائرا فى حياته على البرنامج الذى تقرره الشيوعية فلن يتمكن من ذلك ابدا لان النظم التى تقررها الرأسمالية او الناتسية تكون مهيمنة عليه قاهرة بما اوتيت من سلطان فلا يمكنه ان يتخلص من براثنها اصلا . وكذلك اذا اراد المسلم ان يقضى حياته مستظلا بنظام للحكم مناقض لمبادئ الاسلام الخالدة ويوده ان يبقى متمسكا بمبادئ الاسلام سائرا وفق مقتضاه

في اعماله اليومية فلن يتسنى له ذلك ولا يمكنه ان ينجح في بغيته هذه
 ابدا لان القوانين التي يراها باطلة والضرائب التي يعتقد ها غرما
 ونهبها لاموال الناس والقضايا التي يحسبها جائرة عن الحق وافتئاتا
 على العدل والنظام التي يعرف انها مبعث الفساد في الارض ومناهج
 التحليم التي يجزم بوخامة عاقبتها وسوء نتائجها ويرى فيها هلاكا للامة
 يجد كل هذه مهيمنة عليه ومسيطرة على بيئته واهله واولاده بحيث لا يمكنه
 ان يتخلص من قيودها وينجو بنفسه واهله من اثرها ونفوذها فالذي يؤمن
 بعقيدة ونظام - فردا كان او جماعة - مضطر بطبيعة عقيدته وايمانه بها
 ان يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته
 ويبذل الجهد المستطاع في اقامة نظام للحكم مستند الى الفكرة التي
 يؤمن بها ويعتقد ان فيها سعادة للبشر لانه لا يتسنى له العمل
 بموجب عقيدته والسير على منهاجه الا بهذا الطريق واذا رأيت رجلا
 لا يسعى وراء غايته او ينفل عن هذا الواجب فاعلم انه كاذب في دعواه
 ولما يدخل الايمان في قلبه وبهذا المعنى ورد في التخريل " عفا الله
 عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
 لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم
 وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم
 الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون " واي شهادة اصدق
 واي حجة انصح من شهادة القرآن وحجته ففي هذه الايات من سورة
 براءة قد نص القرآن الكريم على ان الذي لا يلبي نداء الجهاد ولا يجاهد
 بماله ونفسه في سبيل اعلاء كلمة الله واقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه
 وتوطيد نظام الحكم المبني على قواعده فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله
 واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . لعلك تبينت مما
 اسلفنا اننا ان غاية الجهاد في الاسلام هي هدم بنيان النظم المناقضة
 لمبادئه واقامة حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام في مكانها واستبدالها

بها وهذه المهمة مهمة أحداث انقلاب اسلامي عام غير منحصرة فسي
 قطردون قطر بل ما يريد الاسلام ويضعه نصب عينيه ان يحدث هذا
 الانقلاب الشامل في جميع انحاء المعمورة هذه غايته العليا ومقصده
 الاسمي الذي يطمح اليه ببصره الا انه لامدوحة للمسلمين او اعضاء
 الحزب الاسلامي عن الشروع في مهمتهم باحداث الانقلاب المنشود
 والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها اما غايتهم
 العليا وهدفهم الاسمي فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع
 انحاء الارض وذلك ان فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية بل تدعو الناس جميعا
 الى سعادة البشر وفلاح الناس اجمعين لا يمكنها اصلا ان تضيق دائرة
 عملها في نطاق محدود من امة او قطر بل الحق انها مضطرة بسجيتها
 وجبلتها ان تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها
 ولا تغفل عنها طرفة عين فان الحق يأبى الحدود الجغرافية ولا يرضى
 ان ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها (١).

وهناك اهداف وحكم للجهد كلها تابعة للهدف الرئيسي الذي

تقدم آتفا وتصب فيه منها على سبيل المثال :

(١) رد اعتداء المعتدين على المسلمين .

قال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا

ان الله لا يحب المعتدين) (٢)

وقال تعالى (الا تقاتلون قوما نكوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول

وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين) (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم عن ربه انه قال (انما بعثتك لا بتلييك

(١) مقتطفات من كلام ابي الاعلى المودودي نقلها سيد في الظلال

(٣ : ١٤٤٨ - ١٤٥١) .

(٢) البقرة : ١٩٠

(٣) التوبة : ١٣

وابتلى بك وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وان الله امرني ان احرق قريشا فقلت ربي اذا يثلثوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نضرك وانفق فسنفق عليك وابعث جيشا نبعت خصمة مثله وقاتل بمن اطاعك من عساك الحديث (١) .

وقد تقدم معنا ان علماء الاسلام اجمعوا على ان رد اعتداء الكفار عن المسلمين فرض عين على كل قادر .

(٢) ازالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا الى دلائل التوحيد من غير عائق وحتى يروا نظام الاسلام مطابقا ليعرفوا مافيه من عدل واصلاح للبشر ومافيه من سمو في شتى المجالات . والفتنة ثلاثة انواع :

النوع الاول ما يمارسه الكفار من اشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم . وقد ندب الله المسلمين للجهاد لانقاذ المستضعفين . قال تعالى " وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (٢) .

النوع الثاني هو الاوضاع والانظمة الشركية وما ينتج عنها من فساد في شتى مجالات الحياة فان هذه من شأنها انها تفتن المسلم عن دينه لذلك صارت ازالتها هي الهدف الرئيسي للجهاد كما سبق ان بينا ان اهل السلف يفسرون الفتنة في قوله تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة بالشرك ومن فسر الفتنة بما يمارسه الكفار لصد المسلم عن دينه من انواع التعذيب فالمنافاة بين قوله وقول الفريق الاول فازالة الشرك

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٧ : ١٩٨) .

(٢) النساء : ٧٥

مقصودة ورفع الفتنة عن المسلمين وانقاذ المستضعفين مقصود كذلك وقد دل على كلا الامرين الكتاب والسنة واجماع فقهاء الامة كما تقدم . ومن هذا الباب اخضاع اهل الجزية لاحكام الاسلام ومنعهم من المجاهرة بدينهم ومنعهم من التعامل بالربا والزنا ونحو ذلك لان هذه الاوضاع من شأنها انهاء تفتي المسلم عن دينه وقد امر الله المسلمين بالجهاد حتى تزول الفتنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح اهل نجران ارسل اليهم من الصحابة من يقيم على البلاد حكم الاسلام الا في امور النصراني الخاصة بهم داخل كنائسهم واشترط عليهم الا يتعاملوا بالربا فان تعاملوا به فذمة الرسول صلى الله عليه وسلم منهم بريئة . ومن ازالة الفتنة عن المسلمين فك اسراهم فان من شأن الكفار انهم يفتنون الاسرى عن دينهم لذلك قال الفقهاء ان فك الاسير فرض عين على المسلمين ويتعين عليهم الجهاد حتى يستنقذوا اسرى المسلمين جميعا . وقال ابن بطال فكاك الاسير واجب على الكفاية وبه قال الجمهور .

قلت معلوم ان فرض الكفاية اذا لم يقم به من يكفي صار فرض عين على القادر حتى تحصل الكفاية فازالة الفتنة عن المسلمين واعزاز المسلمين واذلال الكافرين كلها من مقصود الجهاد . وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رفع اليه ذمي نخس دابة عليها امرأة مسلمة فرمحت فاسقطتها فانكشف بعض عورتها فامر بصلبه في الموضع . وقول الله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) دليل على ان التزام الكفار الذلة والصفار من اهداف الجهاد الاسلامي وكذلك اعزاز المسلمين ورفع المهانة عنهم فقد كان من اسباب طرد الرسول صلى الله

-
- (١) انظر الخراج لابي يوسف (ص ٧٧) .
 (٢) انظر القوانين الفقهية لابن جزي المالكي (ص ١٢٦) .
 (٣) فتح الباري لابن حجر (٦ : ١١٦) .
 (٤) تفسير القرطبي (٨ : ٨٣) .

عليه وسلم ليهود بني قينقاع ان منهم رجلا كشف عورة امرأة مسلمة ليضحك الناس عليها فقتله رجل من المسلمين كان حاضرا فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قتل ذلك اليهودي الذي رام اذلال المسلمة بل كاد ان يقتل بقية يهود بني قينقاع حتى شفيع فيهم رأس النفاق بالمدينة لعنه الله واخزاه فترك الرسول صلى الله عليه وسلم قتلهم لمقاصد شرعية واجلاهم عن المدينة (١).

النوع الثالث : فتنة الكفار انفسهم وصد هم عن استماع الحق وقبوله وذلك ان الانظمة والحكومات الشركية تقيم حاجزا بين الناس واستماع الحق او قبوله بتخريبها لفطر الناس بما تشعه لهم من مناهج في شتى مجالات الحياة فاذا فسدت فطر الناس وعقولهم قل ان يستجيبوا للهدى واذا تربي جيل على الذلة والمهانة والعبودية للخلق من دون الخالق وتربي على الادمان على الخمر والتمرغ في وحل الجنس والتحلل من الاخلاق الفاضلة قل ان يرتفع الى مستوى النفس البشرية السوية التي تعرف المعروف من المنكر وتحب الخير وتبغض الشر الا ان يتداركه الله برحمته منه . لذا كان من اهداف الجهاد ازالة الفتنة عن الكفار انفسهم بالاضافة الى ازالتها عن المسلمين من باب اولي فاذا زالت الفتنة عن الكفار المحكومين من قبل الطغاة المتألهين الذين يشرعون ما يفسد الفطرة البشرية لكي يضمنوا عبود يتها لهم رجي اسلامهم واستجابتهم لداعي الهدى لاسيما اذا عاشوا في المجتمع الاسلامي الذي يخضع لتشريعات الله العليم الخبير خالق النفس البشرية والعالم بما يصلحها وهذا طرف من الحكمة الالهية في تشريع الجزية على اهل الكتاب والمجوس لاعطائهم فرصة تصلح فيها فطرهم بتطبيقها لتشريعات الاسلام العامة ومخالطة المسلمين ومعرفة مافي الدين الاسلامي من توكيد للنفس البشرية وانتشالها من القبائح الي الفضائل ومن عبادة الخلق

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٤ : ٣) .

والشيطان والهوى الى عبادة الحى القيم .

(٣) حماية الدولة الاسلامية من شر الكفار ومن الادلة على هذا الهدف العظيم ما رواه الامام احمد بسنده عن ابن عبد الله بن انيس عن ابيه رضى الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد بلغني ان خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لى الناس ليغزوني وهو بعرفة فاته فاقتله قال قلت يا رسول الله انعته لى حتى اعرفه قال اذا رأيتته وجدت له اقشعريرة قال فخرجت متوشحا بسيفى حتى وقعت عليه وهو بعرفة مع فلان يرتاد له من منزلا وحين كان وقت العصر فلما رأيتته وجدت ما وصف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقشعريرة فاقلت نحوه وخشيت ان يكون بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وانا امشى نحوه اومى برأسى الركوع والسجود فلما انتهيت له قال من الرجل قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا قال اجل انا فى ذلك قال فمشيت معه شيئا حتى اذا امكنتى حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأنى فقال افلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فى بيته فاعطانى عصا فقال امسك هذه عندك يا عبد الله بن انيس قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا قال قلت اعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرنى ان امسكها قالوا اولاً ترجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لما اعطيتنى هذا العصا قال آية بينى وبينك يوم القيامة ان اقل الناس المنحصرين يومئذ يوم القيامة فقرنها عبد الله بسيفه فلم تنزل معه حتى اذا مات

امر بها فصبت معه في كفته ثم دفنا جميعا (١) .
ومن ذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف
اليهودي (٢) وسلام بن ابي الحقيق اليهودي (٣) فانهما كانا مصدر خطر على
الدولة الاسلامية فارسل لهما الرسول صلى الله عليه وسلم من يقتلتهما .
ومن ذلك حض الرسول صلى الله عليه وسلم على الرباط وحراسة
المسلمين والرباط هو المرابطة في الثور على حدود الدولة الاسلامية
وفى مقابلة الاعداء والاحاديث في فضل الرباط كثيرة جدا منها ما رواه
الامام احمد بسنده عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات مرابطا وفى فتنة القبر واومن من الفزع الاكبر
وغدى عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له اجر المرابط الى يوم القيامة (٤) .
وقال البخارى رحمه الله فى صحيحه باب فضل رباط يوم فى سبيل
الله وقول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون . ثم روى بسنده عن سهل بن سعد الساعدي رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله
خير من الدنيا وما عليها . . . الحديث (٥) .
وفىما تقدم دليل جلى على ان حماية الدولة الاسلامية من
اهداف الجهاد العظيمة ولكن مما ينبغى ان يتنبه له ان الدولة الاسلامية
ليست حوزة من الارض لها حدود معينة يحافظ عليها فقط بل كـ
امتد الاسلام الى ارض وازال عنها انظمة الشرك صارت داخلية فى الدولة
الاسلامية فعلى المسلمين المحافظة عليها ودفن سلطان الاسلام الى الامام

-
- (١) مسند احمد بن حنبل (٣ : ٤٩٦) .
(٢) انظر قصة مقتله فى صحيح البخارى (٥ : ٢٤) .
(٣) انظر قصة مقتله فى البداية لابن كثير (٤ : ١٣٧) .
(٤) مسند احمد بن حنبل (٢ : ٤٠٤) .
(٥) صحيح البخارى (٣ : ٢٢٤) .

في الاراضي المجاورة لكي تتوسع رقعة الدولة الاسلامية لان الاسلام يتطلب الارض كلها ليخضعها لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فليس دين الله مراداً به بلداً معيناً او جنساً معيناً من الاجناس البشرية .

يقول سيد قطب (وحقيقة ان حماية دار الاسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ولكنها هي ليست الهدف النهائي وليست حمايتها هي الغاية الاخيرة لحركة الجهاد الاسلامي انما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق الى الارض كلها والى النوع الانساني بجملته فالنوع الانساني هو موضوع هذا الدين والارض هي مجاله الكبير)^(١) .

(٤) قتل الدّافرين و ابادتهم ومحقتهم وذلك لان الكفر كالسرطان بل اشد فاذا لم يسلم الكافر او يخضع للحكم الاسلامي فلا بد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه . يقول سبحانه وتعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ... الاية)^(٢) .

ويقول جل شأنه (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)^(٣) . (فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان)^(٤) . (واقتلوهم حيث ثقتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل)^(٥) . (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)^(٦) . (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض)^(٧)

(١) في ظلال القرآن (٣ : ١٤٤١) .

(٢) محمد : ٤

(٣) التوبة : ١٤

(٤) الانفال : ١٢

(٥) البقرة : ١٩١

(٦) الانفال : ٧

(٧) الانفال : ٦٧

(ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين)^(١) . ومن ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم في قتل الكافرين قوله صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع في النار كافر وقاتله ابدا)^(٢) ويدل على هذا ايضا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتل ابي جهل وغيره من صناديد الكفر . يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن مقتل ابي جهل (فجعلت اتناوله بسيف لي غير طائل فاصبت يده فنسدت سيفه فاخذته فضربتته حتى قتلتته قال ثم خرجت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما اقل من الارض فاخبرته فقال آله الذي لا اله الا هو فرددها ثلاثا قال قلت آله الذي لا اله الا هو قال فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال الحمد لله الذي قد اخذك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة)^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استشاره رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر (ارى ان تمكني من فلان - قريب لعمر - فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هواده للمشركين وهؤلاء صناديدهم وائمهم وقادتهم)^(٤) . وقد نزل القرآن الكريم حاضا على هذا الهدف وهو قتل صناديد الكفر حتى يتم الاثخان في الارض . قال تعالى " ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم)^(٥) .

(١) آل عمران : ١٢٧

(٢) سنن ابي داود مع عون المعبود (٧ : ١٧٢) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٢٨٩) . وقارن بمافي مسند

احمد (١ : ٤٤٤) .

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣ : ٢٩٧) .

(٥) الانفال : ٦٧ - ٦٨

(٥) ارباب الكفار واخزائهم واذلالهم وايهان كيدهم واغابتهم
 (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
 عدو الله وعدوكم)^(١) . (قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم ويخزهم
 وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذبح غيظ قلوبهم
 ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم)^(٢) . (ذلكم وان الله
 موهن كيد الكافرين)^(٣) .

ومما يدل على ان اخافة العدو من مقاصد الجهاد مارواه الامام
 احمد عن ام مالك البهزية رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خير الناس في الفتنة رجل معتزل في ماله يعبد ربه
 ويؤدى حقه ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله يخيفهم ويخيفونه .^(٤)
 ويقول ابن القيم (. ولا شيء أحب الى الله من مراعاة وليه لعدوه
 واغابته له وقد اشار سبحانه الى هذه العبودية في مواضع من كتابه
 احدها قوله تعالى (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
 كثيرا وسعة) سمي المهاجر الذي يهاجر الى عبادة الله مراغما يراغم
 به عدو الله وعدوه والله يحب من وليه مراغمة عدوه واغابته كما قال
 تعالى (ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
 ولا يعطون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به
 عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين) وقال تعالى في مثل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه (ومثلهم في الانجيل كزرع
 اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم

(١) الانفال : ٥٩

(٢) التوبة : ١٤ - ١٥

(٣) الانفال : ١٨

(٤) المسند (٦ : ٤١٩) .

الكفار) فمغايلة الكفار غاية محبوبة للرب مطلوبة فموافقته فيها من كمال العبودية وشرع النبي صلى الله عليه وسلم للمصلي اذا سها في صلاته سجدتين وقال ان كانت صلاته تامة كانتا ترغمان ان الشيطان وفي رواية ترغيمان للشيطان وسماهما المرغمتين فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد اخذ من الصدقية بسهم واثر وطى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة ولاجل هذه المراغمة حمد التبخر بين الصنفين (٠٠٠) . (١)

وللجهاد اهداف سامية ومصالح كريمة وفوائد عظيمة تتحقق للمسلمين في ذوات انفسهم اذا مارسوا الجهاد منها على سبيل المثال : (١) كشف المنافقين فان المسلمين في حال الرخاء والسعة ينضاف اليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر وقد يتصنعون الاخلاص فيخفي امرهم على كثير من المسلمين واكبر كاشف لهم هو الجهاد . لان في الجهاد بذلا لاغلى مايملك الانسان غير عقيدته وهو روحه والمنافق مانافق الا ليحفظ روحه وليوفر لنفسه لذاتها فاذا دعا داعي الجهاد الذي قد يعرضه لفقد روحه انكشف نفاقه للناس . يقول الله تعالى (ماكان الله ليـذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) . ويقول (٢) فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) . ومعرفة (٣) المؤمنين للمنافقين فيها فوائد لا تحصى - فانهم العدو الداخلى وخطرهم فوق خطر العدو الخارجى احيانا . فاذا عرفوا منعوا

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١ : ٢٢٦) .

(٢) آل عمران : ١٧٩

(٣) محمد : ٢٠

من الغزو مع المسلمين ولا يستمع المؤمن لما يعرضونه عليهم من اراجيف وتشبيط ومن اقاويل يلبسونها شياى النصح والاصـلاح وجاهد هم المؤمنون بما امرهم الله به . " يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ^(١) .

(٢) تمحيص المؤمنين من ذنوبهم فان المجاهد المسلم اذا اخلص النية لله اذا حضر المعركة فقتل الكفار نال ثوابا عظيما كما جاء في الحديث لا يجتمع كافر وقاتله في النار ابدًا ^(٢) . واذا خالط قلبه الرجح والخوف في سبيل الله تحاتت عنه خطايا كما سيأتى في فضائل الجهاد واما اذا قتله الكفار فذلك الفوز الذى لا يعدله فوز . الشهادة وما ادراك ما الشهادة .

يقول صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ^(٣) . وسيأتى بيان فضائل الشهداء ان شاء الله . وانما المقصود هنا ان الشهادة في سبيل الله وتكفير الذنوب هدف رفيع وفائدة عظيمة تعود على المسلمين من جهادهم . يقول تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ولليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ^(٤) . وقد ادرك الصحابة رضوان الله عليهم هذا الهدف الرفيع وهو تمحيص الذنوب وهـذه الفائدة العظيمة والمنزلة الرفيعة وهى الشهادة فشـمروا وتـسابقوا

(١) التوبة : ٧٣

(٢) سنن ابي داود مع عون المعبود (٧ : ١٧٢) .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح (٦ : ٣٢) .

(٤) آل عمران : ١٤٠ - ١٤٢

للفوز بذلك يقول ابن اسحاق عن اصحاب غزوة مؤتة (ثم مضوا حتى
 نزلوا معانا من ارض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل من ارض البلقاء
 في مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة فلما بلغ ذلك المسلمين
 اقاموا على معان ليلتين ينظرون في امرهم وقالوا نكتب الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال
 واما ان يأمرنا بامره فنمضي له قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال
 يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة وماقاتل
 الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ماقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا
 الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسينيين اما ظهور واما شهادة
 قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس^(١) . (ولما
 صاف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المشركين في بدر قال
 لاصحابه قوموا الي جنة عرضها السموات والارض قال عمير بن الحمام
 الانصاري يارسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم قال
 بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك علي قول
 بخ بخ قال لا والله يارسول الله الارجاء ان اكون من اهلها قال
 فانك من اهلها فاخرج تمرات من قرنه ثم جعل يأكل منهن ثم قال
 لئن اناحييت حتى آكل تمراتي هذه انها الحياة طويلة فرمى ما كان معه
 من التمر ثم قاتلهم وهو يقول :

ركضا الي الله بنفير زاد الا التقي وعمل المعاد
 والصبر في الله علي الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقي والجر والرشاد

وقاتلهم حتى استشهد رحمه الله رحمة واسعة^(٢) .

(١) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٣) .

(٢) البداية لابن كثير (٣ : ٢٧٧) .

(٣) تربية المؤمنين على الصبر والثبات والطاعة وبفذل النفس وغير ذلك من الفوائد التربوية فان الركون الى الراحة والدعة وعدم ممارسة الشدائد والصعاب تورث العبد ذلا وخمولا وتشبثا بمناج الحياة الدنيا ، وخوض المعارك ومقارعة الاعداء والتعرض لنيل رضا الله في ساحات الوغى يصقل النفوس ويهذبها ويذكرها بمصيرها ويوجب لها استعدادا للرحيل حتى تصبح ممارسة الجهاد عادة لها تشتاق لها كما يشتاق الخاملون للقعود والراحة . وتقربى في النفس البشرية من الجهاد صفات كثيرة كصفة الشجاعة والنجدة والصبر والاخوة والعفو ونحو ذلك من الصفات المحمودة ويزول من النفس ما يقابلها من الصفات المذمومة كصفة الجبن والشح و الانانية ونحو ذلك .

(٤) الحصول على الفنائم والسبي . وان لها لموقعا في النفس البشرية . ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يعطى القاتل سلب المقتول وينقل جزءا من الفنيمة لبعض الجيش اذا قاموا بعمل حربي بمفردهم . وقال لبعض اصحابه لما بلغه خبر عير ابي سفيان راجعة من الشام (هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها) (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم حين خروجه من المدينة قاصدا التعرض لعير قريش " اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم " (٢) . وقال القرطبي (ودل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى العير على جواز النفير للفنيمة لانها كسب حلال وهو يرد ماكره مالك من ذلك اذ قال ذلك قتال على الدنيا .

(١) البداية والنهاية (٣ : ٢٥٦) .

(٢) سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني المجلد الثالث رقم الحديث

وما جاء ان من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل
الله دون من يقاتل للغنيمة يراد به اذا كان قصده وحده وليس
للدين فيه حظ .^(١)

وقال ايضا (ثم قيل الاسباب التي يطلب بها الرزق ستة انواع
اعلاها كسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل
رمحي وجعل الذلة والصغار علي من خالف امرى خرجته الترمذي
وصححه فجعل الله رزق نبيه صلى الله عليه وسلم في كسبه لفضله
وخصه بافضل انواع الكسب وهو اخذ الغلبة والقهر لشرفه)^(٢) . وقال
الشوكاني (قال ابن ابي جمرة ذهب المحققون الي انه اذا كان الباعث
الاول قصد اعلاء كلمة الله لم يضره ما يضاف اليه)^(٣) . وبهذا يظهر
والله اعلم ان قصد الغنيمة يكون من اهداف الجهاد التابعة
لا الاصلية والذي لا يجاهد الا للغنيمة فلا خير في جهاده لان الهدف
الاصلي للجهاد هو اعلاء كلمة الله وخفض كلمة الطاغوت ومد سلطان
الله علي الارض فاذا قصد المسلم بجهاده هذا ثم اشتاقت نفسه
ورغبت في الحصول علي غنيمة من الكفار بعد كسر شوكتهم والاستيلاء
عليهم فلا حرج في ذلك ان شاء الله تعالى .

واذا كانت هذه هي معظم اهداف الجهاد ومقاصده فما هي
الغاية التي يتوقف عندها الجهاد ؟

ان الغاية التي يتوقف عندها الجهاد هي اسلام اهل الارض
كلهم واعتناقهم عقيدة الاسلام من غير اهل الكتاب والمجوس . اما
اهل الكتاب والمجوس فاذا دفعوا الجزية ملتزمين لاحكام الاسلام

-
- (١) تفسير القرطبي (٧ : ٣٧٦) .
(٢) تفسير القرطبي (٨ : ١٠٨) .
(٣) نيل الاوطار للشوكاني (٧ : ٢٤٤) .

القضائية حال كونهم في ذل وصغار فان المسلمين يوقفون جهادهم ويكفون عنهم ويحمونهم من عدوهم ولن يتوقف الجهاد الاسلامي مدى الحياة لان الشيطان مستمر في اغواء بعض البشر والصراع بين الحق والباطل سنة الهية لا تنتهي حتي ينتهي وجود البشر في هذه الارض فعن جبير بن نفير ان سلمة بن نفيل اخبرهما نهاتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سئمت الخيل والقيت السلاح ووضعت الحرب اوزارها قلت لا قتال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الان جاء القتال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب اقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتي ياتي امر الله عز وجل وهم على ذلك الا ان عقردار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير الي يوم القيامة^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فني الدين ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم الي يوم القيامة^(٢).

وقال البخاري في صحيحه رحمه الله باب الجهاد ما في مع البر والفاجر لقول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير الي يوم القيامة قال ابن حجر في شرحه لهذه الترجمة (سبقه الي الاستدلال بهذا الامام احمد لانه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل الي يوم القيامة وفسره بالاجر والمغنم والمغنم المقتن بالاجر انما يكون من الخيل بالجهاد ولم يقيده ذلك بمما اذا كان الامام عاد لا فدل على ان لا فرق في حصول هذا الفضل بين ان يكون الغزو مع الامام العادل او الجائر^(٣)).

(١) مسند احمد بن حنبل (٤: ١٠٤).

(٢) مسند احمد بن حنبل (٤: ٩٣).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٦: ٤٢).

وبهذا يظهر ان الجهاد مستمر الى قيام الساعة وانه لا ينتهي
جهاد الكفار الا اذا اسلموا او خضعوا لحكم الاسلام ودفنوا الجزية
حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار واختلف العلماء رحمهم الله
فيمن تؤخذ منه الجزية من الكفار وهذا ملخص لا قوالهم .

اجمع المسلمون على ان اليهود والنصارى من غير العرب
اذا دفعوا الجزية وجب الكف عن قتالهم اما غيرهم فاشهر
المذاهب في ذلك اربعة .

الاول : وهو قول الشافعي والمشهور من مذهب الامام احمد
ومذهب ابي ثور والثوري انه لا يقبل من اهل الشرك الا الاسلام
او السيف ومن اوضح ادلة هذا القول ان الله فرق بين المشركين
وبين اهل الكتاب في سورة التوبة فقال عن المشركين (فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وقاموا الصلوة وآتوا الزكاة فخلوا
سبيلهم ان الله غفور رحيم) (١) . وقال عن اهل الكتاب (قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون
دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون) (٢) . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وما شابه ذلك من الاحاديث التي تجعل
الغاية في القتال الدخول في الاسلام فهذه هي الغاية العظمى
للجهاد وهي الدخول في الاسلام ويستثنى من القاعدة العامة
ما استثناه الدليل وهم اهل الكتاب والمجوس .

الثاني : وهو قول ابي حنيفة ورواية عن الامام احمد وابن القاسم

(١) التوبة : ٥

(٢) التوبة : ٢٩

واشهب وسحنون ان الجزية لا تؤخذ من العرب وتؤخذ ممن عداهم من الكفار عموما .

الثالث : وهو رواية عن الامام مالك وادعى ابن جهم عليه السلام الاجماع ان الجزية لا تقبل من قريش فقط وتقبل من سائر الكفار .

الرابع: ان الجزية تقبل من كل كافر على وجه الارض ايا كان دينه وهذا مروى عن الامام مالك والاوزاعي ورجحه ابن تيمية وابن القيم واليه مال كثير من المعاصرين .^(١)

ومن اوضح ادلة هذا القول الاخير حديث بريده الذي جاء فيه (واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال او خلال فانيتهن ما اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم - وذكر الاسلام والجزية والقتال ان هم ابوا . . . الحديث)^(٢) . غير ان اصحاب القول الاول الذين لا يرون اخذ الجزية من المشركين يقولون المراد بلفظ المشركين في هذا الحديث اهل الكتاب فانهم يطلق عليهم اسم المشركين لما في عقائدهم من الاشراك قال الله عن اليهود والنصارى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . . . الاية)^(٣) (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . . .)^(٤) .

والذي يظهر لي والله تعالى اعلم بالصواب ان القول الرابع هو قول الشافعي والمشهور عن الامام احمد وهو ان اهل الشرك لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف اما اهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء اكانوا عربا ام غير عرب فتقبل منهم الجزية وكذلك المجوس وان كانوا

(١) انظر هذه المذاهب وادلة اصحابها في تفسير القرطبي

(٨ : ١١٠) واحكام اهل الذمة لابن القيم (١ : ٩) وما بعد ها

وبداية المجتهد لابن رشد (١ : ٣٨٩) واختلاف الفقهاء

للطبري (ص ٢٠٠) والمفني لابن قدامة (٨ : ٣٦٢) ومجموع

الفتاوى لابن تيمية (١٩ : ٣٠٠٨) .

(٢) صحيح مسلم مع النووي (١٢ : ٣٨) .

(٣) التوبة : ٣٠ .

(٤) التوبة : ٣١ .

مشركين للادلة المخصصة لهم من سائر المشركين . وهذا الترجيح
لامرين .

الامر الاول : لو كان حكم الكفار واحدا عند الصحابة لما توقف
عمر في اخذ الجزية من المجوس حتى شهد احد الصحابة بحكمهم كما
جاء في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ (ان عمر بن الخطاب ذكر
المجوس فقال ما ادرى كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن
عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوابهم
سنة اهل الكتاب)^(١) . وذكر البخاري نحو هذا الحديث وقال ابن
حجر في شرحه على هذا الحديث (وفيه التمسك بالمفهوم لان عمر فهم
من قوله اهل الكتاب اختصاصهم بذلك حتى حدثه عبد الرحمن بن
عوف بالحاق المجوس بهم فرجع اليه)^(٢) . وقال ايضا وروى ابو عبيد
باسناد صحيح عن حذيفة لولا اني رأيت اصحابي اخذوا الجزية
من المجوس ما اخذتها^(٣) .

وكل هذا في نظري يدل على ان الصحابة لو فهموا ان الجزية
تؤخذ من كل كافر لما توقفوا في اخذها من المجوس ، ثم ان عبد الرحمن
ابن عوف اخبرهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فيه النص على
المجوس ولم يقل لهم ان آية التوبة عامة وليست خاصة باهل الكتاب .

الامر الثاني : ان اهل الكتاب ليسوا كغيرهم من المشركين
فهم اقرب الى الاسلام لايمانهم بالمعاد والنبوات ثم ان بقاءهم
تحت حكم المسلمين اقل خطرا من المشركين فهم يحرمون الفواحش
كالزنا واللواط والسرقه ونحو ذلك ولذلك يكون بقاءهم بالجزية فيهم

(١) موطأ مالك (ص ١٨٨) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٦ : ١٨٥ - ١٨٦) .

(٣) المصدر السابق .

مصلحة لهم لتوقع اسلامهم ومصلحة للمسلمين للاستفادة من جزيتهم مع انتفاء انتشار الفساد الذى يحدث من المشركين وهذا اذا حكموا على وفق الشروط التى استنبطها الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم اما اذا ترك لهم الحبل على الغارب ورفع عنهم الصغار والذل الذى الزمهم الاسلام به فان خطرهم عظيم كما حدث فى اواخر العصور الاسلامية لما تساهل بعض خلفاء بنى العباس مع اهل الكتاب وقد لخص ابن القيم رحمه الله الحكمة من بقاء اهل الكتاب والمجوس بالجزية دون غيرهم من الكفار - وذلك فى معرض ذكره لاقوال العلماء القائلين بذلك - فقال (قال المخصصون بالجزية لاهل الكتاب المراد من ارسال الرسل وانزال الكتب اعدام الكفر والشرك من الارض وان يكون الدين كله لله كما قال تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين للهِ " وفى الآية الاخرى " ويكون الدين كله لله " ومقتضى هذا الايقر كافر على كفره ولكن جاء النص بارتداد اهل الكتاب اذا اعطوا الجزية عن يد وهم صافرون فاقصرنا بها عليهم واخذنا فى عموم الكفار بالنصوص الدالة على قتالهم الى ان يكون الدين كله لله . قالوا ولا يصح الحاق عبدة الاوثان باهل الكتاب لان كفر المشركين اغلظ من كفر اهل الكتاب فان اهل الكتاب معهم من التوحيد وبعض آثار الانبياء ما ليس مع عبادة الاصنام ويؤمنون بالمعاد والجزاء والنبوات بخلاف عبدة الاصنام وعبدة الاصنام حرب لجميع الرسل واممهم من عهد نوح النبي خاتم الانبياء والمرسلين ولهذا اثر هذا التفاوت الذى بين الفريقين فى حل الذبائح وجواز المناكحة من اهل الكتاب دون عبادة الاصنام ولا ينتقض هذا بالمجوس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يسن بهم سنة اهل الكتاب وهذا يدل على ان الجزية انما تؤخذ من اهل الكتاب وانها انما وضعت لاجلهم خاصة والا لو كانت الجزية تعم جميع الكفار لم يكن اهل الكتاب اولي بها من غيرهم ولقال لهم حكم امثالهم من الكفار يقاتلون حتى يسلموا ويعطوا الجزية . واما تحريم

ذبايحهم ومنكاحتهم فاتفق من الصحابة رضى الله عنهم ولهذا انكر الامام احمد وغيره على ابي ثور طرده القياس وافتاءه بحل ذبايحهم وجواز مناكحتهم ودعا عليه احمد حيث اقدم على مخالفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا افقه واعلم واسد قياسا ورأيا فانهم اخذوا في الدماء بحقنها موافقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلوه حيث اخذها منهم واخذوا في الابضاع والذبايح بتحريمها احتياطاً وابقاء لها على الاصل والحاقا لهم بعباد الاوثان اذ لافرق في ذلك بين عباد الاوثان وعباد النيران فالاصل في الدماء حقنها وفي الابضاع والذبايح تحريمها فابقوا كل شيء على اصله وهذا غاية في الفقه واسد مايكون من النظر . قالوا والله تعالى حكم في ابقاء اهل الكتابين بسين اظهرنا فانهم مع كفرهم شاهدون باصل النبوات والتوحيد واليوم الاخر والجنة والنار وفي كتبهم من البشارات بالنبى صلى الله عليه وسلم وذكر نعوته وصفاته وصفات امته ما هو من آيات نبوته وبراهين رسالته وما يشهد بصدق الاول والاخر وهذه الحكمة تختص باهل الكتاب دون عبدة الاوثان فبقاؤهم من اقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد وقد قال تعالى لمنكري ذلك " فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون " ذكر هذا عقب قوله " وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون " يعنى سلوا اهل الكتاب هل ارسلنا قبلك محمد رجالا يوحى اليهم ام كان محمد بدعا من الرسل لم يستقدمه رسول حتى يكون ارساله امرا منكرا لم يطرق العالم رسول قبله وقال تعالى " واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون " والمراد بسؤالهم سؤال امهم عما جاؤوهم به هل فيه ان الله شرع لهم ان يعبدوا من دونه اله غيره قال الفراء المراد سؤال اهل التوراة والانجيل فيخبرونه عن كتبهم وانبيائهم وقال ابن قتيبة التقدير واسأل من ارسلنا اليهم رسلا من قبلك وهم اهل الكتاب وقال ابن

الانبارى التقدير وسل من ارسلنا من قبلك وعلى كل تقدير فالمسراد
التقرير لمشركى قريش وغيرهم ممن انكر النبوات والتوحيد وان الله ارسل
رسولا او انزل كتابا او حرم عبادة الاوثان فشهادة اهل الكتاب بهذا
حجة عليهم وهى من اعلام صحة رسالته صلى الله عليه وسلم اذ كان
قد جاء على ما جاء به اخوانه الذين تقدموه من رسل الله سبحانه ولم
يكن بدعا من الرسل ولا جاء بصد ما جاءوا به بل اخبر بمثل ما اخبروا
به من غير شاهد ولا اقتران فى الزمان وهذه من اعظم آيات صدقه (١)
والله اعلم .

ولما كان المرتدون والمنافقون يشاركون الكفرة الاصليين فى
الكفر نبيى حكم جهادهم فى الفصل الا تى .

(١) احكام اهل الذمة لابن القيم (١ : ٩ - ١٢) .

(٤) حكم جهاد المرتدين والمنافقين .

الردة والنفاق من اخبت انواع الكفر قال تعالى (ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة)^(١) وقال (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً)^(٢) ولان للمنافقين والمرتدين حالات خاصة يخالفون فيها الكفار الاصليين فرددتهم بالذكر بعنوان مستقل . وقبل بيان حكم جهادهم نذكر توطئة موجزة لبيان ماهي الردة وماهو النفاق .

فنقول : الردة في اللغة من رد والرد صرف الشيء ورجعه وارتد عنه تحول عنه وارتد فلان عن دينه اذا كفر بعد اسلامه^(٣) . وعلى هذا فكل من دخل في الاسلام ثم خرج منه الى دين النصراني او اليهود او اى دين من الاديان الوضعية كالبودية او الى غير دين كالملاحدة او نقض اسلامه بنقض وان لم يرد الخروج من الاسلام بالكلية فهو مرتد وهو المقصود بالجهاد في هذا البحث . . فكل من تلبس بنوع من انواع الشرك والكفر والنواقض الاتية بعد دخوله في الاسلام يجاهد بالسيف بعد قيام الحجة الرسالية عليه . وهذه الانواع باختصار هي :

(١) شرك الدعاء . قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجا هم الى البر اذا هم يشركون)^(٤) . وقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله مالا يضره

(١) البقرة : ٢١٧

(٢) النساء : ١٤٥

(٣) لسان العرب (٣ : ١٧٢ - ١٧٣) .

(٤) العنكبوت : ٦٥

- ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعوا لمن ضره اقرب ممن
نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) (١).
- (٢) شرك النية والارادة والقصد اذا ظهر ما يدل عليه . قال تعالى
" من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون" (٢).
- (٣) شرك الطاعة . قال تعالى " اتخذوا احيارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون" (٣).
- (٤) شرك المحبة . قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله) (٤).
- (٥) كفر التكذيب . قال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين) (٥).
- (٦) كفر الالباء والاستكبار . قال تعالى (واذ قال ربك للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من
الكافرين) (٦).
- (٧) كفر الشك وهو كفر الظن . قال تعالى (ودخل جنته وهو ظالم
لنفسه قال ما اظن ان تبديد هذه ابد او ما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الي ربي لا جدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه

(١) الحج : ١١ - ١٣

(٢) هود : ١٥ - ١٦

(٣) التوبة : ٣١

(٤) البقرة : ١٦٥

(٥) العنكبوت : ٦٨

(٦) البقرة : ٣٤

- وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
لكننا هو الله ربى ولا اشرك بربى احداً (١) .
- (٨) كفر الاعراض (٢) . قال تعالى (والذين كفروا عما انذروا معرضون) (٣)
- (٩) كفر انكار الضرورى من الدين كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم
الخمير ونحو ذلك وهذا باجماع المسلمين (٤) . يقول الشيخ ابن
تيمية لما سئل عن الدرزية والنصيرية ما حكمهم - هؤلاء الدرزية
والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل اكل ذبائحهم
ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية فانهم مرتدون عن دين
الاسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى لا يقرون بوجوب
الصلوات الخمس ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم
ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما وان اظهروا
الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين (٥) .
- (١٠) كفر التشريع من دون الله بما يخالف حكم الله تعالى . قال
الله تعالى " افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً
لقوم يوقنون (٦) . يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الاية
(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل
خير الناهى عن كل شر وعدل الى ما سواه من الاراء والاهواء
والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله
كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما

(١) الكهف : ٣٥-٣٧

(٢) بتصرف من مجموعة التوحيد (٥ - ٦) .

(٣) الاحقاف : ٣

(٤) انظر (ص ٨١) من اقفار الملحددين فى ضروريات الدين للكشميرى

و (ص ١١٦) من ايثار الحق لليمانى .

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥ : ١٦١) .

(٦) المائدة : ٥٠

يضعونها بأرائهم واهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية
المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن
كتاب مجموع من احكام قداقتبسها من شرائع شتى من اليهودية
والنصرانية والملة الاسلامية وفيها كثير من الاحكام اخذها من مجرد نظره
وهواه فصارت في بنيه شرعا متبايعا قد مونها على الحكم بكتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب
قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير
قال الله تعالى (انحكم الجاهلية يبغون) اي يبتغون ويريدون وعن
حكم الله يعدلون (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) اي ومن
اعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وايقن وعلم
انه تعالى احكم الحاكمين وارحم خلقه من الوالدة بولدها فان الله
تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل
شيء ^(١) . وقال الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله (ان من الكفر
الاكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الامين
على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي
مبين في الحكم به بين العالمين والرد اليه عند تنازع المتنازعين
مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن
تأويلا) فانه لا يجتمع التحاكم الي غير ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم مع الايمان في قلب عبدا صلا بل احدهما ينافي الآخر
فهذه المحاكم الان في كثير من امصار الاسلام مهية مكتملة مفتوحة
الابواب والناس اليها اسراب اثر اسراب يحكم حكاما بينهم بمسا
يخالف حكم السنة والكتاب من احكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقهرهم

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ١٢٣) .

عليه وتحتته عليهم فأى كفر فوق هذا الكفر وائ مناقضة للشهادة بان
 محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة (١) . وقال الشيخ عبد الله بن
 حميد رحمه الله (من اصدر تشريعا عاما ملزما للناس يتعارض مع حكم
 الله فهذا يخرج من الطمة كافرا) (٢) . وقال الشيخ عبد العزيز بن
 باز - في معرض رده على القوميين - (الوجه الرابع من الوجوه الدالة
 على بطلان الدعوة الي القومية العربية ان يقال ان الدعوة اليها
 والتكثف حول رايها يفضى بالمجتمع ولا بد الي رفض حكم القرآن
 لان القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء
 القومية ان يتخذوا احكاما وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستتوي
 مجتمع القومية في تلك الاحكام وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف
 وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة) (٣) . ويقول
 الشيخ محمد الامين الشنقيطي عليه رحمة الله عند تفسيره لقوله تعالى
 " ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا) (٤) (وبهذه
 النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور ان الذين يتبعون
 القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة اوليائه مخالفة
 لما شرعه الله جل وعلا على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم
 انه لا يشك في كفرهم وشركهم الا من طمس الله بصيرته واعماه عن نور
 الوحي مثلهم واعلم انه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي
 يقتضى تحكيمه الكفر بخالق السموات والارض وبين النظام الذي
 لا يقتضى ذلك وايضاح ذلك ان النظام قسما ادارى وشرعى . اما

(١) (ص ١ - ٣ - ٧) من رسالة تحكيم القوانين لابن ابراهيم .

(٢) الايمان ومبطلاته للشريده (ص ١٤٤) .

(٣) نقد القومية العربية لابن باز (ص ٥٠) .

(٤) الكهف : ٢٦

الادارى الذى يراد به ضبط الامور واتقانها على وجه غير مخالف للشرع فهذا لا مانع منه ولا مخالف فيه من الصحابة فمن بعدهم وقد عمل عمر رضى الله عنه من ذلك اشياء كثيرة ما كانت فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ككتبه اسماء الجند فى ديوان لاجل الضبط ومعرفة مسنن غاب ومن حضر واما النظام الشرعى المخالف لتشريع خالق السموات والارض فتحكيمه كفر بخالق السموات والارض كدعوى ان تفضيل الذكر على الانثى فى الميراث ليس بانصاف وانهما يلزم استواءهما فى الميراث وكدعوى ان تعدد الزوجات ظلم وان الطلاق ظلم للمرأة وان الرجم والقطع ونحوهما اعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالانسان ونحو ذلك فتحكيم هذا النوع من النظام فى انفس المجتمع واموالهم واعراضهم وانسابهم وعقولهم واديانهم كفر بخالق السموات والارض وتمرد على نظام السماء الذى وضعه من خلق الخلائق كلها وهو اعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن ان يكون معه شرع آخر علوا كبيرا (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) . (قل رأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون) . (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)^(١) . وقد لخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب اعظم نواقض الاسلام فى عشرة فقال : (اعلم ان من اعظم نواقض الاسلام عشرة :

الاول : الشرك فى عبادة الله وحده لا شريك له والدليل قوله تعالى " ان الله لا يفتن ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن والقباب .
الثانى : من جعل بينه وبين الله وساطة يدعوهم ويسألهم الشفاعة كتر اجماعا .

(١) اضواء البيان للشنقيطى (٤ : ٨٣ - ٨٥) .

الثالث : من لم يكفر المشركين اوشك في كفرهم او صحح
مذهبهم كفر اجماعا .

الرابع : من اعتقد ان غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم اكمل
من هديه او ان حكم غيره احسن من حكمه كالذين يفضلون حكم
الطاغوت على حكمه فهو كافر .

الخامس : من ابغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم ولو عمل به كفر اجماعا والدليل قوله تعالى " ذلك بانهم كرهوا
ما انزل الله فاحبط اعمالهم " .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الله او ثوابه او عقابه
كفر والدليل قوله تعالى " قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم " .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله او رضى به
كفر والدليل قوله تعالى " وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن
فتنة فلا تكفر " .

(قلت خالف في هذا بعض العلماء ولكن ظاهر الاية يدل لما
ذهب اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يعدل عن الظاهر
الا بدليل) .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل
قوله تعالى " ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين " .
التاسع : من اعتقد ان بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله
عليه وسلم وانه يسعه الخروج من شريعته كماوسع الخضر الخروج من
شريعة موسى عليهما السلام فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل
قوله تعالى " ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا ممن
المجرمين منتقمون " ولا فرق في جميع هذه النواقيش بين الهازل والجاد

والخائف الا المكره وكلها من اعظم مايكون خطرا ومن اكثر مايكون وقوعا
فينبغي للمسلم ان يحذرهما ويخاف منهما على نفسه نعوذ بالله من
موجبات غضبه واليم عقابه (١).

جميع ماتقدم هو رؤوس المسائل التي يحكم على صاحبها بالردة
ذكرتها مختصرة لان هذا ليس موضع بسطها بل هي تحتل رسالة
مستقلة . والمرتد يجب جهاده حتى يدخل في حظيرة الاسلام
ويمتنع عما ينقض اسلامه وجهاده او جب واولى من جهاد الكفار
الاصليين بدليل تقديم جهاد المرتدين في عهد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه على جهاد الكفار الاصليين وقد دل على جهاد المرتدين
السنة المطهرة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم . قال صلى الله
عليه وسلم " من بدل دينه فاقتلوه " (٢) . وروى البخارى في صحيحه
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم
واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا ابا بكر كيف تقاتل
الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني ماله
ونفسه الابحده وسابه على الله قال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لومنعوني عناقا كانوا
يؤدونها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها
قال عمر فوالله ما هو الا ان رأيت ان قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال
فعرفت انه الحق (٣).

قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث " وفيه منع قتل من
قال لا اله الا الله ولو لم يزد عليها وهو كذلك لكن هل يصير بمجرد

-
- (١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥ : ٢١٢) .
(٢) صحيح البخارى مع الفتحة (١٢ : ٢٣٩) .
(٣) صحيح البخارى مع الفتحة (١٢ : ٢٤٤) .

ذلك مسلماً . الراجح لا بل يجب الكف عن قتله حتى يختبر فـان
 شهيد بالرسالة والتزم احكام الاسلام حكم باسلامه والى ذلك الاشارة
 بالاستثناء بقوله الابحى الاسلام . قال البغوى الكافر اذا كان وثنياً
 او ثنويا لا يقرب بالوحدانية فاذا قال لا اله الا الله حكم باسلامه ثم
 يجبر على قبول جميع احكام الاسلام ويجبراً من كل دين خالف دين
 الاسلام وامان كان مقراً بالوحدانية منكرًا للنبوة فانه لا يحكم باسلامه
 حتى يقول محمد رسول الله فان كان يعتقد ان الرسالة المحمدية
 الى العرب خاصة فلا بد ان يقول الى جميع الخلق فان كان كفر
 بجحود واجب او استباحة محرم فيحتاج ان يرجع عما اعتقده . ومقتضى
 قوله يجبر انه اذا لم يلتزم تجرى عليه احكام المرتد وبه صرح القفال (١) .

وقد ذكره سلم في صحيحه هذا الحديث الذي اخرج به
 عمر على ابي بكر وذكر له عدة طرق فيها زيادات قيمة تبين ان قتال
 المرتد الممتنع عن شريعة من شرائع الاسلام ثابته بالنصوص النبوية
 الصحيحة لا بالقياس كما يتوهم من مناظرة ابي بكر لعمر ومن هـذه
 الطرق ما يلى :

(١) قال مسلم حدثنا احمد بن عبدة الضبي اخبرنا عبد العزيز يعني
 الدراوردي عن العلاء وحدثنا امية بن بسطام واللفظ لـه
 حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن
 يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
 ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جيت به فاذا فعلوا ذلك
 عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

(٢) وقال (حدثنا ابو نعيم المسمى مالك بن عبد الواحد حدثنا

(١) فتح البارى لابن حجر (١٢ : ٢٤٧) .

عبد الملك بن الصباح عن شعبة عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) .

(٣) وقال (وحدثنا سويد بن سعيد وابن ابي عمر قالا حدثنا مروان يعنيان الفزاري عن ابي مالك عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) .^(١)

قال النووي (وفي استدلال ابي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على انهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارواه ابن عمرو بن ابي هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا هذه الزيادات التي في رواياتهم في مجلس آخر فان عمر رضي الله عنه لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فانه بهذه الزيادات حجة عليه . ولو سمع ابو بكر رضي الله عنه هذه الزيادات لا احتج بها ولما احتج بالقياس والعموم) .^(٢)

قلت : ويقاقل المرتد عن الاسلام سواء تعمد الخروج من الاسلام ورغب عنه او ارتكب ناقضا للايمان مع زعمه بان هذا الذي ارتكبه لا يخرج من الاسلام كمن يعبد القبور ويؤمن ان عبادته لها ليست كفرا وكالذي يشرع للبشر من دون الله ويؤمن ان تشريعهم ليس بكفر فان زعمه لا ينفعه اذا قامت عليه الحجة الرسالية يقول شارح كتاب التوحيد

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ٢١٠ - ٢١٢) .

(٢) شرح النووي على مسلم (١ : ٢٠٦) .

الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (قوله " من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله " اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بامرين : الاول : قول لا اله الا الله . الثاني : الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها قال المصنف : وهذا من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عامما للدم والمال بل ولا محرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا الاقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف الي ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فان شك او تردد لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ما اجلها وباله من بيان ما اوضحه وحججه ما اقطعها للمنازع . قلت - القائل الشيخ سليمان - وقد اجمع العلماء على معني ذلك فلا بد في العصمة من الاتيان بالتوحيد والتزام احكامه وترك الشرك كما قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والفتنة هنا الشرك فدل على انه اذا وجد الشرك فالقتال باق بحاله كما قال تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وقال تعالى (فاذا انسلك الشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) . فامر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك واقامة شعائر الدين الظاهرة فاذا فعلوها خلى سبيلهم ومتى ابوا عن فعلها او فعل شيء منها فالقتال باق بحاله اجماعا ولو قالوا لا اله الا الله وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم علق العصمة بما علقها الله به في كتابه كما في هذا الحديث وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا " امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي الصحيحين عنه قال لما توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكفر من كفر من العرب فقال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو الا ان رأيت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق . لفظ مسلم . فانظر كيف فهم صديق الامة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد مجرد اللفظ بها من غير الزام لمعناها واحكامها فكان ذلك هو الصواب واتفق عليه الصحابة ولم يختلف فيه منهم اثنان الا ما كان من عمر حتى رجع الى الحق وكان فهم الصديق هو الموافق لنصوص القرآن والسنة وفي الصحيحين ايضا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويطيعوا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . فهذا الحديث كآية براءة بين فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداء فاذا فعلوا وجب الك عنهم الا بحقه فان فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الاقرار والدخول في الاسلام وجب القتال حتى يكون الدين كله لله بل لو اقرؤا بالاركان الخمسة وفعلوها وابتعدوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه او عن تحريم بعض محرّمات الاسلام كالربا او الزنا او نحو ذلك وجب قتالهم اجماعا ولم تعصمهم لا اله الا الله ولا ما فعلوه من الاركان وهذا من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله وانه ليس المراد منها مجرد النطق فاذا كانت لا تعصم من استباح محرما او ابي عن فعل الوضوء مثلا بل يقاتل على ذلك حتى يفعلها فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله واحبسه ومدحه واثنى على اهله ووالى عليه وعادى عليه وابتغى التوحيد الذى هو

اخلاص العباد ة لله وتجراً منه وحارب اهله وكفرهم وصد عن سبيل الله كما هو شأن عباد القبور وقد اجمع العلماء على ان من قال لا اله الا الله وهو مشرك انه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد قال ابو سليمان الخطابي في قوله " امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله " معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . وقال القاضي عياض اختصاص عزم المال والنفس بمن قال لا اله الا الله تعبير عن الاجابة الى الايمان وان المراد بذلك مشركو العرب واهل الاوثان ومن لا يوحد وهم كانوا اول من دعى الى الاسلام وقوتل عليه فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عزمته بقوله لا اله الا الله اذ كان يقولها في كره وهي ممن اعتقده فلذلك جاء في الحديث الاخر وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وقال النووي لا بد مع هذا من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما جاء في الرواية الاخرى " ويؤمنوا بي وبما جئت به " . وقال شيخ الاسلام لما سئل عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولمَّا زعموا من اتباع اصل الاسلام فقال " كل طائفة ممتنعة من التزام شرائع الاسلام الناهرة المتواترة من هؤلاء القوم او غيرهم فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائعه كما قاتل ابو بكر والصحابه رضى الله عنهم مانحي الزكاة وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم . قال : فايما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء او الاموال او الخمر او الميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام واجبات الدين او محرماته التي لا عذر لاحد في جحودها او تركها التي يكثر الواحد بجحودها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء . قال : وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الاسلام بمنزلة

مانعي الزكاة^(١) . وبالإضافة الى ما ذكر الشيخ سليمان فقد ذكر ابن تيمية الاجماع على قتال اهل الردة في فتاوى متعددة .

(١) وسئل شيخ الاسلام تقي الدين عن يزعمن انهم يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ويعتقدون ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على امامته وان الصحابة ظلموه ومنعوه حقه وانهم كفروا بعد ذلك فهل يجب قتالهم ويكفرون بهذا الاعتقاد ام لا ؟

فاجاب الحمد لله رب العالمين . اجمع علماء المسلمين على ان كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله فلو قالوا نصلى ولا نركى او نصلى الخمس ولا نصلى الجمعة ولا الجماعة او نقوم بمباني الاسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين واموالهم اولانترك الربا ولا الخمر ولا الميسر او نتبع القرآن ولا نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نعمل بالاحاديث الثابتة عنه او نعتقد ان اليهود والنصارى خير من جمهور المسلمين وان اهل القبلة قد كفروا بالله ورسوله ولم يبق منهم مؤمن الا طائفة قليلة او قالوا اننا لانجاهد الكفار مع المسلمين او غير ذلك من الامور المخالفة لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وما عليه جماعة المسلمين فانسه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها كما جاهد المسلمون مانعي الزكاة وجاهدوا الخوارج واصنافهم وجاهدوا الخرمية والقرامطة والباطنية وغيرهم من اصناف اهل الامواء والبدع الخارجين عن شريعة الاسلام وقد ثبت عن علي في صحيح البخارى وغيره من نحو ثمانين وجها انه قال خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر وثبت عنه انه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الالهية وروى عنه باسانيد جيدة

(١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله (ص ١١٨-١٢٢) .

انه قال لا اوتي باحد يفضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته حد المفتري
وعنه انه طلب عبد الله بن سبأ لما بلغه انه سب ابا بكر وعمر ليقتله
فهرب وعمر بن الخطاب رضي الله عنه امر برجل فضله على ابي بكر ان يجلد
لذلك وقال عمر رضي الله عنه لصبيغ بن عسل لما ظن انه من الخوارج لو
وجدتك مخلوقا لضربت الذي فيه عيناك . فهذه سنة امير المؤمنين علي
وغيره قد امر بحقوق الشيعة الاصناف الثلاثة واخفهم المفضلة فامر
وعمر بجلدهم والغالية يقتلون باتفاق المسلمين وهم الذين يعتقدون
الالهية والنبوة في علي وغيره مثل النصيرية والاسماعيلية الذين يقال لهم
بيت صادق وبيت سين ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود
الصانع او ينكرون القيامة او ينكرون نواهر الشريعة مثل الصلوات الخمس
وصيام شهر رمضان وحج البيت الحرام ويتأولون ذلك على معرفة اسرارهم
وكتمان اسرارهم وزيارة شيوخهم ويرون ان الخمر حلال لهم ونكاح
ذوات المحارم حلال لهم . وان جميع هؤلاء الكفار اكره من اليهود
والنصارى فان لم يظهر عن احدهم ذلك كان من المنافقين الذين هم
في الدرك الاسفل من النار ومن اظهر ذلك كان اشد من الكافرين كفرا
فلا يجوز ان يقرب بين المسلمين لا بجزية ولا بذمة ولا يحل نكاح نسائهم
ولا تؤكل ذبائحهم لانهم مرتدون من شر المرتدين فان كانوا طائفة متمنعة
وجب قتالهم كما يقاتل المرتدون كما قاتل الصديق والمحاباة اصحاب
مسيلمة الكذاب واذا كانوا في قري المسلمين فرقوا واسكنوا بين المسلمين
بعد التوبة والزموا بشرائع الاسلام التي تجب على المسلمين وليس هذا
مختصا بغالية الرافضة بل من غلا في احد من المشايخ وقال انه يرزقه
او يسقط عنه الصلاة او ان شيخه افضل من النبي او انه مستغن عن شريعة
النبي صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى . وكل هؤلاء كفار
يجب قتالهم باجماع المسلمين وقتل الواحد المقدور عليه منهم . ا . هـ (١)

(٢) وقال رحمه الله لما سئل عن التتار وعن عسكروهم مايلي (.)
 فهؤلاء القوم المسئول عنهم عسكروهم مشتمل على قوم كفار ممن
 النصراني والمشركين وعلى قوم منتسبين الى الاسلام وهم جمهور
 العسكرو ينطقون بالشهادتين اذا طلبت منهم ويحفظون الرسول
 وليس فيهم من يصلي الا قليل جدا وصوم رمضان اكثر فيهم ممن
 الصلاة والمسلم عند هم اعظم من غيره وللصالحين من المسلمين
 عند هم قدر وعند هم من الاسلام بعضه وهم متفانون فيه لكن الذي
 عليه عامتهم والذي يقاتلون عليه متضمن لترك كثير من شرائع الاسلام
 او اكثرها فانهم لا يوجبون الاسلام ولا يقاتلون من تركه بل ممن
 قاتل على دولة المفضول عظموه وتركوه وان كان كافرا عدوا لله
 ورسوله وكل من خرج عن دولة المفضول او عليها استحلوا قتاله
 وان كان من خيار المسلمين فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون اهل
 الكتاب بالجزية والصفار ولا ينفون احدا من عسكروهم ان يعبد
 ماشاء من شمس او قمر او غير ذلك بل الظاهر من سيرتهم ان المسلم
 عند هم بمنزلة العدل او الرجل الصالح او المتطوع في المسلمين
 والكافر عند هم بمنزلة الفاسق في المسلمين او بمنزلة تارك التطوع.
 وكذلك ايضا عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين واموالهم الا ان ينهاهم
 عنها سلطانهم اي لا يلتزمون تركها واذا نهاهم عنها او عن غيرها
 اطاعوه لكونه سلطانا لا بمجرد الدين وعامتهم لا يلتزمون اداء الواجبات
 الا من الصلاة ولا من الزكاة ولا من الحج ولا غير ذلك ولا يلتزمون
 الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون باوضاع لهم توافق الاسلام تارة
 وتخالفه اخرى وانما كان ملتزم لشرائع الاسلام الشيزيرون وهو
 الذي اظهر من شرائع الاسلام ما استفاد عند الناس واما هؤلاء
 فدخلوا فيه وما التزموا شرائعه وقتال هذا الضرب واجب باجماع
 المسلمين وما يشك في ذلك من عرف دين الاسلام وعرف حقيقة

امرهم فان هذا السلم الذي هم عليه ودين الاسلام لا يجتمعان ابدا واذا كان الاكواد والاعراب وغيرهم من اهل البوادي الذين لا يلتزمون شريعة الاسلام يجب قتالهم وان لم يتعد ضررهم الي اهل الامصار فكيف بهؤلاء (١)

(٣) وقال رحمه الله لما سئل عن اجناد يمتنعون عن قتال التتار ويقولون ان فيهم من يخرج مكرها معهم . . فاجاب الحمد لله رب العالمين قتال التتار الذين قدموا الي بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة فان الله يقول في القرآن (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والدين هو الطاعة فاذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله ولهذا قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) .

وهذه الاية نزلت في اهل الطائف لما دخلوا في الاسلام والتزموا الصلاة والصيام لكن امتنعوا من ترك الربا فبين الله انهم محاربون لله ولرسوله اذا لم ينتهوا عن الربا والربا هو آخر ما حرمه الله وهو مال يؤخذ برضا صاحبه فاذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الاسلام او اكثرها كالتتار والتتار واشباههم اعظم خروجا عن شريعة الاسلام من مانعي الزكاة والخوارج من اهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا فمن شك في قتالهم فهو اجهل الناس بدين الاسلام وحيث يجب قتالهم قوتلوا وان كان فيهم المكسره باتفاق المسلمين كما قال العباس لما اسر يوم بدر يارسول الله اني خرجت مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرك فكان علينا واما سريرتك فالي الله وقد اتفق العلماء على ان جيش الكفار اذا اتسروا بمن

عندهم من اسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر اذا لم يقاتلوا فانهم يقاتلون وان افضى ذلك الى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم وان لم يخف على المسلمين ففي جواز القتال المفضى الى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء وهؤلاء المسلمين اذا قتلوا كانوا شهداء ولا يترك الجهاد الواجب لاجل من يقتل شهيدا فان المسلمين اذا قاتلوا الكفار فمن قتل من المسلمين يكون شهيدا ومن قتل وهو في الباطن لا يستحق القتل لاجل مصلحة الاسلام كان شهيدا . . . (١) .

وماتقدم هو حكم الطائفة الممتنعة ذات الشوكة والقوة والمنعومة واما المقدور عليه من المرتدين كان يكون فردا بين المسلمين او جماعة قليلة لاشوكة لها ولا منعة فانه يستتاب ثلاثة ايام على رأى بعض العلماء فان تاب والاقبل . يقول ابن حجر (قال ابن بطال اختلف في استتابة المرتد فقيل يستتاب فان تاب والاقبل وهو قول الجمهور وقيل يجب قتله في الحال جاء ذلك عن الحسن وطاوس وبه قال اهل الظاهر قلت ونقله ابن المنذر عن معاذ وعبيد بن عمير وعليه يدل تصرف البخاري فانه استنظر بالايات التي لا ذكر فيها للاستتابة والتي فيها ان التوبة لا تنفع وبعموم قوله من بدل دينه فاقتلوه ويقضى معاذ التي بعدها ولم يذكر غير ذلك قال الطحاوي ذهب هؤلاء الى ان حكم من ارتد عن الاسلام حكم الحربى الذى بلغته الدعوة فانه يقاتل من قبل ان يدعى قالوا وانما تشرع الاستتابة لمن خرج عن الاسلام لاعن بصيرة فاما من خرج عن بصيرة فلا اثم نقل عن ابي يوسف موافقتهم لكن قال ان جاء مبادرا بالتوبة خليت سبيله ووكلت امره الى الله تعالى وعن ابن عباس وعطاء ان كان اصله مسلما لم يستتب والاستتباب . واستدل ابن القصار لقول الجمهور بالاجماع يعنى السكوتى لان عمر كتب فى امر المرتد هلا حبستموه ثلاثة ايام واطعمتموه فى كل يوم رغيفا لعله يتوب

فيتوب الله عليه قال ولم ينكر ذلك احد من الصحابة كأنهم فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه اى ان لم يرجع (١) .

قلت والعجب ان ابن القصار احتج بالاجماع السكوتي على مذهب الجمهور والحادثة التي ذكرها عن عمر بن الخطاب لم تصح سندا وبالتالى يسقط الاجماع المبني عليها لان مابنى على غير صحيح فليس صحيح . يقول الالباني عن هذه الحادثة ان سندها منقطع وفيها راو لم يوثقه غير ابن حبان فهو فى حكم المجهول . والراوى هو محمد بن عبد الله . ومافى صحيح البخارى يخالف هذه الحادثة التي فيها الحبس ثلاثة ايام فقد روى البخارى بسنده عن ابي موسى قال اقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعى رجلان من الاشعريين احدهما عن يمينى والاخر عن يسارى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك فكلاهما سأل فقال يا ابا موسى اوىعبد الله بن قيس قال قلت والذي بعثك بالحق ما اطلعانى على مافى انفسهما وماشعرت انهما يطلبان العمل فكأنسى انظر الى سواك تحت شفته قلصت فقال لن اولانستعمل على عملنا ممن اراده ولكن اذهب انت يا ابا موسى اوىعبد الله بن قيس الى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه القي له وسادة قال انزل فاذا رجع عنده موثق قال ما هذا قال كان يهوديا فاسلم ثم تهود قال اجلس قال لا اجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات . . الحديث (٣) .

والذى يظهر لى والله اعلم ان المرتد كالكافر فكما ان الكافر يكفى فى شأنه ان يدعى مرة واحدة فاذا سمع آيات الله وقامت عليه الحجاة قوتل فكذلك المرتد يدعى الى التوبة ويكشف له ما عنده من شبهة ثم يقتل

-
- (١) فتح البارى لابن حجر (١٢: ٢٣٧) .
 - (٢) انظر ارواء الغليل للالباني (٨: ١٣١) .
 - (٣) صحيح البخارى مع الفتح (١٢: ٢٤٢) .

ويدل على هذا ما ذكره ابن حجر وحسنه إذ قال (وقد وقع في حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن قال له أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وألا فاضرب عنقه وإيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وألا فاضرب عنقها وسنده حسن) (١) .

ولو كان يجب العيب ثلاثا لبينه صلى الله عليه وسلم لمعاذ والله تعالى أعلم . ولقد اطلعت على كتاب بعنوان حرية الاعتقاد في الإسلام تأليف جمال البنا ينكر مؤلفه حكم الردة ويستدل بأقوال عبد المتعال الصعيدي في كتابه حرية الفكر في الإسلام ومن شبهه أن حكم الردة لم يأت في القرآن وهناك شبه كلها أغرب من هذه الشبهة وقد غضب حضرة المؤلف جمال البنا عندما قرأ في جريدة الأهرام اليومية الصادرة في ٦/٨/١٩٧٧م خبرا مفاده أنه قدم إلى مجلس الدولة في مصر مشروع قانون بإعدام المرتد فقال ناصحا لمجلس الدولة . . . (أن هذا القانون أمر لا يكاد يصدق ما هذا أيها السادة هل أصابتكم جنة ؟ أجماعة تكبير جديدة ؟ هل تريدون أن تنصبوا محرقة أو أن تدخلوا في الإسلام السمح محكمة بابوية يضع قضاتها العمائم ؟ ارتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا . أن هذا القانون ردة تشريعية حقيقية لعلاج ردة إسلامية وهمية) (٢) .

ياسبحان مقلب القلوب والابصار كون مجلس الدولة يشرع تشريعات تعارض القرآن صراحة كإسقاط حد الزنا والسرقة لا يغضب المؤلف الذي يدافع عن الإسلام . ويعتبره ردة وهمية .

أما أن يشرع المجلس إعدام المرتد عن الإسلام فهذه هي الردة الحقيقية على رأي المؤلف . .

(١) فتح الباري (١٢ : ٢٤٠) .

(٢) انظر (ص ٥٦) من حرية الاعتقاد في الإسلام لجمال البنا .

(٣) المصدر السابق (ص ٦٧) .

ويسخر المؤلف من ابن حزم لما قال (ولو ان امرىء قال لاناخذ
الا ما وجدناه في القرآن لكان كافرا باجماع الامة) فيقول (فهذا
لا ينكر وجود الله ولا رسالة محمد ولا اليوم الاخر ويمكن ان يكون معصوم
الدم والمال مادام يقول لا اله الا الله محمد رسول الله بنى حد يثبت
الرسول ومع هذا فان التخريج الفقهي يخرج من الحياة ويجعله حلال
الدم والمال) (١). والذي يثير السخرية والاسى هو فكر هذا المؤلف
المدخول لامنقله ابن حزم من اجماع الامة على تكفير من ترك العمل
بالسنة المطهرة .

ولا اطيل بذكر شبه هذا المؤلف ومن نهج نهجه وانما اقول ان حد
الردة قد اجمعت عليه الامة الاسلامية وصحت به الادلة الشرعية . يقول
ابن رشد (والمرتد اذا كفر به قبل ان يحارب فاتفقوا على انه يقتل) (٢)
وقال ابن قدامة (المرتد هو الراجع عن دين الاسلام الى الكفر قال
الله تعالى (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبسوا
اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وقال
النبي صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) واجمع اهل العلم
على وجوب قتل المرتد وروى ذلك عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ
وابي موسى وابن عباس وخالد وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان اجماعا) (٣) فلعل
الله ان ينعم على جمال البنا ومن نهج نهجه بالتوبة النصوح واخذ الاحكام
الشرعية من مصادرها لا من اموائهم المدخولة . . وتأويلاتهم الباطلة
فان التكاة التي يستند عليها كل محرف لدين الله هو التأويل الفاسد
وقد فعل جمال البنا واصحابه فزعموا ان الصحابة انما قتلوا من ارتد

-
- (١) المصدر السابق (ص ٧٠) .
(٢) بداية المجتهد (٢: ٤٥٩) .
(٣) المغنى لابن قدامة (٨: ١٢٣) .

عن دينه لانه صار محاربا لهم بالسلاح والا لولم يحارب لما قتلوه... (١)
 اما الاحاديث الصحيحة التي في صحيح البخارى وغيره الامرة بقتل
 المرتد فهي عندهم احاديث احاد لا يعمل بها في العقيدة ولا تثبت بها
 الحدود... (٢)

ولكن ليت شعري ما موقف هؤلاء من اجماع امة محمد صلى الله عليه
 وسلم على قتل المرتد سواء حارب ام لم يحارب . يقول الشيخ محمد بن
 عبد الوهاب رحمه الله (وصورة الردة ان العرب افتقرت في ردتها فطائفة
 رجعت الى عبادة الاصنام وقالوا لو كان نبيا لما مات وفرقة قالت تؤمن
 بالله ولا نصلي وطائفة اقرؤا بالاسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة وطائفة
 شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولكن صدقوا مسيما
 ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه معه في النبوة وذلك انه اقام
 شهودا شهدوا معه بذلك وفيهم رجل من اصحابه معروف بالعلم والعبادة
 يقال له الرجال فصدقوه لاجل ما عرفوا فيه من العلم والعبادة ففيه
 يقول بعضهم ممن ثبت منهم :

ياسعاد الفؤاد بنت اثال طال ليلى بفتنة الرجال

فتن القوم بالشهادة والله عزيز ذو قوة ومحال

وقوم من اهل اليمن صدقوا الاسود العنسي في ادعائه النبوة
 وقوم صدقوا طليحة الاسدي . ولم يشك احد من الصحابة في كفر من
 ذكرنا ووجوب قتالهم الا مانع الزكاة ولما عزم ابو بكر رضي الله عنه على
 قتالهم قيل له كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
 دماءهم واموالهم الا بحقها قال ابو بكر فان الزكاة من حقها والله

(١) حرية الاعتقاد للبنا (ص ٦١) .

(٢) انظر كتاب حرية الاعتقاد لجمال البنا (ص ٦٠) وما بعد ها .

لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
علي منعه ثم زالت الشبهة عن الصحابة رضي الله عنهم . . .

الدليل الثاني : قصة اخرى وقعت في زمن الخلفاء الراشدين
وهي ان بقايا من بني حنيفة لما رجعوا الي الاسلام وكفروا بصليمة
واقروا بكذبه كبر ذنبهم عند انفسهم وتحملوا باهليهم الي الشجر لاجل
الجهاد في سبيل الله لعل ذلك يمحو عنهم آثار تلك الردة لان الله
تعالى يقول (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبذل الله
سيئاتهم حسرات) ويقول (وانى لظفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم
اهتدى) فنزلوا الكوفة وصار لهم بها محلة معروفة فيها مسجد يسمى
مسجد بني حنيفة فمر بعض المسلمين علي مسجد هم بين المغرب والعشاء
فسمعوا منهم كلاما معناه ان صليمة كان علي حق وهم جماعة كثيرون لكن
الذي لم يقله لم ينگوه علي من قاله فرفضوا امرهم الي عبد الله بن مسعود
فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم هل يقتلهم وان تابوا او يستتبيهم
فاشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة و اشار بعضهم باستتابتهم فاستتاب
بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه . . .

الدليل الثالث : ما وقع في زمن الخلفاء الراشدين . قصة
اصحاب علي بن ابي طالب لما اعتقدوا فيه الالهية - التي تعتقد اليوم
في اناس من الكفر بني آدم وفسقهم - فدعاهم الي التوبة فابوا فخذ لهم
الاخاديد وملاها حطبا واضرم فيها النار وقد فهم فيها وهم احياء . . .

الدليل الرابع : ما وقع في زمن الصحابة ايضا وهي قصة المختار بن
ابي عبيد الثقفي وهو رجل من التابعين مظاهر لعبد الله بن عمر رضي
الله عنه وعن ابيه مظهر للصلاح فظهر في العراق يطلب بدم الحسين
واهل بيته فقتل ابن زياد ومال اليه من مال لطلبه دم اهل البيت ممن
ظلمهم ابن زياد فاستولوا علي العراق وظهر شرائع الاسلام ونصب القضاة
من اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة

والجماعة لكن في آخر امره زعم انه يوحى اليه فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزموا جيشه وقتلوه وامير الجيش مصعب بن الزبير وتحتته امرأة ابوها احد الصحابة فدعاها مصعب الي تكفيره فابت فكتب النبي اخيه عبد الله يستفتيه فيها فكتب اليه ان لم تجرباً منه فاقتلها فامتنعت فقتلها مصعب واجمع العلماء كلهم على كفر المختار مع اقامته شعائر الاسلام لما جنى على النبوة . . .

الدليل الخامس : ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة الجعد بن درهم وكان من اشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد شيئاً من صفات الله مع كونها مقالة خفيفة عند الاكثر ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الاضحى فقال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم فانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه ولم يعلم ان احداً من العلماء انكروا ذلك عليه بل ذكر ابن القيم اجماعهم على استحسانه فقال :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من اخي قربان^(١)

فهذه الحوادث التي وقعت في عصر الصحابة والتابعين لم يعلن اصحابها الحرب على المسلمين ومع هذا اقام الصحابة ومن بعدهم عليهم حد الردة بل ان اصحاب علي - عبد الله بن سبأ وحزبه اعلنوا الوهيتة فهل يتصور من شخص يعبد شخصاً ان يحاربه ويقاتله وقصته في صحيح البخاري فقد روى البخاري بسنده عن عكرمة قال اتى علي رضي الله عنه بزنادقة فاحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت انا لم احرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتعدبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه . ولكن^(٢)

(١) مختصر السيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٩٥) وما بعد ها .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٢ : ٢٣٧) .

لا فائدة مع هؤلاء القوم من كثرة ايراد الاحاديث من صحيح البخارى او من غيره . ولقد رأيت في كتب بعض المعاصرين العجب العجاب فان كان الحكم يخالف اهواءهم فدليله اما حديث احاد . . واما انه حادثة فردية . . واما ان ظاهر القرآن يخالفه . . وهكذا دواليك من التأويلات الشبيهة بتأويلات الباطنية الذين اولوا اركان الاسلام على مقتضى اهوائهم . اما ان كان الحكم يوافق اهواءهم وان كان دليله حديثا موضوعا . فيحتالون لاثباته بشتى الوسائل فاما قالوا يشهد له ظاهر القرآن . . والا قالوا عليه العمل عند المسلمين والا قالوا والمصلحة المرسله تقتضى الاخذ بهذا الحكم ونحو ذلك والذي لا يؤمن بقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مستقولا)^(١) فان الجدل والمناقشة معه من اصعب الامور نسأل الله ان يهدى ضال المسلمين الى درب الرشاد .

واما النفاق فهو اظهار الاسلام واطمان الكفر قال ابو عبيد سمي المنافق منافقا للنفاق وهو السرب في الارض وقيل انما سمي منافقا لانه نافع كاليربوع وهو دخوله نفاقه يقال قد نفق به ونافق وله جحر آخر يقال له القاصعاء فاذا طلب قصع فخرج من القاصعاء فهو يدخل في النافقاء ويخرج من القاصعاء او يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء فيقال هكذا يفعل المنافق يدخل في الاسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل منه ^(١) . وقال الشيخ ابن تيمية (فمن النفاق ما هو اكبر يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار كنفاق عبدالله بن ابي وغيره بان يظهر تكذيب الرسول او جحود بعض ما جاء به او بغضه او عدم اعتقاده وجوب اتباعه او المسره بانخفاض دينه او المساءه بظهور دينه ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه الاعدا والله ورسوله واما النفاق الاصغر فهو النفاق في الاعمال ونحوها مثل ان يكذب اذا حدث وبخالف اذا وعد ويخون اذا ائتمن او يفجر اذا خاصم ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ^(٢) . وللمنافقين صفات نوجزها فيما يلي :

- (١) ابطان الكفر والتظاهر بالايمان (ومن الناس من يقول آما بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ^(٣) .
- (٢) صفة المخادعة (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون) ^(٤) .
- (٣) العزوف عن التحاكم الى الكتاب والسنة (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا

(١) لسان العرب (١٠ : ٣٥٩) .

(٢) مجموع الفتاوى الكبرى (٢٨ : ٤٣٤) .

(٣) البقرة : ٨

(٤) البقرة : ٩

الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا^(١) .

(ويقولون آما بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من
بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم
بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه
مذعنين افى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا^(٢) .)

(٤) موالة الكفار وممالأتهم على المسلمين (الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن خرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد
انهم لكاذبون^(٣)) .

(٥) الدس والوقيعة واشعال نار الفتنة واستغلال الخلافات بين
المسلمين ومحاولة توسيع شقتها (هم الذين يقولون لا تنقصوا على
من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون^(٤)) .

(١) النساء : ٦٠ - ٦١

(٢) النور : ٤٧ - ٥١

(٣) الحشر : ١١ ، ١٢

(٤) المنافقون : ٧ - ٨

- (٦) الجبن الشديد والتخلف عن الجهاد (اشحة عليكم فاذا اجاء
 الخوف رأيتم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يخشى عليه من
 الموت فاذا ذهب الخوف سلكوكم بالسنة حداد اشحة على الغير
 اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) (١)
 (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
 باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) (٢)
 (وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين
 وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
 او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب
 منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما
 يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ماقتلوا قتل
 فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) (٣)
- (٧) التخذييل والتثبيط والارجاج (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا
 ولا وضعوا خلالكم بينوكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم
 بالناظرين) (٤)
- (٨) الامر بالمنكر والنهي عن المعروف (المنافقون والمنافقات بعضهم
 من بعض يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم
 نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) (٥)

(١) الاحزاب : ١٩

(٢) التوبة : ٤٤ - ٤٥

(٣) آل عمران : ١٦٦ - ١٦٨

(٤) التوبة : ٤٧

(٥) التوبة : ٦٧

- (٩) محبة اشاعة الفاحشة (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون) .^(١)
- (١٠) الاستهزاء بالمؤمنين والسخرية منهم (الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدا هم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم) .^(٢)
- (١١) الكسل في عبادة الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) .^(٣)
- (١٢) الذبذبة وعدم الاستقرار (مذذب بين بين ذلك لا الي هؤلاء ولا الي هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) .^(٤)
- (١٣) الفرح بما يصيب المسلمين من الضراء والاستياء بما يجعل الله لهم من النصر والتمكين (ان تصيبك حسنة تسوءهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) .^(٥)
- (١٤) الافساد في الارض مع زعم الاصلاح (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .^(٦)
- (١٥) اتخاذ مساجد الضرار لتفريق المؤمنين ومحاربتهم وصرفهم عن المساجد المؤسسة على التقوى^(٧) (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا

-
- (١) النور : ١٩
 (٢) التوبة : ٧٩
 (٣) النساء : ١٤٢
 (٤) النساء : ١٤٣
 (٥) التوبة : ٥٠
 (٦) البقرة : ١١ - ١٢
 (٧) انظر هذه الصفات وغيرها في كتاب الجهاد لمحمد نعيم ياسين (ص ١١٥) وما بعد ها وكتاب النفاق لعبد الرحمن الدوسري (ص ٤٠) وما بعد ها .

وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل
 وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون (١) .
 وغير هذه الصفات صفات كثيرة يكشفها الريانيون العاملون بكتاب
 الله عز وجل تبذروا من اقوال المنافقين واعمالهم (ام حسب الذين نفى
 قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لا ريناكم فلعرفتهم
 بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم) (٢) .
 وقد امر الله رسوله بجهاد المنافقين مع الكفار فقال تعالى
 (يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماؤهم جهنم
 وبئس المصير) (٣) .

والجهاد اذا اطلق من غير قرينة ينصرف الى الجهاد بالسيف كما
 تقدم في تعريف الجهاد . وهذه الاية الكريمة لم تفرق بين جهاد الكفار
 وجهاد المنافقين فدل على ان المنافقين اذا عرفوا يجاهدون بالسيف
 كالكفار وبهذا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعلى بن ابي طالب
 رضى الله عنه ورجحه ابن جرير الطبرى رحمه الله فقال (واولى الاقوال
 فى تأويل ذلك عندى بالصواب ما قال ابن مسعود من ان الله امر نبيه
 صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى امره به من جهاد
 المشركين) (٤) . وينحو هذا قال ابن رجب الحنبلى اذ قال (والذى يظهر
 ان فى القرآن اربعة سيوف : سيف على المشركين حتى يسلموا او يؤسروا
 فاما منا بعد واما فداء وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة وقد امر
 الله بجهادهم والاغلاظ عليهم فى سورة براءة وسورة التحريم وآخر سورة

(١) التوبة : ١٠٧

(٢) محمد : ٢٩ - ٣٠

(٣) التوبة : ٧٣

(٤) تفسير الطبرى (٦ : ١٢٧) .

الاحزاب وسيف على اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية وسيف على اهل
البنى وهو المذكور في سورة الحجرات (١) . وقال ابن تيمية (وجملة
ذلك انه لما نزلت براءة امران بيتدي* جميع الكفار بالقتال وثنيهم
وكتابيهم سواء كفو عنه اولم يگوا وان ينبذ اليهم تلك العهد المطلقة
التي كانت بينه وبينهم وقيل له فيها (جاهد الكفار والمنافقين واغلب
عليهم) بعد ان كان قد قيل له (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم)
ولهذا قال زيد بن اسلم نسخت هذه الاية ما كان قبلها فاما قبل براءة
وقبل بدر فقد كان مأمورا بالصبر على اذاهم والعفو عنهم واما بعد بدر
وقبل براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عن سآله كما فعل بابن
الاشرف وغيره ممن كان يؤذيه . فبدر كانت اساس عز الدين وفتح مكة
كانت كمال عز الدين فكانوا قبل بدر يسمعون الاذى النال هر ويؤمرون
بالصبر عليه وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون
بالصبر عليه وفي تبوك امروا بالاغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها
كافر ولا منافق من اذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بانه
يقتل اذا تكلم (٢) . فقول ابن تيمية هذا يدل على انه يرى انه بعد نزول
آية التوبة الامة بجهاد المنافقين ان جهاد المنافقين يكون بالسيف
اذا علم نفاقهم وكانت المصلحة في جهادهم . وقد صرح بهذا في
موضع آخر فقال (فحيث ما كان للمنافق ظهور وتخاف من اقامة الحد عليه
فتنة اكبر من بقاءه عملنا بآية (دع اذاهم) كما انه حيث عجزنا عن جهاد
الكفار عملنا بآية الكف عنهم والصفح وحيث ما حصل القوة والعز خوطينا
بقوله " جاهد الكفار والمنافقين " (٣) .

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى (يا ايها النبي جاهد

-
- (١) رسالة الحكم الجديدة بالاذاعة (ص ١١٢) .
 - (٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٢٢٠) .
 - (٣) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٣٥٩) .

الكفار والمنافقين) " امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والخلطة عليهم كما امره بان يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين واخبره ان مصير الكفار والمنافقين الى النار في الدار الاخرة وقد تقدم عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعة اسياف سيف للمشركين " فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين " وسيف للكفار اهل الكتاب " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " وسيف للمنافقين " جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " وسيف للبطاة " فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله " وهذا يقتضي انهم يجاهدون بالسيف اذا اظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير . وقال ابن مسعود في قوله تعالى " جاهد الكفار والمنافقين " قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليتكلم في وجهه ^(١) . وقال ابن عباس امره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفسق بهم وقال الضحاك جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع مثله وقال الحسن وقتادة مجاهدتهم اقامة الحدود عليهم . وقد يقال انه لامنافاة بين هذه الاقوال لانه تارة يؤخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الاحوال ^(٢) .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في السبب الذي لاجله ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاد المنافقين في عهده بالسيف . فقال

(١) قول ابن مسعود (فبقلمه فان لم يستطع فليتكلم في وجهه) غير واضح لي لان القلب لاسلطة لاحد عليه وما في القلب آخر درجات الجهاد والانكار كما ثبت في الاحاديث ويبدو ان في النقل عن ابن مسعود تصحيحا وفي الكلام تقديما وتأخيرا .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ١١٨ - ١١٩) .

الطبري (فان قال قائل كيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين
 اظهر اصحابه مع علمهم بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما امر بقتال من
 اظهر منهم كلمة الكفر ثم اقام على اظهاره ما اظهر من ذلك واما من
 اذا اطلع عليه منهم انه تكلم بكلمة الكفر واخذ بها انكرها ورجع عنها
 وقال اني مسلم فان حكم الله في كل من اظهر الاسلام بلسانه ان يحقن
 بذلك له دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه
 بسرايرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي صلى
 الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه علي ضمائرهم واعتقاد صدورهم
 كان يقرهم بين اظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من
 قد ناصبه الحرب على الشرك با لله لان احدهم كان اذا اطلع عليه انه
 قال قولا كفر فيه بالله ثم اخذ به انكره واظهر الاسلام بلسانه فلم يكن
 صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما اظهر له من قوله عند حضوره اياه
 وعزاه على امضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل
 ذلك ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبيح الله لاحد الاخذ به في الحكم
 وتولى الاخذ به هو دون خلقه (١) .

قلت ومن تعليل الطبري هذا مع ترجيحه لجهاد المنافقين
 بالسيف يظهر انه لافرق عنده بين المرتدين والمنافقين الذين يجاهدون
 بالسيف والصحيح ان بينهما فرقا فان المرتد لا يتخفى باعتقاده والمنافق
 يتخفى باعتقاده والقائلون بجهاد المنافقين بالسيف يريدون جهاد من
 اطلع على نفاقه بحجة قاطعة لا تقبل الشك اما عند الاحتمال فلا يجاهد
 بالسيف . وقال القرطبي (واختلف العلماء في امساك النبي صلى الله
 عليه وسلم عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم على اربعة اقوال :

(١) قال بعض العلماء انما لم يقتلهم لانه لم يعلم حالهم احد سواه
 وقد اتفق العلماء على بكرة ابيهم علي ان القاضي لا يقتل بعلمه

(١) تفسير الطبري (٦ : ١٢٧) .

وان اختلفوا في سائر الاحكام .

(٢) قال اصحاب الشافعي انما لم يقتلهم لان الزنديق وهو الذي يسر الكفر ويظهر الايمان يستتاب ولا يقتل . قال ابن العربي وهذا وهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستتبهم ولا نقل ذلك احد

(٣) انما لم يقتلهم مسلحة لتأليف القلوب عليه لئلا تنفر عنه (قال القرطبي) وهذا قول علمائنا وغيرهم قال ابن عطية وهي طريقة اصحاب مالك رحمه الله في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين قال مالك النفاق في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه بها دون استتابة وهو احد قولي الشافعي . قال مالك وانما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبيين لامتة ان الحاكم لا يحكم بعلمه اذا لم يشهد على المنافقين وقال الشافعي محتجا للقول الاخر السنة فيمن شهد عليه بالزندقة فجدد واعلن بالايمان وتبرأ من كل دين سوى الاسلام ان ذلك يمنع من اراقة دمه وبه قال اصحاب الرأي واهمهم والطبري وغيرهم . قال الشافعي واصحابه وانما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بنفاقهم لان ما يظهرونه يجب ما قبله

(٤) وهو ان الله تعالى كان قد حفظ اصحاب نبيه عليه السلام بكونه ثبتهم ان يفسد هم المنافقون او يفسدوا دينهم فلم يكن في تبقيتهم ضرر وليس كذلك اليوم لانا لاننا من الزنادقة ان يفسدوا عامتنا وجهالنا^(١) . وقال ابن تيمية رحمه الله (فان قيل فلم لم

(١) الجا مع لاحكام القرآن للقرطبي (١ : ١٩٨ - ٢٠) .

يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بنفاق بعضهم وقبيل
 علانيتهم ؟ قلنا انما ذلك لوجهين :

احد هما ان عامتهم لم يكن مايتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم
 بالبينة بل كانوا يظهرن الاسلام ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعيها
 الرجل المؤمن فينقلها الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحلفون بالله
 انهم ما قالوها او لا يحلفون وتارة بما يظهرون من تأخرهم عن الصلاة
 والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهة منهم لكثير من احكام الله
 وعاتمهم يعرفون من لحن القول كما قال الله (ام حسب الذين في
 قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم
 بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) فاخبر سبحانه انه لو شاء
 لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (ولتعرفنهم في لحن
 القول) فاقسم انه لا يبدان يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان
 يقول القول او يعمل العمل فينزل القرآن بخبر ان صاحب ذلك القول
 والعمل منهم كما في سورة براءة ومنهم من كان المسلمون ايضا يعلمون
 كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والامارات ومنهم من لم يكن
 يعرف كما قال تعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل
 المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) ثم جميع هؤلاء
 المنافقين يظهرن الاسلام ويحلفون انهم مسلمون وقد اتخذوا اي مانهم
 جنة واذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم
 الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد
 حتى يثبت الموجب للحد ببينة او اقرارا لثري كيف اخبر عن المرأة
 الملاعنة انها ان جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به
 وجاءت به على النعت المكروه فقال " لولا الايمان لكان لي ولها شأن " .
 وكانت بالمدينة امرأة تعلن الشر فقال " لو كنت راجما احدا ممن
 غير بيعة لرجمتها " وقال للذين اختصموا اليه " انكم تختصمون الي ولعل
 بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي بنحو ما اسمع فمن

قضيت له من حق اخيه شيئا فلأيا غذه فا نما اقطع له قطعة من النار" فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ويدل على هذا انه لم يستتبهم على التعيين ومن المعلوم ان احسن حال من ثبت نفاقه وزندقته ان يستتاب كالمرتد فان تاب والا قتل ولم يبلغنا انه استتاب واحدا بعينه منهم فعلم ان الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب ان يقتل كالمرتد ولهذا تقبل علانيتهم وتكلم سرائرهم الى الله والزندق والمناق انما يقتل اذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بيعة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة .

الوجه الثاني : انه عليه الصلاة والسلام كان

يخاف ان يتولد من قتلهم من الفساد اكثر مما في استبقائهم وقد بين ذلك حين قال " لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه " وقال " اذا تردد له آنف كثيرة بيثرب " فانه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لا وشك ان يظن الخائن انه انما قتلهم لاغراض واحقاد وانما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال " اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم " وان يخاف من يريد الدخول في الاسلام ان يقتل مع اظهارة الاسلام كما قتل غيره . وقد كان ايضا يغضب لقتل بعضهم قبيلته واناس آخرون فيكون ذلك سببا للفتنة واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن ابي لما عرض سعد بن معاذ بقتله خاصم له اناس صالحون واخذتهم الحمية حتى سكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنه عمر في قتل ابن ابي قال اصحابنا ونحن الان اذا خفنا مثل ذلك كفنا عن القتل . فحاصله ان الحد لم يقم على واحد بعينه لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام او لعدم امكان اقامته الامع تفسير اقوام عن الدخول في الاسلام وار تداد آخريه عنه واظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربي فسادا على فساد ترك قتل مناقق وهذان المعنيان حكمهما

باق الي يومنا هذا^(١) .

واما ابن حزم فانه يعطل عدم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم للمنافقين في عهده بان المنافقين في عهده صنفان . صنف لم يعلم صلى الله عليه وسلم اعيانهم وصنف علم اعيانهم ثم تابوا ولم يقطع بان توبتهم غير صحيحة لذلك لم يقتلهم . وقد اطل في ابطال كـل ما يعارض قوله هذا^(٢) . ويورد على ابن حزم بان النبي صلى الله عليه وسلم لما استأذنه بعض الصحابة في قتل المنافقين لم يقل لهم انهم تابوا ولا سبيل الي قتل التائب من المنافقين بل علل بعلة اخرى فكيف اذا يتركه ابن حزم ظاهر قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ظاهري . . وبهذا يظهر ان المنافق اذا ظهر نفاقه وثبت ببينة شرعية يقام بها الحد قتل بالسيف وهذا هو جهاده الثابت في سورة براءة وصي آخر القرآن نزولا فان انكر انه كفر بعد قيام البينة عليه فلا يستتاب بل يقتل . اما ان اقر فانه يستتاب وكذلك من تكررت ردتته مرارا كثيرة فان ذلك متلاعب بدينه فاسد الطوية يقتل ولا يستتاب . يقول ابن تيمية في تقريره ما سبق (ويدل على المسألة ما روى ابو ادريس قال اتى علي رضي الله عنه بناس من الزنادقة ارتدوا عن الاسلام فسألهم فوجدوا فقامت عليهم البينة العمدول قال فقتلهم ولم يستتبهم قال واتى برجل كان نصرانيا واسلم ثم رجع عن الاسلام قال فسأله فاقربما كان منه فاستتابه فخره فقيل له كيف تستتب هذا ولم تستتب اولئك قال ان هذا اقربما كان منه وان اولئك لم يقرؤا وجدوا حتى قامت عليهم البينة فلذلك لم استتبهم رواه الامام احمد فهذا من امير المؤمنين علي بيان ان كل زنديق كتم زندقته وجدها حتى قامت عليه البينة

(١) الصارم المسلول (ص ٣٥٥ - ٣٥٨) .

(٢) انظر المحلي لابن حزم (١١ : ٢١٢) وما بعد ها .

قتل ولم يستتب وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل من جحد
زندقة من المنافقين لعدم قيام البينة ويدل على ذلك قوله تعالى
" ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة" الى قوله
" وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا" فعلم ان من
لم يعترف بذنبه كان من المنافقين ولهذا الحديث قال الامام احمد في
الرجل يشهد عليه بالبدعة فيجحد ليست له توبة انما التوبة لمن
اعترف فاما من جحد فلا توبه له . قال القاضي ابو يعلى وغيره : واذا اعترف
بالزندقة تاب قبلت توبته لانه باعترافه يخرج عن حد الزندقة
لان الزنديق هو الذي يستبطن الكفر ولا يظهره فاذا اعترف به ثم
تاب خرج عن حده فلماذا قبلنا توبته (١) . وقال ايضا (واذا ثبت انه
كافر مستهين به (يقصد بالرسول صلى الله عليه وسلم) فانه
الاقرار برسالته بعد ذلك لا يدل على زوال ذلك الكفر والاستهانة
لان الظاهر انما يكون دليلا صحيحا معتمدا اذا لم يثبت ان الباطن
بخلافه فاذا قام دليل على الباطن لم يلتفت الى ظاهر قد علم ان
الباطن بخلافه ولهذا اتفق العلماء على انه لا يجوز للحاكم ان يحكم
بخلاف علمه وان شهد عنده بذلك العدول ويجوز له ان يحكم
بشهادتهم اذا لم يعلم خلافها وكذلك ايضا لو اقر اقرارا علم انه
كاذب فيه مثل ان يقول لمن هو اكبر منه هذا ابني لم يثبت نسبه ولا ميراثه
باتفاق العلماء وكذلك الادلة الشرعية مثل خبر العدل الواحد ومثل
الامر والنهي والعموم والقياس يجب اتباعها الا ان يقوم دليل اقوى
منها يدل على ان باطنها مخالف لظاهرها ونظائر هذا كثيرة . فاذا
علمت هذا فتقول هذا الرجل قد قام الدليل على فساد عقيدته وتكذيبه
به واسدته له فاطهاره الاقرار برسالته الان ليس فيه اكثر مما كان
يظهره قبل هذا وهذا القدر بطلت دلالته فلا يجوز الاعتماد عليه

(١) الصارم المسلول (ص ٣٦٠ - ٣٦١) .

وهذه نكتة من لا يقبل توبة الزنديق وهو مذهب اهل المدينة ومالك واصحابه والليث بن سعد وهو المنصور من الروایتين عن ابي حنيفة وهو احدى الروایات عن احمد نصرها كثير من اصحابه وعنهما انه يستتاب وهو المشهور عن الشافعي وقال ابو يوسف آخرا اقله ممن غير استتابة لكن ان تاب قبل ان اقله قبلت توبته وهذا ايضا الرواية الثالثة عن احمد ويدل على جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة قوله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) الى قوله (قل هل ترضون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نترضى بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا) قال اهل التفسير او بايدينا بالقتل ان اظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم وهو كما قالوا لان العذاب على ما يعطونه من النفاق بايدينا لا يكون الا القتل لكفرهم ولو كان المنافق يجب قبول ما يظهر من التوبة بعد ما ظهر نفاقه وزندقته لم يمكن ان يترضى بهم ان يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده او بايدينا كلما اردنا ان نعذبهم على ما اظهروه اظهروا التوبة وقال قتادة وغيره قوله تعالى " ومن حولكم من الاعراب منافقون " الى قوله " سنعذبهم مرتين " قالوا في الدنيا القتل وفي البرزخ عذاب القبر . وما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه) وقوله سبحانه (سيحلفون بالله لكم اذا نقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم) الى قوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) دلت هذه الايات كلها على ان المنافقين كانوا يرضون المؤمنين بالايمن الكاذبة وينكرون انهم كفروا ويحلفون انهم لم يتكلموا بكلمة الكفر وذلك دليل على انهم يقتلون اذا ثبت ذلك عليهم بالبيننة لوجوه :

احدها : انهم لو كانوا اذا اظهروا التوبة قبل ذلك منهم لم يحتاجوا الى الحلف والانكار وكانوا يقولون قلنا وقد تبنا فعلم انهم

كانوا يخافون اذا ظهر ذلك عليهم انهم يعاقبون من غير استتابة .
 الثاني : انه قال تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة) واليمين انما
 تكون جنة اذا لم تأت ببينة عادلة تكذبها فاذا كذبتها بينة عادلة
 انخرقت الجنة فجاز قتلهم ولا يمكنه ان يجتن بعد ذلك الابجنة من
 جنس الاولى وتلك جنة مخروقة .

الثالث : ان الايات دليل على ان المنافقين انما عصم دماءهم
 الكذب والانكار ومعلوم ان ذلك انما يحصم اذا لم تقم بينة بخلافه
 ولذلك لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان الكافر
 اذا اظهر التوبة من الكفر كان تركا له في الظاهر ولا يعلم ما يخالفه
 اما المنافق فاذا اظهر الاسلام لم يكن تركا للنفاق لان ظهور هذه
 الحال منه لا ينافي النفاق ولان المنافق اذا كان جهاده باقامة
 الحد عليه كجهاد الذي في قلبه مرغى وهو الزاني اذا زنى لم يسقط
 عنه حده اذا اظهر التوبة بعد اخذ له اقامة الحد عليه كما قد عرف
 ولانه لو قبضت علانيتهم دائما مع ثبوت ضدها لم يكن الى الجهاد على
 النفاق سبيل فان المنافق اذا ثبت عنه انه اظهر الكفر فلو كان
 اظهر الاسلام حينئذ ينفعه لم يمكن جهاده ويدل على
 جواز قتل الزنديق والمنافق من غير استتابة ما خرجاه في الصحيحين
 عن علي في قصة حاطب بن ابي بلتعنة فقال عمر : دعني يا رسول الله
 اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد شهد
 بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعطوا ما شئتم فقد
 غفوت لكم . فدل على ان ضرب عنق المنافق من غير استتابة مشروع اذ لم
 ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على عمر استحلال ضرب عنق المنافق
 ولكن اجاب بان هذا ليس بمنافق ولكنه من اهل بدر المغفور لهم فاذا
 اظهر النفاق الذي لا ريب انه نفاق فهو مباح الدم وقد اخرجنا
 في الصحيحين عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من

عند رسول الله حتى ينفذوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد يارسول الله قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقي (اذا جاءك المنافقون) قال ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستخفروا لهم فلووا رؤوسهم . ففي هذه القصة بيان ان قتل المنافق جائز من غير استتابة^(١) وان اظهار انكار ذلك القول وتبرأ منه واظهار الاسلام وانما منع النبي صلى الله عليه وسلم من قتله ما ذكره من تحدث الناس انه يقتل اصحابه لان النفاق لم يثبت عليه بالبيننة وقد حلف انه ما قال وانما علم بالوحي وخبر زيد بن ارقم . وايضا لما خافه من ظهور فتنة بقتله وغضب اقوام يخاف افتنانهم بقتله وذكر بعضهم ان رجلا من المنافقين خاصم رجلا من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقضى النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمها لمنافق وقال انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فاقبل الى عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه خاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكدلك قال نعم فقال لهما رويدا كما حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت فاخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج به اليهما فضرب به المنافق حتى برد فقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزل قوله (الم تر الى الذين يزعمون) الآية . وقال جبريل

(١) اخذ ابن تيمية الدلالة من سياق آخر للقصة في الصحيحين عن عمر وعن جابر وفيه قال عمر الان قتل يانبي الله هذا الخبيث لعبد الله . فقال النبي عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه .

ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقد تقدمت هذه القصة مروية من وجهين . ففي هذه الاحاديث دلالة على ان قتل المنافق كان جائزا اذ لولا ذلك لانكر النبي عليه الصلاة والسلام على من استأذنه في قتل المنافق ولانكر علي عمراذ قتل من قتل من المنافقين ولا خبر عليه الصلاة والسلام ان الدم معصوم بالاسلام ولم يعطل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم وان يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وان يقول القائل لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم لان الدم اذا كان معصوما كان هذا الوصف عديم التأثير في عصمة دم المعصوم ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا اثر له ونزل تعليله بالوصف الذي هو مناط الحكم وكما انه دليل على القتل فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لا يخفى (١) .

(١) الصارم السلولى (ص ٣٤٣ - ٣٥٥) .

(٥) الترفيب في الجهاد وبيان فضائله .

ان للجهاد منزلة عظيمة في الاسلام وقد عده بعض العلماء
 ركنا من اركان الاسلام يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف (والجهاد
 ركن من اركان الاسلام الذي لاستقامة للاسلام ولا قوام لشرائعه الابه)^(١)
 ووصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذروة سنام الدين وفضائله^(٢)
 في الكتاب والسنة لاتحصى كثرة واحيل القارئ الكريم على فصل
 اهداف الجهاد وقيامته وفصل اثر الجهاد في انتشار الدعوة الاسلامية
 من هذا البحث المتواضع ليطلع على طرف من اهمية الجهاد وفوائده
 واقتصر في هذا الفصل على ذكر طرف من الايات القرآنية الاحاديث
 النبوية الصحيحة التي تبين فضائل الجهاد والانفاق فيه وفضائل
 الشهداء والمرابطة في سبيل الله تعالى وعلى الله قصد السبيل .

(١) سورة البقرة :

قال الله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل
 احياء ولكن لا تشعرون)^(٣) . وقال سبحانه (ان الذين آمنوا والذين
 هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور
 رحيم)^(٤) وقال سبحانه (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل
 حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
 والله واسع عليم)^(٥) .

(٢) سورة آل عمران :

قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء

(١) الدرر السنية في الاجوبة النجدية جمع عبد الرحمن بن قاسم

. (١٢ : ٧)

(٢) المستدرک للحاكم (٢ : ٧٦) .

(٣) سورة البقرة : ١٥٤

(٤) البقرة : ٢١٨

(٥) البقرة : ٢٦١

عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) (١) .
(٣) سورة النساء :

قال تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) (٢) . وقال سبحانه (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله عفورا رحیما) (٣) .
(٤) سورة المائدة :

قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) (٤) .
(٥) سورة الانفال :

قال تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) (٥) .

(١) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١

(٢) النساء : ٧٤

(٣) النساء : ٩٥ - ٩٦

(٤) المائدة : ٣٥

(٥) الانفال : ٧٢ - ٧٤

(٦) سورة التوبة :

قال تعالى (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان واعدت لهم فيها نعيم مقيم . خالد بين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم) (١) .

وقال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٢) .

وقال تعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اولئك لهم الخيرات اولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) (٣) .

وقال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٤) .

وقال (ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موتا يفيئ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يحملون) (٥) .

(١) التوبة : ١٩ - ٢٢

(٢) التوبة : ٤١

(٣) التوبة : ٨٨ - ٨٩

(٤) التوبة : ١١١

(٥) التوبة : ١٢٠ - ١٢١

(٧) سورة محمد :

قال تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهد بهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) ^(١) .

(٨) سورة الفتح :

قال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا) ^(٢) .
وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) ^(٣) .

(٩) سورة الصف :

قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ^(٤) .

وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ^(٥) .

هذه بعض الايات الكريمة الدالة على فضل الجهاد والمجاهدين واما الاحاديث فكثيرة جدا لا تحيط بها رسالة وسوف اقتصر على ذكر طرفها مما في صحيح البخارى وصحيح مسلم وبعض الصحيح مما في دواوين السنة الاخرى .

(١) محمد : ٤ - ٦

(٢) الفتح : ١٨

(٣) الفتح : ٢٩

(٤) الصف : ٤

(٥) الصف : ١٠ - ١٣

(١) صحيح البخارى :

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل يعدل الجهاد فقال لا اجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدا فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال ابو هريرة ان فرس المجاهد ليستن في طوله ^(١) يكتب له حسنات ^(٢).

وعن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله اى الناس افضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله . . الحديث ^(٣).

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المجاهد في سبيل الله - والله اعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بان يتوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه سالما مع اجر وغنيمة ^(٤).

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان في الجنة مائة درجة اعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض . . . الحديث) ^(٥).

وعن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ^(٦).

وعن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان له

(١) استئنان الفرس هو ان يرفع يديه ويطحرهما معا وطوله حبل المشدود به المطول له ليرعى وهو بيد صاحبه .

(٢) صحيح البخارى (٣ : ٢٠٠) .

(٣) البخارى (٣ : ٢٠١) .

(٤) البخارى (٣ : ٢٠١) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق .

الدينا وما فيها الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسـره
ان يرجع الى الدنيا فيقتل مرة اخرى . . الحديث (١) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب
انفسهم ان يتخذوا فواضلي ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سريسة
تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لو ددت اني اقتل في سبيل الله
ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل (٢) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم
بمن يكلم في سبيله الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح
المسك (٣) .

وعن انس بن مالك ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن
سراقة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فتالتيا نبي الله الاتحدثني عن
حارثة - وكان قتل يوم بدر اصابه سهم غرب فاذ ان كان في الجنة
صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال يا ام حارثة
انها جنان في الجنة وان ابنتك اصاب الفردوس الاعلى (٤) .

وعن ابي عيسى عبد الرحمن بن جبران رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتصه النار (٥) .

وعن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف (٦) .

(١) البخارى (٣: ٢٠٣) .

(٢) البخارى (٣: ٢٠٣) .

(٣) البخارى (٣: ٢٠٤) .

(٤) البخارى (٣: ٢٠٦) .

(٥) البخارى (٣: ٢٠٧) .

(٦) البخارى (٣: ٢٠٨) .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اي فل هلم . . الحديث .^(١) وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايماناً بالله وتصديقاً بوعده فان شيعته وريته وروثه ويوله في ميزانه يوم القيامة^(٢) .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وروحه ما يروح من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الفدوة خير من الدنيا وما عليها^(٣) .
(٢) صحيح مسلم :

وسوف نقتصر على ذكر الاحاديث التي لم نذكرها من صحيح

البخارى .

فعن مسروق قال سألتنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الاية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) . قال اما انا قد سألتنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتبهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث شعرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا^(٤) .

(١) البخارى (٣: ٢١٣) .

(٢) البخارى (٣: ٢١٦) .

(٣) البخارى (٣: ٢٢٤) .

(٤) صحيح مسلم مع النووي (٣١: ١٣) .

وعن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجرى عليه رزقهوا من الفتان .^(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين .^(٢)

(٣) بعض الاحاديث الصحاح الواردة في دواوين السنة فـ الصـ
الصحيحين :

قال صلى الله عليه وسلم جاهدوا في سبيل الله فان الجهاد في سبيل الله باب من ابواب الجنة ينجي الله به من الهم والنـ^(٣)

وقال صلى الله عليه وسلم انا زعيم - والزعيم الحميل - لمن آمن بي واسلم وهاجر ببيت في رضى الجنة وببيت في وسط الجنة وانا زعيم لمن آمن بي واسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في رضى الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في اعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخـ^(٤)ير مطلبيا ولا من الشر مهريا يموت حيث شاء ان يموت . وقال صلى الله عليه وسلم من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فوات ناقه وجبت له الجنة .^(٥)

وقال صلى الله عليه وسلم (ان للشهيد عند الله خصـالا ان يغفر له من اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حليـة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها

-
- (١) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٦١) .
 (٢) صحيح مسلم مع النووي (١٣ : ٣٠) .
 (٣) انظر زاد المعاد لابن القيم (٣ : ٧٧) وقال المحققان شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط اخرجاه احمد (٥ : ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠) من حديث عبادة بن الصامت وسنده حسن وصححه الحاكم (٢ : ٧٥) ووافقه الذهبي .
 (٤) زاد المعاد (٣ : ٧٧) وقال المحققان رواه النسائي (٦ : ٢١) في الجهاد . . وسنده حسن وصححه ابن حبان (١٥٨٦) والحاكم (٣ : ٧١) ووافقه الذهبي .
 (٥) زاد المعاد (٣ : ٧٨) وقال المحققان حديث صحيح اخرجـه =

ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين انسانا من
اقاربه (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان شئت انبأتك برأس الامر
وموده وذروة سنامه قال اجل يا رسول الله قال اما رأس الامر فالاسلام
واما موده فالصلاة واما ذروة سنامه فالجهاد (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم القتل ثلاثة رجل مؤمن جاهد بماله
ونفسه في سبيل الله حتى اذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل
فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون
الا بدرجة النبوة ورجل مؤمن فرق على نفسه من الذنوب والخطايا
جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى اذا لقي العدو قاتل حتى قتل
فتلك مصمصة محت ذنوبه وخطاياها ان السيف محاء الخطايا وادخل
من اي ابواب الجنة شاء فان لها ثمانية ابواب ولجهنم سبعة
ابواب وبعضها افضل من بعض . ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى
اذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل فان ذلك في النار
ان السيف لا يمحو النفاق (٣) .

-
- = ابو داود (٢٥٤١) في الجهاد والنسائي (٢٥:٦ ، ٢٦) ،
في الجهاد وابن ماجه (٢٧٩٢) والترمذي (١٦٥٧) . . .
(١) زاد المعاد (٣:٩١) وقال المحققان اخرجهما احمد (٤:١٣١)
والترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩) من حديث المقدم
ابن معد يگرب واسناده صحيح .
(٢) الحاكم (٢:٧٦) وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
(٣) زاد المعاد (٣:٩٤) وقال المحققان اخرجهما احمد (٤:١٨٥)
والدارمي (٢:٢٠٦) وسنده حسن وصححه ابن حبان (١٦١٤) .

(٦) الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه .

ترك الجهاد مع القدرة عليه كبيرة من الكبائر يقول ابن حجر الهيثمي (الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة ترك الجهاد عند تعيينه بان دخل الحربين دار الاسلام او اخذوا مسلما وامكن تخليصه منهم وترك الناس الجهاد من اصله وترك اهل الاقليم تحصين شغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين) (١) .

بل لا خلاف بين علماء المسلمين على ان اي طائفة امتنعت عن جهاد الكفار او ضرب الجزية عليهم تجاهد هي بذاتها حتى ترجع الى الصواب وتلتزم هذه الفريضة المحكمة التي ورد بها الكتاب والسنة والاجماع . يقول ابن تيمية رحمه الله (فايما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضة او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال والخمر والزنا والميسر او عن نكاح ذوات المحارم او عن التزام جهاد الكفار او ضرب الجزية على اهل الكتاب وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته - التي لا عذر لاحد في جحودها وتركها - التي يكفر الجاحد لوجوبها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين العلماء وانما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة اذا اصررت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر والاذان والاقامة - عند من لا يقول بوجوبها - ونحو ذلك من الشعائر هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها ام لا فاما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الامام او الخارجين عن طاعته كاهل الشام مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي (٢ : ١٦٣) .

فان اولئك خارجون عن طاعة امام معين او خارجون عليه لازالة ولايته
واما المذكورون فهم خارجون عن الاسلام بمنزلة مانعي الزكاة^(١) . ولاجل
هذا كان ترك الجهاد علامة النفاق قال صلى الله عليه وسلم " من
مات ولم يفز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق^(٢) . وقال
تعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين . انما يستأذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون)^(٣) . يقول
سيد قطب عند تفسير هذه الايات (وهذه هي القاعدة التي لا تخطيء
فالذين يؤمنون بالله ويعتقدون بيوم الجزاء لا ينتظرون ان يؤذن لهم
في اداء فريضة الجهاد ولا يتلکأون في تلبية داعي النفرة في سبيل
الله بالاموال والارواح بل يسارعون اليها خفا واثقالا كما امرهم الله
طاعة لامره وبقينا بلبائمه وثقة بجزائه وابتغاء لرضاه وانهم ليتطوعون
تطوعا فلا يحتاجون الي من يستحثهم فضلا عن الاذن لهم انما
يستأذن اولئك الذين خلعت قلوبهم من اليقين فهم يتلکأون ويتلمسون
المعاذير لعل عائقا من العوائق يحول بينهم وبين النهوض بتكاليف
العقيدة التي يتظاهرون بها وهم يرتابون فيها ويترددون)^(٤) .
وقال تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في
الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليكفوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون)^(٥) .

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ : ٥٠٣) .

(٢) صحيح مسلم مع النووي (٤٣ : ٥٦) .

(٣) التوبة : ٤٤ - ٤٥ .

(٤) في ظلال القرآن (٣ : ١٦٦٢) .

(٥) التوبة : ٨١ - ٨٢ .

(١) وترك الجهاد سبب للهلاك في الدنيا والاخرة فاما الهلاك في الدنيا فان الجبان الرعديد الذي لاهمة له في قتال الاقران ولا طاقة له بالذود عن حياضه يكون ذليلا مستعبدا تابعا غير متبوع واما في الاخرة فهو يهلك - ان لم يتغمده الله برحمته - بترك فريضة محكمة انزلها الله في كتابه بها عز الاسلام والمسلمين واذلال الشرك والمشركين . قال تعالى (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين) (١) . قال ابن كثير (وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن اسلم ابي عمران قال حمل رجل ممن المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرته ومعنا ابو ايوب الانصاري فقال ناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب نحن اعلم بهذه الاية انما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد نامعه المشاهد ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر اجتمعنا معشر الانصار نجيا فقلنا قد اكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الاسلام وكثر اهلنا وكنا قد آثرناه على الاهلين والاموال والاولاد وقد وضعت الحرب اوزارها فنرجع الى اهلينا واولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد (٢) .

(٢) وترك الجهاد سبب للذل والهوان قال صلى الله عليه وسلم
لئن تركتم الجهاد واخذتم باذناب البقر وتبايعتم بالعينة

(١) البقرة : ١٩٥

(٢) تفسير ابن كثير (١ : ٣٣١) وقارن بما في زاد المعاد (٣ : ٨٧) وقال المحققان لزاد المعاد واسناده صحيح وصححه ابن حبان (١٦٦٧) والحاكم (٢ : ٢٧٥) ووافقه الذهبي .

ليلزمكم الله مذلة نبي رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا الى ما كنتم عليه .^(١)

وقد بوب البخارى عليه رحمة الله بابا على هذا المعنى فى الصحيح فقال " باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع او مجاوزة الحد الذى امر به " وروى تحت هذا العنوان بسنده عن ابى امامة الباهلى قال ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل هذا بيت قوم الا ادخله الله الذل .^(٢)

قال ابن حجر وعن الداودى هذا لمن يقرب من العدو فانه اذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية فيتأسد عليه العدو فحقتهم ان يشتغلوا بالفروسية وعلى غيرهم امدادهم بمما يحتاجون اليه .^(٣)

وقد صدق الرسول الكريم الذى لا ينطق عن الهوى فان الناظر فى احوال المسلمين اليوم الذين اضاعوا معظم دينهم وكان فى مقدمة ما اضاعوا جهاد الكفار وضرب الجزية عليهم يرى انه قد الزمهم الله الذل فى رقابهم فهم يلجأون الى الشرق الكافرا والغرب الكافر يطلبون منهم نصرهم وعزمهم وما عرفوا ان الذل لا ينزع عنهم حتى يراجعوا دينهم كما اخبر الصادق المصدوق فى الحديث المتقدم . وان استمر هؤلاء على حالهم هذه فليبشروا بما بشرهم الله به " بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما . الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتنفون عند هم العزة فان العزة لله جميعا ."^(٤)

-
- (١) الفتح الربانى لترتيب مسند احمد (١٥ : ٤٤) وقال البناسنده جيد .
 (٢) صحيح البخارى مع الفتح (٥ : ٤) .
 (٣) فتح البارى (٥ : ٤) .
 (٤) النساء : ١٣٨ - ١٣٩

فلا عزة الا بالايمان (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (١) .

(٣) وترك الجهاد سبب للبلاء قال صلى الله عليه وسلم اذا ضمن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا اذئاب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بهم بلاء فلم يرفعهم عنهم حتى يراجعوا دينهم . (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم " من لم يفض او يجهز غازيا او يخلف غازيا في اهله بخير اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة" (٣) .

(٤) وترك الجهاد سبب لعذاب الله وبطشه قال تعالى (الانتفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير) (٤) .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الاية (والخطاب لقوم معينين في موقف معين ولكنه عام في مدلوله لكل ذوى عقيدة في الله والعذاب الذى يتهددهم ليس عذاب الاخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا عذاب الذلة التى تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للاعداء والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والاموال اضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذابح الذل اضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء وما من امة تركت الجهاد الا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة

-
- (١) المنافقون : ٨
(٢) الفتح الرباني (١٤ : ٢٥) وقال البنا ورجال احمد وثقات وصححه ابن القطان وقارن بما في زاد المعاد (٣ : ٨٧) اذ قال المحققان له اسناده حسن .
(٣) زاد المعاد (٣ : ٨٦) وقال المحققان له اخرجه ابو داود (٣ : ٢٥٠) وابن ماجه (٢٧٦٢) والدارمي (٢ : ٢٠٩) وسنده قوى .
(٤) التوبة : ٣٩

ضاغرة لاعدائها اضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الاعداء^(١) .
وقد جعل الله عقوبة التولي عن جهاد الاعداء يوم الزحف عذاب جهنم قال تعالى " يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الي فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات^(٣) .
فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم التولي عن قتال الكفار من الموبقات وقرنه بالشرك بالله تعالى .

(٥) ترك الجهاد والجهنم منه هو النفل الذي يعرض للبور . قال تعالى (اذ هممت لطائفتان منكم ان تفشلا . . . الاية)^(٤) .
والطائفتان هما بنو سلمه وبنو حارثة كاد ان يستفزهما الشيطان ويتركوا الجهاد يوم احد ولكن الله ثبتهم^(٥) . وقد قص الله علينا خبر بني اسرائيل لما جبنوا عن قتال اهل بيت المقدس كيف ان الله عاقبهم بالتيه اربعين سنة وحرهم خيرا كثيرا وهذا جزاء عدل للجبان الرعديد الذي يؤثر الحياة الدنيا على الاخرة قال تعالى (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وانا كما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم

-
- (١) في ظلال القرآن (٣: ١٦٥٥) .
(٢) الانفال : ١٥ - ١٦ .
(٣) صحيح البخارى (٣: ١٩٥) .
(٤) آل عمران : ١٢٢ .
(٥) انظر فتح البارى (٧: ٢٧٥) .

ولا ترتدوا على ادباركم فتقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وريك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين) .^(١)

وقد وهى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المدرس فسلكوا منها مخالفا لمنهج بنى اسرائيل حتى لا يجنوا الثمار المشثومة التى جناها الاسرائيليين فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده قال المقداد يوم بدر يارسول الله انا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى فاذهب انت وريك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك .^(٢)

وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال ابى سفيان قال فتكلم ابو بكر فاعرض عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يارسول الله والذى نفسى بيده لو امرتنا ان نخيضها البحر لا خضناها ولو امرتنا ان نضرب

اكبادها الى برك الغماد لفعلنا .^(٣)^(٤)

- (١) المائدة : ٢٦ - ٤٠
 (٢) صحيح البخارى مع الفتح (٨ : ٢٠٥) .
 (٣) برك الغماد موضع فى اقصى ارض حجر .
 (٤) صحيح مسلم مع النووى (١٢ : ١٢٤) .

(٦) ترك الجهاد سبب لفساد اهل الارض بالقضاء على دينهم قال تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ^(١) ". ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ^(٢) . فلولا ان الله يدفع الكافرين بجهاد المؤمنين ويكبت الكفار ويذلهم لاعتلوا على المؤمنين واذا اعتلى الكافر جعل الناس يعبدونه هو بدل الله سبحانه وتعالى واذا عبد الناس من دون الله افسدت حياتهم كلها لان الحياة لا تستقيم الا اذا سارت على المنهج الذي رسمه الله وهو المنهج الذي يحقق العبودية لله ويحقق الاخلاق الرفيعة والفضائل الحميدة للبشر فالذي رسم المنهج هو الله الذي خلق الحياة والاحياء العالم بما يصلحهم اما اذا اعتلى كافر على الارض وشرع للناس من عند نفسه فانه لا يعلم جميع الامور وليس مبرأ من النقص والهوى ولا يعلم ما الذي يصلح النفس البشرية فيتخطط خبط عشواء ويفسد الحياة كما هو الحال اليوم . ونظرة على الواقع الذي يعتلى فيه كافر كافية بتقرير هذه الحقيقة ولولا تخاذل المسلمين عن الجهاد الذي امر الله به لصلحت حياة الناس الذين يحكمون بشرع الله لاجل هذا شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد حتى مع الامام الفاجر الذي لم يصل الى درجة الكفر لان بقاء الاسلام واهله يحكمهم فاسق خير لهم من ان يحكمهم كافر يحكم بغير ما انزل الله فان الحكم بغير ما انزل الله هو سبب فساد الارض قال ابن قدامة " مسألة " ويفزى مع كل بر وفاجر يعنى مع كل

(١) البقرة : ٢٥١

(٢) الحج : ٤٠

امام قال ابو عبد الله وسئل عن الرجل يقول انا لا اغزو ويأخذه ولد العباس انما يوفر الفىء عليهم فقال سبحان الله هؤلاء قوم سوء هؤلاء القعدة مشيطون جهال فيقال ارايتم لو ان الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يفتزو اليس كان قد ذهب الاسلام . ما كانت تصنع الروم وقد روى ابو داود باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا ولان ترك الجهاد مع الفاجر يفتضى الى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم قال الله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) (١)

(٧) ترك الجهاد يفوت مصالح عظيمة للمسلمين منها الاجر والثواب والشهادة والمغنم والتربية الايمانية التي لا تحصل بدون الجهاد ودفع شر الكفار واذلالهم ورفع شأن المسلمين واعزازهم وادخال اناس في الاسلام وفي الجملة فترك الجهاد يفوت سائر الاهداف النبيلة للجهاد التي مر معنا ذكرها .

(١) المفنى (٨ : ٣٥٠) .

(٧) اثر الجهاد في انتشار الدعوة الاسلامية .

الصراع بين الحق والباطل سنة جارية الى ان يرث الله الارض ومن عليها . يقول الله عز وجل (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)^(١) . ويقول تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمعه فاذا هو زاهق)^(٢) . ويقول عز وجل في الحديث القدسي لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه " انما بعثتك لابتليك وابتلي بك"^(٣) .

والكثير من البشر لا يبتعدون للحق بدون قوة تحملهم على ذلك يقول تعالى " وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين"^(٤) . وروى البخارى في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى يوم القيامة آدم فتراءى^(٥) ذريته فيقال هذا ابوكم آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول اخرج بعثت جهنم من ذريتك فيقول يارب كم اخرج فيقول اخرج من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا يا رسول الله اذا اخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا قال ان امتي في الامم كالشجرة البيضاء في الثور الاسود .^(٦)

ولكن اهل الباطل هم الكثرة دائما فانه لا ينقم شرهم وفسادهم الا بقوة ترويبهم وتكسر شوكتهم لاجل ذلك قال الله تعالى (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)^(٧) . وقال

(١) البقرة : ٢١٧

(٢) الانبياء : ١٨

(٣) صحيح مسلم مع النووي (١٧ : ١٩٨) .

(٤) يوسف : ١٠٣

(٥) فتراءى : يقال تراءى لى اى ظهر وتصدى لان اراه .

(٦) صحيح البخارى (٧ : ١٩٦) .

(٧) الانفال : ٥٧

سبحانه (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم)^(١) وقال تعالى (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يشخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز
حكيم)^(٢) .

وبين الله عز وجل بانه لولا جهاد المسلمين للكافرين لفسدت
الارض ولهدمت المساجد قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين)^(٣) . وقال
سبحانه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع
وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصن الله من ينصره
ان الله لقوى عزيز)^(٤) .

قال ابن زيد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لولا القتال
والجهاد)^(٥) . وقال مقاتل " لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب
المشركون على الارض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد "^(٦) .

وقال الله تعالى " ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم
الكتاب والميزان ليقيم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز "^(٧) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (وجعلنا الحديد رادعا
لمن ابي الحق وعانده من بعد قيام الحجة عليه ولهذا اقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشر سنة توحى اليه السور

(١) الانفال : ٦٠

(٢) الانفال : ٦٧

(٣) البقرة : ٢٥١

(٤) الحج : ٤٠

(٥) تفسير الطبري (٧ : ١٢٤) .

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (١ : ٣٠) .

(٧) الحديد : ٢٥

المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وتبيان ودلائل فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وامرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهيام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده (١).

ان الدين الاسلامي لا يتحقق في انفس المسلمين ولا في واقع الناس الا بالجهد بجميع انواعه . يقول سيد قطب رحمه الله (هناك حقيقة اولية عن طبيعة هذا الدين وطريقة عمله في حياة البشر حقيقة اولية بسيطة ولكنها مع بساطتها كثيرا ما تنسى اولا تدرك ابتداءً فينشأ عن نسيانها او عدم ادراكها خطأ جسيم في النظر الى هذا الدين . حقيقته الذاتية وواقعه التاريخي . حاضره ومستقبله كذلك . ان البعض ينتظر من هذا الدين - مادام منزلا من عند الله - ان يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الاسباب ودون اي اعتبار لطبيعة البشر ولطاقاتهم الفطرية ولواقعهم المادي في اية مرحلة من مراحل نموهم وفي اية بيئة من بيئاتهم وحين لا يرون انه يعمل بهذه الطريقة ، وحين يرون ان الطاقة البشرية المحدودة والواقع المادي للحياة الانسانية يتفاعلان معه فيتأثران به في فترات تأثرا واضحا على حين انهما في فترات اخرى يؤثران تأثيرا مضادا لاتجاهه فتتعدد بالناس شهواتهم واطماعهم وضعفهم ونقصهم دون تلبية هتاف هذا الدين او الاتجاه معه في طريقه . حين يرون هذا فانهم يصابون بخيبة امل لم يكونوا يتوقعونها او يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته او يصابون بالشك في الدين اطلاقا وهذه السلسلة من الاخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد اساسي هو عدم ادراك هذا الدين وطريقته او نسيان هذه الحقيقة الاولية البسيطة . ان هذا الدين منهج الهي للحياة البشرية يستمر

(١) تفسير ابن كثير (٨ : ٥٣) .

تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر انفسهم في حدود طاقتهم البشرية وفي حدود الواقع المادى للحياة الانسانية في كل بيئة ويبدأ العمل من النقطة التي يكون البشر عندها حينما يتسلم مقاليدهم ويسير بهم الى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية ويقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة . وميزته الاساسية انه لا يغفل لحظة في اية لحظة وفي اية خطوة عن فطرة الانسان وحدود طاقته وواقع حياته المادى ايضا وانه في الوقت ذاته يبلغ به - كما تحقق ذلك فعلا في بعض الفترات وكما يمكن ان يتحقق دائما كلما بذلت محاولة جادة - الى ما لم يبلغه اى منهج آخر من صنع البشر على الاطلاق وفي يسر وراحة وطمانينة واعتدال . ولكن الخطأ كله كما تقدم ينشأ من عدم ادراك طبيعته هذا الدين اومن نسيانها ومن انتظار الخوارق المجهولة الاسباب على يديه تلك الخوارق التي تبدل فطرة الانسان ولا تبالي طاقاته المحدودة ولا تحفل واقعه المادى البيئى . اليس هو من عند الله ؟ اليس الله قادر على كل شىء ؟ فلماذا اذن يعمل هذا الدين فقط في حدود الطاقة البشرية المحدودة وتتأثر نتائج عمله بالضعف البشرى ؟ بل لماذا يحتاج اصلا الى الجهد البشرى ؟ ثم لماذا لا ينتصر دائما ولا ينتصر اصحابه دائما لماذا تغلب ثقله الضعيف والشهوات والواقع المادى على رفرفته وشفافيته وانطلاقه احيانا ولماذا يغلب اهل الباطل على اصحابه - وهم اهل الحق - احيانا . . . وكلها كما ترى اسئلة وشبهات تنبع ابتداءً من عدم ادراك الحقيقة الالوية لطبيعة هذا الدين وطريقته او من نسيانها . ان الله قادر - طبعا - على تبديل فطرة الانسان عن طريق هذا الدين او عن غير طريقه ولكنه سبحانه شاء ان يخلق الانسان بهذه الفطرة لحكمة يعلمها وشاء ان يجعل الهدى ثمرة الجهد والرغبة في الهدى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " وشاء ان تعمل فطرة الانسان دائما ولا تمحى ولا تعطل " ونفس وما سواها فالهيمها فجورها وتقواها

قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها" وشاء ان يتم تحقيق منهجه الالهى للحياة البشرية عن طريق الجهد البشرى وفي حدود الطاقة البشرية . " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم " ، " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " وشاء ان يبلغ الانسان من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد وما ينفق من الطاقة وما يصبر على الابتلاء فى تحقيق هذا المنهج الالهى القويم وفي دفع الفساد عن نفسه وعن الحياة من حوله " احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آما وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " وليس لاحد من خلق الله ان يسأله سبحانه لماذا شاء هذا كله على هذا النحو الذى اراده فكان . ليس لاحد من خلقه ان يسأله سبحانه مادام ان احدا من خلقه ليس اله ولا ليس لديه العلم ولا مكان العلم بالنظام الكلى لهذا الكون ومقتضيات هذا النظام فى طبيعة كل كائن فى هذا الوجود هذا المنهج الالهى الذى يمثله الاسلام فى صورته النهائية كما جاء بهامحمد صلى الله عليه وسلم لا يتحقق فى الارض وفى دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله لا يتحقق بكلمة " كن الالهية " مباشرة لحظة تنزله ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه و لا يتحقق بالقهر الالهى على نحو ما مضى ناموسه فى دورة الفلك وسير الكواكب انما يتحقق بان تحمله جماعة من البشر تؤمن به ايمانا كاملا وتستقيم عليه بقدر طاقتها وتجتهد لتحقيقه فى قلوب الاخرين وفى حياتهم كذلك وتجاهد لهذه الغاية بكل ماتملك تجاهد الضعف البشرى والهوى البشرى فى داخل النفوس وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى للوقوف فى وجه الهدى وتبلغ بعد ذلك كله من تحقيق هذا المنهج الى الحد الذى تطيقه فطرة البشر والذى يهيئه لهم واقصم المادى ومقتضياته فى سير وتتابع مراحل هذا المنهج الالهى ثم تختصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة وتنهزم فى المعركة مع نفسها

او مع نفوس الناس تارة بقدر ماتبذل من الجهد ويقدر ماتتخذ من الوسائل المناسبة للزمان وللمقتضيات الاحوال وقيل كل شىء بمقدار ماتمثل هي ذاتها من حقيقة هذا المنهج ومن ترجمته ترجمة عملية في واقعها وسلوكها الذاتى على انه من الملاحظ الواضح ان ترك المنهج الالهى للجهد البشرى يتولى تحقيقه في حدود الطاقة البشرية يصلح للنفوس البشرية ويصلح الحياة البشرية . نقول هذا لا لنعلل به مشيئة الله سبحانه في جعل الامر على ما جعله ولكن لنسجل فقط ملاحظة واقعية لآثار هذه المشيئة في حياة العباد .

ذلك ان حقيقة الايمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة هذه الناس في امر هذا الايمان مجاهدتهم بالقلب بكرامة باطلهم وجاهليتهم والعزم على نقلهم منها الى الحق والاسلام ومجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان ورفض باطلهم الزائف وتقرير الحق الذى جاء به الاسلام ومجاهدتهم باليد بالدفع والازالة من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية والبطش الغشوم وحتى يتعرض فى تلك المجاهدة للابتلاء والاذى والصبر على الابتلاء والاذى والصبر على الهزيمة والصبر على النصر ايضا . فالصبر على النصر اشق من الصبر على الهزيمة . ثم يثبت ولا يرتاب ويستقيم ولا يتلفت ويمضى فى طريق الايمان رشدا صاعدا . حقيقة الايمان لا يتم تمامها فى قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في امر هذا الايمان لانه يجاهد نفسه كذ لك في اثناء مجاهدته للناس وتتفتح له فى الايمان آفاق لم تكن لتتفتح له ابدا وهو قاعد آمن ساكن وتتبين له حقائق فى الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له ابدا بغير هذه الوسيلة ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ما لم يكن ليبلغه ابدا بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة وهذا بعض ما يشير اليه قوله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " واول ما تفسد : فساد النفوس بالركود الذى تأسن معه

الروح وتسترخى معه الهمة ويتلفها الرخاء والطرأوه ثم تأسن الحياة كلها بالركود أو بالحركة في مجال الشهوات وحدها كما يقع للأمم حين تبتلى بالرخاء. فهذه كذلك من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لقد جعل صلاح هذه الفطرة في المجاهدة لا قرار منهج الله للحياة البشرية عن طريق الجهد البشرى وفي عدد و الطاقة البشرية كذلك. ثم ان هذه المجاهدة وما يصاحبها من الابتلاء هي الوسيلة العملية لتمحيص الصفوف بمد تمحيص النفوس ولتنقية الجماعة من المعطلين والمعوقين والمرجفين ومن ضعاف النفوس والقلوب ومن المخادعين والمنافقين والمرائيين وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة وهي تتعرض للامتحان وتعرض للابتلاء وتتكشف فيها غفايا النفوس كما تتميز فيها الصفوف تحت مطارق الابتلاء وشقة التجربة ومرارة الالام . . . ولا يتم تمام القول في طبيعة هذا الدين وطريقته حتى نضيف الى تلك الحقيقة . . التي نرجو أن نكون قد كشفنا عنها في هذا البيان كلمة ضرورية - لها لا بد من بيانها كذلك . أن كون هذا المنهج الالهى متروك تحقيقه للجهد البشرى في عدد و الطاقة البشرية وفي عدد و الواقع المادى للحياة الانسانية في شتى المداج و شتى البيئات لا يعنى استقلال الانسان نهائيا بهذا الأمر وانقطاعه عن قدر الله وتدبيره ومدد و وعونه وتوفيقه وتيسره فتصور الأمر على هذا النحو مخالف في أصوله لطبيعته التصور الاسلامى ولقد بينا فيما سلف ان الله سبحانه يساعد من يجاهد للهدى ((والذين جاهدوا فإنا لنهديهم سبلنا)) وانه يغير حال الناس حين يسيرون طبا أنفسهم وأنه لا يغير ما بهم حتى - يسيروا طبا أنفسهم ((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا طبا أنفسهم)) وهذان النصان يوضحان لنا العلاقة بين الجهد البشرى الذى يبذله الناس وعون الله ومدد و الذى يسعفهم به فيملكون به ما يجاهدون فيه من الخير والهدى والصلاح والفلاح فاراد الله هي الفاعلة في النهاية وبدونها لا يبلغ الانسان بذاته شيئا ولكن هذه الارادة تعين من يعرف طريقها ويستمد عونها ويجاهد في الله ليبلغ رشاه (١)

لهذا كان تأثير الجهاد في نشر الاسلام في الأرض عظيماً يقول ابن القيم عن
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (وبعثه بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة
حتى يعبد سبحانه وعده لا شريك له وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه) ويقول رحمه الله
(فان الله سبحانه اقام بين الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان فكلاهما في نصره
اعوان شقيقان) (١)

وقد شكك في تأثير الجهاد في نشر الاسلام في هذه الأزمنة المتأخرة بعض
الذين رباهم الاستعمار على عينه فأثروا حياه الذل والاسترخاء على حياة العز والجهاد
فزعوا ان الدعوة السلمية المجردة عن الجهاد هي سبب انتشار الاسلام سابقا وهي الطريق
الأصلح الآن بل بلغ بهم الأمر الى اعتبار ان انتشار الاسلام بالجهاد فرية على الاسلام ينبغي
أن تدفع !! وكان اساتذتهم في هذا العوج الفكري المستشرقون ومن أشهر هؤلاء المستشرقين
الغيبث توماس ارنولد الذي ألف كتابا بعنوان ((الدعوة الى الاسلام)) يهدف منه الى
ابطال الروح الجهادية عند المسلمين ومن يقرأ كتابه سالك الذكر يرى انه يري على تصيد
الأخبار الموضوعة والراهية لكي يبرهن بأن الاسلام لم ينتشر بالجهاد وانما انتشر بالدعوة
السلمية المستبرئة من كل قوة وانتشر بالمولاة بين المسلمين والكافرين ويخلط أنظمة الكفر
مع أنظمة الاسلام (٢) ونسوزك وقد قام بترجمة الكتاب المذكور ثلاثة من أبناء المسلمين
ذكروا في المقدمة ما يلي :-

(وأما مؤلف هذا الكتاب وهو العالم المحقق السير توماس ارنولد فلا نستطيع أن
نقدره قدره !!) (٣)

قلت : ان قدره - لو يعلم هؤلاء - هو الضرب بالسيف حتى يبرد ان لم يخضع

(١) أنار الفروسية لابن القيم ص ٤٠ .

(٢) المؤلف يسمي المولاة تسامحا وخلط أنظمة الكفار مع أنظمة المسلمين بريقة ينيده
ويستشهد على ذلك بحوادث من التاريخ لا تصح وان صحت عن بعض أفراد المسلمين
فليست بحجة على الاسلام .

(٣) مقدمة كتاب الدعوة لأرنولد ص ٥٠ .

للاسلام وينفذ الجزية . ولعل الحامل لهؤلاء المترجمين على تفديس هذا
المستشرق وكتابه هولذخ عبارات الفريق الثاني من المستشرقين الذين تعمدوا وصف
الجهاد بأنه عمل بدائي يقوم به بدائيون متعاطشون للدماء لا هدف لهم الا قتل الأنفس
وجمع الأموال وأخذ النساء والذرية . والجواب على هذا الفريق ليس هو قول الفريق
الأول أمثال ارنولد وعزبه فان كلا الفريقين ارادوا هدم الاسلام واثما الجواب الصحيح
هو تجلية حقيقة الجهاد وهدفه من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة .

ولكن البلية كل البلية اذا تعرض للدفاع عن الاسلام من تكون ثقافته الاستشراقية
أكثر من ثقافته الاسلامية أو من يعرب ما قال جولد زيهر ورنولد وأمثالهما أكثر من معرفته
لما قاله البخاري وأحمد بن حنبل أو ابن تيمية أو ابن حجر أو النووي . لأجل هذا
وقع كثير من الكتاب المسلمين في هذا الفخ الذي نصبه لهم المستشرقون فاذا سمعوا من
يتهمهم على فريضة الجهاد في الاسلام وعلى شدة المسلمين على الكفار وان لا لهم قالوا
لهم انكم اخطأتم واراد عليكم من أبناء جلدتكم استمموا الى ارنولد وهو يقول كيت وكيت
الى آخر ما يذكركه ارنولد من اماتة للروح الجهادية واقامة للمودة والمحبة بين المسلمين
والكفار . ولا شك ان هذا منهج خاطيء .

قال الله تعالى ((فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم مؤمنين)) ،
فالأجدد بهؤلاء أن يرجعوا الى الكتاب والسنة وما قال علماء الاسلام في شرحهم لا الى فهم
ارنولد وشرحه ولكن كما قيل فاقد الشيء لا يعطيه ا

وقد يقول قائل ما دام أن تلاميذ المستشرقين من أبناء المسلمين لا يعرفون حقيقة
الجهاد كما ارادها الله فيسبوا الذين حطهم على ترجيح قول ارنولد وعزبه المتضمن اماتة
الروح الجهادية وتثبيت الولاة والمحبة بين الكافرين والمسلمين على قول الفريق الثاني
المتضمن قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين وصحابة الكافرين ؟ والجواب من وجوه :-

أولا : ان الفريق الثاني لا يجعلون دوافع الجهاد الاسلامي هي اعلاء كلمة الله وتحرير
الناس من ذل العبودية للبشر الى عزة العبودية لله ونشر العدل على الناس بل
يجعلون الدوافع دوافع أرضية هابطة من طلب المال والنساء والتسلط على الآخرين

بغير مبرر مما يجعل تلاميذ المستشرقين ينفرون من هذا القول .

ثانياً : ان اسلوب الفريق الأول ارتولد وحزبه اتى فى صوراً لدفاع عن الاسلام لا الهجوم عليه .

ثالثاً : ان قول الفريق الأول يريخ تلاميذ المستشرقين لأنه ينطبق على الواقع التعيس الذى يعيشون فيه فهم نشأوا وترعرعوا محكومين بالكفار وتلقوا علومهم على أيديهم بل وأعجبهم كثير مما أتى من هؤلاء الحاكمين من آراء ونظريات وأساليب ومناهج للعبادة فكيف ان يرجعون القول الثانى الذى يدفعهم الى معارضة اساتذتهم ومن احبوا ضيعهم ! ان هذا يكلفهم شططا والعلل الوعييد الذى يرونه يريحهم هو اعتنان قول الفريق الأول وتطوير الاسلام ليوافقه - ولا طيل فى ذكر الدافع التى عملت بصرى ذرارى المسلمين على تبني مثل هذه الآراء فان لى معهم وقفه فى آخر هذا البحث ان شاء الله تعالى - غير أن الحقيقة التى أقرها فى هذا الفصل مستندا فى تقريرها الى كتاب الله العزيز الحميد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى من عند الله ، قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وصى يوحى) (١) هى ان تلاميذ المستشرقين واساتذتهم قد كذبوا على الله وعلى رسوله وعلى الواقع التاريخى وهذه هى الادلة :-

- (١) ان الله سبحانه وتعالى اعتبر الجهاد سببا لاقامة الدين وسببا لاصلاح الأرض -
 (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٢)
 (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر

(١) النجم ٣ - ٤ .

(٢) البقرة آية ٢٥١ .

فيها اسم الله كثيرا وليصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم
 في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (١)
 فكيف يكون السبب الحقيقي لاقامة الدين واصلاح الأرض تهمة تدفع لو يعقل تلاميذ
 المستشرقين !!

٢- ان الله أمر المؤمنين باعداد العدة لمجاودة الكفار وارهابهم فلو كان الاسلام
 لا ينتشرا لا بالدعوة السلمية فم يخاف الكفار أمن كلام يقال باللسان فقط؟
 وقد روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا
 لم يعطهن أحد قبلى . نصرت بالربح مسيرة شهر . الحديث (٢) وهل يربح
 الكفار أن يقال لهم اسلموا فان لم تسلموا فأنتم احرار فيما تعتقدون وتفعلون
 أم كان يربحهم الجهاد وضرب الجزية والصغار ما يعطهم على الاسلام وهذا
 هو نشر الاسلام عن طريق الجهاد وهو المقصود من غزوات رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح مسلم عن بريدة قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أو صاه فى خاصته بتقوى
 الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله فى سبيل الله
 فاطلوا من كفر بالله اغزوا فلا تملوا ولا تغدوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت
 من اذى من المشركين فادعهم الى ثلاث عصال أو خلال فأيتهم ما جابوك فأقبل
 منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأشبههم انهم
 ان فعلوا ذلك فهم للمهاجرين واهليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا
 منها فأشبههم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على
 المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا أن يجاهدوا مع المسلمين فان هم

(١) الحج ٤٠-٤١ .

(٢) البخارى مع الفتح ١/٢٦٦ .

أبوا فسلمهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . فان هم أبوا فاستعن بالله وقتلهم . . . الحدِيث (١) .

٣ - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوا للاسلام وهو شاهر سيفه ويأمر بذلك قواده لعل الناس اذا رأوا القوة ورأوا تصميم المسلمين على بيع أرواحهم فى سبيل ما يدعون اليه تزول عنهم الغشاوة ويمرفون أنهم أصحاب عقيدة لأصحاب ملامح وشبهوات ومن أصر الأدلة على ذلك ما فى صحيح البخارى عن سهل ابن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين هذه الرية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يد وكون ليلتهم ايهم يعطاها فلما أصبح الناس غدا وطى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال ابن ابي بن أبى طالب فقيل هو يارسول الله يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودط له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاها الراية فقال على يارسول الله اقتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال عليه الصلاة والسلام انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم (٢) فهذه دعوة الى الله سبحانه مقرونة بقوة السلاح ولولا تأثر قوة السلاح فى الدعوة الى الله لما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وأمر به فهو بأبي وأمي لا يأمر أصحابه بما لا فائدة فيه .

٤ - يقول صلى الله عليه وسلم بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف

(١) صحيح مسلم مع النووي ١٢ / ٢٨٠

(٢) صحيح البخارى ٥ / ٧٦٠

امرى ومن تشبه بقوم فهو منهم (١) ، فالمقصود من البعثة المحمدية هونشر الاسلام واظهاره على سائر الاديان فلولم يكن للسيف تأثير في ذلك لما ذكره هنا .

٥ - ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله سوف يدخل كلمة الاسلام على الناس عموما أما بعز أو بذل ولا شك أن سبب ذلك هو الجهاد لأن الكفار لا يذلون الا من جهاد قتلى ، قال صلى الله عليه وسلم ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الاسلام ولا يذل به الكفر (٢) ، يقول الشيخ ناصر الدين الألباني بعد تصحيحه لهذا الحديث ((وما لاشك فيه ان تحقيق هذا الانتشار يستلزم ان يعرف المسلمون أقوى في معنوياتهم وماذ ياتهم وسلاحهم حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والظلم)) .

٦ - ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبر ترك الجهاد ذلا والذليل لا ينشر معتقده وانما ينشره العزيز وهذا يستلزم أنه لا ينشر الاسلام الا الجهاد قال صلى الله عليه وسلم ((لئن تركتم الجهاد وأخذتم باناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ما كنتم عليه)) (٣) والنفس البشرية تعب العز وتأن الذل فانما رأى الناس طافيه المسلمون من عز دخلوا في الاسلام والعز لا يكون بخير جهاد غالبا وبهذا يكون الجهاد سبب لانتشار الاسلام وتركه سببا لانحساره .

٧ - ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بانحسار الاسلام لانتشاره اذا خفنا من الموت في سبيل الله وانغيرنا ان الأمم تتداعي علينا ونحن نكره جهادهم وهذا بعكس

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٤٢٢ .

(٢) مسند أحمد ٦/٤٠٠ وقارن بما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/٧٠٧ .

(٣) مسند أحمد ٢/٤٢٢ .

كلام أبناء المستشرقين الذين يقولون ان الاسلام ينتشر بالدعوة السليمة فقط
لا الدعوة المقرونة بالسيف .

قال صلى الله عليه وسلم (يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل افق كما تداعى الاكلة
على قصعتها قال قلنا يا رسول الله امن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكن تكونوا
غذاء كغذاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال قلنا وما الوهن
قال حب الدنيا وكراهية الموت) (١)

٨ - روى البخارى في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه : كنتم خيراً أمة أخرجت
للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في
الاسلام (٢) وهذا التفسير مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قرره ابن حجر
في الفتح فهل يؤتى بالناس في السلاسل من غير جهاد -

٩ - ان الصحابة رضوان الله عليهم قد صرحوا بأن المقصود من جهادهم هو نشر
الاسلام كما تقدم في مبحث أهداف الجهاد عن المغيرة بن شعبه وروى بن
عمر رضى الله عنهما فانهما قد بينا للفرس ما الذي جاء بهم من جزيرة العرب
الى بلاد الفرس وهو اعلاء كلمة الله واخراج الناس من العبودية للعباد الى
العبودية للواحد القهار وكذلك فعل عقبة بن نافع رضى الله عنه فانه لما بلغ
طنجه أو طأ فرسه الماء حتى بلغ الماء صدره وقال اللهم اشهد انى قد بلغت
المجهد وولوا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد
من دونك) (٣)

(١) مسند أحمد ٥/٢٧٨ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ٨/١٦٦ .

(٣) أنظر حركة الفتح الاسلامى لشكرى فيصل ص ١٦٨ .

١٠ - قد بينا في مبحث أهداف الجهاد بالأدلة لقاطعة بأن الهدف الأسمى من تشريع الجهاد في الإسلام هو إعلاء كلمة الله وإزالة الكفر وأهله بينما يرى تلاميذ المستشرقين أن الهدف من الجهاد هو رد العدوان - وسيأتي الرد عليهم في موضعه إن شاء الله - ولكن أريد أن أوضح هنا أن الذي حمل تلاميذ المستشرقين على اعتبار انتشار الإسلام بالجهاد تهمة ينبغي أن تدفى هو انحرافهم الفكري في مفهوم الجهاد وأهدافه ولو فهموا الهدف من الجهاد كما فهمه علماء المسلمين وكما انعقد عليه الإجماع لما وقعوا فيما وقعوا فيه .

١١ - ذكرنا فيما سبق أن من أهداف الجهاد إزالة الطواغيت وتحطيم الأنظمة الفاسدة التي تصرف الناس عن اتباع الحق ولا شك أن رفع هذه الطواغيت وسبيلها كبرى لا انتشار الإسلام ولولا الجهاد لم ترتفع لأن الطواغيت لهم قوة مادية فلا يزيلها إلا قوة مادية ((لا يفيل الحديد إلا الحديد)) .

١٢ - إن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم امتشقوا الحسام لدعوة الناس إلى الإسلام فان امتنعوا عنه أو عن الجزية فسي قتلوهم كما تقدم في حديث بريدة الذي رواه مسلم في صحيحه وظهر من الفزوات أن الكفار لا يسلّمون بمجرد إبلاغ الدعوة لهم وإنما يحطمهم على الإسلام غالباً الخوف من المسلمين فإذا دخلوا في الإسلام وطبقت عليهم أحكامه العادية فمنهم من يزداد يقيناً وتصديقاً ويحسن إسلامه ومنهم من يبقى على شكه وإن بدته حتى يهلكه الله وهذا يدل على عظيم أثر الجهاد في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وهيمنا الحق على الناس .

١٣ - إن الواقع التاريخي لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يكذب المستغربين وأسأتدتهم . يقول ابن عزم عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة لم يستجب له فيها إلا أقل من مائة^(١)) (يقصد ابن عزم من أهل مكة) وهاجر الرسول

(١) خلاصة في أصول الإسلام وتاريخه لابن عزم ص ١٢٠ .

صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومكث الى غزوة أحد ولم يزد عدد المسلمين عن ألف وخمسة رجل كما جاء في صحيح البخارى عن عذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ((اكتبوا لي ^{من} تلتفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفا وخمسة رجل فقلنا تخاف ونحن الفا وخمسة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى ان الرجل ليصلى وحده وهو خائف (١)

قلت فلما كثرت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته انتشر الاسلام انتشارا بالغا في سنوات قليلة حتى كان قوام جيشه عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك ثلاثين الفا وخرج معه في حجة الوداع مابين مائة ألف الى مائة وثلاثين الفا (٢) والذين لم يحجوا لم يعرف عدد هم ولا شك ان هذا الانتشار بسبب الجهاد بعد مشيئة الله عز وجل وقد صدق القائل :

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وغطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفه له اسلموا واستسلموا وانابوا

١٤ - وما يدل على أهمية الجهاد في نشر الدعوة الاسلامية قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخولون في دين الله أفواجا) ، يقول ابن كثير عند تفسير هذه السورة . المراد بالفتح ما هنا فتح مكة قولاً واحداً فان احياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون ان ظهر على قومهم نبي فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تصب سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب ايماناً ولم يبق في سائر العرب الا ما لم يزل الاسلام ولله الحمد والمنه (٣) وقد روى البخارى في صحيحه (ان العرب كانت تلوم باسلامهم لفتح فيقولون اتركوه وقومهم فانه ان ظهر عليهم فهو نبي ما دن فلما كانت وقعة أهل الفتح بادرك قوم باسلامهم (٥) ،

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٦ / ١٢٤ .

(٢) أنظر حجة الوداع لمحمد الكاند هلوى ص ٢٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ٨ / ٥٢٢ .

(٤) تلوم : تتنازع .

(٥) صحيح البخارى مع الفتح ٨ / ١٨ .

قلت ولولا الجهاد لما ظهر عليهم عليه السلام فانه كان بمكة فترة من الوقت يتلو عليهم الايات من الله ويرون معجزاته كأنشقاق القمر والاسراء ولم يبادروا باسلامهم لانهم ولا احياء الحرب المجاوره ولكن لما صارت الايات والحجج مقرونة بسيف يخطف رأس المعاند انقادوا كلهم وغمضوا العيون . فهل يتبصر تلاميذ المستشرقين لهذا الأمر العظيم أم على قلوب افعالها .

١٥ - وما يدل على تأثر الجهاد في نشر الاسلام قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع أهل الردة . فقد ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلب العرب ما عدا أهل المسجدين مكة والمدينة^(١) . فعند أبو بكر رضي الله عنه العزم على حربهم جميعا ولو كان وحده واستجاب له صحابته رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خلال سنتين نشر الاسلام على كامل جزيرة العرب يقول ابن كثير عند ذكر حوادث سنة اثنتي عشرة من الهجرة النبوية ((استهلكت هذه السنة وبعيوش الصديق وامراهه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوالون في البلاد يمينا وشمالا لتمهيد قواعد الاسلام وقتال الطغاة من الانام حتى رد شارد الدين بعد نهابه ورجع الحق الى نصابه وتمهدت جزيرة العرب وصار البعيد الأتقى كالتقريب الأدنى^(٢)))

١٦ - ومن له أدنى معرفة بالتاريخ الاسلامي يرى ان الاسلام واهله يعززون بالجهاد وتعملو كلمتهم وينتشدونهم ويهانون وتنخفض كلمتهم اذا تركوا الجهاد ، ومن أكبر الأدلة على ذلك سقوط بغداد في ايدي التتار فقد ضعفت الخلافة في بغداد وانشغل الخلفاء بجمع الاموال والشهوات حتى وصل السخف باخر خليفة سقط

(١) أنظر البداية لابن كثير ٦/٣١٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/٤٤٢ .

في بغداد انه والجيش محيطه بما صمته والقتل جار في المسلمين قد جعل
 امامه جارية تسمى عرفه ترقص وتضحك ولم ينتبه من غفلته حتى اصاب الجارية سهم فقتلها (١)
 وقد سلك على المسلمين أشعث الوزراء وهو الوزير ابن العلقمي الرافضي وجعل الحل والعقد
 في يده وقد اجتهد هذا الوزير المناق في اضعاف جيوش المسلمين وصرها عن الجهاد
 حتى اصابهم طاعناهم ، يقول ابن كثير (وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه العادثة
 (يقصد عادثة سقوط بغداد) يجتهد في صرف الجيوش واسقاط اسمهم من الديوان
 فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل منهم من الامراء من هو
 كالطوك الأكاير الأكاير فلم يزل يجتهد في تقليصهم الى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ثم
 كاتب التتار والمصميين في اخذ البلاد وسهل عليهم ذلك وحكى لهم حقيقة الحال
 وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعا منه ان يزيل السنة بالكيفية وان يظهر البدعة
 الرافضة وان يقيم غليظة من الفاطميين وان يبني العلماء والمفتين والله غالب على أمره) (٢)
 وبهذا يظهر أثر الجهاد في نشر الاسلام واثر تركه على المسلمين . فكيف يأتي بعد هذا
 من يتسمى باسم المسلمين ثم يحاول صرف المسلمين عن أكبر عون لهم على نصر الاسلام وتثبيتته
 وتبليغه ، ويقول ان الاسلام ينتشر بالدعوة السلمية وعدوها ولا تأثير للجهاد في نشره !
 ان هذا القول المدعول لم يعرب عن أحد من المسلمين ابان عزهم وصلاح أمرهم انما أتى
 لما حكى الكفار بلاد المسلمين واتخذوا لهم صنائع من ابناء المسلمين واظهروهم للناس في
 صورة العلماء تارة وفي صورة الزعماء تارة وهم عملاء مأجورون أو سفهاء مخدوعون أو محبوبون للدرهم
 والدينارين الشهرة متلقون ، وهذا القول غريب على الحس الاسلامي ، يقول الشيخ
 عبد الله بن علي بن يابن - في نقده لكتاب معمر شلتوت العقيدة والشريعة - ان هذا

(١) البداية لابن كثير ١٢/٢٠٠ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٠١ .

الشيخ لا يرى نشر الاسلام بالسيف وانما يقصر نشره على اللسان وهذا رأى أدخله
الملاءمة على المسلمين ليحولوا بين الاسلام وبين الانتشار وليتبطوا عزائم المسلمين وهو
مخالف لكتاب الله ولعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه (١)

ولكن ما ينبغي التفطن له ان المستشرقين الكفار اذا قالوا ان الاسلام انتشر
بالسيف قد يقصدون ان براهينه ودلائله غير واضحة وانما هو دين ملك اقامه بالسيف لا دين
رسول منزل من عند الله لهداية البشرية . وهذا الشنشة ليست وليدة هذا العصر
بل حكاه ابن تيمية عن أهل الكتاب في كتابه القيم الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢)
وذكرها تلميذه ابن القيم في مقدمة كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى فقال
(ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاغين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم
بالحجة والبيان والسيف والسنان والقلب والجنان وليس وراء ذلك حجة خردل من الايمان
وكان انتهى اليها مسائل أوردها بعض الكفار الطغدان على بعض المسلمين فلم يصادف
عنده ما يشفيه ولا وقع واؤه على الداء الذي فيه وظن المسلم انه بضربه يداويه فسطا به ضربا
وقال هذا هو الجواب فقال الكافر صدق اصحابنا في قولهم ان دين الاسلام انما قوام
بالسيف لا بالكتاب افترة وهذا ضارب وهذا مضروب وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب
فشمرا المجيب ساعد المزموم ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض اليه متكمل
عليه في موافقة مرضاته ولم يقل مقالة السجزة الجهال ان الكفار انما يعاملون بالجلاد دون
الجدال وهذا فرار من الزحف واخلاق الى العجز والضعف وقد أمر الله بمجادلة الكفار
بعد دعوتهم اقامة للحجة وازاحة للعذر (ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيى عن بينة)
والسيف انما جاء منفذا للحجة مقوما للمعاندين وعدا للجاهدين ، قال تعالى ((لقد

(١) اعلام الانام بمعنى اللغة في الأزهري شلتوت للاسلام ص ١٩٦ .

(٢) أنوار الجواب الصحيح ١/٧٢٠ .

أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز
فدين الاسلام قائم بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي . شعر .

فما هو الا الوعي أوحد مرهف يقم ضباه أخذ على كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل (١)

قلت : انا اظن هذا فليس الجواب الصحيح على قولهم ((ان الاسلام انتشر بالسيف)

بالنفي فان قولهم مشتمل على حق وباطل وهم يقصدون ان براهين الاسلام غير واضحة انما
الجواب الصحيح أن يقال لهم ان الاسلام انتشر بالسيف والسنان والحجة والبرهان لأن
الناس صنفان . صنف طالب للحق مسترشد عن الهدى فاذا بانته أدلته انقاد لها .
وصنف معاند مكابر لا يريد الهدى ولا الحق لأنه يخالف رغباته وأهواءه فهذا لا علاج له
الا السيف .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا . . فالهرب اجدى على الدنيا من السلم
ويقال لهم أيضا : هل تؤمنون بأن الاسلام من عند الله فان قالوا نعم فقد تناقضوا فكيف
يكون من عند الله الحكيم العزيز العليم الخبير ويكون فيه نقص وتكون حججه وبراهينه غير
واضحة ويكون في تشريعاته ما يعاب عليه !! وان قالوا ليس من عند الله فليس جوابهم
بمدح الاسلام وبيان وضوح أدلته وبراهينه بل جوابهم باثبات انه من عند الله بالآدلة
اليقينية الموثوقة الكتاب والسنة . واليك أيها القارئ الكريم جواب عالم فاضل على هذه
المقولة التي يردد ما هناك الصليب وانابهم والتي تلجلج فيها تلاميذ المستشرقين - عن
جهل أو غيبث - واتوا بخير الصواب وذلك لأن هذا العالم الفاضل وان عاش في عصر

الاستشراق والعزوف الفكري الا أنه اقتبس علمه من الوحي وعلى أيدي علماء المسلمين
لا من المستشرقين ولا من المهزومين المبهورين بآراء ونظريات الكفار أعداء الطهارة والدِين
فكان جوابه يثلج الصدر ويلقم الصمائد حجرا يقول الشيخ الجليل عبدالعزيز بن محمد
آل صحر في كتابه القيم ((منحة القريب المحيب في الرد على عباد الصليب)) (وأما قول
النصراني وكان يسوع نارا صلاح تام في سيرته حتى لم يطعن في عرضه بشيء اما محمد
فهو صاحب الغزاة والقتال مفرما بالنساء والنكاح . فالجواب وبالله التوفيق :

أما عيسى عليه السلام فهو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهو أحد
الخمسة أولى العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
تسليط وحاشا رسل الله وأنبيائه ان يطعن عليهم في اعراضهم بشيء كيف وهم الذين
اطمأنهم الله لرسالاته وجعلهم سفراء بينه وبين عباد ه فاعتقاد المسلمين في المسيح كغيره
من الرسل هو ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو انزلهم المنزلة التي انزلهم الله
اياها فلا يفلون غلوا النصراني ولا يجفون جفا اليهود . . .

وقوله : فهو صاحب الغزاة الى آخره جوابه : اما النكاح ومحبة النساء فقد
قد ما فيه ما يكفي وبيننا ان ذلك من الفضائل لا من الرذائل ومن المناقب لا من المثالب وانسه
من سنن الانبياء والمرسلين ومن طريق عباد الله الصالحين فلا يتأثر الطعن بالنكاح وملازمة
النساء الا بتتقى الانبياء والمرسلين كنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى
وداود وسليمان وغيرهم من أنبياء الله ورسوله وكفى بذلك عماية قلب وسخافة عقل وسمه ضلالة
وتبجح جهالة . واما اعتراضه بالغزو والقتال فهو اعتراض باطل من وجوه :

الأول : ان الغزو والقتال للاعداء فضيلة متنافس فيها على الجملة دالة على شرف النفس
وعلو الهمة ولم يزل التمدح به مشهورا في القديم والحديث وانما يذم ما كان منه
ظلما وعدوانا وليس كذلك قتال نبينا صلى الله عليه وسلم نبينه في الوجه الثاني :
وهوان قتاله صلى الله عليه وسلم انما هو عن امر الله تعالى وشرعه لا قامة دين الله
وابتلال عبادة من سواه من الانداد والأصنام وهذا من أعظم الفضائل وأكبر المناقب

وأرفع الرتب وهو قتال الانبياء واتباعهم ، ولنبينا صلى الله عليه وسلم واتباعه من هذه
الفضيلة أوفر حظ واكمل نصيب .

الوجه الثالث : ان قتاله صلى الله عليه وسلم من اعلام نبوته وأدلة رسالته لأنه مطابق لما
جاء من نصته في كتب الانبياء عليهم السلام كما قدمنا نص الزبور في قوله : تقذ
أيها الجبار بالسيف فان شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنوننة
وفي النص الآخر في صفته صلى الله عليه وسلم وصفة أمته بأيد يهيم سيوف ذات شفرتين الى
غير ذلك من الأتالة الدالة على أنه يبعث بالسيف والقتال وتقدم في قصة ابن
الهييان " الجهر " في وصيته اليهود باتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم قوله : لا تسبقن
عليه يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن
خالفه فلا يمتنعكم ذلك منه .

الوجه الرابع : ان القتال ليس مختصا بشريعته صلى الله عليه وسلم فقد قاتل كثير من الأنبياء
عليهم السلام بانان الله لهم في ذلك وأمره وقد أمر الله بنى اسرائيل بقتال الجبارين
ودخول الأرض المقدسة مع موسى عليه السلام فلما عصوا أمر الله عاقبهم بالتيه
اربعين سنة وبعد خروجهم منه توجهوا لقتال الجبارين مع يوشع بن نون عليه السلام
ففتح الله عليهم ولم يزل الجهاد والقتال مشهورا في بنى اسرائيل ومعهم الأنبياء
كما قال الله تعالى ((وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)) وما كونه القتال غير
مشروع لعيسى عليه السلام فذلك لا يدل على أن تركه أفضل مطلقا بل هذا من
اختلاف الشرائع كما قال تعالى ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)) (١)

(١) قلت القول بأن شريعة عيسى ليس فيها جهاد يحتاج الى دليل شرعي من كتاب
أو سنة .

الوجه الخامس : ان في الجهاد من المصالح العظيمة والحكم الباهرة فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة فلا يحصى فمنها ما يترتب عليه من اعلاء كلمة الله وقامة دينه وعززه انتصاره وانقاذ اعنائه وقد حصل به من ذلك على يد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتباعه ما شئت شمل الكفر وفرق كلمة الاشرار ورغم ان الشيطان اللعين ومنها انقاذ الهالكين في الكفر والضلالة وعبادة الأصنام والأنداد وانقاذهم من ظل الكفر الى نور الايمان ومن طريق النار الى سبيل الجنان ومن رن الشيطان الى عبادة الرحمن وقد انقد بهذه الأمة وجهادها من شاء الله من الأمم الهالكين وفي هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عليه في قول الله تعالى ((كنتم غير أمة أخرجت للناس)) قال خير الناس للناس تأتون بهم فلو السلاسل في افعالهم حتى يدخلوا في الاسلام ومنها ابتلاء الله تعالى عباده واختبارهم بتكليفهم القتال وبذلهم في طاعته النفوس والأموال كما قال تعالى : ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم)) وقال تعالى ((ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض)) وقال تعالى : ((لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومضاعف للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)) ومنها ما يترتب على ذلك من عظيم الثواب ورفعة الدرجات بما بذلوا من مهجهم وأموالهم في طاعة الله ونصرة دينه ، فالمجاهدون أرفع الناس درجة في الدنيا والآخرة .

الوجه السادس : انه اذا كان قتاله صلى الله عليه وسلم عن أمر الله لثبوت رسالته فلا اعتراض عليه في شيء من أمره اعتراض على الله لأنه الذي شرع وأمر وهذا نظير اعتراض من يعترض من المكذبين للرسول على ذبح الحيوان للأكل بأن هذا تعذيب للحيوان لا يأذن الله فيه . وانا كانت شعرائع الأنبياء باءت بذبح بعض الحيوانات للأكل وقتل بعضها دفعا للأذى مع أنه لا تكليف عليها ولا ذنب لها فكيف يكون الأمر في قتال أعداء الله

الكافرين به المكنذ بين رسله العابدين معاملة أخرى لا جرم ان قتالهم وغزوهم وجهادهم حتى يؤمنوا بالله ويتبعوا رسوله لفي غاية الصلاح ونهاية السداد وتمسكهم بالحكمة . وبالجملة . ففضائل الجهاد في سبيل الله أكثر من أن يأتي عليها الوصف وما كان هذا شأنه فلا شك ان المتصف به قد حاز فضلا عظيما واقتنى خيرا كثيرا وان مشروعيته في هذه الملة من محاسنها ومحاسن من جاء بها وفضائل اتباعه الذين هم خير أمته أخرجت للناس (١) .

وقال رحمه الله ((فصل : قال النصراني : لا سيما حيث ان أكثر حروب الملوك بخير عدل ان يقاتلون اما من غير الظلم لهم وليس لهم ما يتطلون به على معاربتهم سوى الاختلاف في الدين وهذا ما هو الا غاية عدم الدين ان لا تكون عبادة الله الا ما يصدر عن ارادة النفس واما الاراد ففهي تنقاد بالتعليم والاقناع لا بالتهديد والقهر ومن اضطر لتصديق الدعوى من غير ارادة منه فهو لا يصدقها بل يظهر فقط انه يصدقها هربا من الشدائد ومن يلزم غيره بالتسليم له بواسطة التهذيب له فهو بفعله هذا يدل على عدم ما يستدل به على صحة دعواه .

الجواب وبالله التوفيق : اما حروب ملوك المسلمين بعضهم لبعض في طلب الملك

(١) ضجة القريب المصيب في الرد على عباد الصليب من ص ١١٨-١١٣ .

فليس مما نعت فيه انه هو من قتال الفتنة الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم
وعذر منه وهو قتال علي الدنيا ، وأما القتال الشرعي فهو القتال في سبيل الله لاعلاء
كلمة الله واعزاز دينه ولا ريب عند الموافق والمخالف ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء
بشرح الجهاد وتضمن الأمر به القرآن الذي أنزل عليه وانما شرح في المدينة بعد الهجرة
الى المدينة حين اجتمع بها المهاجرون والأنصار وعند ذلك علم اعداؤه من المشركين
واليهود انها كانت لهم دار منعة فخافوا منهم ما كانوا يحذرون فرمواهم عن قوس واحدة
وشمروا لهم عن سان السداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب وكان الله يأمرهم بالصبر
والصبور والصفح ثم انه تعالى بحكمته انزل لهم في القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى :
((ان الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من
ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله)) ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم
يقاتلهم فقال تعالى : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم)) ثم فرض عليهم قتال
المشركين كافة فقال تعالى : ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله
مع المتقين)) فكان معرط ثم مأذونا فيه ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ثم مأمورا به لجميع
المشركين وانما كان القتال عن أمر الله وشرعه كان القيام به من أكبر الفضائل وأعظم الوسائل
لما فيه من بذل النفوس والأموال في مرضاة الله وما كان عن أمر الله فهو على وفق الحكمة والعدل
لأنه صدر عن أمر الحكيم الخبير وقد قامت البراهين واتضحت الدلائل وظهرت المعجزات
على أن محمدا رسول الله فبطل أن يكون قتال المسلمين لمن خالف الملة قتالا بغير عدل
وقد ذكرنا فيما تقدم اشارة الى بعض ما في شرح الجهاد من الحكم والغايات المعمودة .
وأما قتال المسلمين أمما من غير الظالمين لهم وان السبب انما هو الاختلاف في الدين .
فهذا أوضح حجة على أنه مقتضى العدل لأنهم انما يقاتلون المشركين بالله الكافرين به
ويرسله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية قال ااغزوا باسم الله قاتلوا من
كفر بالله ا فأعظم الذنوب الشرك بالله والكفر به فشن الله الجهاد ليكون ^{الدين} كونه
له كما قال تعالى ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على
الظالمين)) وانما كان قتالكم من للمك واعتدى عليك حتى يكف عن ظلمه واعتدائه لا يكون ظلما

ولا قبيحا فكيف يكون قتال الكافر بالله المكذب لرسوله وكتابه الأتى بأعظم الظلم وأكبر الذنب يقال فيه انه غير عدل ما هذا الا جهل عظيم كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

قوله فهو لا يصد قها بل يظهر فقط أنه يصد قها هربا من الشدائد .

جوابه : ان هذا وان وجد في آحاد الناس فليس على العموم فلا تنتقض به الحكمة في مشروعية الجهاد فانه قد دخل في الاسلام فقام من الناس بالقتال وافتتحت ديارهم بالسيف قد خلوا وكثير منهم كارهون فلما خالطوا المسلمين وسمعوا القرآن ولبختهم معجزات النبوة وآيات الرسالة صلحت عقائدهم وانفتحت بصائرهم وطموا أنه الحق ودانوا به باطننا وظاهرا وطموا أبناءهم ونساءهم وبذلوا فيه نفوسهم وأموالهم هذا ما لا يرتاب فيه ذوعقل صحيح وهل يستعجز من له أدنى مسكة من عقل أن يقول ان من دخل في الاسلام بعد قيام الجهاد من العرب وغيرهم من أصناف الأمم أنهم انما يصدقون بالاسلام ظاهرا فقط هذا مما يعلم فساده بيد يهية العقل فان الله قد خص هذه الأمم بتهيئتها من الايمان بالله ورسوله وتطام الانقياد لما جاء به الرسول مشرحة بذلك صدقهم مصدقة به قلوبهم ما لم يحط غيرهم من الأمم وذلك لما أيد به نبيهم صلى الله عليه وسلم من المعجزات وأنواع الأدلة والآيات ولهذا كان أكثر الأنبياء تابعيا ليوم القيامة وكان أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة وأول الناس سبقا الى الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ا نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ا ولا ينتقض ما ذكرناه بالمنافقين والزناة فانهم مقهورون مخمورون في المؤمنين بل في وجودهم بين المؤمنين مع كونهم أعداء لهم في سورة أولياء واجتهادهم في الأضرار بدنياهم ودنياهم وسعيهم في ذلك بكل ما أمكنهم شلم يلفروا بمطوبهم ولم يحصلوا طمس مرادهم دليل على صحة الشريعة وأنها من عند الله عز وجل . والمقصود أن الله نصب الأدلة والبراهيم على صدق رسوله وصحة ما جاء به من النبوة والكتاب وشرح الجهاد وسيلة الى ابلاغ الحجة وايصال الدليل الى المكلفين فان من كان على دين وجد عليه اباؤه وأسلافه وأشربه قلبه والفتنه نفسه لا يختار دينا غيره ولا يلتفت الى سواه فلا يصحى الى حجج الحد وبراينه فكان من رحمة الله بعباده أن أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد لتبلغ الحجة مبلغها فينذر من كان حيا ويحس القول على الكافرين .

وأما قول النصراني : ومن يلزم غيره بالتسليم له بوساطة التعذيب له أو التخويف السلي
 آخره ، فهو كلام ساقط فان الأنبياء عليهم السلام جاءوا بالرسالة الى الأمم مقرونة بالتخويف
 بالعذاب للمكذبين والانداز للمخلفين كما جاءت بالبشارة للمؤمنين والرجاء للمصدقين
 ومنهم من جاء بالقتال ونوا إسرائيل لما امتنعوا من التزام أحكام التوراة لثقلها عليهم رفع
 الله جبلا فوق رؤسهم وقيل لهم التزموا ولا وقع عليكم الجبل كما قال تعالى : ((وان نتقنا
 الجبل فوقهم كأنه دالة وانوا أنه وقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة وانكروا ما فيه لعنكم تتقون))
 وقال تعالى : ((ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم)) وأيضا فالشرائع جاءت بالحدود ويقاع
 العقوبة بالحصاة ليرتدوا عن المعاصي والمخالفات وكل هذا الزام بالأحكام بوساطة
 التمديب والتخويف أفكان ذلك دليلا على عدم البرهان فيما دعا اليه الأنبياء عليهم السلام
 وان لم يكن كذلك لعل هذا التمهيد^(١) هـ ،

وقد زعم تلاميذ المستشرقين بأن المسلمين لم يخطوا السيف لأجل نشر الاسلام واخضاع
 أمم الكفر للاسلام وانما سخطوه لدفع الكفار عن بلادهم وأنفسهم واحتجوا بقوله تعالى :
 ((لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي))^(٢) ، والحقيقة أنه لا عجة لهم في هذه
 الآية الكريمة فكتاب الله لا يناقض بعضه بعضا وانما يصدق بعضه بعضا وهذه الآية الكريمة
 لها سبب نزول رواه أبو داود وغيره بسند صحيح فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل
 قوله تعالى : ((لا اكراه في الدين)) في الأنصار كانت تكون المرأة مقلاة فتجمل على
 نفسها ان طهرها وطه ان تهود فلما اجليت بنوا النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا
 لاندع أبناءنا فأنزل الله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي^(٣) . وبهذا
 يتبين أن الآية نزلت في اكراه أهل الكتاب على الدين ولا تشط كل كافر لأن المرتد يكره على
 الرجوع الى الدين باجتماع المسلمين ولم يدخل تحت عموم هذه الآية فدل على أن عمومها

(١) المصدر السابق من ص ٢٨٤-٢٨٧ . (٢) البقرة ، الآية ٢٥٠ .

(٣) جامع الأصول لابن الأثير ٢/ ٥٢ بتحقيق عبدالقادر الاناوطي وقال المعقوي وأخرجهم

الطبري ٣/ ٥٨ واسناده صحيح وصححه ابن حبان رقم (١٧٢٥) .

شامل لأهل الكتاب ومن أمرنا رسول الله أن نسن بهم سنتهم وهم المجوس . وبعض
العلماء يجعل الآية عامة في كل كافر ما عدا المرتد ومن رفض قبول الجزية وبعضهم يجعلها
منسوخة ويقول نزلت قبل الأذن بالقتال ورجح ابن جرير الطبري رحمه الله بأنها مخصوصة
لا منسوخة أي خاصة بأهل الكتاب والمجوس ، أما المرتدون والمشركون فقد دلت الأدلة
الشرعية على إكراههم على الدين .^(١) ويرى بعض العلماء بأن الآية الكريمة خبر وليس فيها
نهي وعلى هذا القول يدون معنى الآية أن المكروه لا يستفيد من إيمانه يوم القيامة لأنه لم
يصدق بقلبه . وإن استفاد منه في الدنيا بلحقن دمه وهذا القول مروى عن ابن الأنباري^(٢) وبهذا
يمكن تلخيص الأقوال في هذه الآية فيما يلي :

١- أن الآية منسوخة بآية السيف .

٢- أن الآية خبر لا نهى فلا حكم فيها .

٣- أن الآية شاملة لمجموع الكفار ما عدا المرتد ومن رفض الخضوع للجزية .

٤- أن الآية خاصة بأهل الكتاب والمجوس وأنهم لا يكرهون على اعتناق الإسلام إذا غضصوا

لا يمكنه العامة وقد فصوا الجزية بحالة كونهم في ذل وصغار . وهذا القول هو أرجح الأقوال

عندي لأن فيه جمعا بين أدلة الإكراه وأدلة النهي عن الإكراه فيحمل كل دليل على

جهة مختلفة عن الأخرى وأعمال الأدلة أولى من الغاء شيء منها ، ويرجع سبب

نزول الآية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع الكفار . يقول الشيخ محمد

الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه القيم ((دفع الإيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب)) قوله تعالى : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) هذه

الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين وتبنيها قوله تعالى :

((أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) ، وقوله تعالى : ((وما جعلناك عليهم حفيظا

إن عليك إلا البلاغ)) .

(١) أنظر تفسير الطبري ١٢/٣ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٠٥ .

وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى : ((تقتلونهم أو يسلمون)) وقوله : ((وقتلوهم حتى لا تكون فتنة)) أي شرك . ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح : ((امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث . والجواب عن هذا بأمرين :-

الأول : وهو الأصح أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقا وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها أن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجلبت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لاندع أبناءنا فأنزل الله (لا إكراه في الدين)

المقلاة : التي لا يعيب لها ولد ، وفي المثل أحر من دمع المقلاة .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال نزلت (لا إكراه في الدين) في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له (الحصين) كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إلا استكرههما فانهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله الآية . وروى ابن جرير أن سعيد بن جبيرة سأله أبو بشر عن هذه الآية فقال نزلت في الأنصار فقال خاصة ؟ قال خاصة وأخرج ابن جرير عن قتادة باسنادين في قوله (لا إكراه في الدين) قال : إكراه عليه هذا المعنى من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لها كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الإسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم .

وأخرج ابن جرير أيضا عن الضحاك في قوله (لا إكراه في الدين) قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل منهم الجزية فقال (لا إكراه في الدين) قد تبين الرشد من الضل .

واخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا في قوله : ((لا اكره في الدين)) قال : وذلك لما دخل الناس في الاسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية ومن في حكمهم . ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب وما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح ((عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة فـ في السلاسل)) .

الأمر الثاني : أنها منسوخة بآيات القتال كقوله (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الآية ، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة وسورة براءة من آخر ما نزل بها والقول بالنسخ مروى عن ابن مسعود وزيد بن أسلم وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها ((لا اكره)) الآية ، والمتأخر أولى من المتقدم والعلم عند الله أ - هـ) (١) .

قلت وليعلم أن اكره الكفار أهل الكتاب والمجوس على قبول نظام الاسلام العام والخضوع للأحكام كقطع يد السارق ورجم الزاني ونحو ذلك لا يدخل تحت النهي عن الاكره الوارد في الآية باجماع المسلمين . (٢)

وانا خضعت الكفار للجزية فلا يترك لهم دولة ذات جيوش وأنظمة تمارس على الأرض لأن هذا يناقض الصغار الذي أراد الله عز وجل بل انا خضعتوا للجزية حكمهم المسلمون بحكم الاسلام وأصبحت دارهم دار اسلام لا دار حرب وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم التعبدية داخل محابدهم من غير أن يفتروا أحدا عن دينه ، أما أنظمة البلاد فتسير على مقتضى الاسلام (٣) يقول أبو الأعلى المودودي : من الظاهر أنه لا بد من قوة رادعة لاقامة نظام العميلة الاجتماعية

(١) دفع ايها الماضطرب للشنقيطي ص ٤٦-٤٧ .

(٢) نقل الاجماع الطبري في كتاب اختلاف الفقهاء ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣) أنظر كتاب أحكام الذمة لابن القيم فهو شامل في هذا الباب .

وهذه القوة الرادعة هي التي تصرف بالدولة ومن الظاهر كذلك أن هذه القوة التي تحافظ على نظام الحياة الاجتماعية بما أحرزت من الغلبة والسيادة تتخذ لنفسها خطة للعمل وفق نظريتها ومد هيبتها الاجتماعي فيكون لنوعية هذه السيادة ولأبعاد هذه الخطة - على ما هي عليه من الأساس والتفصيل - ضلع كبير في صلاح الحياة الاجتماعية وفسادها بل لا بد حتى للحياة الفردية أن تتصاغ إلى حد عظيم في قالب الذي تضعه الدولة شاءت لم تشأ فيصح القول على هذا بأن الذين يعيشون في حدود دولة لا بد لهم أن يتنازلوا عن تسعين في المائة من ركائز عقيدتهم ومد هيبتهم ويسيروا فيها على عقيدة الدولة ومد هيبتها ولو كانوا لا يؤمنون بنظريتها الأساسية وخطتها التفصيلية للعمل بل لا يزال استعمال عقيدتهم ومد هيبتهم على المشرة في المائة الباقية من الركائز تتحمل مع مرور الأيام وتطور العيشة الاجتماعية أنه لا بد من ((اكراه)) في الحياة المدنية ، أما من جانب الكفار أو من جانبنا نحن معشر المسلمين وبدل أن يقدم عليه الكفار ويتولون قيادة الحياة المدنية ويجرونا إلى جهنم على طواعية منا أو على كراهية يجمل بنا أن نقدم عليه نحن ثم نجر الكفار إلى المكان الذي يقرب من طريق الجنة حتى يسهل عليهم انتهاجه إن شاءوا ورضوا هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الله هو مالك هذه الأرض فلا حق للعيش في أرضه والتمتع بنعمه والتصرف في ملكه إلا لمن كان مطيعاً لأحكامه متبعاً لقانونه الطبيعي والشرعي ، وأما من لا يفعل هذا فهو ظالم قاصب غارح على سلطانه وطمعانيه هذا خلافاً للحق فحسب بل هو مصدر للفساد في نظام الأرض ومدعاة لفتنة أهلها فالحق ان ليس للمضحرفين عن الله وعن أتباع قانونه الطبيعي والشرعي حق للعيش في أرض الله ولكن من كمال رحمة الله وعلمه أن يمهّل لهم أن يعيشوا في أرضه لا هذا فحسب بل يخبرهم في البقاء على كفرهم وشركهم والحاد هم ود هريتهم إلى حد لا يتولد عنده فتنة لعباده الآخرين (١) غير أنه لا يقبل أبداً أن يعرضوا عن قانونه الشرعي ويسيروا بنظام أرضه تبعاً لقوانينهم الوضعية ويملئوا أرضه ظلماً وفساداً فهو لأجل هذا ان ينهى المؤمنين بقانونه الشرعي عن اكراه الكفار على الايمان بدِين الحق يأمرهم ببذل كل جهودهم لمحو فتنة ناتجة عن غلبة الكفر والكفار حتى يقوم نظام أرضه على دينه وحده ويعيش فيها الذين لا يؤمنون بدِينه صاغرين لا كافرين (حتى يسطوا الجزية عن يده وهم) (١) يلهو من كلام المودودي أنه يرى أخذ الجزية من كل كافر حتى من الملحدين وهذا يخالف =

(١) ويط قد مناه من مراحل الجهاد وأهدافه وأثره في نشر الدعوة الإسلامية صاغرون)
يظهر لنا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله بعد تشريع الجهاد القتالي
فهو دعوة مقرونة بالسيف المنفذ فقد كان صلى الله عليه وسلم يرسل الجيوش لدعوة الناس
إلى التوحيد فمن رفض الإسلام وطأد الحن وأبى دفع الجزية قاتلوه ومن رغب في الإسلام
وأعلن الدخول فيه فقهوه في الدين وطموه شرائع الإسلام ، يقول ابن اسحاق (ثم بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر
إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فان
استجابوا فأقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركب
ينسرون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلم الناس
ودخلوا فيم دعا إليه فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هم اسلموا ولم يقاتلوا) (٢) ويرسل
صلى الله عليه وسلم فقهاء أصحابه إلى الأمصار لتعليم الناس دينهم كما أرسل معاذاً وأبى
موسى إلى اليمن وقال لهم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاولا ولا تختلطا) (٣) وأرسل
الحلاء بن الحضرمي إلى البحرين أميراً ومرشداً ومعلماً (٤) وأرسل صلى الله عليه وسلم عمرو
ابن حزم إلى بني الحارث بن كعب ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالماً الإسلام ويأخذ
منهم صدقاتهم (٥) ، وغير هؤلاء كثير منهم المهاجر بن أبي أمية ابن المظيرة بعثه
صلى الله عليه وسلم إلى صنعاء وزياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري بعثه صلى الله عليه وسلم
إلى حضرموت وهدى بن عاتم الطائي بعثه صلى الله عليه وسلم إلى علف وبنى أسد ومالك

= ما عليه جمهور المصنف .

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة للمودودي ص ٥٧-٥٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٥٩٢ .

(٣) صحيح البخاري ٤/٢٦٠ .

(٤) أنظر ابن هشام ٤/٥٧٦ .

(٥) أنظر ابن هشام ٤/٥٩٤ .

ابن نويسرة بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى عنظله وعلى بن أبى طالب بعثه
صلى الله عليه وسلم الى اليمن وبعث صلى الله عليه وسلم جطة من الرسل يحطون كتبه الى طموك
وزعماء الأعراب يدعونهم الى الاسلام ويحذرونهم مغبة الشرك والا ستكبار على الحق فبعثت
دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم وبعث عبد الله بن عذافة السهمي الى كسرى
ملك فارس وبعث عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن أبى
بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وهياذ ابني
الجلندي الأزديين ملكي عمان ، وبعث سليل بن عمرو أحد بنى ظمر بن لؤي الى ثمامة
ابن أثال وهوناه بن علي الحنفيين ملكي اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن
سأوى العبدى ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الأسدي الى الحارث بن أبى شمр الفساني
ملك تخوم الشام .^(١) ولم يكن صلى الله عليه وسلم يهاب التضحيات في سبيل ابلاغ هذا الدين
وتعليمه للناس فانه لما قدم عليه رهط من عضل والقارة وقالوا له ان فينا اسلاما فأبعث
معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام بعث
معهم جمعا من أصحابه تحت امرة مرثد بن أبى مرثد الفنوي ففدروا بهم الكفار واستشهدوا
جميعا رضي الله عنهم وأرضاهم ولم يمنعه صلى الله عليه وسلم هذا الحادث الجلل من ارسال
سبعين رجلا من خيار الصحابة الى أهل نجد لتعليمهم القرآن وشرائع الاسلام وقد غدر
بهم الكفار على بئر معونة فاستشهدوا جميعا الا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري^(٢) وقد
أرسل صلى الله عليه وسلم جيش زيد بن حارثة - وجعفر الطيار وعبد الله بن رواحة في ثلاثة
آلاف ليقابل الكفار في مؤتة وهم مائة ألف أو يزيدون .

هذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى الله بعد تشريع الجهاد القتالي .
دماء وتضحيات . صحاب ونفقات مجاهدة لاعداء الله من أهل الكفر والنفاق تربية واعداد

(١) أنظر سيرة ابن هشام ٦٠٠/٤ - ٦٠٧ .

(٢) أنظر سيرة ابن هشام ١٦٩/٣ - ١٨٣ .

ولم ينقطع صلى الله عليه وسلم عن الدعوة باللسان ولا عن تربية المسلمين على العقيدة الصحيحة ، وإنما أضاف إلى ما كان يعمل في مكة المكرمة التربية الجهادية والتربى القيادية لأنه أصبح في المدينة صاحب دولة مؤسسة على تقوى من الله فاتسعت في العهد المدني وسائل الدعوة ووسائل التربية والاصلاح وتخرج على يديه صلى الله عليه وسلم أبطال لم يعرف التاريخ لهم مثيلا آلاف تاريخ الرسل وأصحابهم وسجل لهم بطولات سوف تنل منارات يرنو اليها السائرون على طريقهم بأبصارهم وسوف نذكر طرفا منها في الفقرة التالية :

المتتبع لسير الصحابة رضي الله عنهم يرى من الأمر عجبا . أن السمة الغالبة عليهم هي بيع الدنيا بالآخرة وحب الاستشهاد في سبيل الله بل الشغف بالموت في سبيل الله وهذه نتائج تبين هذه الحقيقة العملية :

١ - عمرو بن العاصم أخو بني سلمة ذكر ابن اسحاق في سياق غزوة بدر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الناس على القتال وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمرو بن العاصم وفي يده تمرات يأكلهم بخ بخ أظن بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء . ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (١)

٢ - عوف بن العمار بن عفراء قال ابن اسحاق وعده ثني عاصم بن عمرو ابن قتادة أن عوف بن العمار قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو وحاسرا فنزع د رط كانت عليه ففقد فيها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل (٢)

٣ - عمرو بن الجموح قال ابن اسحاق وعده ثني أبي اسحاق بن يسار عن - أشياخ من بني سلمة أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٧ .

(٢) ابن هشام ٢/٢٢٨ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقتلوا له ان الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله انى لأرجو أن أظلم بعرجتى هذه فوالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنى ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد . (١)

٤ - أنس بن النضر . روى البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن عمه غاب عن بدر فقال غبت عن أول قتال النبى صلى الله عليه وسلم لئن أشهدنى الله مع النبى صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد (٢) فلقى يوم أحد فهزم الناس فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين وأبرأ اليك مما جاء به المشركون فتقدم بسيفه فلقى سعد بن معاذ فقال ابن ياسر انى أجد ربح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف عتى عرفته أخته بشامة أو بينانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربه ورميه (٣) بسهم .

٥ - عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف . وقد خرج مع الرهط الذين خرجوا مع عضد والقرظة فلما عذربهم الكفار ولم يبرعهم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوههم أخذ عاصم سيفه وقال والله لا أقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ثم جعل ينشد :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| طاعنى وأنا جلد نابل | والقوس فيها وتر نابل |
| تزل عن صفحتها المعابل (٤) | الموت حق والحياة باطل |
| وكل ما هم الا له نازل | بالمرء والمرء اليه آئل |

(١) ابن هشام ٣ / ٩١ .

(٢) أجد أى اجتهد .

(٣) صحيح البخارى ٥ / ٣١ .

(٤) المعابل نصل عريض طويل .

وقتل القوم حتى قتل فلما قتل ارادت هذيل أخذ رأسه ليبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنهها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في حفرة الخمر فمنعه الدبر فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا دعوه يمسي فتذهب عنه فناخذ فبعث الله الوادي فاحتل عاصم فذهب به وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجسا فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عمن بلغه أن الدبر منعتة يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذرا أن لا يمسه مشرك ولا يمسك مشركا أبدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته . (١)

٦ - جعفر بن أبي الب وقد كان أميراً على جيش مؤته بعد زيد بن ثابت رضي الله عنه فلما قتل زيد شهيدا أخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمة القتال اقتحم عن فرس له شقرا فمقرها ثم قاتل القوم حتى قتل قال ابن اسحاق وعديني يعنى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال عدني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤته قال والله لكأني أنظر إلى

جعفر عين اقتحم عن فرس له شقرا ثم مقرها ثم قاتل حتى قتله وهو يقول :

يا هذا الجنة واقترابها طيبة واردا شرابها .

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على ان لا قيتها ضرابها .

قال ابن هشام وعديني من أثنى به من أهل العلم ان جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقلعت فأخذه بشماله فقطت فأحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه . (٢)

٧ - عبد الله بن رواحة : وقد كان الأمير الثالث على جيش مؤته بعد زيد وجعفر ولما ودع -

الناس أمراء الجيش في المدينة عند سفره بكي عبد الله بن رواحة فقال الناس طيبكيك

(١) ابن هشام ٣ / ١٧١ .

(٢) ابن هشام ٣ / ٣٧٨ .

يا ابن رواحه فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار ((وان منكم الا واردها كان على ربك عتقا مقضيا)) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون صحبكم اللهد فح همكم وردكم النينا صالحين فقال عبدالله بن رواحه .

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة قدات فرغ تغذف الريدنا (١)

أوطهنة بيدي حمران مجهزة بعربة تنفذ الأحشاء والكبدنا .

ولما تردد الناس هل يقدمون على الروم مع كثرتهم أم يطلبون المدد من رسول الله صلى الله عليه وسلم شجعهم عبدالله بن رواحه وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة . واناقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مانقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فأناطلقوا فلما هي احدى الحسنيين ، اما ظهور وأما شهادة فقال الناس قد والله صدق بن رواحه . . فلما قتل جعفراً أخذ الراية عبدالله بن رواحه ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يانفس لتنزلني لتنزلن أولتكرهني

ان أجلب الناس وشد والرنه مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئة هل أنت الا نطفة في شنة

وقال أيضا :

يانفس الا تقتلي تموتى هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا . ثم نزل فلما أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شدد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه مالقيت فأخذه من يده ثم انتهمس منه نهسة

(١) الفرغ : السعة . والزيد : رغبة الدم .

ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وأنت في الدنيا اثم القاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل (١) هذا غيبي من فيض وقطرة من بحر ولا فالناظر في سير معارك الصحابة يأخذ به الحجب اذا رأى شجاعتهم وأخلاصهم وقوة يقينهم وقوة ثباتهم وحبهم لله ولرسوله وتفانيهم في نصر الاسلام وانزال الكفر لا سيما ان كان يعين في عصر مثل عصرنا المنكود فقد كانت الجيوش الاسلامية في عهد الصحابة تتلى فيها سورة الأنفال عند التلاقي وقد سمعنا بجيوش تدعى الاسلام تصاحبها المماز في قتالها بل والماهرات والخفارات لأجل هذا كأن قصص الصحابة في معاركهم اذا سمعها أبناء هذا الجيل يعتبرونها ضربا من الخيال . ولن يصلح هذه الأمة الا ما أصلح أولها تمسك بالكتاب والسنة وحب لها وحب للآخرة أشد من حب الدنيا وتنحية وهداء وقوة ايمان وثبات على الحق واستعفاف بالباطل وأمله نسأل الله العلي العظيم العزيز الحكيم أن يعثرنا مع الصحابة وأن يدخلنا معهم جنة النعيم وأن يصلح حال هذه الأمة حتى يرتفع المسلمون وينخفض الكافرون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(١) أنظر ابن هشام ٢٧٢/٤ - ٢٧٩ .

- الباب الثالث -

موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد :

١- تمهيد : كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين .

٢ - قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط .

٣ - حكم بغض الكافرين .

٤ - حكم دار الحرب والكفر ودار الاسلام .

٥ - حكم السرقة .

٦ - حكم الجزية .

٧ - حكم الأسرى .

٨ - الدعوة الى القومية .

٩ - الدعوة الى الوطنية .

١٠ - الدعوة الى الانسانية .

١١ - الدعوة الى زطلة الأديان .

١٢ - الدعوة الى السلام العالمي .

١ - تصهيد : كيف تمكن الكفار من التأثير على المسلمين :

مر معنا كيف أن الأمة المسلمة لما قامت بالجهاد الاسلامي الذي كلفها الله به أعزها الله وأنزل أعداءها ونشرت الاسلام الى أقصى الشرق والغرب ونشرت العدل بحكم القرآن على أقطار الأرض التي خضعت لسلطان الاسلام . ولما رأَت الأم الكافرة — من الوثنيين واليهود والنصارى أن سلطان الاسلام يسير حثيثا للسيطرة على العالم أجمع وأن عقيدت المسلمين هي التي تدفعهم لازالة الكفر بجميع أنواعه وإغلاء العالم من الفساد فكروا وخططوا ثم اتفقوا على شن حرب ضارية على المسلمين استهدفت أول ما تستهدف المحرك الفعال الذي يدفع المسلمين للجهاد وهو العقيدة التي يعتقدونها والمتضمنة أن الاسلام غير محض يجب نشره على العالم أجمع وأن الكفر بجميع أنواعه وأشكاله شر محض يجب ازالة سلطان أهله عن العباد والبلاد وابقاء من يبقى على كفره منهم تحت الذل والصفار لا خطر له ولا أثر .

وقد صن الكفار بخوفهم الشديد من عقيدة الاسلام هذه . جاء في مجلة العالم الاسلامي الانجليزية (ان شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ولهذا الخوف أسباب منها أن الاسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عدديا بل دأب في ازدياد واتساع . ثم ان الاسلام ليس دينا فحسب بل ان من أركانه الجهاد ^(١)) وقال روبرت بين (ان المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية) يقول ولفرد كانتول سميث (ان أوروبا لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والاسلام يجتاح الأمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب ^(٢)) .

ويقول لورنس براون (الخطر الحقيقي كما من في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيوته . انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي ^(٣)) هذه الأقوال

(١) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) التبشير والاستعمار لمصطفى خالدى وزميله ص ١٨ .

المعلنة - وما غفوا أعالم - أطلقها من لهم شأن في التأثير على أُمم الكفر لا شارة
 عفيفلتهم على الاسلام وأهلده وفعلا بدأوا بمهاجمة الاسلام في صور شتى منها :-
 ١ - الاستيلاء على بلاد المسلمين وحكمها بالقوة العسكرية والأنظمة الطاغوتية وانا حكم
 المسلم من قبل الكافر فهو الداء العضال والداهية الدهية لأن الاسلام عقيدة
 وعبادة ومنهج حياة يسير عليه المجتمع والحاكم الكافر لا يسير المجتمع الذي يحكمه الا بمنهجه
 هو لا بمنهج المفلوسين الذي يمتدونه . ولو أراد أن يحكمهم بمنهجهم لخرج هو
 من البلاد لأن من منهجهم مجاهد الكافر ونضه لا الخضوع له والتسليم لأمره
 قال تعالى : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (١) ، وانا سير المجتمع
 على غير أحكام الاسلام فلا سلام لأفراد ذلك المجتمع الا من أكره وقلبه مطمئن
 بالايمان أو جاهد الكفار بما يستطيع . وبالفعل حكم الكفار بلاد المسلمين التي
 استولوا عليها بمنهجهم هم لا بمنهج الاسلام فمسخوا الفطرة البشرية بكفرهم وأعلوا
 القوانين الوضعية محل الشريعة الاسلامية المطهرة ورسموا فطط التعليم والاقتصاد
 والاجتماع على ما يوافق تفكيرهم لا على منهج الاسلام . فكانت الطامة الكبرى . خروج
 أجيال من الاسلام عناد واستكبارا . وانحراف مفاهيم آخريين حتى ظنوا بتأثير
 التربية الاستعمارية الكفرية أن الاسلام مثل الديانة النصرانية المحرفة . أي عقيدة
 في الضمير والوجدان بدون أن يطبق نظامه على المجتمع في جميع الأمور وظنوا أن الدين
 لا علاقة له بمواقع الحياة بل هو مختص بالشعائر التعبدية كما هو الشأن في الديانة
 النصرانية المحرفة التي تزعم أن الحياة قسطن قسم لله تؤخذ أحكامه من رجال الكنيسة
 وقسم لقيصر تؤخذ أحكامه من قيصر !

يصف الاستاذ محمد قطب كيفية استيلاء الكفار على بلاد المسلمين وعلى أفكارهم فيقول (فما ان سقطت آغرد وبله مسلمة في الأندلس عام ١٤٩٣ حتى أصدر البابا منشورا بتقسيم أرض الكفار (يقصد المسلمين) بين أسبانيا والبرتغال ثم انطلقت البرتغال بادئ ذي بدء تتحسس الطريق حول العالم الاسلامي لترى من أى منفذ تنفذ اليه وكانت رحلة فاسكوو جاما الشهيرة رحلة استكشافية صليبية فقد قال عندما وصل الى المعيط الهندي بعد أن دار حول رأس رجا الصالح ((الآن طوقنا رقبة الاسلام ولم يبق الا جذب الحبل ليختم فيموت !! وهذا مع أن الذي هداه في رحلته تلك هو البحار المسلم ابن ماجد وهو الذي كشف له الطريق ! وتوالت بعد البرتغال بقية الدول الأوروبية تتنافس فيما بينها على اغتصاب الأرض الاسلامية والاستيلاء عليها مدفوعة بذات الدافع الصليبي الذي دفع البرتغال من قبل حتى اذا تم القرن التاسع عشر كانت كل الأرض الاسلامية تقريبا قد وقعت تحت قبضة الصليبية فيما عدا تركيا ذاتها وأجزاء من الجزيرة العربية . وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ فكانت بدء الجولة الصليبية الثالثة على هذا الجزء من العالم الاسلامي ^{كان من أهم} أهداف نابليون في مصر تنحية الشريعة الاسلامية واستبدال القانون الوضعي بها ولما لم يرضى طمأ الأزهري عن ذلك أمر بضرب الأزهري بالقنايل من القلعة وكانت ثورات القاهرة التي انتهت بخروج الحملة من مصر بعد ثلاث سنوات من مقدمتها ولكن النفوذ الثقافي الفرنسي ظل باقيا في مصر وامتد امتدادا واسعا من خلال محمد علي وأبنائه حتى عصر اسمايل وكانت فرنسا شديدة الحرص على نفوذها الثقافي لأغراض صليبية - يعد ثنا عنها شاتليه في مقدمة كتابه الغار على العالم الاسلامي فيقول ((قلنا في سنة ١٩١٠ عندما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة (يعني مجلة العالم الاسلامي الفرنسية) في موضوع السياسة الاسلامية (أى السياسة التي ينبغي اتباعها تجاه الاسلام والبلاد الاسلامية) ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائده ويحدد رينا لتحقيق ذلك بالفعل الانقتصر على المشروطات الخاصة التي يقوم الرهبان والمبشرون وغيرهم بها . . فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذي نتوخاه وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون

تحت الجامعات الفرنسية .. وانا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز العمل
 ليث في دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية ((ويقول
)) ولا شك في أن رساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة
 الاسلامية من نفوس منتعليها ولا يتم ذلك الا ببيت الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية
 فينشرها اللغات الانجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية يحتك الاسلام بصحف أوروبا
 وتتمهد السبيل لتقدم (!) اسلامي مادي .. ثم جاء الاحتلال البريطاني الى مصر
 سنة ١٨٨٢ هـ ليقوم بالجملة الثانية بعد فرنسا وقام جلاد ستون رئيس الوزارة البريطانية
 يومئذ في مجلد بالسموم البريطاني يتول () طام المصحف في أيدي المصريين فلن يقرلنا
 قرار في تلك البلاد)) هكذا بصراحة ! . وقال الممتد البريطاني اللورد كرومر في تقريره
 السنوي الشهير المسمى ((مصر الحديثة)) () أن واجب الرجل الأبيض ! يقصد
 الحاكم الانجليزي () الذي وضحته العناية الالهية (!) على رأس هذه البلاد مصر
 هو تثبيت دعام الحضارة المسيحية الى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هي أساس العلاقات
 بين الناس . وأن كان من الواجب منعا من إثارة الشكوك (!) الا يعمل رسميا على
 تنصير المسلمين وأن يرى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الاسلامي كالاحتفالات
 الدينية وما شابه ذلك)) ويندك رسم سياسة معددة للعمل الصليبي تجاه الاسلام تعمل على
 المدى الطويل لتحويل المسلمين عن الاسلام (١)

٢ - الغزو الفكري مع الغزو المسلح لم يقتصر الكفار على غزو بلاد المسلمين العسكري بل
 صاحبه غزو فكري وثقافي يهدف الى هدم العقيدة الاسلامية واجتثاثها من أسسها
 لكي يفقد المسلمون أكبر دافع لهم على مقاومة الكفار ومخاربتهم وهو العقيدة المسيحية .

(١) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب عن () وما بعد ها .

التي تحرم على المسلم الخضوع للكافر وتحرم محبته ومولاه واطاعته وأمره والركون اليه .
وقد جرب الكفار المسلمين في الحملات الصليبية الأولى فعرفوا أنه لا يمكن إخضاعهم بدون
هدم عقيدتهم وإخلاقهم فقرروا أن يكون غزؤهم الأخير مصحوبا بالغزو الفكري .
يقول الدكتور علي بديرشه وزميله الزبيق (١) وقد ظهرت أخيرا وثيقة خطيرة تلقي
الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري وهذه الوثيقة تتضمن
وصية القديس لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل
والهزيمة ووقوع لويس في أسر المصريين في مدينة المنصورة وقد بذل الملك لويس فدية
عظيمة للخلاص من الأسر وبعد أن طرد إلى فرنسا ايقن أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على
المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدنيهم لا سلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل
النفوس في سبيل الله لحماية ديار الاسلام وحصون الحرمة والأعراس والمسلمون قادرون وما
لأن الاق من عقيدتهم إلى الجهاد وحرارة الغزاة وأنه لا بد من سبيل آخر وهو تعويل التفكير
الاسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري (٢)

ويمكن تلخيص الأمور التي يحاربها الكفار اليوم عن طريقها لأمانة الروح الجهادية في
الأمة الاسلامية وجزءاتها عن عقيدتها والقضاء على قوتها وتفتيت وحدتها في ثلاث جبهات:
١ - جبهة المبشرين . ٢ - جبهة المستشرقين . ٣ - جبهة الصنائع والممـسـلاة
والمفـفـلـين من أبناء المسلمين .

ويحسن بي أن ألم العامة سريعة في هذا التمهيد بكل جبهة ليتبين للقارئ كيف
أن تلاميذ هذه الجبهات ورثوا أساتذتهم وصاروا يرددون أقوالهم كالبيغاء وصاروا ينفذون
مخططات الأعداء كاملة وهم يرتدون لباس الاسلام .

١ - جبهة التبشير منتلخص أهدافها فيما يلي :-

(١) أساليب الغزو الفكري لجريرشه وزميله الزبيق ص ١٠١ .

- ١- تصير المسلمين يقول كريسطين واركوس أن الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين إنما هي تسليم أولادهم الصغار. (١)
- ٢- صرف المسلمين عن دينهم وإن لم يدخلوا في المسيحية يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في الشرق الأوسط في مؤتمر القدس الذي عقده المبشرون في عام ١٩٣٥ أيها الأخوان الزملاء ممن كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطت بهم رعاية الرب بالتوفيق الجليل المقدس . لقد أدت الرسالة التي أنبأت بكم خير أداء ووفقت لها أسنى التوفيق وإن كان يخيل إلي أنه مع اتماكم العمل على أكمل وجه لم يظن بعضهم للغاية الأساسية منه أنني أترككم على أن الدين دخلوا من المسلمين في المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا أعد ثلاثة . أما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام وأما رجل مستخف بالاديان لا يبغى غير الحصول على قوته قد اشتد بالفقر وهزت عليه لقمة العيش ، أما الآخر فيبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ولكن مهمة التبشير التي نذيتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست هي انفعال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما وانصلا مهمتكم أن تخرجوا - المسلم ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالى لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ولذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمت به بغير قيام وهذا ما أهنتكم عليه وتهنؤكم عليه دول - المسيحية والمسيحيون جميعا من أجله كل التهنئة لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يعكسها المسيحيون حكما مباشرا ونشرنا في تلك الربوع مكاني التبشير المسيحي والكنائس

(١) أنظر الطريق إلى حكم إسلامي للضناوي ص ١٤٩ .

والجمعيات ، وفي المدارس التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة اليها إلا بالذي يعود فيه الفضل اليكم أولا والى ضروب كثيرة من التعاون باهرة النتائج وهي من أخطر ما عرف البشر في حياة الانسانية . انكم أعداد تم بوساطتكم الخاصة جميع العقول في المطلق الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذي مهد تم له كل التمهيد أنكم أعداد تم نشئا لا يعبر الصلة بالله ولا يريد أن يعترفهم — وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراد الاستعمار لا يهتم بالمعاليمة ويحب الراحة والكسل فانا تعلم فللشبهوات وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء أن مهمتكم تتم على أكمل وجه وقد أنتهيتكم الى غير النتائج وباركتكم المسحبة ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله (١)

٣- اختيار بعض الأشخاص وتعهدهم ولا يعطى لهم بخلق اتجاهات معادية للاسلام بضية زعزعة عقائد المسلمين يقول منا ميللغان ان للمدارس قوة لجعل الناشئين تحمت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة في أوطانهم (٢) ، ويقول الضناوي ان مصطفى كمال اتاتورك دخل المدرسة العربية في استانبول بعد أن كان ابان العطلات المدرسية في سلاويك يتلقى الدروس الفرنسية سرا من رئيسه ويرفرنسي يد ير مدرسة وكان يشدد على تلميذه مصطفى ويحتني به عناية خاصة فلما كان يتلقى الدراسة سرا من رئيسه يريد ير مدرسة علمية وما معنى هذه العناية الخاصة ثم لما ان انتقل الى العربية في استانبول هذا ما انبأنا به الأيام فيما بعد فقد كان عضوا في الاتحاد والترقي ثم أصبح قائدا فازيا محررا

(١) ص ١٠٥-١٠٧ من كتاب ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية لابراهيم

الجيهان وقال المؤلف بعد ايراد هذا النص (لقد ظهر تيهودية (صموئيل زويمر)

على حقيقتها بينما الب عند موته (حاشا ما) لتلقينه ود عنه بموجب التعاليم اليهودية .

(٢) الطريق الى حكم اسلامي للضناوي ص ١٤٠ .

للبلاد ثم أصبح رئيسا ثم الفخى الخلافة والسلطنة (١) ويقول زويمر ا تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أخصانها (٢) .

٤ - دراسة التاور الفكرى والسياسى فى المنطقة الاسلامية للتعديل فى وسائل الحرب التى تشن عليها وهذا الهدف يقوم به المبشرون والمستشرقون على السواء فان أغلب المستشرقين مبشرون كما أن أكثر المبشرين مستشرقون ويشترط فيمن يقوم بالتبشير فى البلاد الاسلامية أن يكون قد قرأ ما كتبه المستشرقون عن المنطقة الاسلامية .

يقول الاستاذ محمد قطب ا يعمل المستشرقون لهدفين رئيسيين كبيرين فهم - أولا يرصدون كل حركة اسلامية عسكرية أو حركية بما هو ميسر لهم من وسائل تخصصهم من قراءة ما يكتبه المسلمون بلغاتهم - العربية بصفة خاصة والتركية والأوردية والفارسية . الخ . - والشعده المباشرة اليهم بالسنتهم ثم ييلغون بها ولهم التى تنفق عليهم لتكون على علم بها أولا بأول ويشيرون عليها - خفية أو علانية - بما ينبغى لها أن تعمل تجاه تلك الحركات فهم بهذه الصفة ((قلم مخابرات ثقافى)) ان صح التعبير يتحسس الأغبار ويبلغ عنها ويشير بالتبير . وهم ثانيا يتومون بجهود (علمية !) منظمه للتشويش على المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتشيتت جهودهم وأفكارهم عن التجمع فى حركة بانية هادفة لتحقيق الاسلام فى لوقع الأرض فى أى ركن من بلاد الاسلام (٣) .

ويمكن تلخيص أشهر وسائل المبشرين التى اتخذوها لتحقيق افسادهم فيما يلى :

١- التعليم فى الروضة والمدارس والجامعات يقول هنرى جيب وهو من أكبر المبشرين الذين عرفهم الشرق الاسلامى ان التعليم انما هو واسطة الى غاية فقط فى

(١) المصدر السابق ص ١٣١ .

(٢) عفاؤى عن التبشير لعطاء شرب ص ٢٢ .

(٣) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ص ٢٠-٢١ .

الرساليات المسيحية هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا
أفرادا مسيحيين وشعبيا مسيحا . وقالت المستشرقة انا ميلقان : ((في صفوف كنيـة
البنات في القاهرة بنات آباءهن باشوات وكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه
مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوس المسيحية وليس ثمة طريق الى حصن
الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)) (١)

٢ - المطبوعات من كتب مؤلفة . . أو مترجمة وصحافة وقد استغلها المبشرون أسوأ استغلال
لافساد عقائد الناس بل أول من بدأ بالصحافة في مصر هم النصارى أمثال أميـل
وجورجي زيدان وسليم تقلا وفؤاد صروف وقد أسسوا دار الهلال ودار الالهـام ودار
المقتطف وكلها تهدف الى خدمة التبشير والاستعمار ، يقول معمد على الضناوى
(ولقد اعتد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم القاهرة وبيروت أما القاهرة
فاتخذها البروتستانت مركز التوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع
العالم الاسلامى كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت . تلك المطبعة التي
أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله . أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع
جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧٢م وقاموا عن طريقها بعمل
تبشيري في الدرجة الأولى) (٢)

(٣) الخدمات الأدبية والاجتماعية يقول موريسون ا نحن متفقون بلاريب على أن الغاية
الأساسية من أعمال التنصيريين مرضى الميـادة الخارجية في المستشفيات أن نأتى
بهم الى المعرفة المنقذة معرفة ربنا يسوع المسيح وأن ندخلهم أعضاء داخلين فى
الكنيسة المسيحية الحية ا ويقول بول هاريسون ا ان المبشر لا يرضى عن انشاء

(١) أنظر الطريق الى حكم اسلامى للضناوى ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) الطريق الى حكم اسلامى للضناوى ص ١٥٥ .

مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها . . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى (١) يقصد أنه لا يرضى عن انشاء مستشفى للطب فقط طالما يقم به ورة النبيث في افساد عقائد الناس .

٤ - رعاية بعض الأحزاب والمنظمات . وقد ضرب النصارى الرقم القياس في ذلك بحلول في أحزاب ومنظمات عربية بهدف خدمة الاستعمار وتحويل المسلمين عن دينهم الذي غير ذلك من النمايات الخبيثة ومن هؤلاء ميشيل علق لحزب البعث العربي الاشتراكي وجورج حبش للقوميين العرب وللجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ونأيف هوا تمسه للجبهة الشعبية الديمقراطية وأنطون سعاد للحزب القومي السوري ، أما القومية العربية فتولى كبر نشرها النصارى كما سيأتي .

٢- جبهة الاستشراق :

المستشرقون لفضل يطلون على من أهتم من الكفار بداسة الدين الاسلامي ودرس أحوال المشرق الاسلامي سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو العادات والتقاليد أو اللغات واللهجات . وهؤلاء اتجهوا الى دراسة الاسلام وعلومه وأحوال أهله بدافع شيطانية تهدف الى محق الاسلام واحلال كفرهم معه في غالب الأحيان . يقول الدكتور مصطفى السباعي عن دافع الاستشراق ما يلي :

١- الدافع الديني : لا تحتاج الى استنتاج وجهد في البحث لتتعرف الى الدافع الأول - للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني فقد بدأ بالرهبان كما رأينا واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الاسلام ويشوهوا معاصنه ويعرفوا حقائقه ليثبتوا لجهاهيرهم التي تخضع لزطامتهم الدينية أن الاسلام -

(١) حقائق عن التبشير لعماد شرف ص ٥٣-٥٤ .

وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار
وان المسلمين قوم همج لصوص وسفاكون ماء يحتمهم دينهم على اللذات الجسدية ويبعد هم
عن كل سمو روحى وخلقى ثم اشتدت حاجتهم الى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن
رأوا الحضارة الحديثة قد زعزت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم
التي كانوا يطلقونها عن رجال الدين عند هم فيما مضى . فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم
على الاسلام لسرف انظار الغربيين عن نقد ما عند هم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يعلمون
ما تركته الفتوحات الاسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد
ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الاسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسى
وازدادوا نشاطا في الدراسات الاسلامية . وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه
في دراساتهم الحلقية وهم قبل كل شيء رجال دين فأخذوا يهدفون الى تشويه سمعة الاسلام
في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لادخال الوهن الى العقيدة الاسلامية والتشكيك فى
التراث الاسلامى والحضارة الاسلامية وكل ما يتصل بالاسلام من علم وأدب وتراث .

٢ - الدافع الاستعمارى :

لم ييأس الغربيون بعد الحروب الصليبية من العودة الى احتلال بلاد العرب فبلاد
الاسلام فاتجهوا الى دراسة هذا البلاد في كل شؤونها من عقيدة وطاقات وأخلاق وشعرات
ليتعرفوا الى مواطن القوة فيها فيضعفوها والى مواطن الضعف فيغتموها ولما تم لهم الاستيلاء
المسكرى والسيطرة السياسية كان من دافع تشجيع الاستشراق أضعاف المقاومة الروحانية
والمعنوية في نفوسنا وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما فى
أيدينا من تراث وطاقاتنا من عقيدة وقيم انسانية فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتدى فى أحضان
الغرب نستجدي منه المظالم الأخلاقية والمبادئ والعقائدية وبذلك يتم لهم ما يريدون من
خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة . .

٣ - الدافع التجارى :

ومن الدوافع التي كان لها أثرها فى تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين فى التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة فى مختلف بلاد العرب والمسلمين .

٤ - الدافع السياسى :

وهناك دافع آخر أخذ يتجلى فى عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والاسلامية فى كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتيراً أو ملحق ثقافى يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف الى أفكارهم ويبحث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريد دولته وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير فى الماضى حين كان السفراء الغربيون - ولا يزالون فى بعض البلاد العربية والاسلامية - ييشون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والسود والاسلامية بحجة توجيه النصح واداء المصونة بعد أن درسوا تطام نفسية كثيرين ممن المسئولين فى تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف فى سياستهم العامة كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم .

٥ - الدافع العلمى :

ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها . . . (١) ، ويعتبر الاستاذ محمد قطب المستشرقين والمبشرين عصابة واحدة هدفها واحد وان اختلفت أساليبهم ولبست لباس العلم المتجرد

(١) الاستشراق والمستشرقون للسباعى ص (١٠١) .

أحيانا فكل ذلك من قبيل التمويه والدجل واضطناع النزاهة الكاذبة^(١). ثم يذكر

رؤوس المسائل المفتراه على الاسلام والتي يكاد يتفنن عليها عامة المستشرقين والمبشرين فيقول (من

الخطوط الرئيسية المتفق عليها بين هذه العصاة عدة أمور . أو ((رؤوس موضوعات))

معينة يتناولها كل منهم من الزاوية التي تروق لمزاجه أو يجد نفسه موفقا في تناولها :

١- التشكيك في صحة العقيدة وكون الاسلام دينا مضلا من عند الله والتشكيك في تلقى

الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا من عند الله .^(٢)

٢- تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم والغمز والتجريح لشخصه الكريم .

٣- تشويه صور رجالات الاسلام الذين لهم توقيف خاص في نفوس المسلمين بما يثير الشك

في دافعهم وأفعالهم وتشويه صور العصر الأول من الاسلام بما يفسد روعه وتفرد

وارتفاعه .

٤- تشويه تاريخ الاسلام كله بتصويره في صورة مهلهله لا تشرف قوما أن يكون هذا تاريخهم

وهذه عصيتهم في واقع الحياة .

٥- الالاحاح بصفة خاصة على أن الاسلام قد انتشر بالسيوف ليقوم المسلمون بالدفاع عن

هذه ((الخطيئة)) والاعتذار عنها فيقولوا أبدا ! ان الاسلام لم يستخدم القوة

الا للدفاع ! (ولذلك هدت سنشرحه في سياق الحديث) .

٦- الايحاء بأن الاسلام أصبح شيئا من تراث الماضي البعيد جاء في دوره التاريخي

وانقضى بانقضاء ذلك الدور .

٧- الايحاء بأن الاسلام دين ((عربي)) بمعنى أنه مطبوع بطابع العرب ومفضل على قدهم

النفى أنه دين عالمي نزل للبشر كافة ويصلح للبشر كافة ثم القول المناقض لبعض

(١) أنظر المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ص ٢٠ .

(٢) الترقيم ليس في النص وإنما وضعت لتتضح رؤوس المسائل .

المستشرقين بأن الاسلام ليس دينا عربيا للقول بأنه استمد من المصادر اليهودية
والمسيحية والفارسية . . الخ .

٨ - القول بأن الاسلام دين رجوى جامد متأخر لا يصلح للتطبيق اليوم ولا يساير الحياة
والقول بأنه بصفة خاصة يكيل المرأة ويقيدها ويقف في سبيل تحررها ا ثم القول
المنافى لذلك تطام من أن الاسلام دين مرن متطور ! وانه يستطيع مسايرة الحياة
العديثة ((بتطوير)) مفاهيمه وتطوير الفقه الاسلامى بما يناسب الحياة العاصرة !
وأنه يسمح للمرأة - بالذات - بالتحرر والتطور . . على الاتساع ! ا .

٩ - القول بأن الاسلام ليست له نظم وانما هو مجموعة توجيهيات عامة وأنه لا يحوى بصفة
خاصة نظاما للحكم ! وأنه استمد كل ((نظمه)) من البيزنطيين والفرس .

١٠ - الربط - والغلط - بين الاسلام والمسلمين بحيث تضيغ الصورة المتميزة للاسلام ويصبح
الاسلام هو ما يمنحه المسلمون ! فانا كان المسلمون اليوم - مثلا - ضعافا ومتأخرين . .
فكذلك الاسلام ! .

١١ - تضيغ المفهوم الاسلامى للحياة واخراج ((الحكم)) من الحساب والقول بأن المسلمين
بخير والا سلام بخير ولولم يحكم الناس بما أنزل الله بل ولولم يؤدوا حتى العبادات !
١٢ - الاتساح على فكرة أن المسلمين يجب أن يأخذوا الحضارة الغربية بكاملها . . ثم
يألوا مسلمين ((عقيدة !)) والا . . فليس اطمهم الا أن يتخلوا عن الاسلام .

١٣ - تبني الشركات المضعرفة عن سبيل الاسلام وتكبيرها وتمجيدها ولفت الأنظار اليها .
١٤ - ازجاء المديح لشخصيات معينة من الكتاب والزعماء المسلمين المحدثين ومهاجمة
آخرين بأعيانهم ! ا (١)

هذا المشبه وغيره كثير تأثر بها العالم الاسلامى لعوامل وأسباب كثيرة من أهمها

(١) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ص ٢٣٠ .

البعثات التي تبثت لبلاد الكفار فيتلذون على المستشرقين من اليهود والنصارى
وإذا رجعوا الى بلادهم رجعوا بأفكار أساتذتهم ثم جعلوا في أعلى المناصب في بلادهم
فنشروا ما عندهم من هذا الزيف لكونهم في مكان الصدارة والتوجيه والتخطيط !! .

٣ - جبهة الصنائع والعملاء والمغفلين من أبناء المسلمين :

لقد عرض الكفار في أثناء سيطرتهم العسكرية والفكرية على العالم الاسلامي - على تربية
أشخاص وزعماء ومفكرات وأحزاب وطلاء على أعينهم حتى قلبوا موازينهم الفكرية والمقيدة وصاروا
يهدمون في الاسلام أكثر مما يبنون ويستفيد منهم المستعمر في تنفيذ خطته وأهدافه وهم يخفون على الدهماء من الناس أحياناً لأنهم لا يظهرن عداءهم
للالسلام في بعض الأحيان . وهذا الأمر من أعظم كيد سياسة المستعمر التي انتهجها
وهي (يجب أن يقطع الشجرة أحد أعضائها) فأصطفى له صنائع ينشرون ما يهدم الدين
صراحة تارة وباسم الدين تارة وباسم عريق الفكر والرأى تارة . ومن هؤلاء على سبيل
المثال طه حسين وعلى عبدالرازق ومنصور فهمي^(١) فان لهم آراء شاذة مصادمة للالسلام تدل
على عمالتهم للدوائر الاستشرائية وأمثالهم في العالم الاسلامي - من أصحاب الأقلام
السمومة - كثير . ولا شك أن بعض أبناء المسلمين تأثر بالتربية الاستعمارية فصار يخدم
الاستعمار من غير اتفاق معه على العمالة قبل يظن نفسه يسدي الى أبناء جنسه ووطنه معروفاً
وهذا الصنف من الناس كثير وخطيرهم أشد على الاسلام والمسلمين من العملاء الحقيقيين
وذلك لانغداخ الناس بهم ولتلهور نزاهتهم عن العمالة مع العلم بأنهم يؤدون ما يؤدىه العميل
وزيادة .

وما ساعد المستعمر على بلوغ أهدافه في العالم الاسلامي برامج التفريغ الذي
صبت عليه صيا مدعومة بوسائل الأعلام والحكومات وبرجال الفكر والصحافة الا من عصمه الله

(١) أنظر بعض آراء هؤلاء وما صدر في حق بعضهم من فتاوى في كتاب العالم الاسلامي

والموائد الدولية لفتحى يكن من ص ١٠٩-١٢٢ .

من الزنج يقول الدكتور محمد محمد حسين ا ورامج التخریب تناول أن تخدم هد فامزد وجا فهی تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم ازاء المحتلين لبلاد ه ممن يفرض عليه دینه جهاد هم وهی في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وعد بالقيم الفكرية والثقافية أو بتعمير أشمل وعدة القيم الحضارية فيستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حده وأن يتفرغ لمواجهة طاعناه ينشأ من ثورات والمهزلة آمن من ثورات الضاحق الاسلامية الأخرى في مستعمراته التي قد تهب لمساندتها ، وقد لاحظ كرومر وجود هذا الخلاف الشديد بين المسلمين وبين المستعمر الغربي في العقائد وفي القيم وفي التقاليد والعادات وفي اللغة وفي الفن وفي الموسيقى وذلك في فصل أويل عقده في كتابه الذي ألفه عقب مفاد رته لمصر بعد أن وضع أساس السياسة الانجليزية وأشرف على تنفيذها مدة تقرب من ربع قرن . لاحظ كرومر في هذا الفصل ان هذه الخلافات هي السبب في انعدام ثقة المسلم بالمستعمر الأوربي وسوء ظنه به وهی السبب في وجود هوة واسعة تفصل بينهما وتجعل مهمة المستعمر مخوفة بالمتاعب ودعا من أجل ذلك الى العمل بمختلف الوسائل على بناء قنطرة فوق هذه الهوة وقد اتخذت هذه الوسائل طريقتين :-

أحد هما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشئون تنشئة خاصة تقربهم من الأوربيين ومن الانجليز على وجه الخصوص في الرائق السلوك والتفكير ومن أجل ذلك أنشأ كرومر ((كلية فكتوريا)) التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط انجليزي ليكونوا من بعد هم أدوات المستعمر الغربي في ادارة شئون المسلمين وليكونوا في الوقت نفسه على مضى الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوربي وفي نشر الحضارة الغربية . . .

أما الوسيلة الأخرى التي اتخذها الاستعمار لايجاد هذا التفاهم المنقود وعمل على تنفيذها فهی أبلاً ثمارا من الوسيلة الأولى ولكنها أبقى اثارا كما لاحظ اللورد لويد وهی تتلخص في تطوير الاسلام نفسه واعادة تفسيره بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو قريب

منها وغير متعارفي معها على الأقل بدل أن يبد وعدا لها أو معارضا لقيمها وأساليبها . .
 الى جانب هذين المنهجين وجد منهج ثالث في بلاد العرب بخاصم يعمل عملا مباشرا
 في صلات الاسلام بالحضارة الغربية ولكنه ترك أثرا غير مباشر في توجيهها وهذا المنهج
 الثالث والعنصر الجديد مثل في نصارى العرب ونصارى الشام منهم على وجه الخصوص . . .
 كانت آمال هذا الفريق من نصارى العرب تتعلق بالعلمانية الغربية التي تقوم على الفصل
 بين الدين والدولة والتي لا يتحكم فيها الاسلام في التنظيم السياسي والاجتماعي والتي يزول
 معها احساس المسلمين بالاعتزاز واحساس النصارى بالذلة والانكسار الذي يخالف مشاعر
 الاقلية في أكثر الأحيان (١) . كل الجبهات الثلاث المتقدمة - التي يطربنا الكفار
 عن طريقها - متضافرة ساعدت على أماتة الروح الجهادية في الأمة المسلمة وصرفت عنها
 عقيدتها الصافية وجعلت المسلمين تلتبس عليهم مفهومات وأحكام كثيرة تتعلق بالجهاد وغيره
 من اصول الاسلام . وقد صادفت هذه الحرب المشبوهة من قبل الكفار قابلية لدى المسلمين
 وضعفا ونعورا وانحرفا جعلت التأثير يبلغ مداه قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
 كيدهم شيئا ان الله بما يعطون محيط) (٢) ، أما اذا تغلف الصبر والتقوى بالكيد يضر
 بتقدير الله ، ومن أهم الأمور التي جعلت كيد الكفار وغزوهم ينجح في تفتيت وحدة المسلمين
 وعقائدهم ما يلي :-

١- عدم توحيد مصدر التلقي عند أكثر الأجيال المتأخرة من أبناء المسلمين فلقد كان
 المسلمون الأوائل لا يتلقون عقائدهم الا عن الله وكذلك أهداهم في جميع الأمور وقد
 غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى أحد الصحابة يقلب التوراة في يديه فقال له
 (ألم اتبها بيضاء نقيه لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي) وكان المسلمون الأوائل

(١) الاسلام والحضارة الغربية لمحمد حسين ص ٤٥-٤٨ .

(٢) آل عمران ١٢٠ .

(٤) أنظر أرواء الخليل للألباني ٢٤/٦ وأسننه لابن أبي عاصم ٢٧/١ ، وقال الألباني

عن القصة سندها حسن .

إذا فتحوا بلاد الكفار ووجدوا فيها كتباً ترجموا ما يحتاجونه من العلوم البحتة كالطب والهندسة ويحرقون ما عدوا ذلك من كتب الآداب والمقائد فقد أغناهم الله بمعتقد وآداب الإسلام ولكن في العمود المتأخرة فرط الخلف في منهج السلف إلا من عصم الله فتوسعوا في الترجمة حتى ترجمت كتب الشرك والسحر وصار بعض الناس يقدر الرجال كسقراط وأرسطو ويجعلون نصوصهم كنصوص الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى كثرت البدع ونشرت الاختلافات وانشغل الناس بها عن الجهاد في سبيل الله .

٢- الجهل بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة حتى ممن يتصدون للدفاع عن الإسلام فبعضهم يسئ إلى الإسلام لقلّة فهمه بالكتاب والسنة وهو يحسب أنه يحسن صنعا .

٣- الاهتمام الزائد بآراء الكفار والتنقيب عنها حتى ولو لم تكن مشهورة للرد عليها . وكان السلف الصالح لا يتوسعون في هذا المجال إلا إذا كانت الشبهة مشهورة منتشرة وخافوا أن يلحق المسلمون منها فساد فحينئذ ذلك يهدمونها بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة ويعرضون على تعليم الناس العقيدة الصحيحة فان من عرف الحق حصل عنده مناعة من الباطل في الغالب .

٤- الآثار التي أنتجتها الفرق المبتدعة التي تنخرق في كيان الأمة الإسلامية وتضعفها وتسهل عطية غزوها كفرق الروافض والصوفية والمعتزلة والفلاسفة الجهمية .

٥- تغلب علماء المسلمين عن حكم الشعوب الإسلامية والرضا بأن يقودهم ويتولى أمرهم حكام فسقة يهتمون بحرشهم أكثر مما يهتمون بالإسلام .

٦- حين بعض العلماء وعدم انكارهم ما يحدث في المجتمعات الإسلامية من انحرافات وحبهم للمعاجلة جعل الشرور تستفحل . فإذا سكت العالم فمتى يتعلم الجاهل .

٧- انحراف المفاهيم الصحيحة لمعاني المقائد والأحكام الإسلامية عند جمهرة الناس حتى أنوا أن من قال لا إله إلا الله فهو المسلم ولو فعل ما فعل من الشرك والكفر وان معنى أشهد أن لا إله إلا الله الاعتراف بأن الله موجود فحسب وأن العبادة هي الشعائر التعبدية فحسب وأن التشريع مع الله لا يخرج من الإسلام وأن الكفار لا يجاهدون

الا اذا اعتدوا وأن محبوا للكفار ومولااتهم سياسة لا تخدش الدين ونحو ذلك من
العظائم التي يجهلها كثير من أبناء المسلمين .
كل هذه الانحرافات وغيرها كثير هي التي سببت اماتة الروح الجهادية وأوجدت تربة
خصبة يفرس فيها المبشرون والمستشرقون ما ارادوا من أهواء وشبهات وعقائد تخاير
عقائد الاسلام ولا يتسع هذا التمهيد لأكثر من هذا وجاء دور الشروع في بيان الأحكام
التي لها علاقة بالجهاد والتي نالها تحريف تلاميذ الاستعمار عن وجهها الصحيح الثابت
في الكتاب والسنة والعموم من الله .

٢ - قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط :

ابتدع تلاميذ المستشرقين ومن سار على نهجهم بدعة منكورة تنفك عن الكتاب العزيز والسنة الصحيحة واجتاحت سلف الأمة وهذه البدعة هي ان الجهاد في الاسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل انضاعهم لسلطان الاسلام واعلاء كلمة الله على كلمتهم الا اذا سبوا الكفار بالاعتداء على المسلمين (١) ، وهذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتمدين وأول ما ظهرت على حد علمي على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أشهر رجالها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . وتلاميذ هذه المدرسة اعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبدلوا قصارى جهودهم ليرغموا للناس أن هذه المفاهيم موجودة مثلها وأنتم في الاسلام . ولقد كان أعداء الاسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الاسلام عظة شعواء قوامها أن الاسلام انتشر بالسيوف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الاسلام فقالوا ان الاسلام لا يستفد من السيوف الا للدفاع فحسب وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الاسلام وأهداف العروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوروبا في تاريخها كله . والسبب الذي لأجله غاب عنهم وعن غيرهم من كثير من أعداء الاسلام ومن أبنائه الفرق بين جهاد الاسلام وبين حرب الكفار يوضحه أبو الأعلى المودودي فيقول (. . . لکننا انا انعمنا النظر في المسألة من الوجهة العلمية ودققنا النظر في الأسباب التي أشكل لأجلها استجلاء عقيدة الجهاد في سبيل الله واستكناه سرها على المسلمين أنفسهم فضلا عن غير المسلمين لاح لنا أن مرجع هذا الخطأ الى أمرين مهمين لم يسبروا غورهما ولم يدركوا مغزاهما على وجه الحقيقة . فالأول أنهم لنوا الاسلام نحلة بالمعنى

(١) سوب يأتي في حلب هذا المبحث أسماؤه المؤلفات التي قال أصحابها بهذا القول .
بعض
x

الذى تطلق عليه النحلة عامة . الثانى أنهم حسبوا المسلمين أممًا بالمعنى الذى تستعمل فيه هذه الكلمة فى عامة الأحوال فالحقيقة أن خطأ القوم فى فهم هذين الأمرين المهمين وعدم استجلائهم لوجه الحق فى هاتين المسألتين الأساسيتين هو الذى شوه وجه الحقيقة ، الناضجة فى هذا الشأن وطبقهم عن ادراك مفرى الجهاد الإسلامى بل الحق والحق أحق أن يتبع ان هذا الخطأ الأساسى فى فهم هاتين المسألتين قد ارجى سدوله على حقيقته بين الإسلامى بأسره وقلب الأمر ظهر البطن وجعل موقف المسلمين من العالم ومسائله المتجددة ومشاكله المتشعبة هرجًا ضيقًا لا يرضاه الإسلام وتعاليمه الخالدة . فالنحلة على حسب الاصطلاح الشائع عندهم لا يراءى بها الا مجموعة من العقائد والعبادات والشعائر . ولا جرم أن النحلة بهذا المعنى لا تعد وأن تكون مسألة شخصية فأنت حر فى ما تختاره من العقيدة ولذا الخيار فى أن تعبد بأى طريق شئت من رضىت به ربنا لنفسك وان أبت نفسك

الا التمس لهذه النحلة والانتصار لعقيدتها فلك أن تغترب الأرض وتجوب بلاد الله

الشاسعة داعيا الى عقيدتك مدافعا عن كيانها بالحجج والبراهين مجادلا من يخالفونك

فيها بمرهقات الألسنة وأسنة الأقلام ، أما السيف وآلات الحرب والقتال فما لك ولها فى هذا الشأن اتريد أن تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين بعقيدتك وان كان الا سلام نحلة كتحل العالم على حسب الاصطلاح الشائع عندهم كما يزعمون فالظاهر أنه لا شأن فيها للسيف وأدوات الحرب كما قالوا . ولو كان موقف الإسلام فى نفس الأمر كما زعموا ووصفوا لما كان فيه مسأغ للجهاد ولم يكن من الإسلام فى ورد ولا صدر لكن الأمر على خلاف ذلك كما سوف تعرفه فى ما يأتى من البيان وكذلك كلمة ((الأمة)) فما هى الا عبارة عن طائفة من الناس متوافقة فيما بينها اجتمعت وتألفت وامتازت من بين طوائف أخرى لا شراكها فى بعض الأمور الجوهرية فالطائفة التى تكون أمم بهذا المعنى لا يبعثها على استخدام السيف الا أمران : أما أن يعتدى عليها معتد ويريد أن يسلبها حقوقها المعروفة ، وأما أن تعمل هى بنفسها على طائفة أخرى لتنتزع من يدها حقوقها المعروفة فى الصورة الأولى منهما لها سعة فى الأمر وهى لا تغلوا من وزع خلقى يلعبها الراسخون فى السيف والبطش بمن اعتدى عليها وان كان بعض المتشدقين بالأمن والسلام لا يبيح ذلك أيضا .

أما الصورة الثانية : أى الاعتداء على حقوق غيرها ولاغارة على الشعوب والأمم من غير ما سبب فلا يبيحها غير بعض الجابرة المسيطرين حتى أن ساسة الدول الكبرى كبريطانيا وأمريكا أيضا لا يقدرون أن يجترعوا على القول بجوازها . فان كان الاسلام نحلة كالنحل الأخرى والمسلمون أمة كغيرهم من أمم العالم فلا جرم أن الجهاد الاسلامى يفقد بذلك جميع المزايا والفضائل التى جعلته رأس المبادئ ودرة تاجها لكن الحقيقة أن الاسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة وأن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم بل الأمر أن الاسلام فكرة (١) انقلابية ومنهاج انقلابى يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعى بأسره ويأتى بنيانه من القواعد ويؤسس بنيانه من جديد بحسب فكرته ومنهاجه العملى ومن هناك تعرف أن لفظة المسلم وصف للحزب الانقلابى العالمى الذى يكونه الاسلام وينظم صفوفه ليكون أداة فى أحداث ذلك البرنامج الانقلابى الذى يرمى اليه الاسلام ويطمح اليه بصره والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابى عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التى يقام بها للوصول الى هذه الغاية وادراك هذا المبتغى . . ان الاسلام ليس بمجرب مجموعة من العقيدة الكلامية وعبطة من المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين فى هذه الأيام بل الحق أنه نظام كلى شامل يريد أن يقضى على سائر النظم الباطلة . الجائرة الجارية فى العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهاجا معتمدا يرى أنه خير للانسانية من النظم الأخرى وأن فيه نجاة للجنس البشرى من أدواء الشر والفسيان وسعادته وفلاحه فى العاجلة والآجلة معا . (٢) غاب عن تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة هذا المفهوم للجهاد أو أرادوا صرف المسلمين عن هذا الهدف فان بعض الباحثين المعاصرين أثبتوا بالأدلة العلمية بأن رواد المدرسة العقلية كانوا على تفاهم مع الاستعمار وأدواته مع الصهيونية والماسونية لأجل صرف المسلمين عن المفاهيم الصعبة

(١) الأولى أن يقول عقيدة .

(٢) الجهاد للمودودى ص ١٠١ ، ١٢ ، ٣١ .

للاسلام وتقريب المفاهيم الاسلامية من المفاهيم الأوروبية ومن هؤلاء الباحثين الاستاذ غازي التوبة في كتابه الفكر الاسلامي المعاصر - دراسة وتقويم - والدكتور محمد محمد عيسى في كتابيه الاتجاهات الوائنية في الأدب المعاصر ، والاسلام والحضارة الغربية والاستاذ فهد الرومي في كتابه ((منهج المدرس في العقلية الحديثة في التفسير)) يقول الاستاذ فهد الرومي ١ وخلاصته منقلبا من نقد لهم هنا أنهم :

- ١- غير ملتزمين للشعائر الاسلامية من صلاة أو حج . . الخ .
 - ٢- أن تعاونهم مع الاعتلال ودول الاستعمار أما لأنهم عملاء كما يقول بعض النقاد أو سداجة منهم كما يقول آخرون .
 - ٣- أن لهم دعوة باطنية يظهر من منها ما يخالف حقيقتها وباطنها .
 - ٤- أنهم جاروا مذاهب الاعتزال في كثير من مذاهبيهم حتى أطلق عليهم أنهم معتزلة العصر الحديث .
 - ٥- أنهم الوسيلة التي اتخذها الاستعمار والمستعمرون لتحويل وتحويل الاسلام من الداخل ليعطى السند الفكري والدعم الديني لمصالحات الحضارة الغربية .
 - ٦- أن منهجهم في التفسير ضال ومنحرف .
- كل هذا وغيره كثير كشفه الناقدون لهم لكن هذا كله ولكنهم كلهم لم يكن لهم من الأثر ما يذكر في التقليل من رواج حسن سيرتهم بين الناس وانخداع العلماء بهم قبل العموم حتى وصلوا الى درجة لا يجروء عالم من العلماء على نقدهم علانية أمام ملا من الناس في مجتمعهم لم يكن السبب في هذا سرا لا يعلمه أحد بل علمه وغيره الكثيرون وأعلنوه للناس أيضا قالوا أن - السبب أن الاستعمار يقف خلفهم ويؤيدهم ويساند دعوتهم ويحميهم أينما ساروا ويعصى أفكارهم ومبادئهم في اللحظة التي يحتاجون فيها الى الحماية ويسمى الى ترويج آرائهم بين المسلمين وايصال صوتهم ودعوتهم الى الناس وعند الاستعمار جنودا من المستشرقين للثناء عليهم ومدحهم حتى يروج ذلك بين الكتاب المسلمين فينقلوه عنهم ونقل الأعباب والتأييد والافتخار . . ونبدأ أول ما نبدأ برجل أظن هذا ملاسلام حيث قال بعثت الى مصر لأمعوثاثة القرآن والكعبة

والأزهر ترى من الذي طون هذا الرجل لتحقيق هدفه ؟ ! انهم ولا شك رجال المدرسة العقلية من حيث يدرون ا فيكونوا عملاء ا أو من حيث لا يدرون ا فيكونوا سذاجا ا قال كرومر في تقريره السنوى لعام ١٩٠٥ م عن محمد عبده ((كان لمعرفته العميقة بالشريعة الاسلامية ولأرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى)) وقال أيضا : ((لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملتهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتشيط من الأوربيين)) وقال أيضا ((ان أهميته السياسية ترجع الى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدر لهم كل ما يمكن من العمون والتشجيع فهم الخلقاء الطبيعيون للمصلح الأوربي)) وقد امتثل هو ما دعا اليه فطال اليهم وعطف عليهم وقدم لهم كل عون وتشجيع فأنوا له طفاة ابيعيين فوجبت عليه حمايتهم من اللورد كرومر بنفسه ((ان الشيخ محمد عبده يظل مفتيا في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها)) . . . وكان لأفكار المدرسة العقلية صدى كبير في دراسات المستشرقين . . . فهذا جب يقول عنهم ((لسوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المعافلين ولا سيما في الهند لا يغيضون لهذا الحركات الاصلاحية المهدئة وينظرون الى الحركة التي تزعمتها مدرسة عليكرة بالهند ومدرسة محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبية وسوء ان لا تقل عن ريبتهم في الثقافة الأوربية نفسها)) . . . ويقول ان تلامذته هم من أولئك الذين تعلموا على الطريقة الأوربية وذلك من ناحيتين أولاها أن ما كتبه الشيخ كان بمثابة روح واقية للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين فان عظمة اسمه قد ساهمت في نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل ثم انه قد أقام جسرا من فوق الهوة السحيقة بين التعليم التقليدي والتعليم العقلي المستورد من أوروبا الأمر الذي مهد للطلاب المسلمون يد رس في الجامعات الأوربية دون خشية من مخالفة معتقد . . . أما الجاسوس البريطاني الفريد سكاون بلنت فيصف دعوتهم بأنها ((الاصلاح الديني العر)) ويصفها بأنهم ((زعماء الاصلاح في الأزهر)) . . . وقال عن الأفغانى ((ومن أغرب ما يروى أن الفضل في نشر هذا الاصلاح الديني العر بين الملطاء في القاهرة لا يعود الى عربى أو مصرى أو عثمانى ولكن الى رجل عبقري غريب يدعى السيد

(١) جمال الدين الأفغانى)) ان غرضى من هذا الاستطراد فيما يتعلق بالمدرسة العقلية الحديثة هو أن أبين للقارئ بأن هذا البدع العقلية يهدى منها أصحابها الى تقريب مفهوم اسلامى جاء من عند الله تعالى مفهوم بشرى منحرف ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المنحرفون يقول محمد عبده عن الجهاد الاسلامى (فقتال النبى صلى الله عليه وسلم كلكه كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية له ووالحق ولذلك كان تقديما لدعوة شرط لجواز القتال وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف واللسان فإذا منعنا من الدعوة بالقوة بأن هدد الداعى أو قتل فعلينا أن نقاتل لخطا خطة ونشر الدعوة لئلا كراه على الدين فالله يقول (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) ويقول (أفأنت تكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين) وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذى الدعوة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدى على المؤمنين فالله تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وازهاق الأرواح ولا لأجل المصالح والكسب ولقد كانت حروب الصحابة فى الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدل وأن فالروم كانوا يعتقدون على حد البطلان العربية التى دخلت عزوة الاسلام ويؤذونهم وأولياؤهم من العرب المنتصرة ومن يظفرون به من المسلمين . وكان الفرس أشد ايدا للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبى - صلى الله عليه وسلم ورفضوا دعوته وهددوا رسوله وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات الاسلامية اقتضته طبيعة الطغمة (!) ولم يكن كلكه موافقا لأحكام الدين فان من طبيعة الكون أن يبسط القوى يده على جاره الضعيف ولم تفرق أمة قوية أرحمها فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية (!) شهيد لها علماء الأفرنج بذلك وجملة القول فى القتال انه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها فعلى من يدعى من الطوك والامراء أنه يحارب للدين أن يحى الدعوة الاسلامية ويعدلها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وطورمه ويؤيد ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدو وان ومن عرف حال الدعوة الى الدين عند الأمم الحية اياها وألقى الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب فى ذلك وما ينبغى له فى هذا العصر (٢) ، ويقول محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى (حتى يحيطوا الجزية عن

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ص ٨٠ - ٨٠٨ .

(٢) تفسير المنار ٢ / ٢١٥ - ٢١٦ .

يد وهم صاغرون) هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها اذا كان الغلب لنا .
 أى قاتلوا من ذكر عند وجود ما يقتضى وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم
 وفتنتكم عن دينكم^(١) فهذا تصريح واضح من رواد المدرسة العقلية الحديثة بأن الجهاد
 فى الاسلام هو للدفاع فقط وسيأتى موقفهم من الجزية ومن دار الحرب مما يبين بوضوح لا خفاء
 فيه أن المدرسة العقلية الحديثة هى التى عطلتوا الانهزامية وتدويب الشخصية الاسلامية
 فى الشخصية الغربية وتفسير النصوص بأهوائهم معرضين عن تفسير علماء الاسلام لها .

وقد تأثر بهذه البهجة المنكرة - قصر الجهاد على الدفاع - كثير من الكتاب المعاصرين
 كعبد الوهاب خلاف فى كتابه السياسة الشرعية ومحمود شلتوت فى كتابه من هدى القرآن
 ومحمد أبو زهرة فى كتابه العلاقات الدولية ومحمد عبداللهد رازى فى كتابه دراسات
 اسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ووهبه الزعيلى فى كتابه العلاقات الدولية فى
 الاسلام ومحمد عزه دروزه فى كتابه الجهاد فى سبيل الله فى القرآن والحديث وعامد سلطان
 فى كتابه أحكام القانون الدولى فى الشريعة الاسلامية . وعلى على منصور فى كتابه الشريعة
 الاسلامية والقانون الدولى وجمال البنا فى كتابه حرية الاعتقاد فى الاسلام . وعبدالمغالق
 النواوى فى كتابه العلاقات الدولية والنظم القضائية ومحمد رأفت عثمان فى كتابه الحقوق
 والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام ومحمد المادى عفيفى فى كتابه المجتمع الاسلامى
 والعلاقات الدولية وأحمد محمد الحوفى فى كتابه ساحة الاسلام وغير هؤلاء كثير من الكتاب
 وأصحاب الرسائل العلمية بل هو تيار جارف عند كتاب هذا العصر يكاد يطفى على الحق
 ويفطيه لولا حفظ الله للحق بحفظ أصوله - الكتاب والسنة - ثم لولا وجود كتب فقهاء
 الاسلام وعلمائه الذين ماتوا قبل اطلالة هذا العصر المشئوم الذى توجه فيه معارف المسلمين

(١) تفسير المنار ١٠ / ٢٨٩ .

وعلومهم بأيدي أفاضلهم . وقد تصدى لهذه البدعة جمع من علماء المسلمين وبعض
 طلبه العلم فأنكروها على أصحابها ومن أشهر هؤلاء . العالم الجليل سليمان بن سحمان
 والشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان في كتابه القيم ((دلالة النصوص والاجتماع
 على فرض القتال للكفر والدفاع)) والشيخ عبد الرحمن الدوسري في كتابه الاجمعة المفيدة
 في مهمات العقيدة والشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه الجهاد والشهيد سيد قطب
 في كتابه معالم في الأريق وفي تفسيره الشهير في ظلال القرآن والشيخ محمد قطب في كتابه
 المستشرقون والاسلام ((مخطوط)) والدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه مجموعة بعثوث
 فقهية والاستاذ صالح اللحيدان في كتابه الجهاد بين الطب والدفاع والاستاذ محمد بن
 ناصر الجعفان في كتابه القتال في الاسلام والاستاذ عبدالله بن أحمد قادري في كتابه
 ((حقيقة الجهاد في سبيل الله وفائته)) (مخطوطة) والاستاذ طاب بن محمد
 السفيناتي في كتابه (دار الاسلام ودار الكفر واصل العلاقة بينهما) ((مخطوطة)) .
 ولنلق نظرة على الشبه التي أثارها أهل الدفاع حول بعض الأدلة الشرعية التي زعموا
 أنهم يستندون عليها في تقرير بدعتهم المخالفة للاجماع وتبيين تهاافت شبهتهم بما قرره
 علماء التفسير والحديث حول هذه الأدلة .

١- زعم أهل الدفاع بأن حججهم في تقرير مذاهبهم قول الله تعالى في سورة البقرة ((وقاتلوا
 في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا الله لا يحب المعتدين)) (١) فقالوا ان الله
 قيد قتال الكفار بحال اعتدائهم وكل آية في القرآن تأمر بقتال الكفار مطلقاً تحمل على
 هذه الآية. (٢) وقد هلكوا عن تفسير السلف الصالح لهذه الآية ، وعن أحاديث الرسول
 صلى الله عليه وسلم وعن سيرته وسيرة خلفائه الراشدين مع الكفار وخالفوا اجماع المسلمين
 وذلك لأن تفاسير السلف لهذه الآية الكريمة تدور على مذاهبين اثنين :-

(١) البقرة آية ١٩٠ .

(٢) أنظر ص ٩٥ من كتاب العلاقات الدولية لوهبه الزهلي .

المذهب الأول : ان هذه الآية مرحلية وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في فترة من الزمن بأن يقاتل المعتدي الذي يقاتله ويكف عن سالمه وذلك لثقله للمسلمين وواجبتهم الى مسالمة من يسألهم وأصحاب هذا القول يقررون جميعاً أن هذه المرحلة أتت بعد هذه المرحلة الأخيرة وهي مرحلة ابتداء جميع الكفار بالقتال حتى ينضعوا لسلطان الاسلام ويدفعوا الجزية أو يسلموا وان النهي عن قتال من لم يقاتل منسوخ بسورة التوبة لما فيها من الأمر بقتال جميع المشركين وأهل الكتاب وهذا القول مروى عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم .

المذهب الثاني : ان قوله تعالى ((الذين يقاتلونكم)) في هذه الآية ليس شرطاً في القتال وانما هو تهيج واغراء بالاعداء الذين همتهم قتال أهل الاسلام والمراد بقوله تعالى ((ولا تعمدوا)) أى لا ترتكبوا الضأى من المظلمة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم في القتال ولا قدر لهم على القتال ، والرهبان وأصحاب الصوامع ، وهذا القول مروى عن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن والبصرى ومقاتل بن حيان ورجحه الطبرى وتابعه ابن كثير على ترجيحه ^(١) وبهذا يظهر أن أصحاب المذهب الأول يوافقون أصحاب المذاهب الثاني في النتيجة ان القائلين بأن الاعتداء في هذه الآية شرط للقتال يقولون انه منسوخ فصارت النتيجة وجوب مقاتلة الكفار سواء اعتدوا عليهم أم لا على كلا المذاهبين ولم أجد قولاً لأحد من السلف بأن شرط الاعتداء لم ينسخ وبهذا يظهر مخالفة أهل الدفاع لتفسير

(١) أنظر هذين القائلين في تفسير ابن كثير ٣٢٨/١ ومعالن التنزيل للبنسوى ١٦٨/١ وفتح القدير للشوكاني ١٩٠/١ ورك المسير لابن الجوزى ١٩٧/١ وتفسير الطبرى ٥٦١/٢ .

السلف جميعا والاتباع بتفسير محدث من أهوائهم للانهازام الذي يخسرون به أو لسوء قصد منهم - فالله أعلم بنياتهم - ولكن الانحراف يجب أن ينكر على صاحبه ولو عسنت نيته لا سيما اذا كان القول المحدث في مسألة قد بحثها السلف الصالح من أمثال ابن عباس وابن الربيع وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من جهابذة العلماء الذين يتقرب العبد المسلم الى الله بهيئتهم في الله وشهد لهمم بالعلم النافع المتلقى من الكتاب والسنة يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري ان قتال الكفار على العموم واجب بالنصوص القطعية من وحي الله كتاب وسنة وهذا القتال الواجب للمهجوم لا للدفاع كما تصوره بعض المنهزمين هزيمة عقلية باسم الدفاع عن تشويه سمعة الاسلام والذين اشتبهت عليهم معاني النصوص التي ينيد بعضها فأعتهم هزيمتهم العقلية أو الهوى عن النظر في العمومات الصارفة الناسخة لما قبلها لكونها طامة ومتأخرة قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين) ، وقال (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وسخط بهم على الله) وغير ذلك من النصوص الواضحة التي لا تطيل بها المقام ولكن المهزومين وأصحاب الهوى يضربون صفحا عن هذه النصوص الظاهرة العامة الناسخة لما قبلها لتأخرها في النزول ويتمسكون فقط بقوله تعالى ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)) كما يأخذون التعليل بآية الأذن في الجهاد قائلين أو متغافلين ان مشروعيتها لقتال جاء في القرآن على مراحل :

الأولى : الأذن المفيد للإباحة مقرونا بأسبابه كما في الآيتين ٣٩ ، ٤٠ من سورة الحج .

الثانية : تقبيده بطلالة الاعتداء كما في الآيتين ١٩٠ ، ١٩١ من سورة البقرة .

الثالثة : تعيين وجوبه على الفور ابتداء كما في سورة براءة التي ورد فيها الاعلان من الله

ورسوله بالبراءة من كل مشرك وكافر ونقض عهودهم غير المؤجلة ومها لهم أن يسيحوا في الأرض أربعة اشهر شهرا بعد ما يقاتلون ويطاردون ويحاصرون ويلزموا كل مرصد

حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة التي هي عمود الاسلام ويؤتوا الزكاة التي هي حقه
 الطالى وذلك فى الآيه الخامسة السالفه الذكر التي قيد الله فيها تخليه سبيلهم بذلك
 والحديث الصحيح تضمنه أيضا (١)

٢ - زعم أهل الدفاع ان قوله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
 انه هو السميع العليم) (٢) حجة لهم فيما ذهبوا اليه وقرروا بأن أصل العلاقة بين
 المسلمين والكفار هي السلم وأنهم لا يحاربون الا اذا اعتدوا وأنه يجب اجابتهم الى
 طلب السلام وجعلوا من هذا القبيل قوله تعالى : (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
 وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) (٣) ، وقوله تعالى : (يا أيها
 الذين آمنوا ان دخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) (٤)
 وفسروا السلم فى هذه الآيه الأخيرة بالمسالمة ا ا ا وجعلوا ابتداء الأفعال بالجهاد
 من أتباع خطوات الشيطان ا ا ا يقول عثمان الشرقاوى ا ا ا فيحرم المضى
 فى الحرب بعد طلب الصلح فالجهد لم تشرخ الا لضرورة قال تعالى : وقاتلوهم
 حتى لا تكون فتنة . . الآيه ، وان جنحوا للسلم فاجنح لها . . الآيه (٥) ويقول
 المحمضانى بعد أن استعرض أهداف الحرب فى القانون الدولى العام ا . . أما فى
 الشرح الاسلامى فلقد رأينا أن الحرب الاعتدائية محرمة وأن الحرب لا تباع الا فى
 الظروف الآتية : -

- أولا : الحرب التأديبية كمنع البغى والحسيان .
 ثانيا : الحرب الدفاعية المحضة لرد العدو وان .

(١) الاجوبة المفيدة للمهمات المتقدمة للدوسرى ص ١٧٢-١٧٣ .

(٢) الأنفال ، ٦ .

(٣) النساء ، ٩٠ .

(٤) البقرة ، ٢٠٨ .

(٥) شريعة القتال للشرقاوى ص ٢٦ .

ثالثا : الحرب الوقائية لتجنب الخطر الذي يهدد البلاد جميعا أو الدين أو عريضة العقيدة أو أماكن العبادة .

رابعا : الحرب الجزرية أو التعاطفية لدفع الاضطهاد والظلم لاسيما عن أمة صديقة أو حليفة وان كانت غير اسلامية (١) ، ويقول وهب الزميلي (ان الاصل في علاقات المسلمين بخيرهم هو السلم) (٢) وبقية أهل الدفاع لا تخرج أقوالهم عن أقوال هؤلاء . وقد غفل أهل الدفاع أو تغافلوا عن قوله تعالى : (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (٣) ، وقوله تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) (٤)

وكعادتهم لم يعملوا على تفسير السلف الصالح للآيات التي يحتجون بها مع العلم بأن تفسير كتاب الله لا يتلقى الا عن طريقهم عليهم رضوان الله ولم يقل أحد من السلف فيما أعظم بوجوب الجنوح الى السلام اذا غلب الكفار ذلك كما يزعم أهل الدفاع بل للسلف الصالح في الآيات التي تميز مسالمة الكفار ومهادنتهم ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : مذهب من يقول بالنسخ لكل آية فيها المسالمة مع الكفار بآية السيف التي في براءة قال السيوطي (واخرج عبد الرزاق وابن المنذر والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله وان جنوا للسلم أي للصلح فاجتنب لها ، قال كانت قبل براءة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوادع الناس الى أجل فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك في براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . .) (٥) ، والقول بالنسخ مروى عن عكرمة ومروى عن ابن عباس وغير أن ابن عباس يقول الناسخ لها قوله تعالى ((فلا تهنوا وتدعوا الى السلم) (٦)

(١) القانون والملاقات الدولية للمحمدي ص ٢٠٥ .

(٢) العلاقات الدولية في الاسلام ص ٩٤ .

(٣) محمد ٣٥ .

(٤) آل عمران ١٣٩ . (٥) الدر المنثور للسيوطي ١٩٩/٣ .

(٦) أنظر تفسير القرطبي ٢٩٦/٨ .

ويروى النسخ أيضا عن مجاهد وزيد بن أسلم وخطباء الخرساني والحسن (١).

المذهب الثاني : أن المراد بالآيات المجيزة للمسالمة أهل الكتاب والمجوس إذا رغبوا

في السلم مع التزامهم بدفع الجزية وليس المراد المسالمة الخالية من الخضوع لحكم

الاسلامي ودفع الجزية ، قال القرطبي - بعد ذكره لمن قال بالنسخ - وقيل

ليست بمسوخة قبل أراد قبول الجزية من أهل الجزية وقد صالح أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة كثيرا من

بلاد الحجاز على ما أخذوه منهم وتركوهم على ما هم فيه ونعم قال رون علي استئصالهم (٢)

المذهب الثالث : أن المراد بالآيات المجيزة للمسالمة مع الكفار حالة الضرورة الملحقة

إلى المسالمة والمصالحة أو تحقق المصلحة للمسلمين في ذلك قال ابن العربي :

١ فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديده فلا صلح كما قال :

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا وتضرب بالببير الرقاق الجمجم

وإذا كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبديء

المسلمون به إذا احتاجوا إليه (٣) ، وقال ابن كثير - معقبا على قول القائلين بالنسخ -

(.. فيه نظر لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إذا كان العدو

كثيفا فإنه تجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة (٤) وقال ابن عابد يمين :

(وان جنحوا للسلم : أي ملوا والآية مقيدة برؤية المصلحة اجماع لقوله تعالى فلا تهنأوا

وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون (٥) . هذه أقوال خطباء الاسلام في مسالمة الكفار فأين أقوال أهل الدفاح من بينها ؟! عاظمهم

اللبط يستحقون .

(١) أنظر تفسير ابن كثير ٤ / ٢٧٠ .

(٢) القرطبي ٨ / ٤٠ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٠ .

(٥) عاشية ابن عابد بن ٤ / ١٢٣ .

وأما قوله تعالى : (فان اعتزلوكم فلم ينقلبوا عليكم) فان اعتزلوكم فلم ينقلبوا عليكم . . الآية فلا حجة لهم فيها ولو ارتضوا تفسير السلف الصالح لها لما وقعوا فيها ووقعوا فيه بقول الشوكاني عند تفسيرها (واخرج أبو داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله الا الذين يصلون . . الآية قال نسختها براءة فاذا انسلك الأشهر الحرم . . الآية . واخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله فان اعتزلوكم قال نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . واخرج ابن جرير عن الحسن وعكرمة في هذه الآية قال نسختها براءة ^(١) ، أما احتجاجهم بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) فهو من المنسحكات فان السلم في الآية مراد به الاسلام أو الطاعة ، يقول ابن الجوزي عند تفسير هذه الآية وفي معنى السلم قولان أحدهما انه الاسلام قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والنسك والسدى وابن قتيبة والزجاج في آخرين . والثاني : أنها الطاعة روى عن ابن عباس أيضا وهو قول أبي العالية والربيع ^(٢) وذاكر الشوكاني القائلين السابقين عن جمع من السلف بل لم يذكر غيرهما ^(٣) ولو سلمنا لهم على سبيل الافتراض بأن معنى السلم في الآية الواردة كان حكم هذه الآية مثل آية وان جنحوا للسلم فجنح لها . أما النسح وأما حالة الضرورة أو تحقق المصلحة الراجعة للمسلمين . على أن التفسير الثابتة عن السلف هي التي يجب التصير اليها وهي تفسير السلم في هذه الآية بالاسلام . قال البخاري رحمه الله عند تفسير هذه الآية ، قال مجاهد : ادخلوا في السلم أي في أحكام أهل الاسلام وأعطاهم كافة يعني جميعا ^(٤) ثم ليتشعري ما يقول أهل الدفاع في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا ان الله مع المتقين) ^(٥) فهل لا يعتمد على المسلمين

(١) فتح القدير للشوكاني ١/٤٩٢ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١/٢٢٥ .

(٣) فتح القدير للشوكاني ١/١٩٢ .

(٤) تفسير البخاري ١/١٩٦ .

(٥) التوبة ١٢٣ .

الا الذين يلونهم وما الفائدة من ذكر القريب من المسلمين اذا كان لا يقاتل الا المعتدي !!
 يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية (أمر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً
 الأقرب فالأقرب الى عبوة الاسلام ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين
 في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر
 وغيره وعصر موت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر اعيان العرب في
 دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس
 الى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة الى الاسلام لكونهم أهل الكتاب فبلغ تبوك ثم رجع
 لأجل جهد الناس وجهد البلاد وغيره المال وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام
 ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجته حجة الوداع ثم طجلته الضية صلوات الله وسلامه عليه
 بعد الحجة بأحد وثمانين يوماً فاغتار اللطم عنده . وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه
 وخليفته أبو بكر رضي الله عنه وقد مال الدين ميله كاد أن ينجفل فثبته الله تعالى به فوالد
 القواعد وثبت الدائم ورد شارح الدين وهو رافض ورد أهل الردة الى الاسلام وأخذ
 الزكاة ممن منعها من الطغاة وبين الحق لمن جهله وأدى عن الرسول ما عطفه ثم شرح في
 تجهيز الجيوش الاسلامية الى الروم عبدة الصليان والى الفرس عبدة النيران ففتح الله ببركة
 سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن اطاعهم من العباد وأنفق كنوزهما في سبيل الله
 كما أشهر بذلك رسول الاله وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده وولي عهده الفاروق
 الأب شهيده الحرب أبي حفص عمر بن الخطاب فأرغم الله به أنوف الكفرة الطغاة وقمع
 الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقا وغربا وعطت اليه خزائن الأموال من سائر
 الأقاليم بعداً وقرباً ففرقها على الوجه الشرعي والسبيل المرضي ثم لما مات شهيداً وقد عاش
 عميداً أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان
 شهيد الدار فكسا الاسلام رياسة حلة سابغة وأمدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد
 حجة الله البالغة ونظم الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمة الله ولهم دينه وبلغت
 الأمة العنيفة من أعداء الله غاية ما ربهما فكلما علوا أمة انتقلوا الى من بعدهم ثم الذين يلونهم
 من الصفة الفجار امتثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)

وقوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) أى وليجد الكفار منكم غلظة عليهم فى قتالكم لهم فان المؤمن الكامل هو الذى يكون رفيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر —
 كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أنذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
 وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى :
 يأأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم وفى الحديث ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال أنا الضحوك القتال يعنى انه ضحوك فى وجه رليه قتال لهامة
 عدوه وقوله تعالى : (وأعلموا أن الله مع المتقين) أى قاتلوا الكفار وتوكلوا على الله
 وأعلموا أن الله معكم أن أتقتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين
 هم خير هذه الأمة فى غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم
 ولم تنزل الفتوحات كثيرة ولم تنزل الأعداء فى سفال وخسار (١)

ثم ان علماء الاسلام تكلموا على حكم قتال الكفار قبل أن تبلغهم الدعوة الى الاسلام
 كما هو مبسوط فى كتب التفسير والأحاديث والفقه . فلو كان لا يقاتل الا الممتهى فما
 فائدة هذا البحث فى هذا الباب ! هل يتصور أن يعتدى الكفار على المسلمين وهم
 لا يعرفون من المسلمون ؟ والى ماذا يدعون ؟

٣ - يعتمد أهل الدفاع الى تعليل بعض علماء الاسلام قتل الكفار بأنه لأجل المصارعة
 ويحورونه بشكل مثير للمعجب حتى يخيل للقارئ بأن هناك من علماء الاسلام من يقول
 ان الكفار لا يجاهدون حتى يعتدى على المسلمين !
 والحق أن المسلمين قبل أن يدخل الاستعمار بلادهم ويتغذ له صنائع منهم ما كانوا
 يعرفون هذا القول المنكر بل الاجماع ضعفت على وجوب تغلب الكفار فى عقودهم وتخييرهم
 بين خصال ثلاث الاسلام أو الجزية أو القتل - على خلاف فى قبول الجزية من غير أهل

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ١٧٤ - ١٧٥ .

الكتاب والمجوس - وقد نقلنا ما ثبت الاجماع مفصلا في بداية الباب الثاني فلا نكرر ذكره .

ولم يفهم أهل الدفاع تحليل بعض علماء الاسلام قتل الكفار بالمحاربة ولمقاتلة أو تعمدوا كتمان ما فهموه . وذلك لأن العلماء الذين عللوا قتل الكفار بالمحاربة والمقاتلة نصوا على مرادهم وهو تلصص الحكمة الشرعية في أمر الله سبحانه بقتال كل كافر باستثناء النساء والأطفال والرهبان والشيخوخة المجزة فقلوا لو كان طاعة القتال الكفر لوجب قتل كل كافر فانا المصلحة هي القدرة على المحاربة والمقاتلة فان من عده الاطاعة على القتال فهو مصدر يخطر على المسلمين ولم يقل هؤلاء العلماء أن الكافر لا يقاتل الا اذا حارب بالفعل واعتدى كما هو قول أهل الدفاع الذين يحرفون نصوص العلماء لكي يظهر للناس بأنهم لم يعرفوا الاجماع وان هناك طائفة من العلماء تقول بقولهم ولو كلف الدفاعيون أنفسهم بالرجوع الى كتب الأحناف الذين يحللون قتل الكفار بالمحاربة لوجدوا أقوالهم صريحة لا تحتل التأويل في النص على أنه لا يشترط في جهاد الكفار أن يكونوا قد اعتدوا وحاربوا بالفعل . جاء في كتاب تنوير الأبصار - وهو من أشهر كتب الأحناف - ما يلي (وهو - أي الجهاد - فرض كفاية ابتداءً وفرض عين ان هجم العدو) . (١)

وجاء في كتاب تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق - وهو من مراجع فقه الأحناف - ما يلي (الجهاد فرض كفاية ابتداءً يعني يجب علينا أن نبدأهم بالقتال وان لم يقاظونا لقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة ، وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وقال انفروا خفافا الآية ، وقوله عليه الصلاة والسلام الجهاد فرض طامس منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يباليه جور جائر ولا عدل عادل وقوله عليه الصلاة والسلام أمرت أن أقاتل حتى يقولوا لا اله الا الله . . الحديث وعليه اجماع الأمة) (٢) وجاء في شرح فتح القدير -

(١) حاشية در المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة ٤ / ١٢٣ .

(٢) تبیین الحقائق ٣ / ٢٤١ .

وهو من أمهات كتب الأحناف - طيلي (وقاتل الكفار واجب وان لم يبدءوا للصومات)^(١)
 أى عموم النصوص الشرعية ويقول السرخسي (فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول الواجب
 دأؤهم إلى الدين وقاتل الممتنعين منهم من الاجابة لأن صفة هذه الأمة في الكتب
 المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم ، قال الله تعالى :
 (كنتم خير أمة . . الآية) ، وأما الأمر بالمعروف الايمان بالله فعلى كل مؤمن أن يكون أمرا
 به داعيا اليه وأصد المنكر الشرك فهو أعظم ما يكون من الجهل والعماد لما فيه من انكار
 الحق من غير تأويل فعلى كل مؤمن أن ينهي عنه بما يقدر عليه)^(٢)

قلت قاتل الله الهوى الضال الذي يحرف ما حبه عن الحق ألم يرا أهل الدفاع
 كلام أئمة الأحناف هذا وهم يقلبون صفحات الكتب للبحث عما قالوه من تعليل لقتل الكفار
 أن التعليل مذکور الى جانب هذه الأقوال ولكن تلاميذ المستشرقين يتعمدون التعريف
 ولا يريدون الحقيقة .

أما بقية العلماء من المذاهب الأخرى فهم كالأحناف في النتيجة وهي وجوب تطلب
 الكفار في عقودارهم وقتلهم الى الاسلام وقتلهم ان لم يقبلوه أو يقبلوا الخضوع للجزية
 وان اختلفوا مع الأحناف في تعليل قتل الكفار يقول ابن العربي (فان قيل لو كان المبيع
 للقتل هو الكفر لقتل كل كافر وأنت تترك منهم النساء والرهبان ومن تقدم ذكره معهم
 فالجواب انا انما تركناهم مع قيام المبيع بهم لأجل ما طرأ من منفعة أو مصلحة ، أما
 المنفعة فالاسترقاق فيمن يسترق فيكون مالا وغدما وهي الغنيمة التي أحلها الله تعالى
 لنا من بين الأمم وأما المصلحة فان في استبقاء الرهبان باعطاء على تغلى رجالهم عن القتال
 فيضعف عربهم ويقل حزمهم فينتشر الاستيلاء عليهم)^(٣)

(١) فتح القدير ٥ / ٤٤١ .

(٢) المبسوط ٢ / ١٠ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١ / ١٠٤ .

قلت : وبحث العلماء في علل الأحكام وهدم التشريع لا يغير من الأحكام المنصوص عليها شيئاً . فإنا أمر الله بقتال الكفار واستثنى منهم صنفاً أو صنفين كالنساء والأطفال فنحن ننفذ أوامر الله في القتال وفي الاستثناء وإن عرفنا الحكمة فيها ونعلم وإن لم نعرفها فنجزم يقيناً إن في أوامر الله حكماً ومصالحاً لأنه سبحانه الحكيم الحكيم المنزه عن العيب وإذا عرفنا لحكم ما حكمة واحدة فلا نجزم أنه ليس هناك غيرها فإن هذا من القول على الله بلا علم وليس من يدن المسلم التوقف في حكمه مالم يظهر له تعديله أو مصلحته بل هذا من عمل إبليس الذي امتنع عن السجود زاعماً أن أمر الله له به لا يكفي لعدم ظهور حكمته فليحذر أهل الدجاج أن يكون أمانهم إبليس أظننا الله من وسوسته وأعدائه .

٤ - زعم أهل الدجاج بأن للجهاد غاية وهي رفع الفتنة عن المسلمين فإذا كان الكفار يسمعون بحرية الدين - على الطريقة الأوربية ! - فلا داعي لقتالهم واخضاعهم لسلطان الإسلام بل يسألون ! ويحتجون بقوله تعالى وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكفون الدين لله والفتنة عندهم منع المسلم من اظهار اسلامه وتعذيبه فقط . وهذا الرغم باطل من وجوه :-

١ - الوجه الأول : أن المراد بالفتنة في الآية الكريمة الشرك فمعنى الآية قاتلوهم حتى لا يكون شرك . قال الشوكاني (قوله وقتلوهم حتى لا تكون فتنة . فيه الأمر بمقاتلة المشركين الى غاية هي الا تكون فتنة وأن يكون الدين لله وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقطع عن الشرك لم يحل قتاله . . . ثم روى عن أبي العالية أنه قال والفتنة أشد من القتل يقول الشرك أشد من القتل، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله وقتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول شرك بالله ويكون الدين أي ويخلص التوحيد لله وعن مجاهد أنه قال الفتنة الشرك (١)

(١) أنظر فتح القدير للشوكاني ١ / ١٤١ .

٢- الوجه الثاني : لو كانت الفتنة في الآية هي صرف المسلمين عن دينهم - كما هو قول لبعض علماء التفسير - فإن السطاح بحرية الدين على الطريقة الأوربية والطريقة الأمريكية وسائر أنواع الديمقراطية لا يعنى شيئاً بالنسبة للمسلم فإن المسلم لا يبد أن تخضع حياته كلها لله في شتى الأمور فهل يسمح الكفار أصحاب الديمقراطية لمسلمين يقيمون في أرضهم أن يجعلوا لهم صكمة تتفقد الحدود والتعزيز ونحو ذلك فإن لم يسمروا بأن يمارس المسلم إسلامه كاملاً فلا شك أنهم يفتنونه عن دينه فهل يتحمل أهل الدفاع أصحاب التعايش السلمي هذا الأمر ، أم أن فهمهم للتدين هو أيضاً الفهم الأوربي أى أن الدين هو شعائر العبادات فقط وليس هو نظام الحياة . أن المناهج والسياسات والأوضاع المشادة التي يطبقها الكفار على الأرض التي يحكمونها هي من أنواع الفتنة التي تصرف المسلم عن دينه وتصرف الكافر عن الدخول في الإسلام وأن من غاية الجهاد إزالة هذه الفتنة عن المسلمين وعن الناس عموماً .

٣- الوجه الثالث : ان أهل الدفاع غفلوا واتفقوا عن تكملة الآية الكريم وهي قوله تعالى ويكون الدين لله . والدين من الدينونة وهي الطاعة فلا بد أن تكون الطاعة والخضوع في شتى الأرض لله سبحانه أى بمعنى أنه لا بد أن يستمر المسلمون في جهادهم حتى لا يبقى أرض يقوم عليها سلطان غير سلطان الله ويطلق فيها أحدهم من دون الله ولأجل هذا كانت فريضة الجهاد مستمرة باقية الى يوم القيامة لأن الشيطان مستمر في أغواء الناس وصرفهم عن سلوك الطريق المستقيم والمسلمون مستمرين في جهاد اتباع الشيطان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهذا الحقيقة للجهاد الاسلامي مكان اجماع بين علماء السلف ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ا وانا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن منع هذا قوتل باقتار المسلمين (١)

فانظر كيف نقل اتفاق المسلمين على قتال من يرضع أن يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هي العليا وابن تيمية من أكثر العلماة معرفة بمذاهب فقهاء الأمة الاسلامية فهل يظن ان أنه يعلم خلافا لأحد من المسلمين في هذه الغاية العظيمة للجهاد ويكتمه اللهم لا وهذا امام المفسرين في عصره ابن جرير الطبري ينقل اجماعا مثلها لما نقله ابن تيمية ان يقول (وجمعوا أن مادة أهل الشرك من عبدة الأوثان ومخالفة أهل الكتاب على أن أحكام المسلمين عليهم فير جائزة الى الأبد باطلا اذا كان بالمسلمين قوة على حربهم)^(١) فليت شعري ما موقف أصحاب الدفاع والتمايش السلمى من هذا الاجماع !! ويقول الامام الشوكاني في السيل الجرار (غزو الكفار ومجازة أهل الكفر وحطهم على الاسلام أو تسليم الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية ولاجله بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعثه الله الى أن قبضه اليه جماعا لهذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شعونه وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها وما ورد في مواد عنهم أو في تركهم اذا تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من ايجاب المقاتلة عليهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصد هم الى ديارهم)^(٢)

٥- رزم أهل الدفاع بأن شيخ الاسلام ابن تيمية المعروف بفضله وعظمه واطلاعه على مذاهب العلماة يوافقهم فيما ذهبوا اليه بأن القتال في الاسلام للدفاع ! واعتمدوا في هذا الزعم على رسالة تباع في الأسواق بعنوان (قتال الكفار) طبعت مع مجموعة رسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية عام ١٢٦٨ هـ وضربوا صفحا عن أقوال ابن تيمية المتعلقة بالجهاد في سائر كتبه التي قد ثبتت نسبتها اليه يقينا ككتاب الصارم المسلول

(١) اختلاف الفقهاء للطبري ص ٥١ .

(٢) المعبرة للفتوح ص ٧٠ .

على شاتم الرسول وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وكتاب السياسة الشرعية ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يشيروا ولو من طرف خفي بأن لابن تيمية أقوالا تخالف ما في رسالة القتال التي يعتمدون عليها ويدعونها بين الناس وهكذا الهوى المنحرف يفعل بأصحابه الأفاعيل !!

ورسالة القتال المنسوبة الى ابن تيمية لم تصح نسبتها اليه فلم يذكرها أعرف الناس بكتب ابن تيمية وهو تلميذه المحقق ابن القيم ضمن مؤلفات ابن تيمية وقد أفرد لمؤلفات ابن تيمية رسالة خاصة عدد فيها أكثر ما ألفه ابن تيمية من كتب ورسائل وفتاوى فذكر ما يقرب من المئتين ولم يكن من بينها رسالة القتال (١) ، وقد رفض هذه الرسالة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم جامع فتاوى ابن تيمية ولم يدخلها ضمن الفتاوى إذ قال (ولم أضع في هذا المجموع الا ما أعرفه لشيخ الاسلام وقد أعرضت عن نزر قليل نسب اليه كمنظومة في عقائد ونقل معرف لترك البداءة بقتال الكفار وقد رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان وأوضح تعريفاته في عدة كرارييس) قلت : وقد رد علي هذه الرسالة المنسوبة الى ابن تيمية العالم المحقق الشيخ سليمان ابن عبدالرحمن بن حمدان المدرس بالمسجد الحرام رحمه الله رحمة واسعة وذلك بكتابه القيم (دلالة النصوص والاجماع على فري القتل للكفر والدفاع) المطبوع في دار الطباعة والنشر في عمان جاء في مقدمته ما يلي :-

(أما بعد فقد رقت على رسالة منسوبة لشيخ الاسلام وعلم الهداة الاعلام تقى الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه مضمونها أن قتال الكفار سببه المقاتلة لا مجرد الكفر وأنهم اذا لم يقاتلونا لم يجز لنا قتالهم رجها هم على الكفران هذا القول هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار واستدل لما زعمه ببعض آيات شبه بها وطيس وأولها

(١) أنظر مؤلفات ابن تيمية لابن القيم تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - دار الكتاب -

الجديد - بيروت .

(٢) أنظر مجموع الفتاوى ج ٨ ص ٥٥ .

على غير معناها المراد بها مثل قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل اللّٰه لئلا يقاتلونكم
 الآية وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ، وقوله لا اكراه في الدين وحد يثين عرفهما لفظا
 ومعنى وضرب صفحا عن الآيات المحكمة الصريحة التي لا تحتمل التأويل والأعاد يـ
 الصحيحة التي تكاد تبلغ حد التواتر في الأمر بقتال الكفار والمشركين حتى يتوبوا من كفرهم
 ويقطعوا عن شركهم ، وهذه ا طريقة أهل الزيغ والضلال يدعون المحكم ويتبعون المتقلبة
 كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن
 أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
 وابتغاء تأويله) ولما رأها بعض من ينتسب الى العلم وليس من أهل الدراية والفهم صادفت
 هوى في نفسه فطار فرحا طانا أنها الخالة المشهورة وراجت لديه مجرد نسبتها لشيخ
 الاسلام فسعى في ابعثها ونشرها على كذبها وقشرها .

وما علم المسكين أنه قد استحسن ذاك ولم يفتح في غير ضرم وأنها محض افتراء وتزوير
 على الشيخ وقد نزه الله شيخ الاسلام عن هذا الخطل الواضح والجهل القاضح والغشوض
 في شرح الله بغير علم ولا دراية ولا فهم ولكن الأمر كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 رضي الله عنه للحارث بن الأعرج لما قال له أتتلن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له
 يا عارثة أنه لم يلبس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله فهذا الذي طبعتها
 ونشرها ممن لا يعرف الحق الا بالرجال فهو ملبوس عليه كما قال أمير المؤمنين . لأنه لو عرف
 الحق في هذا الباب لم راجت عنده هذا الرسالة ولقابلها بالانكار والرد ونبذها نبذ النواة
 لأنها تتضمن ابطل فريضة ينية هي ذروة سنام الاسلام ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وقوروة سنامه الجهاد في سبيل الله ، وقد جاء في
 حديث مرسل أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات
 فبالبصر النافذ تدفع الشبهة وبالعقل الكامل تدفع الشهوة . وحيث أن ما جاء في هذه
 الرسالة مخالف لنصوص الكتاب والسنة ولما أجمعت عليه الأمة في الصدر الأول ومخالف أيضا
 لما نص عليه شيخ الاسلام نفسه في كتبه المشهورة المستدولة المعروفة لدى الخاص والعام

كالجواب الصحيح والصارم المسلول ومنهاج السنة والسياسة الشرعية وغيرها من كتبه التي سند ذكر نصه فيها بالعرف ونحوه على الكتاب ليسهل الوقوف عليه لمن أحب ذلك وليعلم أن هذه الرسالة مزورة عليه ولا تصح نسبتها إليه بوجه من الوجوه وإن من نسبها إليه فقد شارك المفترى في عطله وما يترتب عليه من آثم ، وما أن الله تعالى قد أوجب على أهل العلم البيان وعدم الكتمان في قوله عز من قائل (وإنا أخذنا الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولما لم أر من قام بهذا الواجب ولا طاره من العناية والأهمية جانباً إلا أنه بلغني أن شيخنا الشيخ سليمان بن سحطان قد رد عليها ولكن أصبح رده غير موجود وخوفاً من أن يظن أن هذه المسئلة من مسائل النزاع فضلاً عن أن يظن أنها من مسائل الاجماع فيختار بها جاهل لا تفريق له بين الحق والباطل والعالى والعاطل أو يفتجج بها طحسد منافق مجادل مشاqq تصرقت لبيان ما فيها من فساد وتعريف والحاد . . . وقد ارتككب واضح هذه الرسالة ومفتريها بعطه هذا أنواط من المحرمات والعظايم فمنها الفرية على الله تعالى بأن هذا شرعه ودينه الذب شرعه لعباده وقد قال تعالى (ومن أنظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) ، قال قتادة هي لكل مفتر إلى يوم القيامة . ومنها الالحاد في آيات الله وأعاد يث رسوله صلى الله عليه وسلم وتأويلها على غير معناها المراد بها ومنها الكذب على امام من أئمة المسلمين ونسبة ما لم يقل إليه وقد نقل فيها بعض عبارات من الصارم المسلول وفيه من كتب الشيخ تصرف فيها أسوأ التصرف ليوهم أنها من كلام الشيخ ولكن ركاكة مبانيها وتناقض عباراتها ومعانيها يدل دلالة ظاهرة على أنها لم تصدر من كاتب قد ير فضلاً عن ظلم تحرير كشيخ الاسلام رحمه الله تعالى أنه لو فرض أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى أو غيره من أهل العلم المقتدى بهم غلط في مسئلة من المسائل مع قيام الدليل من الكتاب والسنة على خلاف ما قاله لم يوافق على ذلك لأنه ليس بمعصوم من الخطأ فهو أسوء فيره من المجتهدين الذين يسميون وقد يغفلون وهم مأجورون على اجتهادهم فالصواب والخطأ فمن أصاب فله أجران وأجر على اجتهاده في تحرى الحق وأجر على اسابته ومن أخطأ فله أجر على اجتهاده في تحرى الحق وضبطه مغفور له لما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد . ولكن هذه المسئلة ليست من أعراف المسائل التي ربما يعصل فيها الاشتباه ويقع فيها الخطأ ويكون فيها مجال للاجتهاد بل هي أصل من أصول الدين وفرع من فروعه يبنى عليها كثير من أحكامه ولا مجال للاجتهاد فيها لوضوح أدلتها من الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم (١) ، وقد اطلعت على الرسالة المذكورة فاتضح لي ما توضح للشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله من أن الرسالة مفعولة على الشيخ وفيها عبارات كثيرة مأخوذة من كتبه ولقد حرص واضعها على عدم ذكر جهاد الابتداء والطلب بينما الناظر في مؤلفات ابن تيمية المشهورة يجد ان قوله في الجهاد لا يخالف اجماع المسلمين بل يوافقهم وقد نقل بنفسه الاجماع كما تقدم قريبا ونص على وجوب جهاد الابتداء والطلب من مواضع من كتبه فقال في كتابه القيم الجواب الصحيح (. . . فاذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعاً فلأن يجب علينا بيان الاسلام وأعلامه ابتداءً ودفعاً لمن يطعن فيه بأريق الأولى والاخرى . . .) (٢) وقال في كتابه الصارم المسلول (. . . لما نزلت براءة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبتدئ جميع الكفار بالمقتال وشينهم وكتابينهم سواء كفوا أم لم يكفوا) (٣)

وبهذا يظهر براءة ابن تيمية من تلك الرسالة المبالغ فيها لاجماع ولا قوله هو بنفسه .
 ٦- ان أهل الدفاع بهذا القول الشنيع أعطوا للدويلات القائمة في البلاد الاسلامية سندا شرعيا - ان كانت في حاجة الى سند - بأن تتضمن ما يسمى بهيئة الأمم المتحدة التي تحرم الحروب الا في صورة واحدة هي صورة رد الاعتداء المسلح (٤)

(١) دلالة النصوص والاجماع لابن حمدان ص ٥٠ - ٥٥ .

(٢) الجواب الصحيح ١ / ٧٥ .

(٣) الصارم المسلول ص ١١٢ .

(٤) نذر ميثاق الأمم المتحدة ص ٩٢٢ من كتاب القانون الدولي العام - تأليف : أبو هيف .

فان جهاد الابتداء والطلب محرم في شريعة الأمم المتحدة وهي تدعو الى أن يعيش الناس عموماً على مختلف أديانهم من وثنية ومجوسية وبنوية ويهودية و نصرانية وهندوسية - بل حتى الملاحدة الذين لا يعترفون بوجود الله - في وئام وسلام ومحبة وتعاون وانا حصل بينهم نزاع على الحدود الأرضية فيتحاكون الى مجلس الأمن الطاغوتي الذي طاعه الرجوع الى ما أنزل الله طرفه عين لو يعقل أهل الدفاح ما يترتب على قولهم المشئوم من أسقاط لفريضة الجهاد ومن تعكيم للكفر لأعلنوا براءتهم من ذلك القول الخبيث أن كان فيهم من يحب الله ورسوله ويعترف بحدود ما أمر الله به ولننقل الآن طعنا لأحد القرارات الهامة لميثاق الأمم المتحدة - التي قررت المبادئ للعلاقات الدولية - ليعرف المسلم ما اذا يراد بفريضة الجهاد في عصرنا يسمى بالتكليم الدولي الذي هو في الحقيقة تنظيم دولي لهدم الاسلام للشئ آخر .

" القرار رقم ٦٢٢٥ ((الدورة ٢٥)) "

ان الجمعية العامة . . . تنظن رسمياً المبادئ الآتية . . .

- (١) مبدأ امتناع الدول في علاقاتها الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استعمالها ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي نحو آخر يتنافى مع مقاصد الأمم المتحدة . . .
 - (٢) مبدأ فض الدول لمنازعاتها الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يعرض السلم والأمن الدوليين ولا العدل للخطر ،
 - (٣) مبدأ الخاص بواجب عدم التدخل في الشؤون التي تكون من صميم الولاية القومية لدولة ما وفقاً للميثاق . . .
 - (٤) مبدأ تساوي الشعوب في حقوقها وحقها في تقرير مصيرها بنفسها .
 - (٥) مبدأ المساواة في السيادة بين الدول . . . وتتضمن المساواة في السيادة العناصر الآتية بوجه خاص :
- أ - الدول متساوية من الناحية القانونية .

(ب) تتمتع كل دولة من الدول بالحقوق الملازمة للسيادة الكاملة .

(ج) على كل دولة واجب احترام شخصية الدول الأخرى .

(د) حرمة السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للدولة .

(هـ) لكل دولة الحق في أن تختار وأن تنص بحرية نظمها السياسية والاجتماعية

والاقتصادية والثقافية .

(و) على كل دولة واجب تنفيذ التزاماتها الدولية تنفيذاً كاملاً يجدوه حسن النية

والعيش في سلام مع الدول الأخرى (١) .

ويقول الشيباني (وأصدرت الجمعية العمومية في اجتماعها في ٢٤ سبتمبر من عام

١٩٢٧ قراراً باجماع الآراء جاء فيه أنها تسلمها يربط الجماعات الدولية من تضامن وتعلق

عن عزمها على حماية السلم العام وتقر فكرة أن الحرب العدوانية لا يصح استخدامها كوسيلة

لحسم المنازعات بين الدول وتعتبر هذا الحرب جريمة دولية وتطبقا لذلك قامت بوضع قاعدتين

الترتبهما الدول الأعضاء هما :

١- ان كل حرب اعتداء محرمة وستلك محرمة .

٢- من واجب الدول أن تلجأ الى جميع الوسائل السلمية لحسم ما بينها من منازعات دولية

مهما كانت طبيعتها (٢)

ومما لا شك فيه عند الدول المصدقه على هذا الميثاق أن جهاد الابتداء والطلب

(وهو طلب الكفار في حق دارهم من غير اعتداء منهم وارغامهم على الاسلام أو الجزية)

يعتبر حرباً عدوانية يما قبل عليها القانون الدولي وتعتبر جريمة في نظره وقد سهلت آراء أهل

الدفاع المنحرفة المخالفة للاجماع انضمام الدول الاسلامية الى هذه الجمعية التي تحرم

ما أوجب الله فصاروا يتابعونهم على تشريعهم ويتركون ما شرع الله نعوذ بالله من الضلال والخذلان .

(١) أنظر كتاب تعريم الحروب للشيباني من ص ٦٤٥-٦٥٥ ، والترقيم من عندي للايضاح .

(٢) تعريم الحروب للشيباني ص ٣١٧ .

٣- حكم بغض الكافرين :

ان بغض الكافرين ومعاداتهم دعاية من دعائم العقيدة الاسلامية بل من أوثق الدعائم قال صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله)^(١) ، وكما عرفت تلاميذ الاستشراق والاستعمار مفهوم الجهاد الاسلامي وقصروه على جهاد الدفع فقط ، عرفوا هذه العقيدة المهمة بل أحلوا محل بغض الكافرين وعداوتهم محبتهم وصدقتهم وقد فعل هذا التعريف فعلة في اامة الروح الجهادية وعدم استعلاء المؤمن بايمانه ولم يتأسوا بابراهيم عليه السلام كما أمرهم بذلك رب العزة والجلال (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ان قالوا لقومهم انا براءؤا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ودا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)^(٢) بل وصل بهم سوء حالهم الى أن اعتبروا هذا الانحراف المشين أصلا من أصول الاسلام !!

وقد عمل لواء هذا الانحراف رواد المدرسة العقلية الحديثة في هذا العصر أيضا فقد ذكر محمد عبده في كتابه الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ثمانية أصول زعم أنها أصول الاسلام ضمنها تعريف هذه العقيدة المهمة (محبة المؤمنين وبغض الكافرين) وما يثير العجب والأسى في آن واحد أن هذه الاصول التي ذكرها محمد عبده للاسلام لم يكن من بينها لا أركان الاسلام ولا أركان الايمان وطأ أدى على أى شيء استند في تسميتها أصولا وها هي ذى أصول الاسلام على زعمه التي ذكرها في كتابه :

١- الأصل الأول : النظر العقلى لتحصيل الاسلام ، وقال في التمهيد لهذا الأصل (فلا يصح أن يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فانه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتابا ويرسل رسولا)^(٣)

(١) الايمان ، لأبي بكر بن أبي شيبة ص ٤٤ وقد حسنه الألبانى .

(٢) الممتحنة ٤ .

(٣) الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٤٨ .

٢- الأصل الثاني : قال عنه : اتفق أهل الطه الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه (١)

على أنه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل !!

٣- الأصل الثالث : البعد عن التكفير .

٤- الأصل الرابع : الاعتبار بسنن الله في الخلق .

٥- الأصل الخامس : قلب السلطنة الدينية .

٦- الأصل السادس : عطايا الدعوة لمنع الفتنة .

٧- الأصل السابع : مودة المخالفين في العقيدة .

٨- الأصل الثامن : الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة (٢).

أما صعوبة المؤمنين وشهادة أن لا اله الا الله وقام الصلاة ولايمان بالنبيب فلم يذكرها

الشيخ في أصول الاسلام !! ، ألمهيقراً هذا الشيخ قول الله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) (٣)

وقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا

أبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) (٤) ، وقوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين

أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم

الله نفسه والى الله المصير) (٥) ، وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من

دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سداً انا مبينا) (٦) ، وقوله تعالى (يا أيها

الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولبهم منكم فإنه منهم

(١) ليعلم القارئ الكريم أن هذا القليل الذي لا ينظر اليه في نظر الشيخ هم الصحابة

والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة . وغيرهم من أعلام الاسلام وأن هذا الأصل الذي

ذكره من أصول الفلاسفة والمعتزلة !!

(٢) أنظر هذه الأصول من ص ١٤٨ الى ص ٧ من كتاب الاسلام والنصرانية لمحمد عبده .

(٣) الممتحنة ١ .

(٤) المجادلة ٢٢ .

(٥) آل عمران ٢٨ .

(٦) النساء ١٤٤ .

ان الله لا يهدي القوم الظالمين^(١) ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأبناؤكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم المفلحون)^(٢) الى غير ذلك من الآيات المبيحة لهذا الشيخ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه مسلم في صحيحه (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فانا لقيتم أعداءهم في الطريق فاضطربوا الي أضيقه)^(٣) فهل يضيئ الانسان على من بينه وبينه مودة . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة أول جمعة بالمدينة (الحمد لله أعمده واستعينه وأستغفره وأستهديه وأمن به ولا أكفره وأعدى من يكفره وأشبهه أن لا اله الا الله ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وطوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ولا قوة الا بالله)^(٤) .

وقد تابع محمد عبده من هم على شاكلته من أهل الدفاع ومودة الكافرين فمن يقرأ مقدمة كتاب محاضرات في النصرانية لمحمد أبى زهرة يجد هيمفاً قباط مصر بأنهم اخوانه وأبناءؤه وأصدقاؤه بل يصفهم بأنهم من المخلصين ولم يكونوا من الذين للمؤامرات^(٥) ، وقد عدد قواعد العلاقات الدولية في الاسلام فجعلها تدور على مجموعة نقاط هي :

١ - المساواة . ٢ - التعاون . ٣ - الكرامة الانسانية . ٤ - التسامح .

-
- (١) الطائفة ٥١ .
(٢) التوبة ٢٣ .
(٣) صحيح مسلم كتاب السلام ١٧٠٧/٤ .
(٤) البداية والنهاية ٢/٢١٣ وقال ابن كثير هكذا اوردها ابن جرير وفي السند ارسال ثم اورد ابن كثير خطبة النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق البيهقي وقال هذا الطريق أيضا مرسله الا أنها مقوية لما قبلها وأن اختلفت الألفاظ .
(٥) أنظر محاضرات في النصرانية لمحمد أبى زهرة ص ٤ .

٥ - الحرية . ٦ - الفضيلة - ٧ - العدالة . ٨ - المعاملة بالمثل .
 ٩ - الوفاء بالعهد . ١٠ - المودة . وقال تحت هذه القاعدة العاشرة (المودة)
 (ان الاغوة الانسانية العامة التي أوجب الاسلام بها التعارف عندما يختلف الناس أجناسا
 وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الاصلاح وفتح الفساد ولو اختلف الناس دينا وأرضا
 وجنسا . . . وان المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف في الدين . . . وفتح باب
 المودة للشعوب قد ينهى الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم ^(١) ا || ا ويقول في كتابه
 المجتمع الانساني في ظل الاسلام (تقدم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة ^(٢))
 ويزعم أهل المودة للتأفرين بأن قول الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
 الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ^(٣)) تدل على جواز مودة الكفار ،
 وهذا استدلال غريب . فإنا الجبر لا يعنى المود قبل يعنى العدل والاحسان الى الغير
 بأى نوع من أنواع الاحسان والمسلم مأمور بالعدل مع من يبغضه ويعاديه ، قال تعالى :
 (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا
 هو أقرب للتقوى ^(٥)) ، يقول ابن الجوزى عند تفسير آية الممتحنة (لا ينهاكم الله عن الذين
 لم يقاتلوكم . . الآية) ، قال المفسرون وهذه الآية رخصة في صلح الذين لم ينصبوا الحرب
 للمسلمين وجواز برهم وأن كانت المولاة منقطعة منهم . . . وان تبروهم وتقسطوا اليهم
 أى تعاملوهم بالعدل فينبى بينكم وبينهم ^(٦))

قلت : فالصلة والهدية والضيافة والصدقة ، لا يلزم منها المحبة ولا المودة فى جميع
 الأحوال ، فالكافر تبغضه لأن الله يبغضه وتعديل معه وتحسن اليه وقد كان السلف الصالح

(١) أنظر العلاقات الدولية لأبى زهرة من ص ٢٦١ - ٢٧١ .

(٢) المجتمع الانساني ص ١٩٠ .

(٣) الممتحنة ٨ .

(٤) أنظر الاسلام والنسبانية لمحمد عبده ٤٨ وما بعدها والعلاقات الدولية لأبى زهرة ص ٤٢ .

(٥) الطائفة ٨ .

(٦) زاد السير لابن الجوزى ٢٣٧ / ٨ .

رضوان الله عليهم يهدون للمشركين هدايا وهم عرب معهم وليس بينهم وبينهم مودة
كما بوب البخارى رحمه الله على ذلك فقال (باب صلة الوالد المشرك) (باب صلة
الأخ المشرك)^(١) وأورد في هذا الصدد عدة أحاديث منها حديث عمر بن الخطاب رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى إليه حلة سبراء وأنه أرسل بها إلى أخ له
من أهل مكة قبل أن يسلم^(٢)، فهل يقول مسلم أن بين عمر بن الخطاب وأخيه المشرك مودة
كلا والله وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما استشاره في أسارى بدر (. . .) ولكنى
أرى أن تمكنى من فلان - قريبا لعمر - فأضرب عنقه وتمكن عليا رضى الله عنه من عقيل فيضرب
عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا شواذ قلمشركين^(٣)
وقال ابن عبد البر فى الأحكام المستفاد من قصة أهداء عمر لأخيه المشرك (فيه جواز الهدية
للكافر ولو كان حربيا)^(٤)

فالعديل فى المعاملة واطعام الطعام والمجادلة بالعسنى شئ . والمحبة والمودة
والصداقة شئ آخر فالنوع الأول لا يدخل فى المولاة .

أما النوع الثانى فهو من المولاة ولا تجوز مودة الكافر ومحبته ولو كان ذميا بل الواجب
بغضه لأن الله يبغضه والمؤمن الحق هو الذى يحب ما يحب الله ويبغض ما يبغض الله
فها هو عبد الله بن ربيعة رضى الله عنه لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود
غير - وهم أهل نمة - لئلا يغرص نخيل غير فمأولوا رشوته قال لهم (يا أهداء الله
تطمعوننى السمعت واللطف جئتكم من عند أحب الناس إلى ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من
القردة والغنازير ولا يحطنى بغضى إياكم وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم فقاتلوا بهذا قامت

(١) أنظر صحيح البخارى مع الفتح ١٠ / ٢٤٦ ، ٣٤٧ .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ١٠ / ٣٤٧ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣١ .

(٤) أنظر فتح البارى ١٠ / ٢٥٤ .

السموات والأرض) (١) فهل جهل عبد الله بن رواحه رضي الله عنه وأرضاه أصلا من أصول الاسلام وقاعدة من قواعد العلاقات الدولية كما يزعم أصحاب مودة الكافرين .
ولأصحاب مودة فالهذافين فهم غريب لقوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) (٢) . فهم كعادتهم لا يأخذون تفسير السلت للآيات والأحاديث الا اذا وافق ما عندهم يقول أبو زهرة (٣) ولقد جعل القرآن الكريم اختلافا للناس شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع ولذلك قال سبحانه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى . . الآية فاختلفا الشعوب في الأرض له غاية جليلة أرادها الله سبحانه وتعالى وهي التعارف وهذا التعارف له ظواهر :-

الأولى : اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وغصام .

الثانية : التعاون على أن ينتفع الانسان بكل خيرات الأرض بحيث ينتفع أهل كل اقليم بما في الاقليم الآخر من خير ويمد به . عنده من فائض أرضه في مقابل أن ينتفع هو بما عنده فانما كانت الأرض مختلفة فيما تنتج فالنتاج كله للانسانية كلها فتكون تفرقة الأقاليم ليكون الاستغلال كاملا فتستغل الأرض في كل أجزائها مهما تتباعد وتتفرق .

الثالثة : من الواهر تكريم الانسان في هذه الأرض فلا يوجد تعارف اذا كان اقليم يعتقر اقليطا لأن ذلك يكون تناكرا ولا يكون تعارفا ولا بد أن يعترم أهل الأرض حرية أهلها فلا يكون اذا لم تحترم الحرية لأنه اذا كان أساس العلاقات الارهاق النفسى وعدم احترام الحرية الشخصية لا يكون ذلك تعارفا بل يكون استعبادا واسترقاقا أو استمطارا بلغة ذلك العصر . فأهل كل بلد يدبر ادارته بالطريق التي

(١) البدايعة والنهاية ٤ / ١٩٦٠ .

(٢) الحجرات ١٣ .

يراها (!) ويعتقون من العقائد مashaوا من غير عريضة ينية ولا ارهاق نفسى بل ان الاسلام ذهب به فرك احترامه للحرية الى حماية العقيد فالدينية المخالفة من أن يعتدى عليها وقاعدته الفقهية " وأمرنا أن نتركهم وما يدعون " . . . وان التعارف لا يكون كما صلا الا اذا أزيلت المحاذرات الاقليمية فى الأرضين بحيث يهاجر كل انسان الى ما يحسب من الأرض (١)

فانظرأيها القاروة الى هذا الفهم الخريب فقد جعل هذا الكاتب من معانى التعارف المودة والرحمة وهدم الخصام والتنازع والتكريم والحرية الشخصية والتعاون الى غير ذلك ولم يقل أحد من علماء السلف أن الآية تدل على هذه المعانى واللغة لا تساعد الكاتب على ما ذهب اليه فان الرجل يعرف الرجل ويغضه ويماديه أو يبعه ويسالمه فلا علاقة بين التعارف والمودة يقال أعرف عدوك وأعرف الشر لكى تجتنبه وليس فى هذا أمر بمحبة العدو أو محبة الشربا تفاق العقلاء والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف أبا جهل وأبا لهب ويعرف قبائل اليهود بل ويعرف الشيطان ولم يقل مسلم أن بينه وبين من يعرف من هؤلاء مودة ورحمة واليك تفسير السلف للآية التى حطها الكاتب مالا تحتل : - قال مجاهد لتعارفوا كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا وقال ابن كثير لتعارفوا أى ليعصل التعارف بينهم كل يرجع الى قبيلته وقال ابن الجوزى ليعرف بعضهم بعضا فى قرب النسب وبعده وقال الزجاج جعلناكم كذلك (أى شعوبا وقبائل) لتعارفوا لا لتفخروا ، (٢) فأين فى تفسير السلف لتعارفوا أى لتتعايبوا ولا تتباغضوا (!!!) لو كان الأمر كذلك لما جاز لمسلم أن يبغض كافرا فضلا عن فاسق وهذا خلاف ما عليه اجماع المسلمين وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (. . . والمؤمن عليه أن يعادى فى

(١) المجتمع الانسانى لأبى زهرة ص ٥١-٥٢ .

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ٧ / ٢٦٥ ، وزاد المسير لابن الجوزى ٧ / ٤٧٤ .

الله ويؤلى في الله فان كان هناك مؤمن فمطيعه أن يواليه وأن ظلمه فان الظلم لا يقطع المولاة الايمانية ، قال تعالى : (وان الاثفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي عن أمر الله فان فاءت فأصلحو بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المتسطين انما المؤمنون اخوة) فجعلهم اخوة مع وجود القتال والبغى والأمر بالاصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذا النوعين (١) فما أكثر ما يلتبرأعد هما بالآخر وليعلم أن المؤمن تجب مولاته وأن الظلم واعتدى عليك والكافر تجب معاداته وان أعطاك وأحسن اليك فان الله سبحانه بغث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والأكرام لأوليائه والامانة لأعدائه والشواب لأوليائه والعقاب لأعدائه (٢) ويقول البغوي رحمه الله (وقد اتفق علماء السنة على مفاداة أهل الهدية ومهاجرتهم) (٣) .

قلت ان غاية المبتدع ونهاية أمره أن يكون كافرا فانما اتفق علماء السنة على معاداته فالكافر من باب أولى .

ان تعريف هذه العقيدة المهمة (بغض الكافرين ومعاداتهم) راحلال مودتهم ومحبتهم مكانها اقامت الروح الجهادية في شباب المسلمين وأفقدتهم غيره الدينية والعزة الايمانية وهذا التعريف لبنة من لبنات العلمانية والانسانية والتعايش السلمى (٤) ونحو ذلك من الشعارات التي لا تقيم للعقيدة وزنا فأصبح الدين كأنه مسألة شخصية لكل انسان أن يعتقد ما يريد من غير تكبير ولا معاداة ولا مفاصلة . ولا شك أن هذا التعريف بذرة زرعها المستشرقون والمستعمرون وتههدوا بالسقى والحرق تلاميذهم من أبناء المسلمين نسأل الله أن يهدى ضال المسلمين وأن يرد الشاردين عن الصواب الي دِينهم الحق

(١) النوطن هما نوط الهجر الشرعي ، فالأول بمعنى الترك للمفكرات والثاني بمعنى العقوبة عليها وهو الهجر على وجه التأديب .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢٠٨ .

(٣) شرح السنة للبغوي ١ / ٢٢٧ .

(٤) مود يأتي والمراد بالانسانية التي يتشدد بها كثير من تلاميذ الاستعمار .

يقول الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى
في أثناء جواب لهما .

المسألة الحادية عشر : رجل دخل هذا الدين وأُعبه ولكن لا يعادي المشركين
أو طأدهم ولم يكفرهم أو قال أنا مسلم ولكن لا أقدر أن أكفر أهل لاله الا الله ولو لم
يصرفوا معناها ورجل دخل هذا الدين وأُعبه ولكن يقول لا أتعرض للقباب وأظلم أنهما
لا تنفع ولا تضر ولكن طأتمرضها .

الجواب : ان الرجل لا يكون مسلماً الا اذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه
وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم فبطأ أخبر به والاهه فيما نهى عنه وأمر به وآمن به وبطأ جاء
به فمن قال لا أعادي المشركين أو طأدهم ولم يكفرهم أو قال لا أتعرض لأهل لاله الا الله
ولو فعلوا الكفر والشرك وطأوا دين الله أو قال لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلماً بل
هو ممن قال الله فيهم (ريقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك
سبيلاً أذلك هم الكافرون عفا) والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومناذتهم
وتكفيرهم (١) ، ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي (ان الله تعالى عقد الأخوة والمؤالاة
والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن مؤالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين
وطغمة بين وطارقين وفيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم وهذا الأصل متفق عليه
بين المسلمين ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة فكل مؤمن موعود تارك لجميع
المكفرات الشرعية فإنه تجب محبته ومؤالاة ونصرتة وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب
الى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة فالولاء والبراء تابع للحب
والبغض والحب والبغض هو الأصل وأصل الايمان أن تحب فيه الله أنبياءه وأتباعهم وأن تبغض
في الله أعداءه وأعداءه (٢) ، وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمه الله (. . .) وعن

(١) الدرر السنية في الأهمية النجدية ١/٨ / ١١١١ .

(٢) الفتاوى والسعدية للسعدى ص ٤٨ .

ابن مسعود رضي الله عنه قال أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لفلان العابد أما زهدك في الدنيا فتمجلت به راحة نفسك ، وأما انقطاعك إلى فتعززت به فمأنا عطلت فسي مالى عليك قال يارب فمالك على قال هل واليت لى وليا أو عاديت لى عدوا وقد قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض أن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) قال بعض العلماء الفضلاء الفتنة في الأرض والشرك والفساد الكبير اختلاط المسلم بالكافر والمطيع بالعاصي فعند ذلك يغتل نظام الاسلام وتضمحل حقيقة التوحيد ويحصل من الشر ما الله به عليم فلا يستقيم الاسلام ويقوم قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرتفع علم الجهاد إلا بالحب في الله والبغض فيه وموالات أوليائه ومعاداة أعدائه والآيات الدالة على ذلك أكثر مما أن تحصر ، وأما الأعداء يث فأشهر من أن تذكر فضلها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعا (أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض فيه) ، وعن أبي ذر رضي الله عنه أفضل الايمان الحب في الله والبغض فيه وفي حديث مرفوع ((اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا ولا نعمة فيوده قلبى فانى وبيد شقيما أوميته الى) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ((المرء مع من أحب)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) وعن ابي مسعود البدرى رضي الله عنه مرفوعا ((لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي)) وعن علي رضي الله عنه مرفوعا ((لا يحب رجل قوما الا حشر معهم)) وقال صلى الله عليه وسلم : ((تقربوا الى الله ببغض أهل المصاحي وألقوهم بوجوه مكهبرة والتمسوا رضي الله بسخطهم وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم) وقال عيسى عليه السلام : ((تجبوا الى الله ببغض أهل المصاحي وتقربوا الى الله بالبعد عنهم وأطلبوا رضي الله بسخطهم)) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وهاذى في الله فأنما تتال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد لهم الايمان ولو كثرت مسلاته وصومه حتى يكون كذلك يعنى حتى تكون محبته وموالاته لله ومخضه ومعاداته لله قال رضي الله عنه وقد صارت عامة مواظبة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يوجد على أهله شيئا فانا كان هذا كلام ابن عباس وهو في غير القرون

فما زاد الأمر بعده الاشدة ومدا عن الغير كما قال صلى الله عليه وسلم لا يأتي على
الناس زمان الا والذي بعده شر منه بل كانت مولاة الناس اليوم ومحبتهم ومعاشرتهم على
الكفر والشرك والمعاصي فليعد رالعبد كل الحذر من الانهك مع أعداء الله والانبساط
معهم وعد الغلظة عليهم أو أن يتخذهم بطناء وأصحاب ولايات ويستنصح منهم فان ذلك
موجب لسخط الله ومقتته قال القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : (لا تتخذوا بطانة
من دونهم) نهى الله عبادة المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء
والبديح أصحابا وأعداء يفاوضونهم في الرأي ويسندون اليهم أمورهم (١)

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧/٢١٣٠

٤- حكم دار الحرب والكفر :

من الأحكام التي تنبسط فيها تلاميذ الاستشراق والاستعمار بغير علم حكم دار الحرب والكفر فاعتبروا دار الحرب هي التي تعلن الحرب على المسلمين فعلا ، أما الدولة الكافرة التي لا تطرس حرب المسلمين فعلا والتي تأمن فيها المسلمون لو دخلوها فليست بدار حرب عند هم وان لم يكن بينها وبين المسلمين عقد هدنة بل بلغ بهم الأمرا إلى اعتبار الدنيا دارا واحدة ولا مبرر لتقسيمها اذا لم يحصل اعتداء على بلاد المسلمين^(١) وعلى رأى هؤلاء ان روسيا الشيوعية ومن يسير في فلكتها وأمريكا الصليبية ومن يسير في فلكتها باستثناء اسرائيل ليستدارهم دار حرب وكفر يجب جهادها عند الاستطاعة ولو حصل صلح مع اسرائيل يصبح الجهاد ساقلا عن المسلمين تجاه جميع أمم الكفر مادام أن المسلمين يأمنون على حياتهم اذا نهبوا اليهم !! ، وهذا جهل منهم أو تجاهل بما هي دار الكفر التي يجب على المسلمين محاربتها دائما وأبدا حتى يخضعوها لسلطان الاسلام ان كان فيهم على ذلك قدرة . وقد قرر علماء الاسلام بأن دار الكفر هي الدار التي فيها الغلبة لأحكام الكفر وسلطانها أما الدار التي فيها الغلبة لأحكام الاسلام وسلطانها فهي دار الاسلام ولو لم يكن فيها الا أهل الذمة اذا كان الحاكم المصين عليهم من قبل أهل الاسلام يقيم فيهم حكم الله عز وجل ، يقول القاضي أبو يعلى (وكل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الاسلام فهي دار الكفر)^(٢) ، وجاء في كشف القناع ما يلي (وتجب الهجرة على من يعجز عن المنهاج دينه بدار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفر)^(٣) .

قلت : وقد يتوقف المسلمون عن جهاد دار الكفر والحرب لأهل معاهدة مؤقتة أو لأهل ضعف بالمسلمين وهذا التوقف لا يزيل عن دار الكفر أسما بل هي دار كفر وحرب

(١) أنظر السياسة الشرعية لمجد الوهاج بخلاف ص ٧ وأما ر الحرب في الفقه الاسلامي للزحيلي

١٩٤ وطبعها ٢٧٧ وما بعد ها من العلاقات الدولية لأبي زهرة .

(٢) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص ٢٧٦ .

(٣) كشف القناع ٤٣/٣ .

فان دار الفرس والروم كانت بالنسبة للمسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دار
كفر وعرب قبل أن يسير الرسول صلى الله عليه وسلم جيوشه لحربها ، وقبل أن يحصل منهم
اعتداء على المسلمين بل كل بلاد الكفر الخاضعة لغير حكم الاسلام فهي دار كفر وحرب
لها جميع أحكام دار الكفر حتى وان كان بينها وبين المسلمين مودة ك مكة في زمن صلح
الحديبية فهي دار كفر لأنها لا تجرى فيها أحكام الاسلام ولم تخضع لحكم المسلمين ، يقول
الشيخ حسن أيوب (ودار أهل الذمة تسمى دار اسلام لأنها محكومة باسمه وحاكمها مسلم
وهو ينفذ الأحكام الإسلامية العامة على أهل الذمة . . . بخلاف دار الصلح فانها دار حرب
كما كانت مكة بعد صلح الحديبية ولذلك لا صلحها بالاسلام بل هي في الغالب مضادة
له ومعاربة لولا عقد الصلح والهدنة) (١)

قلت : وما يدل على أن الدار الخاضعة لحكم الاسلام تعتبر دار اسلام وان كان أهلها
كلهم كفارا قصة خير فان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فتحها عين عليها وألها مسلما
يقيم فيهم حكم الله وأهلها هم اليهود وهم لا زالوا على كفرهم ، قال البخاري في صحيحه
باب استعمل النبي صلى الله عليه وسلم على أهل خير ثم روى بسنده عن أبي سعيد وأبي
هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بني عدي من الأنصار إلى خير فأمره عليها . (٢)
وقال ابن عزم (وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمان جهم غيرهم فلا يسمى الساكن
فيهم لامارة عليهم أولتجارة بينهم كافرا ولا مسيئا بل هو مسلم محسن ودارهم دار اسلام
لا دار شرك لأن الدار انما تنسب للغالب عليها والحاكم والمالك لها ولو أن كافرا مهاجرا
غلب على دار من دار الاسلام وأقر المسلمين على معالمهم الا أنه هو الطالك لها المنفرد بنفسه في
ضبطها وهو محتلن بدین غير الاسلام لكفر بالبقاء معه كل من طأونه وأقام معه وان ادعى
وان ادعى أنه مسلم) (٣)

(١) الجاد والفدائية في الاسلام لحسن أيوب ص ٢٧٧ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٧ / ٣٨٠ .

(٣) المحلى لابن عزم ١٣ / ١٤٠ .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن بنى عبيد القداح (. . . فانهم ظهروا على رأس الطاعة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية قاطمة وتزيا بزي الطاعة والجهاد في سبيل الله فتبعه أقوام من أهل المغرب وصار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده ثم ملكوا مصر والشام وأظهروا شرائع الاسلام وقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتيين لكن أظهروا أشياء من الشرك ومخالفة الشرع وظهر منهم ما يدل على نفاقهم فأجمع أهل العلم على أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع اظهارهم شعائر الاسلام وشرائعه وفي مصر من العلماء والعباد ناس كثير وأكثر أهل مصر لم يدخل معهم فيما أحدثه وهو ومع ذلك أجمع العلماء على ما ذكرنا حتى ان بعض أكابر العلماء المعروفين بالصلاح قال لو أن مئة عشرة أسهم لرميت بواحد النصارى المصارين ورميت بالتسعة في بنى عبيد ولما كان في زمن السلطان محمود بن زنكي أرسل اليهم جيشا عظيما فأخذوا مصر من أيديهم ولم يتركوا جهادهم لأجل من فيها من الصالحين فلما فتحها السلطان فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وصنف ابن الجوزي كتابا في ذلك سماه النصر على مصر وأكثر العلماء التصنيف والكلام في كفرهم مع ما ذكرنا من اظهار شرائع الاسلام الظاهرة ^(١) فهذا تصريح من الشيخ محمد بن عبد الوهاب باجماع العلماء على أن دار بنى عبيد دار حرب مع أن المسلمين فيها كثير وأمنون على أنفسهم اذ لم يعارضوا الحكومة كما أن المسلمين في دول الكفر اليوم يأمنون على أنفسهم اذ لم يعارضوا الحكومات وأنظمة البلاد الكفرية فما الذي صير بلاد بنى عبيد بلاد حرب وبلاد الكفار اليوم ليست بلاد حرب !!

ولقد أراد تلاميذ الاستشراق ولا ستمطار ومن تأثر بهم من تغييرهم لحكم دار الكفر والحرب تنويم مشاعر المسلمين المفلولين على أمرهم الذين يحكمهم الكفار بحيث يظنون أنهم في دار السلام لا دار كفر ولو شعروا أنهم في دار كفر وحرب لضاقوا ذرعا ولأعدوا المعدة لكى تصبح دارهم دار اسلام .

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٣/٨ .

وأرادوا رفع الجرح والمشقة عن كثير من أبناء المسلمين الذين يقطنون في ديار الكفار ويتجنسون بجنسيتهم فأوهموهم أن ديار الكفار ليست بدار حرب مادام المسلمون يأمنون فيها على أرواحهم إذا لم يعارضوا كفر تلك البلاد . وقد أفتى صنف من هؤلاء الذين تربوا على موائد الاستعمار بأن بلاد الهند أبان الاستعمار الانجليزي لم تصر دار كفر ولا يجوز الجهاد بالانجليز لأن الجهاد لا يحل في دار الاسلام يقول مولوى كرامت على (ان الهند دار اسلام ولا يسمح بالجهاد في دار الاسلام وهذا الأمر أوضح من أن يستدل عليه فلو عزم الضال أو فاقد الوعي على الجهاد ضد حكام الهند الانجليزية تعتبر تلك الحرب حرب بغاة وثورة ضد الحكومة مطاع الفقه الاسلامي القيام به ولذا لا تجوز مثل هذه الحرب فلو فرض أن قامت مثل هذه الحرب فيجب على المسلمين تأييد حكامهم للقضاء على البغاة وهذا الأمر واضح في فتاوى علكميرية (١) !! !!

وقد كتب الاستاذ عبدالله أحمد قادري فصلاً مفيداً في رسالته للدكتوراه حول دار الاسلام ودار الكفر جاء فيه ما يلي (أحب في هذا المبحث أن أكتب خلاصة أبين فيها معنى دار الاسلام ومعنى دار الكفر مطاعه فخره فقهاء الاسلام في هذا الباب ثم ذكر بعد ذلك المفهوم المحرف في أن هان طمة المسلمين وما يترتب عليه من آثار معوقة عن الجهاد في سبيل الله ثم ورد الى السؤال الآتي :

ألا يمكن العثور على آيات من القرآن الكريم يستتبط منها معنى الدارين دار الاسلام ودار الكفر وأخذت استعرض بعض آيات القرآن الكريم وتأمل فيما أظن أنه يتضمن ما قصدت

(١) ص ٣١٦ من كتاب مسلمو الهند تأليف وليم ولسن هنتر ترجمة صادق حسين السبي اللفة الأردنية وقد ترجم لي النص الى اللغة السويدية الطالب بالدراسات العليا بمكة خادم حسين وهو ثقة عندي وقد حفل الكتاب بمجموعة كبيرة من فتاوى تلاميذ الاستعمار كما يقول المترجم خادم المذكور ولكن أكتفيت بنقل واحدة منها للدلالة على البقية

فخرجت بطائفة - لم نستقص غيرها - ظهر لى منها جليا ما يمكن به وزن أى دار بأنها دار اسلام أو دار كفر . ولقاعدة العامة التى تجمع شتى المعانى التى دلت عليها تلك الآيات ان دار الاسلام هى الأرض التى تملو فيها كلمة الله يظهر توحيد هو لادته ويؤمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر وأن دار الكفر هى الأرض التى يظهر فيها الظلم وأعطى المظلم الشرك بالله وأعطى غيره حق التشريع والتحليل والتعريم فيما لم يأذن به . فتحارب بذلك الفضائل وأهلها ويمكن للزائل ويكرم أهلها ويؤمر فيها بالمنكر وينهى عن المعروف ويكفى أن تقتصر على سره تلك الآيات ولا إشارة الى ما توزن به دار الاسلام من المعانى الواردة فيها . ان كانت من هذا النوع أو الاشارة الى ما توزن به دار الكفر من المعانى ان كانت الآيات واردة فى هذا النوع ويظهر من آيات سورة الحج التالية أنهم قد جمعت بين الميزانين ، قال تعالى : ((ان الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقد ير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله طاقبة الأمور)) فقد نص الله سبحانه على المعنى العام الذى تصير به الدار دار كفر وهو الظلم - والمراد سيطرته لا مجرد وقوعه - وبين سبحانه أعظمه وهو الشرك وذكر بعض أجزاءه وهو اخراج المظلومين بدون حق وكذلك تهديم أماكن العبادة . ونص سبحانه على الأصول التى تنفر عنها المعانى التى تصير بها الدار دار اسلام وهى اقام الصلاة وهى رمز الطاعة لله وتوحيد هوقوة الحملة به وايتاء الزكاة وهى رمز لأداء الحقوق التى يأمر الله بأدائها ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما قاعدة الحفاظ على دين الله والذب عنه والدعوة اليه والجهاد فى سبيل الله من أجل رفع كلمته ، وقال تعالى : ((وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)) ، فالأرض التى يستضعف الكفار فيها المؤمنين بل وغير المؤمنين . الذين

يبلغ بهم الأمر أن يلحوا في دعاء الله ليخرجهم منها بسبب ذلك الظلم وذلك الاستضعاف - وهو لا يكون كذلك الا اذا سيطر الظلمة وأهل الكفر ونفذ وعدهم غير الله في الأرض - هذه الأرض أرض كافر ولو كان الكافر غير مسيطر فيها لوجد فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدافع عن المستضعفين ولعدم وجود ذلك أمر الله المؤمنين بقتال من استضعفهم في صورة انكار ظيهم اذا لم يقاتلوا ، وقال تعالى : (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتموتن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) فالأرض التي يسمون أرض الكفر الذين بيدهم السلطة فيها لا جبار المسلمين على العودة الى الشرك أو اخراجهم منها هي دار كفر وليست دار اسلام . وقال تعالى : ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتموتن في ملتنا قال أولوا كنا نارهين)) وهي كسابقتها ، وقال تعالى : ((ان الذين توفاهم الملائكة الى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسمة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)) فالأرض التي يستضعف فيها المؤمن ويجب عليه أن يهاجر منها ليست دار اسلام وانما هي دار كفر . وقال تعالى : ((ولو طما ان قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يتظلمون)) فالدار التي تعلن فيها الفاحشة ويفتخر بها وتصبح هي المد وحمة والمد عومة وتنتقص الفضيلة وتصبح سببا للعقاب واخراج أهلها من ديارهم والمفتنرون بالرييلة والمنتقصون للفضيلة هم كفرة يحاربون حكم الله وأهله مع تمكنهم وسيطرتهم لا يمكن أن تكون تلك الدار دار اسلام بل هي دار كفر وقال تعالى : ((وألقوا السجرة ساجين قالوا آما برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون أمتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتمون فوالمد ينقلت فرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين .

فالأرض التي يجبر نظام حاكمها أهلها على استئذانه في الإيمان بما تتيقنه قلوبهم
والاجوزوا هذا الجزاء الظالم دار كفر وليست دار اسلام . وقال تعالى : ((ان فرعون
علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم
انه كان من المفسدين ونريد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرون)) .

فالدار التي يعلو فيها شأن الكفار ويظهر فيها الفساد بايجاد أحزاب متصارعة
من أجل أضعافهم وهيمنة هذا الحاكم عليهم ويستضعف بعض أهلها فلا يجدون ناصرًا ولا أمرًا
بمعروف أو ناهيًا عن منكر بل صاحب المنكر هو الأمر الناهي المصادق لله ولعباده المؤمنين
هي دار كفر وليست دار اسلام وخلاصة الكلام أن دار الاسلام هي الدار التي يظهر
فيها حكم الله ويغتنق حكم الكفر وان دار الكفر هي التي يظهر فيها حكم الكفر ويغتنق حكم
الاسلام وهذا ما سجله فقهاء الاسلام في كتبهم ولكن يجب أن نبين هنا ما تصير به البلاد
الاسلامية دار كفر ، ولباحث يميل الى تلك القاعدة وهي (ان أى بلد كانت فيه
القوة والسلطان للكفار الذين يطبقون أحكام الكفر ويقصون أحكام الاسلام من حياة الناس
السياسية والاجتماعية والعسكرية ولا يستطيع المسلمون أن يطبقوا من أحكام الاسلام
الا ما اذن به ذوا السلطان الكفرة مما لا تعلق به كلمة الله ولا تسقط به راية الكفر فان ذلك
البلد الذي تحققت فيه هذه الأمور هو دار كفر وليس دار اسلام) ولو كان أغلب
سكانه مسلمين ولو كان حكم الكفر ينسبون أنفسهم الى الاسلام لأن العبارة في دار الاسلام
بظهور أحكام الكفر وتكون مناهج الحياة فيها هي مناهج كفر لا مناهج اسلام ولا يهولون القارئ
أن هذه القاعدة تنطبق على بلدان أغلب سكانها مسلمون يقيمون شعائر دينهم التي اذن لهم
بإقامتها حكاهم المعاربون لله ورسوله وللمؤمنين فان العبارة ليست بكثرة من ينتسب الى الاسلام
وانما هي بمن يطبق أحكامه ويظهرها وينصرها بعكس هذه المسألة وهو أن ينسب المسلمون
على بلد أغلب سكانه كفار فيقيمون في هذا البلد أحكام الاسلام وهم أقل من سكانه فانه يكون
دار اسلام وليس دار كفر فكذلك اذا استولت شرذمة من الكفار على بلد أغلب سكانه مسلمون فأقامت

تلك الشريعة في هذا البلد أحكام الكفر فانه يصير بلاد كفر وليس بلاد اسلام ومن
أوضح الأمثلة على ذلك البانيا التي لازالت أسوأ بعض حكماها أسوأ مسلمين وأغلب
سكانها مسلمون ولكن الزمرة الحاكمة فيها اشتطت في تطبيق أحكام أعظم كفر وجد على ظهر
الأرض وهو الالحاد الماركسي وانا كانت البانيا أصبحت دار كفر بذلك فما الفرق بينها وبين
بلدان أخرى في غير أوروبا تسير في نفس هذا السبيل ويعلن للملأ حكماها بأنهم لينينيون
ماركسيون أو علمانيون لا يعترفون بحكم الله في أي جزئية من الجزئيات وقد يخدرون المسلمين
بالان لهم بتطبيق بعض الأحكام التي لا يرون من تطبيقها ضررا على حكمهم الكافر
أن حكما تلك البلدان لو ظهر في بلادنا منهم أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان
ابن عفان وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبدالعزيز يدعون الى الاسلام لحاربوهم وقتلوهم
نصرا لنظام كفرهم الذي به بقوا مترجمين على كراسي الحكم فكيف تكون الدار التي يعكسونها
دار الاسلام بمعناه الحق . . . هذا وأن البلدان التي كانت دار اسلام ثم سيطر عليها
كفار يطبقون أحكام الكفر ويحاربون حكم الله نهى أولى بجهاد المسلمين لا طاعة لعلاء كلمة
الله فيها لاسيما اذا ان أغلب سكانها مسلمين مستضعفين وبهذا يظهر ان من المعاني
التي عرفت وجهل المسلمون حقيقتها معنى دار الاسلام ومعنى دار الكفر وأن كثيرا
من المسلمين يسيرون الكفار باظهار حكم الكفر ويحاربون الاسلام والمسلمين وهم يظنون
أن بلادهم دار اسلام بسبب ما يأن لهم به أولئك الحكام من اقامة بعض شعائر دينهم التي
يدركون أنهم لا خطر عليهم منها وانا أدركوا أن خطر ما سيتحقق من اقامة بعضها عليهم
أوضيقتوا الخناق على أهله ولو فقه المسلمون هذا المعنى لما غفلوا عن الاستعداد للجهاد
في سبيل الله واعداد العدة لطرد من دنسوا ديارهم باظهار أحكام الكفر فيها وقلبوها
الى ديار كفر بعد أن كانت دار اسلام (١)

(١) أنار حقيقة الجهاد في سبيل الله للقادي ٢/٦٨٢-٦٩١ .

٥ - حكم الرق :

من الأحكام الإسلامية المتعلقة بالجهاد التي عرفها تلاميذ الاستشراق ولاستعمار حكم الرق حتى أنا نرى بعض أولئك الضعاف المهازيل من قليلي العلم والتقوى - الذين أعجبوا بمبادئ الدول الغربية والشرقية من الدول الكافرة والملحدة - يعتدرون عن رب العالمين في تشريعة للجهاد ويعللون اباحة الاسلام للرق بتعليقات ساقطة من عندهم أنفسهم يدل عليها دليل من كتاب ولا سنة ولا قال بها أحد من علماء المسلمين ولا ممن جهلناهم قبل أن تدعو الدول الغربية الى الغاء الرق يقول الدكتور محمد عبد الجواد محمد (من الممروفيان بريطانيا كانت أول دولة الغت الرق وكان ذلك في سنة ١٨٣٢ م وتلتها أمريكا بالغائه في سنة ١٨٦٥ بعد انتصار الولايات الشمالية في الحرب ضد الولايات الجنوبية بسبب عدم موافقتها على الغاء الرق) وكانت (أي بريطانيا) تفرس هذا الالغاء على الدول الأخرى التي تستطيع فرض اراءها عليها كما حدث في مصر مثلاً أو الدول التي تعقد معها معاهدات أو اتفاقات دولية . وفي معاهدة جده بين جلالة ملك بريطانيا و جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتاريخ ١٨ من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هـ ٢ مايو سنة ١٩٢٧ م نصت المادة السابعة منها على أن يتعهد صاحب الجلالة ملك نجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق (١) ويقول الدكتور محمد البيهبي (فأول اعلان لالغاء الرق هو اعتبار الرقيق حراً اذنا ما وطقت قدماه مصيف الجزيرة الخاص بالأسرة المالكة في إنجلترا . وفي سنة ١٧٩٢ أعلنت الدانمارك كأول دولة غربية الغا تجارة الرقيق ثم تبعتها إنجلترا بوجه عام في سنة ١٨٠٨ هـ في المستعمرات البريطانية ثم في فرنسا في سنة ١٨٤٨ م وفي أمريكا قامت

(١) التأمر التشريعي في المملكة لمحمد عبد الجواد ص ٢٠٣-٢٠٥ .

الحرب الأهلية بسبب مشكلة الرقيق سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٤ بين بعض الولايات
 وبعض ٠٠ وفي ٣١ يناير سنة ١٨٦٤ وافق مجلس الشيوخ والنواب في أمريكا على إلغاء
 الرق وتجارة الرقيق (١) وهذا يظهر أن إلغاء الرق عموما وتحريمه دوليا بضاعة مستوردة
 من أوروبا وأمريكا اقتبسها العالم الاسلامي كما اقتبس غيرها من القوانين الوضعية التي تحرم
 تعدد الزوجات وتلغى القصاص وحد الزنا والسرقه ونحو ذلك فليتبه لهذا بعض المفرد وعين
 ممن يرتدون رداء العلم الذين يعتقدون عن الاسلام في تشريعه للرق ويمتلون ابا حتمه
 بأنها معاملة بالمثل فاذا كان الكفار لا يسترقون أسرانا فلا نسترق اسراهم بل وصل السخف
 ببعضهم الى أن أساء الأدب ووصف خير القرون بانحطاط الطبايح ان يقول الدكتور محمد
 عبدالجواد (ولذالك نستطيع أن نقرر أن وصول الانسان الى درجة استرقاق أغبيائه
 الانسان واعتباره مالا يباع ويشترى كالحيطان وغيره انما هي مرحلة من مراحل انحطاط
 الطبع البشري) (٢) ، أم علم هذا المأفون أنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي
 عهد خلفائه الراشدين (يباح الرقيق ويشترى) فهل أولئك منحة طباعهم وهل يظن
 هذا المأفون وأمثاله أن أوروبا وأمريكا أعرف بالعدالة وحقوق الانسان عندما ألغت الرق من
 العزيز الحكيم الذي أباحه للمسلمين ، لقد تماظم بعضهم أن ينطق بهذا الكلام
 فذهب يحرف نصوص الشريعة لكسب توافق ماقرته الدول الكافرة ويظن أنه بذلك صنع السى
 الاسلام معروفا حينما أظهره بمظهر الموافق للحضارة الغربية يقول وهبه الزحيلي (جاء الاسلام
 والحالة هذه عند الأمم المجاورة فلم يتمكن من إلغاء الرقيق في العالم حتى لا تصطدم
 دعوته مع أطول النفوس ولذا تضطرب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فيكثر المجادلون
 والممارضون وينتشر الفقر والعوز في المجتمع وتتعدد حينئذ جرائم العبيد قبل تحريرهم ولكن

(١) الاسلام والرق ص ١١١ .

(٢) التطور التشريعي في المملكة ص ٢٠٠ .

الاسلام الذي يقدر معنى الحرية ولذتها ويعتبر الأصل في الانسان هو الحرية
 الا أن من خصائص تشريعه التدرج في الأحكام فانه قد أقر مؤقتا واقع الأمر ولم يعج الرق
 دفعة واحدة ومضى في التدرج بالمسلمين فهياً أسباب للقضاء على الرق وحرم سائر مصادر
 ما عدا رِق الأسر بسبب العرب المعادلة لدفع العمد وان^(١) وحفظ التوازن مع الأمم الأخرى
 وما عدا الرق بسبب الوراثة والشن لا يبيح أن يسترق مسلم أصلا وهكذا قامت الدعوة
 المحمدية الرق مقاومة كانت بالتدرج أفضل في تهئية الضمير البشري للقضاء عليه من
 المفاجأة بالتحريم انبات وما أنه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة على اباحة الرق
 وان الاسترقاق بالسوجبة لشرعي لا يتأني منذ زمن لعدم وجود الحرب الشرعية المعادلة
 فان الاسلام لا يتعارض مع الغاء الرق من العالم اليوم^(٢) فهذا كذب صراح وافتراء
 على الاسلام فكيف يقول لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنة على اباحة الرق وكتب العلماء
 أهل الحديث وغيرهم طافحة بأحكام الرقيق وأحكام المعتق وأحكام أموالهم والاجماع منعقد
 على جواز استرقاق الكافر بل والمسلم الذي أبوه رقيق فهو رقيق الا أن يعتق وهل يظن
 هذا الكاتب أن المسلمين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عام ١٨٤٢م عندما وقعت
 اتفاقية دولية تعرم الرق كانوا يعطون غير مباح نصوص بالله من هذا التعريف المشين والتهم
 الباطلة التي توجه الي غير القرون رضى الله عنهم، أما قوله (وان الاسترقاق بالوجه
 الشرعي لا يتأتى منذ زمن لعدم وجود الحرب الشرعية المعادلة) فهذا كذب أيضا فكيف
 حكم على جهاد المسلمين منذ زمن بأنه ليس حرب شرعية عادلة الا يعتبر هذا المؤلف حرب
 المسلمين لا سرايل شرعية عادلة !! وأمثال الزعيلي كثير من أشهرهم شوقي أبو غليل فس
 كتبه الاسلام في قفص الاتهام . ولآن لنلق نظرة على حكم الرق عند علماء الاسلام ونبدأ بذكر

(١) لا تعجب أيها القارئ فكما اقتبس هذا المؤلف تعريم الرق من الغرب فقد اقتبس منهم أن
 الحرب لا تكون عادلة الا اذا كانت للدفاع ، اما اذا كانت لحمل الكفار طم الاسلام أو دفع
 الجزية فهم نالمة !!! ، والداهية الدهياء حمله هذا الاقتباس على الاسلام فيجمع
 بين منكرين .

(٢) آثار الحرب للزعيلي ص ٤٤٥ وطبع ١٩٥٥ .

أقوال علماء ما عرفوا ببريطانيا ومن سار في فلكتها ثم نتبعهم بأقوال علماء عرفوا ببريطانيا ومن سار في ملكها غير أنهم يأخذون الأحكام الشرعية من مصادرها لا من أهواء البشر ولا من القوانين الوضعية ولم يصيبهم الانبهار بما عند الكفار كما أصاب الزحيلي وعزبه .

يقول ابن رشد (وأما ما يجوز من النكاح في المدد وفأن النكاح لا تخلو أن تكون في الأموال أو في النفوس أو في الرقاب أعني الاستعباد والتملك فأما النكاح التي هي الاستعباد فهي جائزة بطريق الإبطاع في جميع أنواع المشركين أعني ذكرا منهم وناثمهم وشيوخهم وصبيانهم صغارهم وكبارهم إلا الرهبان فإن قوطا رأوا أن يتركوا ولا يؤسروا بل يتركوا دون أن يعرض اليهم بقتل ولا استعباد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " فذرهم وما عصبوا أنفسهم اليه " واتباع لفعل أبي بكر وأكثر العلماء على أن الامام مخير في الأسارى في عضال منها أن يمن عليهم ومنها أن يستعبد هم ومنها أن يقتلهم ومنها أن يأخذ منهم الفداء ومنها أن يضرب عليهم الجزية وقد حكى أبو عبيد أنه (يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم) لم يستعبد احرار ذكور العرب وأجمعت الصحابة بعده على استعباد أهل الكتاب ذكرا منهم وناثمهم (١) .

قلت : وما ذكره أبو عبيد مرجوح لما يلي : قال صديق بن حسن البخارى (ويجوز استرقاق العرب لأن الأدلة الصحيحة قد دلت على جواز استرقاق الكفار من غير فرق بين عربى وعجمى وذكر وأنشئ ولم يبق دليل يصلح للتمسك قط في تخصيص اسرى العرب بعدم جواز استرقاقهم بل الأدلة قائمة متكاثرة على أن حكمهم حكم سائر المشركين منها حد يثأبى هريرة في الصحيحين وغيرها () أنها كانت عند طائفة سبية من بنى تميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقبها فانها من ولد اسماعيل (٢) وأخرج البخارى وغيره () أن رسول الله

(١) بداية المجتهد ١ / ٣٨٢ .

(٢) قال لها الرسول ذلك لأن طيها عند رقبة من ولد اسماعيل ، أنظر فتح البارى ٥ / ١٢٤ .

صلى الله عليه وسلم قال حين جاء وفد هوازن مسلمين فسأله أن يرد عليهم أموالهم
وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الحديث إلى أصدقه فاختراروا
أهدى اللافقين ، أما السبى ، وأما المال)) الحديث وفي الصحيحين وفيه ما من
حديث ابن عمر ((أن بويرية بنت الحارث من سبى بنى المصطلق كاتبت عن نفسها ثم
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يتنصت كتابتها فلما تزوجها قال الناس اصهار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم من السبى)) . . . والحاصل أن الواجب
الوقوف على ما دللت عليه الأدلة الكثيرة الصحيحة من التخيير في كل مشرك بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق فمن ادعى تخصيص نوع منهم أو فرد من أفرادهم فهو مطالب بالدليل^(١)
أما العطاء الذين عرفوا بربطانيا ومن يسير في فلانها فلم يتأثروا بدعوتها لتحريم
الأرقاء وإنما أخذوا الأعداء الشرعية من مصادرها فكثير جدا منهم العالم الجليل الشيخ
محمد الأمين الشنقيطى حيث يقول (ومن هدى القرآن للتي هي أقوم ملك الرقيق
المعبر عنه القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة كقوله تعالى (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
أو ما ملكت أيمانكم) وقوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فانهم غير ملومين) في سورة قد أفلح المؤمنون ، وسأل سائل ، وقوله (والجار
نقى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) وقوله :
(والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله) الآية ، وقوله جلا وجللا (والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم . .) الآية وقوله (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل
بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) الآية ، وقوله (يا أيها النبى
انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليه) الآية
فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات ضحوها ملك الرقيق بالرق ومن الآيات الدالة

(١) الروضة الندية ، شرح الدرر البهية لحدائق حسن ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

على ملك الرقيق قوله (وضرب الله مثلا عبدا مملوكا . .) الآية وقوله (ولعبد مؤمن غير من مشرك . .) الآية ونحو ذلك من الآيات وسبب الملك بالرى هو الكفر ومহারبة الله ورسوله فاننا أقد ر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم وجميع قواهم وطأعاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار جعلهم طكا لهم بالسبي الا اذا اختار الامام المن والفداء لما فى ذلك من المصلحة على المسلمين . وهذا الحكم من أعـدـل الأحكام وأوضحها وأبهرها حكمه وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحده ويمتثلوا وأمره ويحسبوا نواهيه كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) وأسبح عليهم نعمه ظاهرة وباطنة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلم كفار ، وفى الآية الأخرى فى سورة النحل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله ففور رحيم) وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه كما قال تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وهتوا وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا واستعملوا جميع المواهب التى أنعم عليهم بها فوم حاربتهم وارتتاب ما يسخطه ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره وهذا أكبر جريمة يتصورها الانسان فمأقبتهم الحكم العدل اللطيف الخبير جل وعلا عقوبة شديدة تناسب جريمتهم فسلبهم التصرف ووضعهم من مقام الانسانية الى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات فأجاز بيعهم وشراءهم وغير ذلك من التصرفات المطلية مع أنه لم يسلبهم حقوق الانسانية سلبا كليا فأوجب على مالكيهم الرفق والاحسان اليهم وأن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون وان كلفوهم أعانوهم كما هو معروف فى السنة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم مع الايضا عليهم فى القرآن كما فى قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى) الى قوله (وما ملكت ايمانكم) وتشوف الشارح تشوفا شديدا للحرية والاخراج من الرق فأكثر أسباب ذلك كما أوجبه فى الكفارات من قتل خطأ والنهار ويمين وغير ذلك وأوجب سراية العتق وأمر بالكتابة فى قوله

(فكا تبوهم ان علمتم فيهم غيرا) ورجب في الاعتراف ترغيبا شديدا . ولو فرضنا (ولله المثل الأعلى) ان حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك بالرق وتشنع في ذلك على دين الاسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه بالنعم وتسدي اليه جميع أنواع الاعسان ودير عليها ثروة شديدة يريد بها اسقاط حكمها وعدم نفوذ كلمتها والحيلولة بينها وبين ما تريده من تنفيذ انظمتها التي يظهر لها أن بها صلاح المجتمع ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فانها تقتله شر قتله ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه فهو أشد سلبا لتصرفات الانسان ومنافعه من الرق بميراهل . والكافر قام ببذل كل ما في وسعه ليحول دون اقامة نظام الله الذي شرعه ليسيروا عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية وتنظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسامها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فعاقبه الله هذه المعاقبة بضمه التصرف ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك . فان قيل اذا كان الرقيق مسلطا فما وجه ملكه بالرق مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومعارضة الله ورسوله قد زال - فالجواب :

ان القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء ان الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق والأحقية بالأسبقية ظاهرة لاخفاء بها ، فالمسلمون عند ما غنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع وهو الحكيم الخبير ، فاذا استقر هذا الحق وثبت ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالاسلام مسبوqa بحس المباحث الذي سبقت له الملكية قبل الاسلام وليس من العدل والانصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه كما هو معلوم عند العقلاء نعم يحسن بالمالك ويحمل به أن يعتقه اذا أسلم وقد أمر الشارح بذلك ورجب فيه وفتح له الأبواب الكثيرة كما قد منا فسببان الحكيم الخبير (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) فقولته صدقا أى في الأخبار وقولته عدلا أى في الأحكام ولا شك أن من ذلك العدل الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن .

وكم من غائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم (١)

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما من بعد واما فداء حتى تشع الحرب أوزارها) في سورة محمد (لم يختلف المسلمون في جواز الطك بالرق ومعلوم أن سببه أسر المسلمين الكفار في الجهاد والله تبارك وتعالى في كتابه يعبر عن الطك بالرق بعبارة هي أبلغ المبارات في توكيد شوت ملك الرقيق وهي ملك اليمين لأن ما ملكته يمين الانسان فهو مملوك له تماما وتحت تصرفه تماما كقوله تعالى (فاذا غفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وقوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) . . . فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات كلها الطك بالرق والأحاديث والآيات بمثل ذلك يتعذر حصرها وهي معلومة فلا ينكر الرق في الاسلام الا مكابروا وطغوا ومن لا يؤمن بكتاب الله ولا بسنة رسوله . . . ومن المعلوم أن كثيرا من اجلاء علماء المسلمين وصعد شيوخهم الكبار كانوا أرقاء مطوكين أو أبناء أرقاء مطوكين فهذا محمد بن سيرين كان أبوه سيرين عبدا لأنس بن مالك وهذا مكحول كان عبدا لامرأة من هذيل فأعتقته ومثل هذا أكثر من أن يحصى كما هو معلوم . وأظن أن ما يدعيه بعض المتعصبين لنفي الرق في الاسلام من أن آية القتال هذه دللت على نفي الرق من أصله لأنها أوجبت راعدا من أمرين لا ثالث لهما وهما الممن والفداء فقط فهو استدلال ساقط من وجهين :-

أحد هما أن فيه استدلالا بالآية على شيء لم يدخل فيها ولم تتناوله أصلا ، والاستدلال ان كان كذلك فسقوطه كما ترى وايضا ذلك أن هذه الآية التي فيها تقسيم حكم الأسارى الى ممن وفداء لم تتناول قطعا الا الرجال المتأهلين من الكفار لأن قوله (فضرب الرقاب)

(١) أنصواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٣ / ٢٨٨ .

وقوله (حتى اذا أشختموهم) صريح في ذلك كما ترى وعلى أشخان هؤلاء المقاتلين رتب بالقاء قوله (فسد و الوثاق) الآية فظهر أن الآية لم تتناول أنثى ولا صغيراً البتة ويزيد ذلك ايضاً ما أن النهى عن مثل نساء الكفار وصبيانهم ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر أهل الرق في أقطار الدنيا انما هو من النساء والصبيان . ولو كان الذى يدعى نفي الرق من أصله يعترف بأن الآية لا يمكن أن يستدل بها على شيء غير الرجال المقاتلين لقصر نفي الرق الذى زعمه على الرجال الذين أسروا فى حال كونهم مقاتلين . ولو قصره على هؤلاء لم يمكنه أن يقول بنفي الرق من أصله كما ترى .

الوجه الثانى : هو ما قدمناه من الأدلة على ثبوت الرق فى الاسلام (١) ، ويقول الدكتور محمد البهى (وشأن النساء الرق فى اتفاق دولى شأن الغاء عقوبة الاعدام على القتل العمد أو عقوبة الزنا عند رضا الزانى والزانية أو عقوبة قطع اليد عند سرقة النصاب من محرز عند بعض الدول فالغاء الدول لا حدى هذه العقوبات أو جميعها لا يعيب تقدير الاسلام لعقوبات هذه الجرائم) (٢)

قلت : وما قاله البهى فهو الصواب فان الله قد أباح الرق باتفاق علماء المسلمين كما تقدم ولم يعطل اباحته للرق بأنه معاملة بالمثل كما يقول بعض المفتريين ولا لأجل ظروف معينة بل اباحه اباحة عامة وتوفى الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم الرق الاباحة وسار المسلمون على هذا ثلاثة عشر قرناً ، فما الذى نسخ حكم الاباحة الواجب التحريم ما أحل الله كتحليل ما حرم الله والذين يحرمون الرق هم كالذين يحرمون الطيبات من اللحم وسائر الملحومات - نسأل الله أن يرد المسلمين الى دينهم وأن يزيل عن أعينهم الانبهار بما عند الكفار من نظم ومعاملات وأن يرزقهم اليقين ولا ظمئان بما شرع الله لهم من أحكام وأنظمة . (٣)

(١) أضواء البيان للشنقيطى ٧ / ٤٢٠ .

(٢) الاسلام والرق للبهى ص ٢١ .

(٣) أنظر الفقرة السابعة من هذا الباب ((حكم الأسرى)) ففيها مزيد ايضاح حول

هذا الموضوع .

٦ - حكم الجزية :-

من الأحكام التي يتطلم تلاميذ الاستشراق والاستعمار ومن تأثر بهم من وجودها في القرآن والسنة وكتب الفقه - وإن لم توجد الآن في الواقع المعاش - حكم الجزية فهي عندهم كالرق يعتدرون عن رب العالمين في تشريعه لها ويذهبون في الاعتدال مذاهب شتى فمنهم من يقول ان الجزية نظام قديم والا سلام هذب به ونظمه ومنهم من يقول أنها بدل الخدمة العسكرية إذا دخل أهل الذمة في الجيش الاسلامي فلا جزية ومنهم من يقول انها لأجل انتفاع أهل الذمة بالمرافق العامة ومنهم من يقول يدفعها الكافر لأجل ولائه . (١) وهذه الأقاويل التي ينشرها أبناء المسلمين عن الجزية أخذوها عن المستشرقين حرفيا ولم يأخذوها من الكتاب والسنة فاستمع الى المستشرق توماس أرنولد ان يقول عن الجزية (لم يكن الغرض من فرض الجزية على أهل الذمة كما يريدنا بعض الباحثين على الظن لونا من ألوان العقاب لامتاعهم عن قبول الاسلام وانما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رطيا الدولة التي كانت تعول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كلفتها لهم الدولة الاسلامية) (٢) ، ويقول أيضا (وقد فرضت الجزية على القادريين من الذكور بمقابل الخدمة مقابل العسكرية التي كانوا يطالبون بأدائها ، ومن الواضح أن آية جماعة مسيحية كانت تحفى من أداء هذه الضريبة اذا ما دخلت في خدمة الجيش الاسلامي) (٣) ويقول جرجي زيدان (الجزية ليست من معدات الاسلام بل وضعها الرومان على الأمم التي أخضعوها وكانت أكثر كثيرا مما وضعه المسلمون بعدئذ) (٤)

- (١) أنظر هذه الأقاويل في كتاب الجزية في الاسلام للدكتور محمد يوسف النجراسي ص ٧-٥٨ ، وكتاب حرية الاعتقاد لجمال البنا ص ٨٦ ، وكتاب غير المسلم في المجتمع الاسلامي للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٣ ، وكتاب العلاقات الدولية في الاسلام للدكتور ص ٢٩٦ ، وكتاب شريعة القتال لعثمان الشرقاوى ص ٤٢ .
- (٢) الدعوة الى الاسلام لأرنولد ص ٧٩ . (٣) المصدر السابق ص ٥٥ .
- (٤) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ص ١٦٩ .

أما الجزية عند علماء الاسلام فلها شأن آخر على رغم أنوف المستشرقين وأنابهم من أبناء المسلمين ، يقول ابن حجر (قال العلماء الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم يحطهم على الدخول في الاسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الاسلام)^(١) ، وقال البخاري وهم صاغرون يعني أن لا^٢ وقال الشافعي المراد بالصغار التزام حكم الاسلام يقول ابن حجر مفسرا لكلام الشافعي وهو يرجع الى التفسير اللغوي لأن الحكم على الشخص بما لا يعتقد ويضطر الى احتطاله يستلزم الذل^(٢) ، وقال ابن القيم (فالجزية هل الخراج المضروب على رؤوس الكفار ان لا لا وصغارا . . .

وأختلف الناس في تفسير الصغار الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية فقال عكرمة أن يدفعها وهو قائم ويكون الآخذ جالسا وقالت طائفة أن يأتيها بنفسه ماشيا لراكبا ويطلب وقوفه عند اتيانها ويجر الى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجرده ويمتنع ، وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك والسواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الطلقة عليهم واعطاء الجزية فان التزام ذلك هو الصغار ، وقد قال الامام أحمد في رواية هنبل كانوا يجرون في أيديهم ويفثمون في أعناقهم اذا لم يؤدوا الصغار الذي قال الله تعالى : ((وهم صاغرون)) وهذا يدل على أن الذي اذا بذل ما عليه والتزم الصغار لم يحتج الى أن يجربيه ويضرب . وقد قال في رواية مهنا بن يحيى : يستحب أن يتعبوا في الجزية قال القاضي ولم يرد تعذيبهم ولا تكليفهم فوق طاقتهم وانما أراد الاستخفاف بهم وان لا لهم .

قلت : - القائل ابن القيم - لما كانت يد المصطفى العليا بيد الآخذ السفلى أحرز الأئمة

(١) فتح الباري لابن حجر ٦ / ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق .

أن يكون الأمر كذلك في الجزية وأخذوها على وجه تكون يد المصطفى السفلى ويؤد الآخذ العليا ، قال القاضي أبو يعلى : وفي هذا دلالة على أن هؤلاء النصارى الذين يتولون أعمال السلطان ويظهر منهم الظلم والاستعلاء على المسلمين وأخذ الضرائب لخدمة لهم وأن دماهم مباحة لأن الله تعالى وصفهم باعطاء الجزية على وجه الصغار والذل . وهذا الذي استنبطه القاضي من أصح الاستنباط فان الله سبحانه وتعالى مد القتال الى غاية وهي اعطاء الجزية مع الصغار فانما كانت حالة النصراني وغيره من أهل الجزية منافيه للذل والصغار فلا عصمة لدمه ولا ماله وليست له ذمة ومن هنا اشتراط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط التي فيها صغارهم وأن لا لهم وأنهم متى خرجوا عن شيء منها فلا عهد لهم ولا ذمة وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل الشقاق والمماندة (١) .

ولقد عجبت من الشيخ أبي الأعلى المودودي رحمه الله أشد العجب عندما قرر أن لأهل الذمة انتقاد الدين الاسلامي مثل ما للمسلمين نقد مذاهبيهم ونحلهم وأن لهم حرية الخطابة والكتابة ونحو ذلك (٢) مع ما هو معروف عنه رحمه الله من حسن فهم للاسلام وابتعاد عن حيايل الاستشراق والاستعمار ولكن العصمة لمن عصم الله . ولم يكن المسلمون ليرضوا من أهل الذمة القذح في الاسلام وتشويه معالمه وبليلة أفكار المسلمين ومن أطلع على الشروط العمرية التي تلتقتها الأمة الاسلامية بالقبول - وهي سنة خليفته راشد بار - عرف قدر أهل الذمة ومكانتهم في المجتمع الاسلامي قبل استئسادهم بسبب انحراف المسلمين عن دينهم حتى أصبح حال المسلمين اليوم عند الأمم الكافرة أشبه بحال أهل الذمة قديما عند الأمة الاسلامية بل أنكى وأشد . وها هي ذر الشروط العمرية

(١) أحكام الذمة لابن القيم ج ١ / ٢٣-٢٥ .

(٢) أنظر كتاب أبي الأعلى المودودي ((حقوق أهل الذمة في الدولة الاسلامية ص ٣٢)) .

الصينة للمغار الذي ألزم به أهل الذمة حتى يسلموا قال ابن القيم : قال عبد الله
ابن الامام أحمد حدثني شرحبيل الحمصي عيسى ابن خالد قال حدثني عمراً باليمن
وأبو المنيرة قال أخبرنا اسماعيل بن عياش قال حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا
كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غنم ((انا حين قدمت بلادنا طلبنا اليك الأمان
لأنفسنا وأهل ملتنا على انا شراننا لك على أنفسنا الا نحدث في مد ينتنا كنيصة ولا فيما
حولها ديرا ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجد ما غرب من كنائسنا ولا ما كان منها في خطط
المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان ينزلوها في الليل والنهار وأن نوسع أبوابها
للطارة وابن السبيل ولا نؤوى فيها ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نضرب
بنوا قيسنا الا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا ولا نلهمر عليها صليبا ولا نرفع أصواتنا في الصلاة
ولا القراءة في كنائسنا فيط يحضره المسلمون ولا نخرج صليبا ولا كتابا في سوق المسلمين
ولا نخرج باعوثا - قال والباعوث - يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر -
ولا شعانين ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نلهمر النيران معهم في أسواق المسلمين ولا نجاورهم
بالخنازير ولا يبيع الخمر ولا نلهمر شركا ولا نرغب في ديننا ولا ندعوا إليه أهدا (١) ولا نتخذ
شيئا من الرقيق الذي بعرت عليه سهام المسلمين ولا نمنع أهدا من أقرابنا أراد والدخول
في الاسلام وأن نلزم زينا حيثما كنا ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلمين
ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتنن بكناهم وأن نجزم مقاوم رؤوسنا ولا نفرق
نواصينا ونشد الزناير على أوساطنا ولا ننقش عواتنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ
شيئا من السلاح ولا نعلمه ولاتتخذ السيوف وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشد هم الطريق
ونقوم لهم عن المجالس أن أرادوا الجلوس ولا نطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم أولادنا القرآن

(١) تارة بين هذا وبين ما قاله المودودي من السماح لأهل الذمة بالقدح في الاسلام وحرية
الكتابة والخطابة كما تقدم . أنها زلة عظيمة وغلطة فاحشة فعلى شباب الحركة الاسلامية
الا يتبعوه في هذا الخطأ فالحق أن يتبع .

ولا يشارك أحد منا مسلماً في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد ضمناً لك ذلك على أنفسنا ونذاريننا وأزواجنا ومساكيننا وأن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا وقد جعل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقان ((فكتب بذلك عبدالرحمن ابن غنم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه عمر ((ان أمضى لهم ما سألووا والحق فيهم عرفين اشتراطهم ما طيبهم مع ما شرطوا على أنفسهم : الا يشتروا من سبايانا ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده)) فأنفذ عبدالرحمن بن غنم ذلك وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط وشهرة هذا الشرط، تفنى عن اسنادها ، فان الأمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ولم يزل نكر الشرط العمري على ألسنتهم وفي كتبهم وقد أنفذها بعده الخلفاء وعطوا بموجبها وذكر ابن المبارك عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن علياً رضي الله عنه قال لأهل نجران أن عمر كان رشيد الأمر ولن أغير شيئاً صنعه عمر ، وقال الشعبي قال علي حين قدم الكوفة ما جئتم لأهل عقد تشدوا عمر (١)

٧ - حكم الأسرى :-

تنص لائحة الحرب البرية التي وقعت سنة ١٩٠٧ م والتي وافقت معظم الدول على مضمونها في معاهدة جنيف الموقعة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ م على أنه لا يجوز قتل المقاتلين الذين يلقون بسلاحهم ويرضخون للعدو أو يستسلمون له ولا يقاومون أخذهم أسرى حرب وبأن المبالغ النقدية والأشياء النفسية التي يحطها الأسير لا تعد من غنائم الحرب إن تلتزم الدولة الأسره بربها عند انتهاء حالة الأسرى غير ذلك من التشريعات الجاهلية^(١).

وقد أفرج تلاميذ الاستشراق والاستعمار ومن تأثر بهم مخالفة أحكام الأسرى في الاسلام لتلك التشريعات الصادرة من الدول المتحضرة على زعمهم والتي يفترضون في تشريعاتها منتهى الرقى والتقدم فانقسموا حيال أحكام الأسرى في الاسلام قسمين :-

قسم لمن في أحكام الاسلام صراحة وهذا أخف ضررا لأنه مكشوف للمسلمين الذين يعيبون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقسم تلون كما تتلون العرباء وعرف الكلم عن مواضعه ليطوع أحكام الاسلام حتى توافق التشريعات الجاهلية الحديثة التي يراها التلاميذ بعين الإعجاب والرضا وهذه أمثلة من القسمين :-

القسم الأول : يقول الدكتور على صادق أبو هيف (كانت الهمجية في العصور الأولى تدفع الدول المتطاربة الى قتل الأسرى ثم رؤى بعد ذلك الانتفاخ بهم فحل الاسترقاق محل القتل ثم أصبح يمكن افتداء الأسرى بالمال واستمر التطور تحت تأثير فكرة الانسانية والشرف حتى أنتهى الى اقرار الاكتفاء بحجز الأسرى أو وضعهم تحت المراقبة مع العناية بهم حتى يتقرر الافراج عنهم في نهاية الحرب وتخضع معاملة أسرى الحرب في الوقت الحالي للقواعد التي وضعتها لائحة لاهاي للحرب البرية (المواد ٤ - ٢٠) ولا تفاقية جنيف المبرمة

(١) أنظر هذه التشريعات المخالفة للكتاب والسنة في كتاب أسرى الحرب لعبد الواحد الفار وكتاب القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٨١٨ وما بعد ها .

في ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ م بشأن معاملة الأسرى (١) ، فانظرأيها القارئ الكريم كيف جعل هذا المأفون من يقتل الأسير أو يسترقه تدفعه الهمجية ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قتل بعض الأسرى واسترق بعضا قطعاً فأين يذهب هذا الكاتب من الله عز وجل بعد أن يصف رسوله بأنه تدفعه الهمجية (كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولوا الا كذبا) (٢)

ويقول الدكتور محمد عبد الجواد محمد (فنحن نرى أن الرق قد أصبح حرماً بعد أن وافقتك ول جميعها على الغائه ويمكن اعتبار نظام الرق في الاسلام كنظام المؤلفه قلوبهم وقد اجتمعت النظامان الى غير رجعه) (٣) .

قلت : هل اذا اجتمعت الدول على تحريم شيء أو تحليله يكون فعلها حجة على الاسلام ؟!

ان الدول اليوم اجتمعت على اباحة الربا والمغازي وتداد تجمع على اسقاط القصاص وسائر الحدود فهل يحل الربا لاجتماع الدول عليه ؟ !!
وأما تمنى الكاتب أن يختفى نظام الرق والمؤلفه قلوبهم الى غير رجعة فقد أخبرنا الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم بأن الجهاد ما من الى يوم القيامة وما بقى الجهاد فسوف تبقى أحكامه .

أما القسم الثاني فما أكثرهم ! ومنهم الدكتور عبد الواحد الفارحيث يقول - بعد تأويلات باردة لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم لبنى قريظة منها أنهم بغاة ! أو أنه شرع في حكمهم حكم خاص استثناءً من القاعدة العامة - (ومن هذا العرض ينلهم لنا أن قتل الأسرى في الفقه الاسلامي أقرب الى التبريم منه الى الاباحه) (٤) وهذا العرض الذي ذكره

(١) القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٨١٨ .

(٢) الكهف آية ٥ .

(٣) التطور التشريعي في المملكة للدكتور محمد عبد الجواد ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٤) أسرى الحرب للفرار ص ١٩١ .

الدكتور ان دل على شيء فانما يدل على فهمه الدقيق للقانون الوضعي وبجمله الشديد بالشريعة الاسلامية . ومنهم الدكتور وهبه الزعيلي حيث يقول (الثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يمين على بعض الأسارى ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال أو بالأسرى وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة العامة وبراء ملاءمة لرجال المسلمين فهل كان ذلك الفعل تشريعاً دائماً أم هو من قبيل الأحكام التي تتغير بتغير الزمان والمكان)^(١)
 يا سبحان الله ألا يعرف الدكتور ! ان تشريعات الرسول صلى الله عليه وسلم اذا مات قبل أن تتسخ فانها دائمة الى يوم القيامة وهل يعقل أن تصبح الخمر في يوم من الأيام حلالاً بعد أن كانت في عهد رسول الله عليه وسلم حراماً أن قصد المؤلف من قوله هذا هو التمهيد للانقضاء على أحكام الأسرى وقد فعل فاستمع اليه وهو يقول (ان فقتل الأسرى في الاسلام أقرب الى التحريم منه الى الاباحة)^(٢) وأنظر الى التناقض في قوله هذا وقوله السابق (الثابت من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان يمين على بعض الأسارى ويقتل بعضهم) ، ويقول أيضاً (بما أنه لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة على الاباحة الرقيق ...)^(٣) يا سبحان الله ألم يطلع المؤلف على ما في صحيح البخارى باب بيع الرقيق وما أورد تحت هذا الباب من أحاديث !! اذا لم يكن الرقيق مباحاً فهل يظن أن الصحابة كانوا يبيعون معرطاً ويأكلون ثمنه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اذا حرم شيئاً حرم ثمنه .

بيد ولى أن القضية ليست قضية أدلة شرعية التبتت على هؤلاء القوم وانما هي قضية أهواء وأغراض وأعجاب بما شرعه الكفار نسأل الله جعلت قدرته أن يمافينا ما ابتلاهم به .
 ومنهم عفيف عبدالفتاح طباره حيث أجهد نفسه في كتابه روح الدين الاسلامي لأجل

(١) آثار الحرب للزعيلي ص ٤٢٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

أن يجعل الاسلام يوافق التشريعات الحديثة التي اتفقت عليها الدول المتحضرة !!
 فبين في كتابه أن القانون الدولي يمنع الاجهاز على الجرحى ، وقرر قواعد حسن معاملة
 الأسرى وعدم مسهم بأننى فلا يجوز قتلهم ولا جرحهم ولا اساءة معاملتهم أو تعذيبهم اذا سلموا
 أنفسهم أو صودرت ممتلكاتهم قرر بعد ذلك أن الاسلام يوافق على هذه التشريعات (١) -
 كأنى بهذا الكاتب وأمثاله يقولون بعد جهدهم هذا هل تستطيعون أيها الغربيون أن تتهموا
 الاسلام بالرجعية والجمود والهمجية والتخلف وهو يوافقكم فى أغلب تشريعاتكم !! وقد يكون
 دافع بعضهم الاغلام والهار الاسلام بالمظهر اللائق أمام الأعداء . ولكن الا يعلمون
 أن الاسلام يخالف تلك الدول ((المتحضرة)) ! فيما هو أكبر من التشريعات انه يخالفهم
 فى توحيد الالهية فالله الحق المعبود المشرع المطاع عند المسلم هو الله وعند الدول -
 المتحضرة ! - مجلس النواب ومجلس الشيوخ هما الالهان الحاكمان المشرطان لأغلب الأنظمة
 والقوانين وهناك الهة متعددة تحكم حياة الدول المتحضرة ليس الله من بينها فى أغلب
 الأحيان . فأى عذمة قدمت للاسلام اذا كان غاية ما يريد أن يصل اليه بعض زاررى المسلمين
 أن يجعلوا تشريعات البشر الجاهلية كتشريع الله (ليس كمثلته شئ وهو السميع
 البصير) وبعض الكتاب من أبناء المسلمين يحاطون أن يجعلوا الاسلام يقرب من تشريعات
 الدول المتحضرة ! فتأديا لهجوم تلك الدول على تشريعات الاسلام ولكن يرضوا عنهم ولكن
 ينبغى لهم ألا يتعصبوا أنفسهم فلن يرضوا عن المسلمين حتى يوافقوهم فى كل شئ ويجعلوا
 لهم أربابا من دون الله تشرح الأنظمة والقوانين وقد فعل معظم المسلمين ذلك لأجل كسب
 رضا تلك الدول والبقية فى الطريق (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (٢)
 نسأل الله العلى القدير أن يرد المسلمين الى دينهم ردا حميدا .

(١) أنظر كتابى الدين الاسلامى لطباره ص ٣٩٨-٣٩٩ .

(٢) سورة البقرة . ١٢٠ .

ومنهم توفيق على رهيبه حيث يقول (ونهى الاسلام عن قتل الاسرى والانتقام منهم أو تعذبهم وانما يحجزون حتى لا يقاتلوا المسلمين في صفوف المشركين وبعد أن ينتهي العرب فلولى الأمران يتصرف فيهم بأحد أمرين أولهما المن ثانيهما الفداء ولم يفرض الاسلام استرقاق الأسرى فلم ينشئ النبي صلى الله عليه وسلم الرق على حراً ابداً ولكنه حرر ما كان عنده من رقيق في الجاهلية كما أعتق كل رقيق أهدى إليه فالقرآن لم يفرض الرق ولم ينه عنه ولكن ترك ذلك دون أمر وكذا النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم استرقاق الأسرى وإن كان لم يمنع ذلك نجد أن الخلفاء الراشدين وبعض عكسهم المسلمين من بعدهم استرقوا الاسرى وذلك من قيل المعاملة بالمثل فإنا كان المشركون يسترقون أسرى المسلمين أبيع للمسلمين استرقاق أسراهم معاملة بالمثل ويحرم استرقاق الأعداء إذا لم يسترقوا أسرى المسلمين هذا موقف الاسلام من الأسرى يعاملهم معاملة انسانية رقيقة . . لا يعذبهم ولا يقتلهم ولا يسترقهم (١) ، وما يلاحظ على هذا الكلام من هذا الكاتب التناقض الفاضح فقد قال (ولم ينه عنه) أي عن الرق ثم يقول هو (ويحرم استرقاق الأعداء إذا لم يسترقوا) والتحريم حكم شرعي فما هو دليله عليه وكذلك قوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم (لم يقر استرقاق الأسرى وإن كان لم يمنع) فإذا لم يمنع فهو مقرر له فإنا بلح الرسول صلى الله عليه وسلم أمر فعله المسلمون فلم ينكره فهو إقرار منه صلى الله عليه وسلم وهو لا يقدره باطلاً وخلاصة الكلام أن ما ذكره هذا الكاتب وأمثاله يشتمل على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الاسلام وذلك لما يلي :-

أولاً : ثبت بالأدلة القطعية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل بعض الأسرى كما في موقعة بدر وغيرها .

(١) الجهاد في الاسلام لتوفيق على رهيبه ص ١١٥-١١٧ .

ثانيا : ثبت بالأدلة الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرّ استرقاق الأسرى كما في غزوة بنى المصطلق وحنين وغير ذلك .

ثالثا : التعليل بأن الاسترقاق لا يكون الا معاملة بالمثل من عند الكاتب وحزبه ولم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباع التابعين ولا غيرهم من علماء الاسلام ولم يوجد في كتب علماء الاسلام هذا التعليل قبل القرن الثاني عشر الهجري فمن أين لهذا الكاتب ذلك التعليل ولماذا لا يطبق تعليله على الغنيمة مثلا فيقول اذا أخذنا أموالنا أخذنا أموالهم واننا لم يأخذوا أموالنا يعرم أخذنا أموالهم وما رأى الكاتب في النظام الذي يعرم أخذ ما يملكه الأسير من أشياء نفيسة !! هل يوافقهم على ذلك أم يجعل ما يملكه الأسير من باب الغنيمة .

رابعا : قول هؤلاء المفتونين أن الاسلام لم يوجب الرق ولا قتل الأسرى لا ينفعهم فيما ذهبوا اليه من تحريم الرق وتحريم قتل الأسرى فان الاباحة حكم شرعي وما باعته الاسلام لا يحل لعبد يؤمن بالله والدار الآخرة أن يعمره ومن حرم ما أباح الله من عند نفسه فقد نصب نفسه ربا من دون الله يشرع للناس الأحكام وهل كفر اتباع الأخبار والرهبان الا لأجل متابعتهم على التحليل والتحريم الذي هو من خصائص الله فمن أعطى حق التحليل والتعريم لأحد غير الله وغير رسوله فقد عبده من دون الله . ولو طردنا قياس قولهم لباذل للمسلمين أن يتفقوا على تحريم اللبن واللحم ونحو ذلك فان الله أباح أكلها ولم يوجبه !!

خامسا : أما قولهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد الرق نظاما عالميا فلم يستطع أن يغيره في الحال فهو قول بلا برهان فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة اننا لانستطيع القضاء الرق الآن فاننا سمعنا النروف فأنفوه والرسول صلى الله عليه وسلم وجد الشرك نظاما عالميا فغيره فهل يتصور أن يغير الرسول صلى الله عليه وسلم الشرك ويعجز عن تغيير نظام الرق ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمت الا بعد

أن أكمل الله به الدين ومن زعم أن الرق وقتل الأسرى استمر مباحا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حرم بعد ذلك فقد زعم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي وماكمل الدين . وأن زعم أنه حرم ذلك في حياته فقد أتهم الصحابة بما فيهم الخلفاء الراشدون الأربعة بالاجماع على مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا من أقبح القول وأخبثه واليهك أيها القارئ الكريم أقوال علماء الاسلام في أسرى العرب :-

قال أبو بكر الجصاص (اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير لانعلم بينهم خلافا فيه وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل الأسير منها قتله عقبه ابن أبي معيط والنضر بن السمارت بعد الأسر يوم بدر وقتل يوم أحد أبا عزة الشاعر بعد ما أسر وقتل بني قريظة بعد نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بالقتل وسبى الذرية ومن علي الزبير بن باظا من بينهم وفتح خير بعضها صلحا وبعضها عنوة وشرط علي ابن أبي الحقيق أن لا يكتم شيئا فلما ظهر على خيانتته وكتمانه قتله وفتح مكة وأمر بقتل هلال ابن خنسل ومقيس بن صباية وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وآخرين وقال اقتلوهم وأن وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة ومن علي أهل مكة ولم يغنم أموالهم وروى عن صالح بن كيسان عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف أنه سمع أبا بكر الصديق يقول وددت اني يوم أتيت بالفجاءة لم أكن عرقنة وكنت قتلته سريحا أو أطلقته نجيفا وعن أبي موسى أنه قتل دهقان السويدي بعدما أعطاه الأمان على قوم سطا هم ونسى نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله فهذه آثار متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي استبقائه واتفق فقهاء الأمصار على ذلك (١)

وقال السيوطي (وأخرج عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر وابن مردويه عن ليث رضي الله عنه قال قلت لمجاهد بلغني ان ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يحل قتل الأسارى

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٣٩١ .

لأن الله تعالى قال فاما ما بعد واما فداء فقال مجاهد لا تعباً بهذا شيئاً أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم ينكر هذا ويقول هذه منسوخة انما كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فأما اليوم فلا . يقول الله (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (فانا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) فان كانوا من مشركي العرب لم يقبل منهم شيء الا الاسلام فان لم يسلموا فالقتل واما من سواهم فانهم اذا أسروا فالمسلمون فيهم بالخييار ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استحيوهم وان شاءوا فادوهم انما لم يتحولوا عن دينهم فان أظهروا الاسلام لم يفادوا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الصغير والمرأة والشيخ الفاني (١) ، وقال الشوكاني : (والحاصل أنه قد ثبت في جنس أسارى الكفار جواز القتل والمن والفداء والاسترقاق فمن ادعى أن بمعنى هذه الأمور يختص ببعض الكفار دون بعض لم يقبل منه ذلك الا بدليل ناهي يخصص العمومات (٢)

وقال ابن قدامة (من أسر من أهل الحرب على ثلاثة . أحدها : النساء والصبيان فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقاً للمسلمين بنفس السبب لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان " متفق عليه ، وكان عليه السلام يسترقهم اذا سباهم .

الثاني : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية فيخبر الامام فيهم بين أربعة أشياء القتل والمن بغير عوض والمفاداة بهم واسترقاقهم .

الثالث : الرجال من عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقرب بالجزية فيخبر الامام فيهم بين ثلاثة أشياء القتل أو المن أو المفاداة ولا يجوز استرقاقهم . وعن أحمد جواز استرقاقهم

(١) الدر المنثور للسيوطي ٤٦/٦ .

(٢) نيل الأوتار للشوكاني ٨/٨ .

وهو مذهب الشافعي فيما ذكرنا في أهل الكتاب قال الأوزاعي والشافعي وأبو ثور
وعن مالك كمن هبنا وعنه لا يجوز المن بخير عوض لأنه لا مصلحة فيه وإنما يجوز للإمام فصل
ما فيه المصلحة وحكي عن الحسن وعطاء وسعيد بن جبير كراهة تثل الأسرى وقتلوا لومس
عليه أو فاداه كما صنع بأسارى بدر ولأن الله تعالى قال (فشدوا الوثاق فإما منا بعد
وإما فداء) فخير بين ذلك بين بعد الأسر لا غير ، وقال أصحاب الرأي إن شاء ضرب أعناقهم
وإن شاء استرقهم لا غير ولا يجوز من ولا فداء لأن الله تعالى قال (اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم) بعد قوله (فأما منا بعد وإما فداء) وكان عمر بن عبد العزيز وعيسى
ابن عتبة يقتلان الأسارى ولنا علي جواز المن والفداء قول الله تعالى (فأما منا بعد وإما
فداء) وإن النبي صلى الله عليه وسلم من علي ثامة بن أثال وأبي عزة الشاعر وأبو العاص
ابن الربيع وقال في أسارى بدر لو كان مطعم بن عدي حيا ثم سألتني في هؤلاء المنتسبي
لأهلكتهم له . وفادى أسارى بدر وثانوا ثلاثة وسبعين رجلا كل رجل منهم بأربع مائة
وفادى يوم بدر رجلا برجلين وصاحب العضباء برجلين ، وأما القتل فلأن النبي صلى الله عليه وسلم
قتل رجال بني قريظة وهم بين الستائة والسبعائة - وقتل يوم بدر النصر بن الحارث
وعقبه بن أبي محيط صبيرا وقتل أبا عزة يوم أحد وهذه قصص عمت واشتهرت وفعلها النبي
صلى الله عليه وسلم مرات ويهود ليل على جوازها ولأن كل خطبة من هذه الخصال قد تكون
أصلح في بعض الأسرى فإن منهم من له قوة ونكاية في المسلمين ويقاؤه ضرر عليهم فقتله
أصلح ومنهم الضعيف الذي له مال كثير ففداه أصلح ومنهم حسن الرأي في المسلمين يرجى
إسلامه بالمن عليه أو محبته للمسلمين بتخليص أسراهم والدفع عنهم فالمن عليه أصلح ومنهم
من ينتفع بخدمته ويؤمن شره فاشترقه أصلح كالنساء والصبيان والامام أعلم بالمصلحة
فينبغي أن يفوض ذلك إليه وقوله تعالى (اقتلوا المشركين) عام لا ينسخ به الخاص بل
ينزل على ما عدا المخصوص ولهذا لم يحرموا استرقاقه فأما عبدة الأوطان ففي استرقاقهم
رويتان : -

أحدهما : لا يجوز وهو مذاهب الشافعي وقال أبو حنيفة يجوز في العجم دون العرب بناء على قوله في أخذ الجزية . ولنا أنه كافر لا يقرب بالجزية فلم يقرب بالاسترقاق كالمرتد وقد ذكرنا الدليل عليه إذا ثبت هذا فان هذا تخيير مصلحة واجتهد لا تخيير شهوة فمتى رأى المصلحة في خصلة من هذه الخصال تعينت عليه ولم يجز العدل عنها ومتى تردد فيها فالقتل أولى قال مجاهد في أميرين أحدهما يقتل الأسرى " وهو أفضل " وكذلك قال مالك وقال اسحاق الأثفان أحب إلى أن يذون معروفًا يلمع به في الكثير . وإن أسلم الأسير صار رفيقًا في السطال وزال التخيير وصار حكمه حكم النساء (١)

هذه أقوال علماء الإسلام في أحكام الأسرى المبنية على الأدلة الشرعية من الكتاب

والسنة فأين أقوال تلاميذ الاستشراف والاستعطار من بينها .

(١) المغني لابن قدامة ٨/٣٧٢-٣٧٤ .

٨ - الدعوة الى القومية :-

الدعوة الى القومية ينفخ في نارها تلاميذ الاستشراق والاستعمار وهي دعوة هدامة
 نبیثة تفرغ الجهاد الاسلامی من محتواه وذلك لأنه من المتفق عليه بين الأمة الاسلامیة
 أن القتال لا يكون جهادا الا اذا كان لاعلاء كلمة الله وكان تحت راية الاسلام ، أما اذا
 كان لغیر اعلاء كلمة الله فهو جهاد في سبیل الطاغوت ، قال صلى الله عليه وسلم :
 (من قاتل تحت راية عمیة یغضب لعصبة أو یدعو الى عصبة أو ینصر عصبة فقتل فقتله
 جاهلیة)^(١) ، وقال صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو فی سبیل
 الله)^(٢) .

وفي عركة الغزوة الرمیة المنالمة على العالم الاسلامی أراد الكفار أن ینصبوا لأبناء
 المسلمین رايات یتكلمون تحتها بدلا من الراية الاسلامیة وكان من تلك الرايات راية القومیة
 العربیة فأصبح من تأثرها الكفار من أبناء المسلمین یوالون لأجلها ویعادون لأجلها
 ویقاتلون لأجلها ویسالون لأجلها فی حین أنهم لا یوالون لأجل الاسلام ولا یعادون لأجله
 ولا یقاتلون لأجله وهذا العمل الخبیث استطاع أعداء الله صرف المفهوم الحقیقی للجهاد
 الاسلامی عن وجهته فإذ هان أبناء المسلمین بل صرف كثير من أبناء المسلمین عن دینهم
 بأکمله ، یقول كاسترو للسفیر الاسرائیلی فی بلاده " کوبا " (على اسرائیل ألا تترك
 الحركة الفدائیة تتغذی طالبا اسلامیا دینیا حتی لا یجعل من حركتهم مشعلة من نار الحساس
 الدیني ما یجعل من المستحيل على اسرائیل أن تصون کيانها لأن الفدایة اذا تملكته عقيدة
 دینیة وخاصة فی المجتمعات الاسلامیة تلاشت امامه كل العقائد الأخرى بما فیها الطرکیة)^(٣)

(١) صحیح مسلم مع النووی ٢٢٨/١٢ والعمیة هی الأمر الأعلى لا یتبیین وجهه .

(٢) صحیح مسلم مع النووی ٤٩/١٢ .

(٣) الاسلام والعبارة الانسانیة لمحمد غفابی ص ٢٢٠ .

ومن يالح على نشأة القومية العربية والعوامل المؤثرة في نشأتها وعلى تصريح دعاتها يدرك غطورة الكيد الذي يمارس لتحريف دين المسلمين كما حرفت اليهودية والنصرانية من قبل واليك أيها القارئ الكريم موجزا عن ذلك كتبه بعض علماء المسلمين المشهود لهم بالصدق والنزاهة وسعة الاطلاع على تاريخ تلك الفترة التي نشأت فيها القومية العربية يقول أبو الحسن الندوي - شارحا الأسباب التي أدت الى ظهور القومية العربية وموضعا عقيدة القوميين وموقفهم من الدين الاسلامي . (. . .) ويقول العرب يعيشون بالاسلام ولاسلام ويقول تاريخ كل منهما متصلا بتاريخ الآخر متداخلا بعضه في بعض ويقول الوضع هكذا الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وقد بدت في الأترك - الذين كانوا يحكمون الشام والعراق والحجاز - الكبرياء القومية وبدأ كثير من حكامهم يعاملون الشعوب العربية واللغة العربية معاملة تشبه أحيانا كثيرة معاملة المستعمر للمستعمر وبدت منهم القسوة والجفاف والخطاسة في مناسبات كثيرة رغم أغداقهم الأموال الكثيرة على الحجاز وتقديس الحرمين الشريفين ومن يسكنهما ورغم ذلك الى الشعب العربي نظرا لجلال ديني وروحاني ولم يألهم منهم من التسامح وسعة النظر ورقة الذوق واحترام حرية الرأي وتشجيع الثقافة والبيول والرغبات البرئية في الشعوب العربية ما كان يتوقع من شعب حاكم يعيش في هذا العصر القلق المتطور وما كان يستحق العرب بصفة خاصة كشعب ممتاز وكشعب كان مصدر الدعوة الاسلامية .

وعاود بعض حكامهم السفهاء الفلاظ القضاء على الشخصية العربية . كل ذلك أشار في العرب النعمة والنخوة العربية وفي لفظ مؤلف قومي عربي (الوجدان القومي العربي بدأ يستيقظ في نفوس أفراد من العرب في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأول ما بدا ذلك في ديار الشام . مهددا بالقضاء على الحكم الأجنبي - التركي - يومئذ وعلى الاقليمية) وقد تزعم هذه الحركة وقادها بعض المسيحيين الذين لم تكن تربطهم بالاتراك رابطة العقيدة والدين المتينة ورابطة الاخاء الاسلامي وكانوا مثقفين الثقافة الغربية التي تقوم على تمجيد القومية وكان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر

والشيخ ابراهيم اليازجي والاستاذ نجيب المازوري اللبثاني . ثم نشبت الحرب الأولى
 ١٩١٤ - ١٩١٨ م وسنحت للأقطار العربية فرصة الانشقاق على الامبراطورية العثمانية
 وانتهاز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية فنفخوا في قربة القومية وقام لورانس الداهية
 بدوره فأشعل الحطس القومي وآثار العرب على الأتراك وثار الشريف حسين في الحجاز
 وأهل الشام في الشام وفضلوا الانضمام الى راية الحلفاء الذين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمه
 ولا يراعون في مسلم عبدا ولا حرمة والذين كان يقودهم الانجليز المجرمون الذين تلطخت
 أيديهم وتلوث تاريخهم بأبشع الاجرامات ضد الاسلام والمسلمين فضلوا كل ذلك على البقاء
 في جوار الأتراك المسلمين الذين رفعوا راية الاسلام في أوروبا خمسة قرون وأرهبوا أعداء
 الاسلام وكانوا على علاتهم رمز قوة الاسلام وشوكته وتناسوا نصوص القرآن والسنة القطعية
 التي تحرم موالات أعداء الاسلام ضد المسلمين والقتال في صفهم واعتمدوا على الوعود
 الخلابية والسياسة المتقلبة^(١) التي لا تعرف الا المصلحة ولا تعبد الا القوة وكان من قيام
 الحكومة العربية الهاشمية في سورية ثم نقض الحلفاء للعهد وتجاهلهم لها بتاتا وانهايار
 هذا الحكومة السريع ما طعمه الجميع .

ثم جاء دور مفهوم القومية العربية التي هي فكرة مستقلة وفلسفة بذاتها لها كل
 مالددين من حمية وحرارة وشعائر ومقدسات فخص لها العرب المثقفون - خصوصا الشباب -
 الذين ضعفت صلتهم بالدين لأسباب كثيرة ونشأت فيهم الرغبة الشديدة لنيل المجد
 والعظمة في أقرب وقت ومجارات الشعوب العرة الراقية في مضمار المدنية والتقدم ولم يجدوا
 لذلك سبيلا - بزعمهم - الا القومية العربية ونشأ فيهم اليأس والتدمر من الأوضاع القائمة
 واليأس من الأمم العربية التي أوجدت اسرائيل ولا تزال تعطف عليها وتبناها أكثر مما تعطف
 على قضية العرب . فالتجأوا الى القومية العربية كرد فعل عنيف وشورة فكرية .

(١) لا شك أن هذه صفة لسياسة الدول العثمانية التي تعتمد السياسة المكافلية .

ولم يفتوا عند هذا الحد ولم يتصرفوا على استخدام القوميللدفاع والتنظيم كما زعم كثير من دعايتها بل غلوا في تقديس القومية العربية والتغنى بها وانكار كل ما عداها وجعلوها عقيدة وديانة يتخنون بها ويحاربون كل ما سواها ويحتفرون شأن الدين ويقللون قيمته .

يمثله خير تمثيل مقاله أحد مفسري الفكر القومي ومحمي من كتب في قضية العرب في العصر الحديث يقول الكاتب وهو يعبر عن أفكار كثير من زملائه ((القضية العربية لن تكون أبدا عند العربي المؤمن السر الماقل الشريف الصالح الصغير الأبى المترفع الا قضية ايمان ايمان بالوطن كقضية الايمان بالله لله ليس غير)) ويتكلم عن مهمة قضية العرب وأهدافها ، فيقول ((وتحارب الجهل والفقر والمرض والظلم وكل عصبية الا عصبية القومية وتفصل الدين عن السياسة وتحرم على رجال الدين الاشتغال بها وتعلم العربي انما كان ان يتمصص بعنف لأمرين قوميته والحق)) ويشرح الكاتب العروبة في بيان واضح ولفظ صريح فيقول :

((العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العربيين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الاسلام وقبل المسيحية في هذه العياة الدنيا مع دعوتها - أي العروبة - الى أسس ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات وما يدل على أن القومية العربية قد أصبحت في نظر كثير من دعايتها والمؤمنين بها ديانة ازاها ديانة وعقيدة مقابل عقيدة مقال لكاتب قومي آخر جاء في مجله العربي عدد يناير ١٩٥٦ م)) (وممن معانيه الأولى وعدة لكل من تسعى به من أهل هذه الأرض والوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين)) ويقول الكاتب الأديب المصري المشهور الاستاذ محمود تيمور ((لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة . . . ان القومية العربية لها نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة وتكثيل الجبهة والانطلاق بالطاقات البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة وان كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة يزكونهم بأقلامهم وينفخون فيها من أرواحهم ويعملون على أن تتكثرت لها أسباب النماء والازدهار)) .

ويؤثرونها ويفعلونها على الوحدة الاسلامية ويرونها أسهل تحقيقا وأقرب منالا وأدغم قوة وأكثر

انتشارا يقول الدكتور محمد أحمد علف الله في مقاله ((القومية العربية كما ينبغي أن نفهمها)) ((ان الساسة اليوم ينادون بالقومية العربية وتحقيق الوحدة العربية أقرب ضالا من تحقيق الوحدة الاسلامية . ان مصلحتنا اليوم في تحقيق هذا الهدف القريب ثم ان الفكرة العربية أكثر انتشارا وأوسع نفوذا من الفكرة الاسلامية أنها تشمل سكان العالم العربي جميعا ، اما الاسلام فلا يشمل هؤلاء السكان لقد تعرب سكان هذه البلدة أجمعين ولم يسلموا أجمعين انه لا يزال منهم النصارى ولا يزال منهم اليهود)) ويقول عمر الفاضوري في كتاب له سماه ((كيف ينهض العرب)) ((لا ينهض العرب الا اذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قران النبي الكريم والمسيحيون ولنا تولى على انجيل المسيح الرحيم والبروتستانت على تعاليم لوثر الاصلاحية وثوريو فرنسا في عهد العرب على مبادئ روسو الديمقراطية ويتمصبون لها تمصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك)) ، وقد أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدعاة الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي التي يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية ولولها محل الدين الاسلامي والتي تستطيع ان تصد عن طريقها الى مركز الزمامة والقيادة والتوجيه في العالم العربي وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الاسلامي الذي لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة و عاطفة وتاريخا . ولا يزال ميشيل عفلق ((المسيحي ولادة)) مؤسس حزب البعث العربي ورئيسه فيلسوفها الأكبر في الشرق العربي (١) ، ويقول الاستاذ محمد قطب (ان أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وأنضم اليهم المسلمون الذين تربطوا في مدارس التبشير ثم انضم اليهم المستغفرون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضا بين الاسلام والعروبة على أساس

(١) العرب والاسلام لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ٧-١٥ .

أن العروبة هي عصب الاسلام وأن العرب هم الذين حملوا الاسلام الى كل البشرية .
والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءاً من أدوات أوروبا لارتاج ((الرجل المريخى)) وأرباكه
بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بين المتربصين الذين ينتظرون الساعة ((العظمى))
التي يقضون فيها على بقايا الاسلام . وما كان نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجبرون
أن يخرجوا على الحكم الاسلامي علانية وبلاسم الصريح للخروج فقد كانوا أقلية محوطة
بأكثريّة مسلمة تدّين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة ولا تتصور لنفسها حكومة غير
الحكومة الاسلامية لذلك لا يكن في وسع أولئك النصارى أن يقولوا لا نريد حكم الاسلام
علينا ولا نريد حكم الخلافة الاسلامية لذلك كان نشاطهم سرياً من جهة وبلاسم غير اسم الخروج
على الحكم الاسلامي من جهة أخرى كان نشاطهم يقوم بلاسم العروبة والقومية العربية
وهو شعار يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب ولا يروا - لغفلتهم - انه موجه
ضد الاسلام وضد هم . كانت دعوى القومية الطوارنية تحز في نفوس العرب المسلمين
فينفخ الشياطين في الحزازة لتشتعل وكان يقال لا ولتلك العرب المسلمين أنتم أولى
بالخلافة من أولئك الطورانيين فلماذا تسكتون على الظلم لماذا لا تثورون وتستقلوا عن
الأتراك وكان عبد الحميد يقطا للعبة كلها ولكن أحوال دولة الخلافة يومئذ وأحوال المسلمين
جميعاً في العالم الاسلامي كانت أضعف من أن تصمد للكيد فمضى الكيد في سبيله حتى
بلغ غايته ولسنا هنا نؤرخ لتلك الفترة انما نحن نتحدث عن القوميات والوطنيات ودورها
في اللعبة التي أريد بها القضاء على الاسلام وانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين .
كان عبد الحميد يطارق تلك الجماعات السرية التي تنادى بالعروبة والقومية العربية كما يضيّق
على النشاط السري لحزب الاتحاد والترقي لادراكه المقصود من ورائهما فيتخذ لذلك ربيعة لمزيد
من الكيد ضده يتهم بالذكواتورية والطغيان في داخل تركيا وباضطهاد الأقليات خارجها
ويصنع من هذه وتلك مادة للدعاية ضده ونشر البغى والكراهية له تمهيداً لما يخطط من عزله
عقاباً له على عدم موافقته على انشاء الدولة اليهودية وجرت الأمور في مجراها المقدر في علم
الله ولكن بسبب من غفلة المسلمين التي مكنت الأعداء من تنفيذ مخططاتهم والله يحذرهم

فى كتابه المنزل ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونهم لا يآلؤنكم خيالا
 ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات
 ان كنتم تعقلون)) ، ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم
 أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم) ومع ذلك التحذير فقد كان مسلمون يتولون اليهود
 فى حزب الاتحاد والترقى ومسلمون آخرون يتولون النصارى فى الجمعيات السرية القائمة
 باسم العموية والقومية العربية ومسلمون آخرون يتولون ((لورنس العرب)) ويتبعونه وهو
 يدعوهم الى قتال دولة الخلافة التى ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون .
 يقول اللورد اللنبى قائد الجيش العربى الذى حارب الخلافة لولا مساعدة الجيش
 العربى والعمال العرب ما استطعنا أن نتغلب على تركيا (١)

وهذه الدعوة الهدامة التى رأينا مدى صرفها لمعنى الجهاد الحقيقى ورأينا أقوال
 دعائها التى تعارض الاسلام بصراحة مكشوفة حينما وبعبارات مغلقة عينا آخر هى التى
 أنشئت جامعة الدول العربية من أجلها لكى تتبناها الدول وتشرها بطالها من هيمنة
 ونفوذ على الشعوب وعلى مناهج التعليم ووسائل الاعلام وقد أوعزت بريطانيا بإنشاء جامعة
 الدول العربية ولا توعز بريطانيا ((مصممة الفدر والفساد فى العالم الاسلامى)) الا بما
 يخدم مصالحها يقول الاستاذ محمد قطب ((يقول جورج كيرك مؤلف كتاب موجز تاريخ الشرق
 الأوسط ان القومية العربية ولدت فى دارالضد وبالسامى البريطانى !!) طارالى
 القاهرة أنتونى أيدن وزير الخارجية البريطانية طم ١٩٤٦م ودعا الطوك والرؤساء العرب
 الى الاجتماع به هناك وعرض عليهم فى الاجتماع فكرة انشاء الجامعة العربية فى القاهرة
 لتتبنى قضايا العرب وتدافع عن مصالحهم !! وورثت أمريكا بريطانيا وفرنسا بعد العرب

(١) مذاهب فكرية محاصرة لمحمد قطب ص ١٥٠ .

وسطت نفوذها على الشرق الأوسط وأقامت أمريكا عن طريق الانقلابات العسكرية زمامات كاملة تدافع عن القومية العربية في الوقت الذي تحارب فيه الاسلام والمسلمين وقالت الدعاية التي أقامتها أمريكا واسرائيل أن أمريكا واسرائيل لا تخشيان شيئا خشيتهما للقومية العربية ولا تخشيان أحد خشيتهما لزعيم القومية العربية . وفي ظل القومية العربية التي أقامتها الصليبية العالمية مع اليهودية العالمية توسعت اسرائيل وتوسعت حتى توشك أن تبتلع فلسطين كلها وتتطلع الى المزيد . لقد كانت القومية التي صدرت الى العالم الاسلامي هي القومية المأكولة لا القومية الآكلة التي قامت في أصلها هناك^(١)

ويقول الدكتور محمد حسين (جامعة الدول العربية حصن من أكبر الحصون التي تسهر على حراسة حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهي ((العمروية)) ومن المفيد رغم تغير الظروف الآن - أن نتذكر أن هذه الجامعة قد أنشئت أول ما أنشئت بتشجيع دولة من أكبر دول الاستعمار الغربي - وهي إنجلترا -) وقد حذر الدكتور محمد حسين من الخطر الذي تمارسه الجامعة العربية مقتصرًا على الجانب الثقافي فقط معرضًا عن الجانب السياسي فقال (وليس من شأنى الآن وليس من شأن هذه المجلة التي اكتب لها أن - أتناول الجانب السياسي من جامعة الدول العربية . . . وسوف أتناول في عدتي هذا اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية كما تبد ومن مطبوعاتها الوافرة الفزيرة وهي اللجنة التي كان يشرف عليها أحمد أمين ثم ورثها طه حسين بعد وفاته وسأقسم منشوراتها الى ثلاثة أقسام :-

١- البحوث والمحاضرات . ٢- الكتب المترجمة .- ٣- المؤتمرات .

وأنا أعجل بتقديم النتيجة التي أنتهيت اليها من بحث أعمال هذه اللجنة الثقافية

(١) مذاهب فكرية محاصرة لمحمد قطب ص ١٧٠ .

ليضعها القارئ نصب عينيه على طول هذا المقال . هذه اللجنة كانت ولا تزال تنظر بغير عين العرب وتعمل بغير عقل العرب وتهدف الى غير أهداف العرب ، انها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يعرضون على أن يكون العرب ذبلا لدول الاستعباد الغربى . لا يرون الأشياء الا كما يراها الغربى ولا يتذوقونها الا كما يتذوقها ولا يقدرونها الا كما يقدرها أنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهاقنة الاستعباد الغربى ((التفریب)) ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقيين طمة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية مما يساعد على ايجاد روابط من الود والتفاهم بين الحمار وراكبه وهى روابط تفيد الراكب دائما ولا تفيد الحمار وذلك هو ما تهدف اليه كل الجماعات التى من نوع (أصدقاء الشرق الأوسط) الآن أو (الصداقة الانجليزية المصرية) (والصداقة الفرنسية) سابقا وهذا الذى يسميه الاستعباد الغربى (تخريبا) هو ما يسميه ساسرة ذلك الاستعباد وصناعه (تطويرا) وهو ما يعنونه حين يتكلمون عن (بناء المجتمع من جديد) فالذين يتكلمون عن بناء المجتمع من جديد أو بناء المجتمع الجديد يعرفون أن مشروعهم هذا يشتمل على خطوتين :

الخطوة الأولى : هى هدم القديم .

والخطوة الثانية : هى بناء ما يتوهمونه من الجديد وهم ماضون فى الهدم لا يرضيهم الا أن يأتوا على بنياننا من القواعد بما يتضمنه من دين وتقاليد وفنون وآداب ولكنهم سوف يعجزون عن البناء سيهدمون مجتمعنا ثم يتركونه وسط انقباض نظامه القديم فى فوضى لا سكن فيها ولا قرارا (١)

(١) حصوننا مهددة من داخلها لمحمد حسين ص ١٣٩-١٤٢ ، وقد تكلم بشكل مستفيض عن ما نشرته جامعة الدول العربية من فكر منحرف هدام فليراجع من شاء فهو مفيد .

أما الدكتور عبد العليم عويس فقد تحدث عن الجانب السياسي لجامعة الدول العربية الذي تركه الدكتور محمد محمد حسين فقال (بعد سقوط آل عثمان على يد جمعيتهم الاتحاد والترقي وسادتها اليهود يهود الدولة تفككت أوصال العالم الاسلامي ونجح ساطع الحصري - وهو رجل أعجمي لا يستطيع الكلام بالفصحى ويضمرد عداً شديداً للاسلام بتأثير تربيته الصهيونية - نجح هذا الرجل في نشر فكرة القومية بمفهومها العلماني الاتحادي المعادي للاسلام بين العرب وكانت انجلترا - سيدة العالم العربي آنذاك - قد ساعدت على انشاء ما يسمى بجامعة الدول العربية وهي مؤسسة لم يرمها العرب غيرها ولم تسهم في حل أية مشكلة أو في تحقيق أي تقدم للعرب في حاضرهم الأسيف وعسبها أنها فصلت العرب - رسمياً - عن العالم الاسلامي وأشعرتهم بكيان مستقل وهمي . وفي ظللال المد العربي - على يد حفنة من الثوريين والمقامين الشبان - غسر العرب جزءاً كبيراً من أرضهم وساحت في بلادهم دولة يهودية رعبها الغرب بأحداث الأسلحة والمعارف والخبائث الأخلاقية . وامام هذه الدولة الهزيلة التي لا يزيد سكانها عن ٣٥/١ من سكان العرب سقط القوميون العرب ابشع سقوط وكانت المقدمة الطبيعية لنجاح هذه الدولة أنها ساعدت هؤلاء القوميين والثوريين وعدهم على الصعود الى الحكم لأن وجودهم هو وسعده الكفيل بتحقيق ماتريد اسرائيل من ضمانات بقائها التي أهمها :-

- ١- ابعاد العرب عن عقيدته جامعة روحية تقاوم اليهودية التي يتسلحون بها .
- ٢- ضمان ابقاء الأمة العربية في حالة استيراد دائم لأن الدين لا عقيدة لهم لا يستطيعون ابداع شيء ذاتي .
- ٣- ضمان تفكك العرب تفككا دائما لأن هؤلاء القوميين والثوريين مجرد شبان مفايريين لا رصيد لهم من عقيدة أو اصاله أو وعي تاريخي ومن السهل تلقينهم بعض شعارات أو (شعارات مضادة) يصرخون بها وتضيق سمعها عقولهم وعقول الجماهير التي يقودونها .

وقد قامت هذه القوى الحاكمة الثورية بالواجب نحو العرب واسرائيل على النحو المرسوم لها :

١- فصادرت حريات المواطنين وارادتهم بحيث لم يعد للشعوب العربية من الأمر شيء وأصبحت هذه الشعوب نسبة عالية مهينة تقوم بالموافقة للحكام على كل شيء بنسبة (٩٩٩/٩٩٩) وهى تقوم بالتصفيق الحاد لكل خطيب وتؤيد كل القرارات .

٢- أعلنت هذه الحكومات العرب على الاسلام وقد نجحت هذه القوى فى ايمان الاسلام عن مجال التأثير تماما على الأقل فى مستوى توجيه الأمور وقيادتها . ففي عصر الطاغية جمال عبدالناصر أمكن جعل الصلاة شبهة وقراءة القرآن من طالب جامعى أمرا يضعه فى القائمة السوداء وأمكن نشر الرعب وفسخ الشيوعية حتى قضى الله عليه وغلب البلاد من شروره بعد أن خلف تركه أخلاقه ومادية وهزائم تحتاج لأجيال طويلة كي تزال آثارها . . وهيات !! .

ولما جاء خلفه أمكن تحويل الاسلوب بعض الشيء ووضع على رأس العمل الاسلامى المتصوفه والدجلين وهدمهم كما نزل الخط الراعى للتحلل الأخلاقى فى طريقه وعومل الاسلاميون وهدمهم بقوانين استثنائية وعسكرية . أما حزب البعث بجناحية السورى والعراقى فعداؤه للاسلام وتكليه بأهله وفقا لتوجيهات الصليبي الحماقد ميشيل عفلق أمر مقرر كجزء من سياسة الحزب وأساياته الفكرية والحركية .

٣- نجحت أساليب هذه النظم فى الوصول الى النتيجة الطبيعية وفى اقرار قواعد اسرائيل عسكريا وسياسيا كدولة ذات سيادة تفصل العالم العربى عن بعضه البعض وتفرض بالمرصاد لاية بادرة نهضة حقيقية سواء فى مجال البحث الاسلامى والوحدة العربية الاسلامية وأصبحت اسرائيل بفضل هذه النظم التى قتلت شعوبها وشلت قواها كابو ساشيلا يؤمن أكثر أبناء هذا الجيل - باستثناء المؤمنين منهم - بأن زواله أمر شبه مستحيل وكان هذا هو حصاد التخطيط العالمى الصليبي الصهيونى الشيوعى الثورى القومى المشترك ولأنهم بلا عقيدة ولأن القومية شمار لا يملح لصناعة حضارة ولا لايجاد وحدة جامعة

شاملة ، أصبح معالم العالم العربي د ولا متقطعة الأوصال أسيرة نظم يمينية وأخرى يسارية وليس للاسلام نصيب فيها سياسيا أو ادريا وقد تمزقت وسائل التوحيد كلمها فلا تكامل اقتصادي ولا تكامل اجتماعي ولا تنسيق سياسي أو اعلامي (١) وهلم جرا وهم كأسلافهم سلالة ((أبو جهل)) يتقاتلون لأتفه الأسباب ويقطعون العلاقات بلامرر كافي ويسيروا في طريقهم دون مشورة وتكامل بل كل حسب مصالحه وتوجيهات ساداته . وقد أصبح العربي لا يأمن على نفسه في أى بلد عربي آخر بل أصبحت بلاد الغرب هي المشوية والأمن كما أن المطجأ والأمن لأموالهم هي بنوك اليهود في أمريكا وأوروبا والمنتجع لتعليم أبنائهم ولا ستراحتهم وجولاتهم هي مرفأ الأمن والحرية أوروبا العالمية ! وتقوم بينهم الحواجز و جرات الزيارات والاقامة بدرجة تجعل زيارة الدول الأوروبية أسهل من زيارة عربي لدولة عربية أخرى (٢)

هذا ما قرره الأساتذة الأجلاء عن دور الجامعة العربية في نشر القومية الهادمة للدين المفككة لأوصال المجتمع الاسلامي واما أنا فأزيد ذكر طائفة صغيرة ذات مدلول كبير لقد قامت الجامعة العربية بإنشاء معهد للموسيقيا العربية عام ١٩٨٠م وفي حد علمي لم تنشأ مدرسة واحدة لتخيل القرآن الكريم أو تدريس السنة المطهرة فللقارئ الكريم أن يتصور تلك الأهداف الجليلة !! التي تحققها الموسيقيا ولا يحققها الكتاب والسنة !! وما تقدم يظهر بوضوح مدى التناقض التام بين الجهاد الاسلامي وبين القومية العربية المماصرة بل يظهر الخطر الشديد المحقق بالاسلام طامة والجهاد خاصة من عقيدة القومية العربية . (٣)

-
- (١) الحقيقة انه لا يوجد تنسيق في سبيل الرحمن ، أما في سبيل الشيطان فقد يوجد .
 (٢) د راسل سقوط ثلاثين دولة اسلامية لعبد الحلیم عويس ص. ٢٠٠-٢٠٥ .
 (٣) لمزيد الاطلاع على هذا السوء التاك (القومية العربية) أنظر كتاب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز نقد القومية العربية على ضوء الاسلام وكتاب الشيخ صالح العبود - فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام .

٩ - الدعوة الى الوطنية :-

الدعوة الى الوطنية شقيقة الدعوة الى القومية . والكفار - قاتلهم الله - لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل اسلامهم ولم يقتصروا على خطة واحدة بل كثرت خطتهم وشعاراتهم وراياتهم وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة فان أخطأها الأول أو العاشر لم يخطئها الحشرون أو الثلاثون والذي لا تروق له القومية يجذب به شباك الوطنية أو الانسانية او زالة الأديان أو التعاليم السلي أو الاشتراكية وهكذا دواليك . ولا ينجو منهم الا من اعتصم بالكتاب والسنة .

والوطنية هي تقديس الوطن بحيث يميز الحب فيه والبغض لأجله والقتال من أجله وانفاق الأموال من أجله حتى يطفئ على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية . فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم اذا لم يكونوا في وطنهم بل قد يصل الأمر بالوطنيين الى اجتماعهم على معارضة المسلمين مع الكفار لأن الكفار من أبناء وطنهم !! وانا وصل الحال بالانسان الى هذه الدرجة فقد عبد الوطن من دون الله والعصبية للوطن من جنس العصبية للقوم كلها من دعاوى الجاهلية والوطنية في العصر الحاضر التي نسمع الدعوة لها في ديار الاسلام . بضاعة مستوردة كثيرها من المستوردات وما أكثرها !! . فانه لما قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ على المستعمر البريطاني واشتد أضرارها وعجزت بريطانيا عن أخضاعها غيرت مندوبها في مصر وأرسلت بدلا منه اللورد اللتبي ومكث شهرا يتحرى الأوضاع ثم أرسل برقية الى وزارة الخارجية البريطانية يقول فيها :-

١ - الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته البالغة .

٢ - افرجوا عن سعد زقلول وارسلوه الى القاهرة .

وجاء سعد زقلول وقررت به أعين الانكليز فصرف الثورة من ثورة دينية نابع من الأزهر وتنادى بجهاد الكفار الى ثورة وطنية تنادى بتحرير التراب يشترك فيها النصارى المصريون مع المسلمين لمعارضة النصارى الانكليز وقال قولته المشهورة الدين لله والوطن للجميع

ومغزى العبارة أننا غير معنيين بالدين ونشره فهو لله يتولى نشره والدفاع عنه ،
أما الوطن فهو لنا جميعا نحن والأقباط فلنبذل جهادنا لأجل ترابنا لاستنقاذنا . يالك
من قولة فاجرة . التراب أهم على صاحبها من دينه ! ان الدين لله والوطن لله ولا خير
فى وطن بلادين لو كان يعقل الوطنيون ثم قال سعد زغلول للمسلمين المصريين لا تتادوا
بشعارات اسلامية لكيلا يفضب اخواننا الأقباط المشاركون لنا فى الثورة . وقد كان اشتراكهم
مقصودا ليكون لهم فى الحكم نصيب ثم ألقى سعد حزب الوفد ونص فى لائحته على تحريم
الخوض فى أى نقاش دينى وأخذ القسس النصارى يدخلون الأزهر ويخرجون فى المظاهرات^(١)
ومن مصر سرت العذوى للأقطار العربية الأخرى فصار شعار الوطنية تلوكه الألسنة وتشره
وسائل الاعلام ومناهج التعليم ويربى عليه التلاميذ فى المدارس ويقدم على الدين ويغرس
فى الجنود حب الفداء له لا للدين ولا شك أن الجهاد من أجل الوطن - اذا لم يكن
هدف أصحاب الوطن هو نشر الاسلام وتحكيمه فى الحياة واعلاء كلمة الله تعالى - جهاد
فى سبيل الطافوت لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا
فهو فى سبيل الله - كما تقدم - فالمفهوم من هذا الحديث أن من قاتل لى تكون
كلمة الوطن هى العليا فقتاله فى سبيل الشيطان وميتته ميتة جاهلية . يقول الاستاذ
محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية الى الأمة الاسلامية ما يلى (وقد
كانت دعاوى القومية والوطنية المصدره عن عمد الى العالم الاسلامى من بين وسائل الغزو
الفكرى الذى استخدمه المصلبيون المحدثون فى الغارة على العالم الاسلامى كما سمي
شاتبه كتابه السالف الذكر .

والهدف من ذلك واضح ولا شك فطالما كان المسلمون مسلمين فسيصعب على الغزاة
ابتلاعهم مهما كانوا عليه من الضعف والتخلف ذلك أن العقيدة الاسلامية عقيدة جهاد

(١) أنظر مذكرة المذاهب الفكرية للسنة المنهجية فى الدراسات العليا بمكة ، تأليف

وقد ذاق الفرنسيون في الشمال الأفريقي وذاق الانجليز في الهند وغيرها من أقطار افريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد هذه ما لا يزال طلقا بنفوسهم برغم كل الضعف والتخلف الذي كان عليه المسلمون . فقتلاع هذه العقيدة واستبدال غيرها بها أمر ذو أهمية بالغة سواء من وجهة النظر العمليية أو من وجهة النظر الاستعمارية البحتة ، فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضفون له طالما كانوا مسلمين . فإذا اجتمعت وجهة النظر العمليية ووجهة النظر الاستعمارية تجاه الاسلام كما هو الأمر الواقع كانت الرغبة في اقتلاع هذه العقيدة أكد والمحل على استبدال غيرها بها أعف وأشد .

وبالفعل بذرت بذور الوطنية أولا في العالم الاسلامي ثم جاء دور القومية بعد ذلك فحققت أكثر من هدف في وقت واحد . كان الهدف الأول هو تحويل حركات الجهاد الاسلامي ضد الاستعمار العمليي الى حركات وطنية كما فعل سعد زغلول في مصر وغيره من الزعماء الوطنيين على امتاع العالم الاسلامي . والحركة الوطنية تفرق عن حركة الجهاد الاسلامي بادئ ذي بدء في انها لا تنظر الى العدو على أنه عمليي مستعمر ولكنه على أنه مستعمر فقط وفرق واضح في درجة العداء وطريقه المجاهدة بين أن يكون العدو ومنظورا اليه على حقيقته وبين أن يكون مغلطا برداء الاستعمار فحسب .

والهدف الثاني هو تحويل حركات الجهاد الاسلامي الى حركات سياسية عن طريق تحويلها الى حركات وطنية . فالعدو وغير قادر على التقاهم مع الحركات الاسلامية لأنه لا سبيل الى التقاهم معها في الحقيقة الا باخراج ذلك العدو خارج البلاد ومن ثم فلا سبيل الى استتعال السياسة من جانب العدو . أما الحركات الوطنية فالتقاهم معها سهل وممكن وعود من المستعمر بالجلاء ! ويأتي الوقت الموعود فيتذرع المستعمر بشتى المعانير لتأجيل جلائه ويعطى وعودا جديدة يمتد رغبها بدورها اذا جاء دورها والسياسة الوطنيين يفضفون أو يتأهرون بالغضب لارضاء الجماهير . والجماهير تثور ثورة صاخبة لكنها فارغة سرعان ما تنطفئ بعد الاستماع الى خطبة رنانة من الزعيم الوطني يعد فيها بأنه لن يفرط في شبر من الأرض ولن يرضى بنسير الجلاء التام أو الموت الزؤام وبين هذا وذاك

تجرى مفاوضات بين السياسة والاستعمار تنتهي الى أشياء تافهة يلعب بها السياسة على عقول الجماهير فيوهونها أنها مكاسب وطنية وقد تنتهي الى غير شيء على الاطلاق ومع ذلك يقول زعيم يمتدح من كبار الزعماء الوطنيين في العالم الاسلامي في العصر الحديث وهو سعد زقلول ((خسرتنا المعاهدة وكسبنا صداقة الانجليز)) ويقول ((الانجليز خصوم شرفاء محقولون)) . وهو شيء ما كان يمكن أن يحدث لو بقيت حركة الجهاد اسلامية كما كانت في مبدئها ولم تتحول الى حركة وطنية على يد الزعيم الكبير !!

والهدف الثالث هو تيسير عطية التخريب من خلال تحويل حركة الجهاد الاسلامي الى حركة وطنية سياسية فعين تقوم بحركة الجهاد على أساس اسلامي يكون الباب موحدا تماما بين المجاهدين وهم لا يأخذون شيئا من فكرة ولا اعتقاد ولا عاداته ولا تقاليده ولا انماط سلوكه أما حين يتحول الجهاد الى حركة وطنية سياسية فالعاجز أرق يسمح بالأخذ وممانير الأخذ كثيرة فقد قال استاذ الجيل لطفي السيد أن الانجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل أن نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم !! (١)

وهذا الموضوع عن أهداف الدعوة الى الوانانية يظلم مدون مخطورتها على الجهاد وتفريغها لمحتواه الاسلامي .

(١) مذاهب فكرية معا صره لمحمد قطب ص ١٣٠ .

تلقن تلاميذ الاستشران والاستعمار كثيرا من المبادئ المنحرفة التي تعول بسلم المسلمين وبين الجهاد بل بينهم وبين الاسلام احيانا كما أوضحنا ذلك في الفصول المتقدمة وما تلقوه من الدعوات الهدامة الدعوة الى الانسانية وهي انتاج يهودى وذلك لأن اليهود يعتبرون جميع الأجناس البشرية من غير اليهود هم العمير التي خلقها الله ليركبها الشعب اليهودى المختار وهم يخططون لاقامة مملكة عالمية يحكمها يهودى من نسل داود وكان من تخطيطهم الخبيث أن انقسموا فريقين . فريقا ساعد على انجاح الثورة الفرنسية التي يسير على مبادئها العالم الرأسمالى أوروبا وأمريكا ومن يسير فى الفلك، وفريقا أشعل الثورة الشيوعية التي تشمل روسيا والصين ومن يسير فى الفلك وقد ذكر الاستاذ عبداللهرشيد الحلاق مجموعة نقولات من كتب مختلفة تبين الهيمنة اليهودية على المعسكر الشرقى والغربى انقلها بتطامها لفائدتها (يتحدثون فى الكتب التي تدرس التاريخ المعاصر فى مختلف أصقاع الأرض عن المبادئ الانسانية للثورة الفرنسية التي رفعت السلم والبغى عن انسانية الانسان !! هذه المبادئ التي تتمثل بشعار (الحرية والمساواة والاخاء) هذه المبادئ التي تبنتها الشعوب الغربية على أساس أنها أم المبادئ التحررية فى العالم . وانا بحثنا فى حقيقة معانى هذه المبادئ نرى الى أى مدى قد ضللت الشعوب اذنا كلمة ((الحرية)) وتقصينا معناها المصدر أو المعنى الذى يبلور قانونا أو تشريعا ينفذ عمليا فى واقع الحياة لانستطيع أن نصل الى هذا القانون أو التشريع لأن هذه الكلمة عامة ومطلقة فهل تعنى الحرية الفكرية أم السياسية أم الاقتصادية أم الصحافية أم الاجتماعية؟ .. الخ وانا افترضنا جدلا أنها تعنى جميع هذه الحريات ولكن من الذى يحدد نسب هذه الحريات وحدودها ؟ هل الشعار نفسه أم السلطان أم الشعب ؟ وهذا الأمر مهم جدا من الناحية العملية فمثلا للسيارة حرية للسرعة ولكن اذا تركت هذه الحرية دون منظم يحدد ها حسب الحاجة أو دون فرامل يخفف السرعة ويوقفها عند الضرورة تصورا أن معظم السيارات دون فرامل ماذا تكون النتيجة ؟ طبعا مأسى وفواجع وانا طبقنا هذا المثل على باقى الحريات

نصل الى نفس النتيجة نصد الى الفوضى العارسة .

أما الكلمة الثانية وهى ((المساواة)) نقول أيضا أنها طامة ومطلقة ولا يمكن أن تحدث قانونا أو تشريعا يطبق فى واقع الحياة فهل تعنى المساواة السياسية أم لفكرية أم الاقتصادية أم الاجتماعية ؟ . . . الخ وإذا افترضنا أنها جميعا فمن الذى يحدد نسب المساواة وهل يمكن تحقيقها فى واقع الحياة ؟ الجواب على هذا السؤال ما برح الغرب يحاول الاجابة عليه ولكن دون جدوى بل انه يعيش الى الآن مشاكل عويصة بسبب هذا الطرح ونحن نقول انه لا يمكن أن تتحقق هذه المساواة فى الناحية السياسية وهذا يعنى أن يكون جميع الناس متساوين أمام الشريعة أو القانون فقط . ولا يمكن تحقيق المساواة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية وذلك لتفاوت مقدرات وطاقت وعقول الناس وإذا طبقت هذه المساواة كما هى موجودة فى الدول الشيوعية فانها ظلم وبنى وتحقير لانسانية الانسان .

والكلمة الأخيرة فى الشعار وهى ((الاخاء)) نقول أيضا انها طامة ومطلقة فهل هذه الاخوة على أساس عقائدى أم فكرى أم سياسى أم اقتصادى أم اجتماعى ؟ الجواب: الى الآن لم يصل اليه الغرب وما زال يعانى من مشكلات هذه الظروف . ولكن ما هو العوامل التى ساعدت على ترويج هذه المفاهيم الخطئة بهذه القوة . تقول البروتوكولات بصدور هذا الموضوع : ((كنا أول من اخترع كلمات العرية والمساواة والاخاء التى أخذ العميان يرددونها فى كل مكان دون تفكير أو وعى وهى كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقض الذى يشيع فى مدلولها . ان شعارا العرية والمساواة والاخاء الذى أطلقناه قد جلب لنا أعوانا من جميع أنحاء الدنيا وأسأت هذه الكلمات الى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم (البروتوكول الأول) .

إذا هى أذليل اليهود التى تعودوا أن ينشروها ويروجوا لها بوسائل اعلامهم وذلك لضرب أم ((الجويسيم)) والسؤال المطروح الآن هل كان لليهود يد أو تأثير على الثورة الفرنسية ؟ .

يقول معمد عنان بصدور هذا الأمر ((وقد بدت الروح التلمودية فى خطط الثورة .

الفرنسية ودستورها الأخلاقى واضحة جلية فى وثيقة خطيرة وجدت بين أوراق ميرابو ((أحد قادة الثورة)) ضبطت فى منزل مدام لجاي زوج ناشركتب ميرابو وذلك فى ٦ تشرين أول ١٧٨٩ وهذا نصها ((يجب أن نسحق كل النظم وأن نلغى القوانين وان نمحو كل السلطات وان نترك الناس فى فوضى وقد لا تتفد القوانين التى نسنها فى الحال ولكن متى رددنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حرية التى يعتقد أنه يقاتل لصونها ويجب أن نقضى على كبرياء الأفراد وأن نخفق أمالهم وأن نهدمهم بالسعادة متى بدأ عطنا ويجب أن نجانب أهواءهم وما تطيه ارادتهم لأن الشعب مشرع شديد الخط فهو لا يسر من القوانين الا ما يتفق مع شهيواته هذا فضلا عن أن قصوره عن المعرفة يفضى الى الخطأ والتطرف ولكن لما كان الشعب الذى يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا وأن نحطمه على بغض كل ما نرمى الى هدمه وأن نغذيه بالخيبالات والأوهام كذلك يجب أن نشترى كل الأقلام المرتزقة التى تبيث مبادئنا التى تعرف الشعب بأعدائنا الذين نهاجمهم فرجال الدين مثلا وهم أقوى الطوائف تأثيرا فى رأى المصام لا يمكن هدمهم الا بالسخرية من الدين والتشهير بأقطابه وتصويرهم أوغادا ذلك لأن محمد (صلى الله عليه وسلم) مهد لانشاء دينه بالطمع فى الوثنية التى يعتنقها العرب ، ومن الواجب أن تقوم النشرات القادمة فى كل وقت بحملات جديدة على رجال الدين فتبالغ فى تصوير ثرائهم ونعيمهم وتنسب اليهم كل الرذائل والمفاسد كالقذف والقتل والكفر كلها مباحة فى أوقات الثورة ثم يجب أن نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ساقط وأن نشبت فكرة مساواة لا يمكن تحقيقها ولكنها تكون ملقا للشعب. كذلك يجب أن نطارد المتمنتين وأن نحرقتهم وأن نحطم ثرواتهم حتى نروح الباقين فانا لم نفض بسحق هذه النزوة فانا نضعفها والشعب ينتقم لكبريائه وغيرته بارتكاب صنوف الافراط والتطرف التى تجره الى الخضوع والاستسلام (محمد عنان - تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة - ص ١٤٤ - ١٤٥) . لم يكتف اليهود باستغلال الثورة الفرنسية فى مهاجمة الدين ورجاله ومهاجمة النبلاء وضرب القيم والنظم التى كانت سائدة فى فرنسه قبل الثورة وذلك تنفيذاً لمنطلقاتهم العقائدية والفكرية فى ضرب المجتمعات عقائديا وفكريا ، نقول انهم لم يكتفوا

بذلك بل استمروا في ترويح المفاهيم الخاطئة بوسائل اعلامهم وايصالها الى الشعوب
وكأنها صحيحة وبقينية وذلك بهدف التضليل ((وندخل في روع غير اليهود أهوية
النظريات التي تبث طياتها صحافتنا ليقنع بها الكفار ويروجوا سمومها)) (البروتوكول الثاني)
الثورة الشيوعية حقيقة وأهداف :

قال الحاخام بلويزبرونس عن مؤسس العقيدة والفكر الماركسي ((ان كارل ماركس حفيدا
لحاخام مردخاي . ماركسي كان في روحه وفي اجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له
فكرا وأسلوبا أشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بأوارهم في مولد
الدولة اليهودية)) (لعبة اليمين واليسار)
ولقد استعرضنا في الفصل السابق كيف كانت العقيدة والفكرة الماركسية هي احدى
الأعمدة الأساسية في عملية التضليل الحقائقى والفكرى للشعوب والتي شارك فيها دارون ،
وفرويد ودركايم وماركس ونييتشه وسارتر وذلك بمحونة الاعلام اليهودى الذى رعى هذه الأفكار
وروجتها الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطهما صلة القربى الوثيقة عن طريق الأمام
اليهودية العالمية . فقد جاء في بيان الشرق الأعظم الفرنسى سنة (١٩٥٢ - ٣٢٧) -
الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها كارل ماركس وانجلز هما من مرتبة
الدرجة الحادية والثلاثين ومن أعضاء المحفل الانجليزى وانهما كانا من الذين اداروا الماسونية
السرية وبفضلها أصدر البيان الشيوعى المشهور)) ومن هنا يتبين لنا أن هناك علاقة
وثيقة بين اليهودية العالمية وبين الشيوعية لأن اليهود هم واضعوا بنيتها وهم الذين روجوا
فكرتها بين الشعوب وهم الذين عملوا على تفجير ثورتها فى آب (١٩١٧) تقول المعلومات
التي نتحدث عن الثورة الشيوعية ((وفى الأيام الأولى للثورة استولى اليهود على السلطة وانتقموا
من الشعب الروسى وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوع والنساء والأطفال وحين تشكل المكتب
السياسى الأول كانت نسبة اليهود فيه على الشكل الثانى : لينين يهودى ، سنالين مستزوج
من يهودية ، تروتسكى يهودى ، كامينيف يهودى ، روگولتكوڤ يهودى ، زينونيف يهودى ،
زينونوف روسى)) . وفى مجلس ادارة الحرب كما يلي : ((تروتسكى يهودى ، جوف يهودى ،

لينين يهودى ، بوكيچ قفقاسى ، بوردسكى روسى ، مولوتوف متزوج من يهود يسة ،
 نيرسكى روسى ، انشليخه يهودى ، سويردلوف يهودى ، بورتسكى يهودى ، انتونوف
 روسى ، ميكونستين روسى ، جوزف يهودى ، رمجيف روسى ، جبر جنكى بولندى (الأفعى
 اليهودية - ص ٤٤ - ٤٥) وبعد ثورة الكفر والاحاد التى أشرف على قيادتها اليهود
 للحصول على ثمارها استطاعوا أن يتغلغلوا فى أكثر المؤسسات الحكومية للدولة وبعد سنة
 من قيام الثورة وقيام حكومة شوربية كانت نسبة اليهود طلية جدا :

| اسم المؤسسة | عدد عام | عدد اليهود |
|--|---------|------------|
| أول حكومة شوربيه | ٢٢ | ١٧ |
| ادارة الحرب | ٤٣ | ٣٤ |
| لجنة الشؤون الداخلية | ٦٤ | ٤٥ |
| لجنة لشؤون الخارجية | ١٧ | ١٣ |
| لجنة لشؤون القضائية | ١٩ | ١٨ |
| مجلس الاقتصاد الأعلى | ٥٦ | ٤٥ |
| اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتى الرابع | ٣٤ | ٣٣ |
| اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتى الخامس | ٦٢ | ٣٤ |

(عبدالله التل - الأفعى اليهودية فى محافل الاسلام - ص ٤٤ - ٤٥ .

والسؤال المطروح الآن ما هى الثمار التى جناها اليهود من وجودهم الكثيف فى مؤسسات
 الاتحاد السوفياتى ؟ .

الجواب : يحدد بنقاط رئيسية وهى كالتالى :-

أ- تحول خططهم التى ترضو الى ضرب الأديان والعقائد الى برامج تنفذ مرحليا على
 النصارى والمسلمين () وأن اقتضت مراحل التحول الاشتراكى تعايشا مع العقيدة
 الدينية أو اظهار الاهتمام بها فى بعض الحالات كما هى الحال فى المناطق الاسلامية
 فان هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت .

((مجلة كومونست السوفياتية - ١٩٤٤)) .

وتذكر مجلة أخرى ما قرره الحزب الشيوعي من متابعة العمل لقهر البعث الديني في المناطق الاسلامية والنصرانية ((ولقد أدركنا في الاتحاد السوفياتي منذ البدء خطورة بقاء الميراث الديني على حاله في المجتمعات السوفياتية مسيحية أو اسلامية ولا زلنا نواجه اليوم تحديات خطيرة وخصوصا في المناطق الاسلامية لذا قرر المؤتمر الثاني والعشرون للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي زيادة اليقظة والحذر وتجديد العزم على قهر البعث الديني في المناطق الاسلامية . (مجلة العالم والدين السوفياتية) .

ب - لقد استطاعوا تأليب فئات المجتمع على بعضها البعض بشكل صراع حاد دامى ما بين البروليتاريا ((العمال الفلاحين)) والبرجوازية ((الأغنياء)) ما نهب ضحية هذه الأفكار الخبيثة مئات الألوف من البشر وكان نتيجة لعمليات المصادرة والتأميم التي قامت بها الدولة للاملاك ان مات عدد لا يستهان به من البشر ومن بينهم الشعوب المسلمة ((فاستشهد طيون آخر عام ١٩٣٦ عندما صاد الشيوعيون ماشية الكزاج الرجل وقد كان عدد مسلمي القرم (٥٠٠) ألف نسمة فأصبحوا مئة ألف . (المسلمون في المسكر الشيوعي) لقد دعم الاتحاد السوفياتي الدولة اليهودية قبل قيامها وبعد قيامها سياسيا وعلاميا واقتصاديا وعسكريا وما زال مستمرا الى الآن في دعمها وما زالت أجزائه الشيوعية العميلة في المنطقة تؤيد وتدعم مواقفه تجاه الدولة اليهودية (١) هذه هي جهود اليهود التي يبذلونها للسيطرة على العالم ولقد رأى شياطين اليهود ان اغتراب العالم كله لمبادئ موحدة يخضعون غرضهم النهائي وهو إقامة مملكة ناود العالمية . ولكن ما هذه المبادئ التي يجمعون

(١) اليهودية العالمية - خطط وأهداف - للاستاذ عبدالله رشيد الحلاق ص ٢٢-٤٢ .

يجمعون الشعوب عليها لقد رأوا أنهم إذا دعوا الشعوب الى عقيدة دينية آثار فيها ذلك التشبث بعقائدهم فإذا تشبث الناس بعقائدهم وان كانت فاسده فان في السيطرة عليهم صعوبة بالغة لذا ابتكر اليهود الدعوة الى الانسانية الواحدة فان البشر كلهم يشتركون في صفة الانسانية ولا أحد يريد دفع هذا الوصف عن نفسه ولا تثير الدعوة اليها حمية أحد لأن له من الانسانية نصيبا اضافة الى أن الشعب اليهودي كان منبوذا مطرودا لا يمكن من الدخول في حكومات العالم وهذه الدعوة تصرف الناس عن النظر الى العقائد فيمكن أن يدخل اليهود في شتى بقاع العالم ويندسوا بين رجال الحكم والمال ولا يشار اليهم بأصبع الاتهام .

ويتعاملون مع الناس على أساس الرابطة الانسانية فقط ولكن المسلم أمره الله أن يتعامل مع البشر على أساس الرابطة الدينية فالانسان اما مهتد واما ضال كافر والمسلم صديق للمهتدي وعدو للكافر هذا من ناحية الولاة القلبية والمحبة اما تعامل البيعة والشراء فلا يدخل في هذا بل يبتاع المسلم من أي كافر ويبيع له ما لم يكن محرما .

وقد نجح اليهود الى حد كبير في صرف المسلمين عن عقيدتهم التي تأمرهم بمحبة المؤمن وموالاته ومناصرتة وبغض الكافر ومعاداته ومناذته - وارادوا لهم أن يتعاملوا مع غيرهم على أساس الرابطة الانسانية بغض النظر عن العقائد والأديان وسخروا ما يملكون من وسائل لتحقيق هذا الهدف . ومن أهم هذه الوسائل الجمعيات الطاسونية ووسائل الاعلام والمنظمات الدولية . يقول الاستاذ محمد قطب عن هذه الدعوة الهدامة :
(الانسانية أو العالمية كما يدعونها أعيانا دعوى براءة تظهر بين الحين والحين ثم تختفي لتعود من جديد . يأخى كل انساني النزعة وجه قلبك ومشاعرك للانسانية جمعاء دع الدين جانبا فهو أمر شخصي علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب لكن لا تجعلها تشكل مشاعرك وسلوكك نحو الآخرين الذين يخالفونك في الدين فانه لا ينبغي للدين أن يفرق بين البشر بين الاخوة في الانسانية تعالى نمنع الغير لكل البشرية غيرنا نظرين الى جنس أولون أو وطن أو دين . . . ثم أنظر الى تلك العبارة الطاسونية ((اخلع عقيدتك على

الباب كما تخلع تمليك)) لا ترى شيئا بين هذا الدعوة وتلك ، اما ترى أنهم —
قريبتان بل شقيقتان . اخلع عقيدتك على الباب أى عند دخولك الماسونية كما تخلع نعليك
وادخل بلا عقيدة فهكذا يريدك الشياطين ليستعبدوك ليسخروك لمصالحهم ان الذين
يحاربون اليوم بدعوى الانسانية هم المسلمون ! يحاربون بها من طريقين أو من أجل
هدفين : الهدف الأول هو ازالة استعلاء المسلم الحق بايمانه الناشئ من احساسه بالتميز
عن الجاهلية المحيطة به فى كل الأرض لى تتبهم شخصيته وتتميع . الهدف الثانى هو
ازالة روح الجهاد من قلبه ليطمئن الأعداء ويستريحوا . فمن الهدف الأول يقبول
المستشرق النمساوى المصطفى جرونيباوم فى كتاب له يسمى ((الاسلام الحديث))
ان الحاجز الذى يحجز المسلم عن التغريب هو استعلاءه بايمانه وانه لا بد من تحطيم
ذلك الحاجز لى تتم عملية التغريب وفى كتاب الفارة على العالم الاسلامى ((ان
أوربا كانت تفرغ من الرجل المريض (وهو مريض) لأن وراءه ثلاثمائة مليون من البشر
مستعدون أن يقاتلوا بإشارة من يده وهذا النص الأخير يدخل بنا الى النقطة الثانية
أو الهدف الثانى من استخدام دعوى الانسانية فى محاربة المسلمين . ان أشد ما يخشاه
أعداء الاسلام من الاسلام هو روح الجهاد الكامنة فيه وقد مر بنا فى الفصل الماضى
كلام المستشرق الكندى المصطفى ((ولقد كانت سميت الذى يقرر فيه أن أوربا لا تستطيع
أن تتسوى الفزع الذى ظلت تزاوله عدة قرون من الفتح الاسلامى وأن هذا الفزع لا يدانيه
شئ فى العصر الحديث ولا فزع أوربا من استيلاء الشيوعية على تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨ .
وهذا هو المستشرق الأمريكى روبرت بين يقول فى مقدمة كتابه السيف المقدس)) ان
لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم فى التفكير فقد غرزا الدنيا كلها
من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية ، ان النار التى أشعلها محمد ما تزال تشتعل بقوة وهناك
ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء)) ولنترك المستقبل لعلم الله فما ندرى
ماذا يكون من أمر المسلمين غدا ولكننا ننظر الى الحاضر ذاته فللمح السبب فى غزاع أعداء
الاسلام من روح الجهاد الكامنة فيه ، ان أوربا لم تتضخم كما تضخمت اليوم ولم تصل الى

الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها الا باستعمار العالم الاسلامي ونهب خيراته
واستعباد أهله واخضاعهم لنفوذها فانا يكون اذا استيقظت في المسلمين روح الجهاد
فطردوا ذلك الاستعمار بكل أنواعه الخفية والظاهرة العسكرية منها والسياسي والاقتصادي
واستردوا سيادتهم على أرضهم وأرواحهم وأقاربهم وضائرتهم . ماذا يحدث لأوروبا
لو تم ذلك ومن أين لها الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها اليوم اذا احتفظ المسلمون بخيراتهم
لأنفسهم أو باعوها لأوروبا بيما حرا بالسعر الحقيقي الذي تستحقه في التجارة العادلة
المتكافئة ومن أين لها التضخم الذي تمارسه اليوم سواء التضخم العسكري أو العلمي
أو الطائفي اذا انحسرت مواردنا وكسدت بضاعتها التي توزعها اليوم على المتخلفين
وترجح فيها بغير حساب . كلا ما يجب أعداء الاسلام قطأن تستيقظ روح الجهاد الكامنة
فيه ولنحو لم يتحقق شيء من كلام روبرت بين الذي يزعم به أعصاب الغرب ليشهدوا في
الضغط على المسلمين ولا يتيحوا لهم أي فرصة للنهوض أو على وجه التحديد لا يتيحوا لهم
أي فرصة للرجوع الى حقيقة الاسلام التي فقدوها بعملية التفريغ . ودعوى الانسانية
من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهاد عند المسلمين . يا أخي ! لقد تغيرت الدنيا !
لا تتكلم عن الجهاد ! أو ان كنت لا بد فاعلا فتكلم عن الجهاد الدفاعي فعسب ! ولا تتكلم
عنه الا في أضيق الحدود ! فهذا الذي يتناسب اليوم مع الانسانية المتحضرة ! لقد
كلنت للجهاد ظروف تاريخية وانقضت ! ،

أما اليوم فقد أصبحت الانسانية أسرة واحدة ! وهناك قانون دولي وهيئات دولية
تنظر في حقلك وتحل قضاياك بالطرق الدبلوماسية فاذا فشلت تلك الهيئات في رد حقلك
المغتصب فممنذ لك أن تقا تل دون حقلك ولكن لا تسمه جهادا ، فالجهاد قد مضى وقته
انما سمه دفا عن حقوقك المشروعة !!

أما نشر الدعوة فإياك أن تتحدث فيه عن الجهاد ! هذه فضيحة ! هناك اليوم وسائل
((انسانية)) لنشر الدعوة فاسلكها ان شئت . هناك الكتاب والمذياع والتلفاز والمحاضرة
والدرس اياك اياك أن تتحدث عن الجهاد فتكون مضفة في أفواه المتحضرين ! ولا نقول
لهؤلاء أين الهيئات الدولية في قضية فلسطين ؟ وفي قضية الفلبين وفي قضية كشمير وفي

قضية أفغانستان وفي كل قضية كان المسلمون طرفا فيها ، أين هي الحقوق التي ترد بالطرق الدولية أو المدوان الذي يصد ؟ ! ولا نقول لهم ما قيمة هذه الهيئات الدولية والقانون الدولي وكل الاجراءات الدولية اذا كان هذا القانون يعترف رسميا بأن هناك جبايرة خمسة في الأرض لهم الحق الشرعي !! ان يوقفوا أى اجراء لا يوافق أهواءهم ومطامعهم المدوانية مهما يكن عادلا في ذاته عن طريق ((الفيتو)) (حق الاعتراض) لا نقول لهم ذلك لأنه لا فائدة من جدالهم انما نقول لهم ان اسرائيل تضرب بقرارات هيئة الامم ومجلس الأمن عرض الحائط وتعلن في تبجح وهي المعتدية دائما انها لن تخضع لهذه القرارات ولن تلتزم بها ولا يتحرك الانسانيون لتأديبها انما يشهر سلاح الانسانية في وجه المسلمين فقط حين يطالبون بحقوقهم المشروع . . الاسلام دين الله صريح غاية الصراحة حاسم كل الحسم لا يدار ولا يناور ولا يتاجر بالشمارات والاسلام يفرق في صراحة حاسمة بين المؤمنين وغير المؤمنين : ((خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)) ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ((وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات)) .

ويقرر في صراحة حاسمة أن ولاء المسلم هو لله ولرسوله وللمؤمنين ويحرم الولاة فيما وراء ذلك ((انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)) ((لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء)) ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم)) ويقرر في صراحة حاسمة كذلك ان الجهاد لنشر الدعوة ما هي الي يوم القيامة ((وقالوا هم هتفتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) (١) وقد وقع في حبال هذه الدعوة جمع من الكتاب المسلمين حتى

انك تجد أحد هم بدل ما يدعوا الى الاسلام يدعوا الى الانسانية . يقول الدكتور محمد البهي (ان المبادئ الانسانية هي التي ترسم السلوك المثالي في حياة الانسان أنها المعاني التي اذا وصل اليها الانسان كان مهذبا في عشرته ومعاملته وبخير ترسم الانسان لطريق المبادئ الانسانية لا يستطيع أن يقود نفسه ولا أن يسود غيره فاذا تسامح الانسان عند المقدرة على الانتقام وراعى حرمة الغير عند المقدرة على الاعتداء عليها يكون قد حكم انسانيته حكم عقله وحكم ارادته الانسانية (١) ، وهذا كلام عجيب حقا فط هي المبادئ الانسانية التي ترسم السلوك المثالي !

ان الذي يرسم السلوك المثالي هي المبادئ الاسلامية لأنها من عند العزيز الحكيم أما الانسان فانه ظلوم كفار هلوع ضوح جزوع اذا لم يهتد بنور الوحي .
أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فهو يتلمس في الاسلام سندا للدعوة التي الانسانية فيقول (لم يرضع الاسلام حدا ودا تفصل بين بنى البشر أو تحول دون تفاهم أبناء الانسان فكان الناس يجولون في بلاد العالم الاسلامي من كل عنصر وجنس وطلة دون قيد أو حجر أو صعوبة في الانتقال أحرارا في تنقلاتهم . ونهى عن تتبع عورات الانسان والتجسس عليه ود غول منزله الا بأن منه وفرض حرمة المسكن وحرمة العرض وحرمة الدم وحرمة المال وحرمة الملكية وحرمة التدخل في شئونه الخاصة أو شئون أسرته ، وفرض حماية الجار واللائح المستعبد والمضطهد ولم يعترف بالعنصرية ولا بالجنسية بل جعل الناس اخوة في الانسانية وفي الله وفي الاسلام وجعل لكل انسان حق التملك وحرم أن يحرمه أحد من ملكه تعسفا وظلما وأوجب حق الفرد في حرية الفكر والضمير وحرية الرأي والتعبير وحرية الاجتماع وجعل له الحق المطلق في أن يحمل بكفايته الى أعلى المناصب في الدولة (٢) ، وهذا الكاتب هادنا

(١) الاسلام في حياة المسلم للدكتور البهي ص ٨٢-٨٥ وما ينبغي التنبيه اليه أن الدكتور البهي قد كتب مؤلفات قيمة انتقد فيها ما يسمونه الانسانية ((العالية كما سيأتى ولعله كتب هذا الكتاب في مرحلة معينة من حياته كان متأثرا فيها بتلك الأفكار .

(٢) الاسلام والحضارة الانسانية للخفاجي ص ١٠٠ .

الله وإياه - نظرفى مبادئ الديمقراطية الغربية التى يزعم أصحابها أنها مبادئ إنسانية فأعجب بها ثم أفقتى من عند نفسه بأن الاسلام يقرر هذا المبادئ - نمون بالله من القول على الله بخير علم . ولورجع الى الكتاب والسنة لعرف من هو الانسان الذى حرم الاسلام دمه ومن هو الانسان الذى أهدر دمه ومن هو الذى يتولى أعلى المناصب فى الدولة وهل للكافر حرية التعبير والاجتماع والتكلم سواء كان حربيا أم ذميا !! وكثير من الكتاب على هذا المنوال كمعروف الد واليى فى كتاب ندوات علمية فى الرياض وباريس والقاتيكان ومجلس الكنائس العالمى . وفى كتابه نظرات اسلامية حيث جعل يحدد حقوق الانسان فى الاسلام على حد زعمه - فقال منها :

١- النداء بوحدة الالة الانسانية على اختلاف شعوبها وأعراقها . . . الخ .

٢- الدعوة الى التعارف والتعاون بين الشعوب على ما فيه خيرهم وتقديم جميع أنواع

البر الى جميع بنى الانسان دون النظر الى جنسيته أو دينه . . . الخ

٣- حرية الانسان فى عقيدته وعدم جواز ممارسة الاكراه فيها .

(١)

٤- حرمة الدم وان على مال الانسان وعلى دمه (

ان الذى دمه معصوم وطاله معصوم هو المسلم أو صاحب الدمه ولكن الانسانيين يتلاعبون بالنصوص الشرعية فيقولون الانسان معصوم الدم والمال والكرامة فى الاسلام ونحو ذلك من العبارات التى تقرهم من مبادئ الديمقراطية الغربية وترضى عنهم العالم المتحضرا وهذا ليس صحيحا فان الانسان اما كافر مهدر الدم واما مسلم معصوم الدم أو صاحب دمه يعصم دمه اذا دفع الجزية وخضع لحكم الاسلام وهو ملتزم بالذل والصغار ولكن الانسانيين يجمعون ويأتون بالعبارات العامة التى يفهم منها الغرب بأنهم على مبادئهم وانا ناقشهم

مسلم بالنصوص الشرعية جنحوا الى التأويل وما أشبه ذلك)) ولتعرّفهم فــــى
لحن القول)) .

ومن أشهر الشخصيات التي دعت الى الانسانية فى حرارة لأجل اماتة الروح الجهادية
فى أبناء الهند أبان الاستعمار الانجليزى المدعو / سيد أحمد خان بها در وقد
قام فى الهند بحركة واسعة النطاق ترفع لواء الاصلاح والتجديد وقد أسس كلية علمية تدعى
الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية خرجت الكثير من شباب الهند ممن هم على شاكلة
وقد تحولت الآن الى الجامعة الاسلامية فى الهند بعد تقسيم سنة ١٩٤٨ م وفيها تدرس
المسيحية بعناية ^(١) ، يقول الدكتور محمد البهى فى وصفه لتفسير القرآن لسيد أحمد خان
المذكور ما يلى (وقد نهج السيد أحمد خان فى تفسيره للقرآن الكريم على تطبيق ابادة
على أساس طبيعى مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات ولهذا جعل
((النبوة)) غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية فهى غاية انسانية طبيعية
وطريقها طريق انسانى غير خارق للعادة ولكنه مفيد يقر ختم الرسالة الالهية ببعثه
المصطفى عليه الصلاة والسلام . وفى شرعه آيات القتال أضعف من فرضية الجهاد فى
الوقت الحاضر كما أنه فى الآيات الأخرى الخاصة بأهل الكتاب عبر فى غير لبس عن توهين
القبوة بين أهل الكتاب من جانب والمسلمين من جانب آخر !! وطلب التعاون بين
المسلمين والغيريين ودط الى ما أسماه ((انسانية الأديان)) أى المعنى الانسانى العام
الذى تدعو الأديان السطوية الى اعتباره وحفظه ! وهو ما يشبه اليوم فكرة ((العالمية))
التي تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيعوية الدولية وقد كانت من قبل تطبق بالكفرة الماسونية
وفى هذه الفكرة تلمح كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب) ^(٢) .

(١) أنظر كتاب الفكر الاسلامى الحديث للبهى ص ٤٣ .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث للبهى ص ٤٢ .

أما وسائل الاعلام في العالم فدعوتها الى الانسانية لا تحتاج الى تدليل وما ذلك الا لسيطرة اليهود على وسائل الاعلام ومراجعة الميثاق الاناعي للدول العربية التي يظهر بوضوح الدعوة الصريحة والمكشوفة الى الاخوة الانسانية بغض النظر عن المعائد حيث جاء في المادة الثانية منه ما يلي (التحريف بالوطن العربي مهد الحضارات ومهبط الرسالات والدور الذي اضطلع به الانسان العربي ! في هداية البشرية ومساهمته الحضارية وحمل رسالة الاخوة الانسانية والحرية والصحة والتسامح . .) وجاء في المادة السادسة (الانفتاح على الحضارة الانسانية أخذاً وعطاءً وتعميق روح الاخوة الانسانية والتأكيد على أن الأمة العربية تمديد لها لكل شعوب الأرض دون ما نظر الى اختلاف في الدين أو العقيدة أو اسلوب الحياة للتعاون على توفير أسباب الحرية والتقدم والسلام القائم على العدل وذلك انطلاقاً من جوهر القيم العربية واستهداء بميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان) (١) ، وما تقدم يظهر بوضوح خطر الدعوة الى الانسانية على الجهاد في الاسلام فان جوهر الدعوة الى الانسانية هو نبذ الدين وعدم جواز مقاتلة الانسان لأخيه الانسان مهما كان اعتقاده وكيف لا تكون كذلك وهي انتاج ماسوني فان الماسونية ترى هذه الدعوة الخبيثة وتزينها للناس بأساليب غلابه يقول الدكتور محمد محمد حسين (ولو تبخنا الدعوة المبتدعة المعاصرة الى العالمية (الانسانية) لوجدنا أنها على اختلاف صورها وشعبها كما سنبينه من بعد دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة أولها : انها تناقض الناموس كما بيناه ثم ان كل شعبة من شعبيها تريد أن تكون ديناً بديلاً يجتمع عليه الناس ومن أجل ذلك فهي تشترك في مهاجمة الأديان لتعظم سلطانها على قلوب الناس وضمائيرهم حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد فهدم الأديان مرحلة

(١) المنظمات العربية المتخصصة في نالان جامعا لدول العربية للاستاذ غسان يوسف

لابد أن يمر بها الداخل في مذاهبهم لكي يتحقق ما يزعمونه من محو العصبية التي هي في زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والأمم و . . . وللغالبية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية ولكنها تحاول أن تصل إلى النظام الواحد الذي يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهب واحد أو هي بمباراة أخرى تحاول أن تكتشف الأصول الانسانية المشتركة - حسب زعمهم - وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية لتصبح الأرض وطنا واحدا يدين بدين واحد ويتكلم بلغة واحدة ويتذوق الفنون والآداب بنوع واحد مشترك وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارن والأدب المقارن والقانون المقارن وعلم اللغة المقارن أو ما يسمونه علم اللغة العام وأشباهاها إلا فروط من هذا التصور وأدوات لتحقيق هذه الغاية التي لا سبيل إلى تحقيقها لأنها تطمح إلى أن تغرق سنن الله ونواميسه أو لأنها تجهل هذه السنن والنواميس . والدعوات المبنية على هذا التصور كلها دعوات هدامة لأنها تهز بعنف عوامل التجمع والتآلف التي تقوم عليها المجتمعات البشرية ثم تعجز عن أن تقيم بدلا منها عوامل أخرى للتجمع وأساليب أخرى للتعاون والتآلف ينتظم بها العمران فهي تشكك الناس في ولائهم الديني والوطني وتضعف ثقتهم في كل قوانينهم ومؤسساتهم ثم تتركهم في الفوضى والقلق وسط انقراض ما مهدمت من عقائد واطلعت من وشائج . الماسونية - على سبيل المثال - تدعو إلى الانسانية وصحة البشر كلهم بلا تمييز والمشتغلون باستحضار أرواح الموتى ممن يسمون أنفسهم الروحيين يدعون إلى الانسانية والسلام ويعتمدون في ذلك على ما يدعونه مما ينسبون إلى أرواح من يتسلون بهم من مختلف الأجناس والطل والشيعوية كذلك تدعو إلى الانسانية والسلام ودعاة التوفيق بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة يرتضيها كل الناس منهم اليهائية ومنهم أصحاب الدعوة إلى التوحيد بين الاسلام والنصرانية وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه وتدعو إلى تعاون البشر كالروتاري والأوسود (الليونز) والتسلح

(١)
الخلق وشهود يهوه . . .

ان الدعوة الى أن يعيش الانسان مع أخيه الانسان ويحبه ويمد يده اليه ولا يحاربه لأجل عقيدته دعوة ماسونية تهتد الى اسقاط الجهاد واسقاط عقيدة جب المؤمنين وبغض الكافرين والماسونية جمعوية سرية يهودية هي سبب كثير من البلايا والانتكبات في هذا العصر وفي العصور التي قبله ونالوا لشدة خطرهما على العالم عامة وعلى الأمة الاسلامية خاصة أنقل تصريحاً بها وبالسليبيها للعلامة الشيخ عبدالرحمن الأوسري رحمه الله تعالى وهو من أشد الناس اطلاطاً على غفلاها لأنه كان جاعلاً هتك أسرارها ديدنه وهجويراه وكان شديد التحذير منها في كل مناسبة ان يقول عنها في جواب سؤال وجه اليه عن الماسونية (الحمد لله رب العالمين الماسونية جمعوية سرية يهودية يسمونها بالقوة الخفية أسسوها بادء الأمر ضد النصارى لتعمل على تحريف انجيلهم وأناجيلهم وافساد عقائدهم وأفكارهم وتشتت أمرهم بأنواع الخلف والشقاق وقد سلكوا شتى الأساليب الدقيقة لتحقيق ذلك فلما جاء الاسلام وسعوا دائرتها ليعيطوه بأشراكها . واليهودية العالمية تمد الجمعيات الماسونية برجال الفكر والذهاء والمكر ويلبسون لكل عصر لبوسه الملائم بل يلبسون لكل أمة وشعب وبلد لبوسها الملائمة بل يدخلون الى كل رجل من مداهله وأن واقه الخاصة حتى يستطيعوا فتحه وقد حصلت اعترافات كثيرة في أوقات متفرقة على أن - الماسونية أوجدت لخدمة أهداف اليهود الشريرة وتسهيل عملية استيلائهم على عقول القادة وتحطيم نفوسهم وتعويلهم الى عبادة مؤمنين بالماسونية ويكفرون بالله وينفونون أوطانهم ويبيعون أمتهم لصالح اليهود وذلك لقوة انطلاء المكر الماسوني وشدة تأثيره على القلوب بحيث كسبت أعظم وأكثر القادة في الشرق والغرب وتغلقت الماسونية في الأسر المالكة والطبقات الحاكمة في أوروبا ومن دار في فلكها الثقافي في البلاد العربية ولهم طرق في اغتياخ الشعب ان لمسوا فيهم الاعساس بخاطر الماسونية أو الامتناع من حكاهم المتهمين بها فانهم حينئذ يوعزون اليهم بافلاق أي مؤسسة افتضحت بالماسونية ليقبوا على انقاذها مؤسسة تعمل اسطاً خروهي في الباطن عين الماسونية - ليبرئ المسؤول نفسه من وصفتها ويكسب سمعة جديدة يقرب بها صفحة من نوع آخر لخدمة اليهود . وقد جاء في قرار المؤتمر

الماسوني الضمقد عام ١٦٠٠م في باريس . ان غاية الماسونية تأسيس جمهوريات طمانيه تتخذ الوصولية والنفعية أساسا للاتحاد الماسوني . ومن نتائجها القديمة تحريف الكتب المقدسة والعبث بتفريق الأديان والجماعات واضرام نيران الحروب والعداوة بين الأمم ومن نتائجها في أول الاسلام .

١- عمل المؤامرة لقتل الخليفة الثاني .

٢- اختلاق الأكان يب على الخليفة الثالث وعمله .

٣- تزوير المكاتب وقلب العقائد حتى يرى ماجرى .

٤- العبث بحقوق الأعزب حتى أنشؤوا فيهم الخواج والنواصب .

٥- نشر التجهيم بفروعه المختلفة من جهمية ومعتزلة وقدرية وغيرهم هذا الى جانب

القرامطة والباطنية في نواحي أخرى .

٦- أكان يبهم على الأمويين والتعاون مع الأطمع على الاطاحة بهم حتى تسنى لهم ترويح

هذا المذاهب وما عطوه في رضهم من ابراز المغتار الكذاب ونحوه كما ضبطه صاحب

كتاب (تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في الاسلام) (الذي ينبغي

اقتناؤه) ثم العمل على اضرام نيران الحروب التتريه والصليبيه وابرار من يخد مها

ويمد للغزاة سبيل الفتك كالنصير الطوس وابن العلقمي وغيرهم (وتأثيرهم)

على نصارى الشرق وأثاره النعرة فيهم ليتما ونوا مع اخوانهم الغزاة ضد المسلمين

ويتجسسوا لهم ويدلوهم على كل طريق كما قرره قادة الغزوة في ثنائهم على نصارى

العرب عكس ما يزعمه اتباع (جورج هبش) ونحوه من القوميين عن جهل أو تضليل .

ومن نتائج الماسونية أشهرها :-

١- قيام الثورة الفرنسية على حكم الكنيسة الذي هو من أوضاعها المقصودة لأشقاء الناس ومحاربه

العلم والمخترعين ليتم لهم ما يريدونه من حرب الدين راقتلعه من النفوس حتى جرى

أوغاد المسلمين بالتقليد الى محاربة دينهم دون النظر الى الفوارق العظيمة بين

الذين الاسلامي وبين الكنيسة والما يستغلون عبث السياسة وتلاعب الموظفين

تحت الاستبداد لنيل أغراضهم من الاسلام وأهله كأنهم اذا حكموا حولوا الدنيا الى جنات الفردوس . ولكون الماسونية تخدم أغراض اليهود وتعمل على اقامة ولدتهم وتدعيمها فانها لا تزال تعمل في اقامة الثورات المتواصلة التي تفسد فيها بلاد المسلمين رجالها وطلماها وتتبدل اوقاتها وتضيق شروطها ويقل انتاجها بتأميم مصانعها ومصالحها واستعباد أهلها بأفكار تضرهم وتنفع اليهود لأنها ملتزمة من مزابلهم . وقد جاء في قرار المؤتمر الدولي المضيق في بروكسل : يجب أن لا يخرب عن الأذهان أن الماسونية هي التي دبرت الثورة الفرنسية في محافظها لأجل تحقيق أغراضها (ص ١٢٤) وجاء في محفل الكرسى الأكبر سنة ١٩٢٢ ص ٢٨١ أن الماسونية التي لعبت أهم الأدوار في اشعال الثورة الفرنسية يجب أن تكون على أهبة الاستعداد للقيام بأية ثورة منتظرة في المستقبل فعلى السائل والقرئ أن يعلم منشأ الثورات وعالة المتبجحين بها وأنهم ماسونيون ان تاب اليهود ثم ليعلم السائل والقرئ من نفس اعتراف الماسونيين ، هذا انهم قد لعبوا دورهم الفطير في السياسة الأوروبية القائمة على أسس الاستعمار والعنصرية ليعلم الفرد الشاسع بسبب خيلتهم الآتمه وما يدعونه من مبادئ الانسانية وهاكم تعميما لهم في مضابط المشرق الأعظم عام ١٨٩٣ م نصه هكذا (ان المشرق الأعظم يرى حفظ الأسرار من أهم واجبات الماسونية ويمنع منها باثنا كل النشرات المتعلقة بالأفعال والحركات . . . ان كل شيء عندنا قد يسدل عليه ستار من السر ويقول الوعدة والكتمان ننتصر في الممارك الفاصلة) فاذا كانت الماسونية تعمل لخير الانسانية فما الداعي الى التكتم الشديد ؟ وهاكم قرارات أخرى تتعلق بتعظيم الدين فقد نصت مضابط المحفل الماسوني الأكبر عام ١٨٩٧ ص ٥٤ لا يقبل المتدينون في المحافظ الماسونية لأن الذي ينفرد في المحافظ يجب أن يكون حرا والماسوني الحقيقي لا يكون متدينا وعلى الماسونية أن تتفق مع كل أولئك الذين لا يدعون الى الدين أمثال الاشتراكيين والديمقراطيين ودعاة حقوق الانسان والجمعيات المتحررة الأخرى وعليها أن تشترك في المجالات الأخرى للعمل كالجامعات الشعبية والمدارس السياسية والمؤسسات الأخرى (نشرة المشرق الأعظم عام ١٩٠٣ ص ٣٠٠) وجاء فيه أيضا (على الأخوان

أن ينفذوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل عليهم ان احتاج الأمر ان يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على أن لا تشتم منها أى راحة عاقبية للدين عليكم أن تلموا شمل قلوبكم أيضا كتم حتى في المبادئ الصغيرة وعلينا أن تولوا أمورنا السذج من رجال الدين ولتطمعوا - خفية - ذوى القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم . وبنيية المتفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تنتزعوا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة فعليكم أن تنتزعوا أمثال هؤلاء من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم الى لذائذ الحياة البهيمية) وهذا القرار من الماسونيين يكفى وحده للتدليل على مبلغ روح الهدم والكره التي يعطونها نحو المجتمعات ما يخالف معنى الانسانية التي يتشدقون بها آنذا وتشليلا فيالها من يهودية تسعى في الأرض فسادا . وجاء في قرار مؤتمر معافل الماسونية عام ١٨٨٤ م يجب على الماسونيين الذين بيدهم زمام الأمور ان يأتوا بالماسونيين الى سدة الحكم وأن يقربوهم من كراسيه وأن يكثروا من عددهم فيه وفى وسع الماسونى أن يكون مواطننا ونائبا أو رئيسا بشرط أن يكون ماسونيا وعلية أن يستلهم الأفكار الماسونية وصمما على مكانته الاجتماعية فانه يستوعى مذهبه من المحفل الماسونى لا من مكانته . ان الماسونية هى سيدة الأحزاب السياسية لا مخادمتها وانها هى المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والتقاليد ، ان الجمعيات الرياضية والفنون الموسيقية وغيرها من المؤسسات التي تربى الناشئة عقليا وجسميا هى المرتج الخصب لنمو الماسونية فيها (. هذه جمل قصيرة من قراراتهم نقلتها لا يضاع الحقيقة ولا يخفى ان الذين يدبرون دفة الماسونية هم يهود فى جميع أنحاء العالم وهم المحركون لأكبر سياسة العالم وقد صرح السياسى الانكليزى المشهور (بنيامين) سنة ١٨٤٤م قائلا (ان الذين يدبرون دفة السياسة فى العالم ليسوا الذين هم فى دسة الحكم ظاهرا وانما هم الذين يكمنون وراء الكواليس) وصرح نابليون الثالث ملك فرنسا عام ١٨٥٩ بقوله (يجب الا نخدع أنفسنا أن الدنيا تدار من قبل المضلطات السرية) وفيما أوردته كفاية للتعرف على خطر الماسونية وخطورتها للأفراض اليهودية وتلونها فى الهدم والتخريب بشتى الطرائق ومن أراد مزيد الاستطلاع فعليهم

بمراجعة الكتب المتكفلة بكشف أسرارهم مثل كتاب تبيد يد الظلام لعوض الخورى
 وكتاب (أوقفوا هذا السرطان) للبستاني وكتاب (الماسونية) و (اسرار الماسونية)
 وكتاب (السرايمون فى شيعه الماسون) الا أن هذا الكتاب فيه أسماء شخصيات
 كبيرة قد اتخذت بدخول الماسونية ثم خرجت منها بعد تبين أمرها فلا يجوز التعويل
 على ما ذكر فيه ! ومن المهم فى هذا الجواب التنبه على نوايا الروتارى فانها من صيغ
 الماسونية اليهودية ولاقتهما بالنوايا المشبوهة الأخرى كالليونز - والكواي - والاكتتج
 وغيرها ما يقصد اليهود من تكونها ايجاد غايط موعدة لأهداف تشخص اليها وأزيد
 القارئ تبنيها الى أن جمعية الاتحاد والترقى مؤسسة ماسونية يهودية أقيمت للاعاطفة
 بالسلطان عبدالحميد وأن الحكم بعده صار بيد هم ويد المخدوعين بهم والمؤتمرين بأمرهم
 والذي ذان بعضهم القتل على أيديهم وسأتعرف القراء الكرام هذا كرامات اليهود الذين
 ركزتهم الماسونية فى أخطر المناصب العالمية الحساسة وأرقامها ليصرف القراء الكرام من هو
 المعرك الوحيد لمن يمتنره أكثر الساسة مرجعاً ويعتمد عليه وليطلعوا على مدى الاخطبوط
 الرهيب الذى بجعله أو يتجاهله كثير أو قليل من أولئك واللهم الهادى ،

ولما كانت مهمة الماسونية هدم الأديان سوى دين اليهود والقيام بتزييفها وطمسها
 من جهة ومن جهة أخرى العمل الدائب لاعلاء اليهود وانتصارهم ونفوذ كلمتهم فقد عملت
 الماسونية التى هى القوة الخفية على تركيزهم فى المناصب الممتازة لأن غايتها القصوى تمكين
 اليهود من الاستيلاء على العالم فهى أساس أعطاهم . وقد ركزت عدداً هائلاً من اليهود فى
 عصية الأمم سابقاً وهيئة الأمم أو مجلس الأمن لاحقاً كما دلت على هذا مضابط المحفل
 الأكبر للماسونية . وهناك أيها السائل المحترم والقراء الكرام أهم أسماء الأشخاص الذين
 ركزتهم الماسونية فى أهم المراكز العالمية الحساسة :-

- ١- هيئة الأمم المتحدة : فى مكتب السكرتارية أهم شعبية فيه قد تركز فيه اليهود .
- ٢- الدكتور ايجاس بلوك رئيس قسم التسليح ما فلاحظوا مبلغ الخطر يا أحبائى
- ٣- التنوير كولات . للأمر الاقتصادى .

- ٤- آنس كارر وزير زنج : المستشار الخاص للشئون الاقتصادية .
- ٥- دايف وانلوب : رئيس قسم الميزانية .
- ٦- رئيس قسم الخزائن والواردات (كارن لاجمن) .
- ٧- صامون سكرتير الشئون الاجتماعية (هنرى لاندير) كل هؤلاء يهود .
- ٨- رئيس قسم الموائد المتبادلة الدكتور (ليون أستبك) يهودى .
- ٩- رئيس قسم حقوق الانسان الدكتور شيكوبل يهودى فما أبعد الانسانية عن نيل حقوقها من اليهود ! .
- ١٠- رئيس دائرة مراقبة البلاد غير المستقلة اج أى ويكوف يهودى ، ولهذا لا تحصل بلاد على استقلالها حتى يستكمل المسخ الفكرى لأهلها من جهة وحتى يتسلم البلاد من المستعمر من يحكمها بأخبث من حكمه وأشنع ولو بتصارح جيهايات لا يرتفع فيها الا الذى يرضاه المستعمر خلفا له كما جرى فى كثير من البلدان آخرها (عدن)
- ١١- مساعد السكرتير العام لقسم الاستعلامات العامة بنيامين كوهين يهودى .
- ١٢- رئيس قسم الأفلام جى بنويت ليفى يهودى . فلا تستنكر ما تراه فى عالم الأفلام من الخلاعة والمجون واثارة الفرائز وغلبة الوقاحة مادامت الرئاسات لليهود .
- ١٣- مساعد السكرتير العام لشعبة القوانين الدكتور ايفان كرو . يهودى ولهذا ينشؤ فى كل بلدة من أبنائها من يحبذ القوانين الغربية ويسخر من الشريعة السماوية .
- ١٤- رئيس الشعبة القانونية . ابراهام اج فيلر يهودى .
- ١٥- مشاور شعبة القانون الدولى جى ساند برك يهودى .
- ١٦- رئيس قسم الملبوطات . دافيد رزيلودرو يسكى يهودى .
- ١٧- رئيس قسم المترجمين . جرحوا رايتوفيج يهودى .
- ١٨- رئيس قسم التصاميم مرسيديس بركمن يهودى .
- فانظر أيها السائل وأنظروا أيها القراء اللگرام الى أى مدى غطر هذا الموظف اليهودى الذى مركزته الماسونية فى هذا المنصب لأن جميع طلبات الانتقاء لوظائف

هيئة الأمم المتحدة تقبل أو ترفض من قبل هذا المدير بهذه المديرية ولا شك
يقبل كل متقدم للوظيفة هنا من اليهود الشبثاء ويرفض ما سواهم وبهذا يزداد عددهم في
أخطر مؤسسة عالمية .

- ٢١- رئيس قسم المراجعات الدكتور أى سينغر يهودى وله تأثير أيضا (١)
- ٢٢- رئيس أطباء قسم الصحة العالمية باول راد زريا تگو . يهودى
- ٢٣- رئيس قسم الاستخبارات لركز جنيف جرزى شيزو - يهودى .
- ٢٤- رئيس قسم الاستخبارات لمركز الهند ليكفر يهودى .
- ٢٥- رئيس قسم الاستخبارات لمركز الصين هنرى فاستييهودى .
- ٢٦- رئيس قسم الاستخبارات لمركز وارسو الدكتور جولوليس ستاويسكى يهودى .
- ٢٧- رئيس الأقسام الداخلية والدليلههيئة الأمم المتحدة دافيد - أى موريس واسمه
الحقيقى موسكوفين يهودى .
- ٢٨- مساعد لهذا هو ألنمن يهودى بولونى
- ٢٩- مساعد آفر دايفيد زلباخ يهودى أميركى .
- ٣٠- مساعد ثالث للمذكور آنفا فينت يهودى بلجيكى هؤلاء يسيطرون على هذا القسم .
- ٣١- رئيس الأقسام الداخلية لمنطقة خط الاستواء . فى . كبريل كارسز يهودى .
- ٣٢- مخابر بولونيا لشعبة الأقسام الداخلية جان روزنر يهودى ،
فانظروا مدى الخبايا حيث الرؤساء المسيطرون على هذه الأقسام الهامة فى هيئة
الأمم المتحدة كلمهم من اليهود .

(١) لم يكن فى النص الرقم ٢٠،١٩ فما أدري سقط من الطباعة أم هناك خطأ فى الترقيم .

- ٣٣- رئيس شعبة التغذية والزراعة أندري ماليس يهودى
- ٣٤- الممثل الدانماركى فى شعبة التغذية والزراعة أى بي جاكويش يهودى .
- ٣٥- الممثل الهولندى فى شعبة التغذية والزراعة أى فريس يهودى .
- ٣٦- رئيس شعبة التعمير ام ليمين يهودى .
- ٣٧- رئيس شعبة التأمين كير واكارد وس يهودى .
- ٣٨- رئيس شعبة المتفرقات بى كارل وس يهودى .
- ٣٩- رئيس شعبة الاقتصاد التحليلى ام . ازاكل عقل يهودى
- ٤٠- المشاور الفنى لشعبة الغابات جى بى كالكان يهودى .
- ٤١- رئيس شعبة صيانة الغابات أم أس ماربرن يهودى .
- ٤٢- رئيس قسم التغذية جى مار يهودى .
- ٤٣- رئيس قسم الادارة رسل . فهولا ء عشر رؤساء فى أقسام هامة من تغذية العالم
التابعة لهيئة الأمم المتحدة كلهم من اليهود فياله من خطر .
- ٤٤- رئيس لجنة التبادل الخارجى لمنظمة اليونسكو للتعليم والثقافة آلف سومر فيلد .
- ٤٥- رئيس لجنة تدعيم الثقافة العالمية جى اتونهارد يهودى وهذا ان اليهود يان هما
المعوران الأساسيان فى شعبة التطيم والثقافة .
- ٤٦- رئيس شعبة الثقافة العالمية ام . لافهن يهودى .
- ٤٧- رئيس قسم الاستعلامات العام اج كابلن يهودى .
- ٤٨- رئيس قسم لميزانية الادارة سى اج ويتز يهودى .
- ٤٩- رئيس شعبة الذاتية باليونسكو اس سامول شيلينج يهودى .
- ٥٠- رئيس شعبة الايواء والسياحة بن أبرايسكى يهودى .
- ٥١- رئيس مكتب الهيئة الوتعيينى بى ويرمل يهودى .
- ٥٢- رئيس المصلحة الفنية لشعبة صحارى آسيا الدكتور أى ويلسكى يهودى فهولا ء تسعة
رؤساء كبار مترئيسين فى منظمة اليونسكو التى يعتمد عليها ادعاء العروبة تارة -
والاسلام تارة وانما كان الرؤساء يهودا من المفسدين فى الارض فكيف تتاح للمرؤسين

مهبط كانت د يانتهم أو نياتهم . (١)

- ٥٣- المدير الاقصادى لبنك الأعمار الدولى ليونارد بين رست يهودى .
- ٥٤- الممثل الشيكو سلفاكي فى مجلس شورى الادارة ليوبولد جيطة يهودى .
- ٥٥- عضو الشورى لمجلس الادارة أن بولاك يهودى .
- ٥٦- الممثل المهندي فى مجلس شورى الادارة أي ام جونك يهودى .
- ٥٧- الممثل الفرنسى فى هذا المجلس بين مندليس يهودى .
- ٥٨- ممثل بيرو فى هذا المجلس بين ام بزئليس يهودى .
- ٥٩- سكرتير بنك الاعمار الدولى ام ام منلس يهودى .
- ٦٠- ممثل يوفسلافيا فى مجلس شورى الادارة وى ابراموفيج يهودى فمؤلا ٦ ثمانية متمركزون فى بنك الاعمار الدولى بأهد المراكز .
- ٦١- المدير العام للمؤسسة صندوق النقد الدولى كميل كات .
- ٦٢- معاون المدير العام لويس اكنم يهودى .
- ٦٣- مدير قسم التدقيق اي ام برنستن يهودى .
- ٦٤- المشاور العام للمؤسسة ليوليف نفاك يهودى .
- ٦٥- المشاور الأقدم للمؤسسة جوزيف كولد يهودى .
- ٦٦- الوضو الشيكو سلفاكي فى هيئة الادارة جوزيف كولوهن يهودى .
- ٦٧- الممثل الفرنسى فى هيئة الادارة بين . مندليس يهودى فمؤلا ٦ تسعة ركائز ممن اليهود النخباء فى مؤسسة خطيره تعتبر المصدر الفقرى لهيه الأمم المتحدة .
- ٦٨- المدير العام للمؤسسة للصحة العمالية أي زابى يهودى .
- ٦٩- رئيس قسم الطب بين ماير يهودى .
- ٧٠- المدير العام لتقسيم الجراحة دكتور ام كود مز يهودى .
- ٧١- مدير قسم ادارة الطب والطليه ام ستسكل يهودى .
- ٧٢- رئيس الشيعة الفنية زت د وستج يهودى فمؤلا ٦ خمسة فى مؤسسة الصحة العالمية التى هى من أعظم المرافق متمركزون فيها .
- (١) فيه سقط فى النص ولعله (أن يعطوا شيئاً مفيداً) .

٧٣- رئيس اللجنة الداخلية في مؤسسة التجارة العالمية ماكس لوتنز يهودى .

٧٤- رئيس قسم الاستعلامات الدولية اف . سى وولف يهودى .

فهؤلاء الذين ضيبت أسماءهم منذ عشرين سنة تقريبا قد تركزوا واحتلوا الصدارة فى أعظم المؤسسات العالمية وأخطرها وأنا كانوا قد بلغوا هذا الحد الهائل فى أول وهلة فقد يتضح عدد هم ويتضاعف ثم انه انا كان هؤلاء فى الرئاسة والمناصب الحساسة فمن الضرورى تركيزهم لما يريدون من اليهود والعناصر الخبيثة وبعادهم لكل عنصر طيب وخفضهم رتبة كل من لا يعمل لصالح اسرائيل (١)

قلت : انا كان هذا العدد الضخم من اليهود فكيف يكون عدد الماسونيين من غير اليهود !!! وفرضى من نقل هذا النص مع لونه هو لا يوضح أن الدعوة الانسانية التى يريدونها الخبيثة والمففلون انا كانت تقف وراءها جميعة الماسونية الخبيثة واليهودية العالمية التى عرف القارئ شيئا عنها من خلال النص فأى فائدة ترجى منها وهل يجنى من الشوك العذب وهل تدعو الماسونية الى شئ فيه صلاح العالم وهذا تاريخها وهذه أعمالها وهذه أقوال أقطابها التى تقدر حقا على الأديان والأخلاق ان لم ينتبه العالم لهذا الخطر الدايم فسيكون العمار الذى يمتطيه اليهود .

وقد تمكن هؤلاء اليهود الذين سبقت الاشارة الى أسمائهم ومناصبهم فى هيئة الأمم المتحدة ومن معهم من الماسونيين والمففلين بهكم تركزهم فى هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها من التأثير على الهيئة حتى تبنت ما يسمى بالاعلان العالمى لحقوق الانسان بحيث وافقت عليه الدول المشتركة فيها فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨م وصارت الهيئة هى المسئولة عن تنفيذ حقوق الانسان بزعمها والقاء نلرة على مواد هذا الاعلان يظهر بوضوح ما يهدد

(١) الأجرية المفيدة فى سهبات العقيدة للدوسرى ص ١٧٤-١٧١ .

اليه واضعه من جمع الناس تحت لواء الانسانية و الغاء الرابطة الدينية بين الشعوب
 و اخلال الرابطة الانسانية محلها و بيان مخالفة الاعلان العالمي لحقوق الانسان
 للاسلام يستحق رسالة مستقلة ولكن سأقتصر على ايراد بعض مواده المخالفة لحكم الجهاد
 في الاسلام مبينا وجه المخالفة فأقول وبالله التوفيق .

أولا : جاء في ديباجته ما يلي (ان غاية ما يرنو اليه طامة البشر ان يثان عالم يتمتع فيه
 الفرد بحرية القول و العقيدة و يتحرر من الفزع و الفاقة) .

ان هذا العبارة اعتراف و اقرار من كل من صدق على هذا الاعلان بحرية الالحد
 و عدم مجاهدة المرتدين و عدم افراج الكفار و منحون بالله من حقوق هذه نتائجها !!

ثانيا : جاء في المادة الأولى ما يلي (يولد جميع الناس احرارا . . . و عليهم أن يعامل
 بعضهم بعضا بروح الأخاء) ان من يعترف بهذه المادة يلغى الحكم الاسلامي
 المتضمن بأن ابن العبد عبد مثل أبيه و لا يكون حرا الا باعتراف سيده له ثم ان التعامل
 بروح الاخاء مع الكفرة و الملحدين يناقض حكم الجهاد ، فالمؤمن أخو المؤمن
 عد و للكافر ، قال تعالى : يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين و أغلظ عليهم
 و ما واهم جهنم وئس الممسر (١) ، و قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تلتوا الذين
 يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة و أعلموا أن الله مع المتقين (٢) فأين روح الأخاء
 في الآيات السابقة التي يريد الماسونيون و انابهم !!

ثالثا : جاء في المادة الثانية (ان لكل انسان التمتع بكافة الحقوق و الحريات دون أي تمييز
 كالتمييز بسبب . . . الدين) .

(١) التوبة ٧٣ .

(٢) التوبة ١٢٣ .

قلت : ان الله لم يجعل المؤمن كالكافر في كل شيء بل للمؤمن سعادة وللكافر معاملة ومن راجع أحكام أهل الذمة في الاسلام عرف الفرق بين حقوق المسلم وحقوق الكافر ولكن أين المتدبرون لكلام الله وكلام رسوله من بين مؤلفي هيئة الأمم المتحدة !!

رابعا : جاء في المادة الرابعة (لا يجوز استرقاق أى شخص) .

قلت : وهذا تعريم لما أحل الله وهو يناقض أحكام الجهاد كما تقدم .

خامسا : جاء في المادة الخامسة (لا يعرض أى انسان للتعذيب ولا للعقوبات والمعاملات القاسية والوحشية) .

قلت : أن أعضاء هيئة الأمم المتحدة فالمصدقون على هذه الحقوق ! يجمعون على أن رجم الشيب الزانى من العقوبات الوحشية التي تتنافى مع نظامهم . تعالى الله عن قول الذممة والطحدين علوا كبيرا .

سادسا : جاء في المادة الثامنة (لكل شخص أن يلجأ الى المصالح الوطنية . . . الخ) قلت : لا يجوز للمسلم اللجوء الى المصالح التي لا تعكف بالكتاب والسنة ، قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)^(١)

سابعا : جاء في المادة الثالثة عشرة (لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة) .

قلت : لا يجوز للكافر أن يقيم فى المسجد الحرام لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد طهارتهم هذا)^(٢)

(١) النساء ٥٩ .

(٢) التوبة ٢٨ .

بل لا يجوز له أن يستوطن جزيرة العرب وهو غير مطوك لقول الرسول —
 صلى الله عليه وسلم ((لا يجتمع دينان في جزيرة العرب))^(١) قال مالك (قال ابن شهاب
 ففهم عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى يهود خيبر . قال مالك وقد أجلى عمر
 ابن الخطاب يهود نجران قدك) ولا يجوز للمسلم أن يقيم بدار المشركين لغير ضرورة
 أو حاجة لقوله صلى الله عليه وسلم ((من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله))^(٢) ، وقال
 ابن القيم رحمه الله (ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من إقامة المسلم بين المشركين
 انا قدر على الهجرة من بينهم وقال ((انا بريء من كل مسلم يفهم بين أظهر المشركين
 قيل يا رسول الله ولم قال لا تراءى ناراها))^(٣) ،

ثامنا : جاء في المادة الثامنة عشرة (لكل فرد أن يغير عقيدته) .

قلت : كذبتم ورب الكعبة فكيف يصدق على هذه الحقوق مسلم !! .

تاسعا : جاء في المادة العادية والعشرين (لكل فرد الحق في الاشتراك في ادارة الشؤون
 العامة لبلاده) .

قلت : ليس للكافر ذلك في دار الاسلام لقول الخليفة الراشد المطهيم عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه لمن جعل له كاتباً نصرانياً (لا تكرموهم انا هانهم الله
 ولا تدنوهم انا قضاهم الله ولا تأتمنوهم ان يؤمنهم الله عز وجل)^(٤) .

عاشرا : جاء في المادة العادية والعشرين (ان ارادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة)

قلت : ان اختيار أهل الحل والعقد - من العلماء والامراء ورؤوس الأعيان
 المتمسكين بالكتاب والسنة - هو الذي ينبغي عليه تعيين الخليفة لا قول دهاء الناس

(١) موطأ الامام مالك ص ٦٤٤ ومسند أحمد ٦ / ٢٧٥ .

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني ٥ / ٢٨٧ وقال اسناده حسن .

(٣) زاد المعاد ٣ / ١٢٢ وقال المحققان لزاد المعاد شعيب وأخوه حديث صحيح أخرجه

أبو داود ٤٦٤٥ ، والترمذي ١٦٠٤ والنسائي ٨ / ٢٦٠ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ١٠ / ١٢٧ .

وعبائزهم والحكومة مقيدة بشرح الله ولا يجوز لها الحكم بالهوى أو بالجهل .

سادس عشر: جاء في المادة السادسة والعشرين (يجب أن تهدف التربية الى . . . تعزيز احترام الانسان وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام) .

قلت : بل يجب أن تهدف التربية الى تنميته وترسيخ عقيدة الولاء لأولياء الله والمداداة والبغض لأعداء الله ومعاربتهم حتى ازالتهم أو اذلالهم .

ثاني عشر: جاء في المادة السابعة والعشرين (لا يصح بحال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة) .

قلت : بل يجب مخالفة أكثر أغراض الأمم المتحدة لأن مخالفة أصحاب الجحيم هي اقتضاء الصراط المستقيم وهذا يظهر أن الخضوع لأنظمة هيئة الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان مثل الخضوع للقانون الروماني أو الخضوع للياسق الذي كان يتحاكم اليه التتار فهي طماغوت يشرح للبشر من عند نفسه نسأل الله أن يرد المسلمين الى دينهم الحق وأن يهدي الأمم المتحدة الى الاسلام .

١١ - الدعوة الى زطالة الأديان :

المزاملة في اللغة المعادلة على البعير وزاطني يعني عادلني (١) ، والدعوة الى زطالة الأديان في هذا العصر دعوة غيبية تظهر أعيانها بهذا الاسم وأحيانا باسم التقريب بين الأديان وأحيانا باسم جميعيات الصداقة بين الأديان ونحو هذه المسميات . وبهوهـرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافا من المسلمين بصحة دينهم وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الاسلام وذلك لأن كثيرا من النصارى وبعض اليهود متعاطشون الى دين شامل كامل كالا سلام وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأخبار والرهبان وليستا الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام . فانا سمع هؤلاء تلك الشنشة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة المتضمنة لاعترا فهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين وسمعوا عرض أولئك العلماء الأكابر الى مد أيديهم الى دين النصارى واليهود والبحث عن مزاملته بأن ثمن ومحاولة تقريبه من الاسلام . خاب ظنهم وقالوا لطانا ننتقل الى الاسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسه بل ان ديننا أفضل منه بدلالة عرض أصحابه على تقربينا اليهم ليكسبوا بذلك شرفا وعزا ثم منهم من يمكث على دينه المعروف ومنهم من يزهد في الأديان عموما وينتقل الى الشيوعية وما أكثر هذا المنصف الأخير !! كل هذا بسبب هذه الدعوة الخبيثة التي ليرج لها الخبثاء ، والمغفلون وهناك هدف آخر لهذا الدعوة وهو تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى فلا يستشعر المسلم وجوب جهادهم حتى اخضاعهم للاسلام أو دفع الجزية والخضوع لحكم الاسلام ولا يستشعر المسلم وجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار بل ان بعض المسلمين يظن أن اليهود والنصارى

(١) أنظر لسان العرب ١١ / ٣١٠ .

ناجون يوم القيامة لأنهم أتباع دين سماوي بزعمهم وحجب عنه أصحاب الدعوة التي
 زمالة الأديان - عن عماد أوجهل - قول الرسول صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بالسند
 الصحيح (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بين أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني
 ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار) (١)
 وقد تولى كبر هذه الدعوة الخبيثة أصحاب المدرسة العقلية الحديثة ابتداءً من
 جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إذ يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته تحت
 عنوان نظرية الوحدة (وجدت بعد كل بحث وتنقيب وامعان أن أديان التوحيد الثلاثة
 على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وانا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق
 استكملته الثاني . . . وعلى هذا لا ح لي بارق أمل كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة
 عظمًا اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وقايتها وأنه بهذا الاتحاد يكون البشر
 قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة وأخذت أوضح لنظريتي هذه
 خطاطا واضحا أسلرا وأحبر رسائل للدعوة كل ذلك وأنا لم اخاطب أهل الأديان كلهم
 عن قرب وكثب ولا تعمقت في أسباب اختلاف أهل الدين الواحد وترفقهم فرقا وشيعا وطوائف
 فأى راحة لجهاد اليهود والنصارى اتبقي عند مسلم جاهل يسمح هذا الكلام من عالم
 تحرير!! الذي فيه اعتراف صريح بأنه لا فرق بين الأديان الثلاثة في المبدأ والغاية
 وان سطحة الشيخ ساح بجد واجتهاد لغلطها وجملها دينا واحدا!! وأما تلميذه محمد
 عبده فقد ضرب في هذا الأمر بسهم وافر (خاسر) يقول الاستاذ غازی التوبه في أثناء
 حديثه عن محمد عبده ومد رسنه العقلية (الاصلاحية) (ألك محمد عبده جمعية سياسية
 دينية سرية في بيروت أثر عودته اليها من أوروبا بعد تعطيل مجلة العروة الوثقى وكان هدف

(١) صحيح مسلم من النووي ١٨٦/٢ .

(٢) الولاء والبراء لمحمد سعيد ص ٣٤٦ .

هذه الجمعية التقريب بين الأديان السطوية الثلاثة وإزالة الشقاق بين أهلها
 وإعلان التعاون بدل الفرقة والخصام وكان محمد عبد صاحب الرأي الأول في انشائها
 ونالها . وميرزا باقر هو (الناموس) السكرتير العام لها . وقد انتسب اليها المسلمون
 والآنكيز واليهود . أما المسلمون فمنهم بيرزاده . وطرب أبي تراب تابع جطل الدين
 الأفغانى وجمال بك نجل رامز بك قاضى بيروت ومؤيد الملك أحد وزراء إيران وعسن خان
 مستشار السفارة الإيرانية في أستانه . أما الانجليز فمنهم القس اسحاق طيلر في لندن
 وجى د بلتولينتر مفتش المدارس في الهند ، أما اليهود فمنهم الدكتور شمعون مويال في
 يافا وقد كان ميرزا باقر سكرتيرا لجمعية إيرانية مسلما . تنصر وصار داعية للنصرانية مع جمعية
 للمبشرين ! وتسمى بميرزا يوحنا . . . ويظهر أن هذه اللوثة - لوثة التقريب بين الأديان
 - بقيت تفصل في ذهن محمد عبده بعد انتقاله من بيروت الى القاهرة فقد استضاف (خمر
 يستفوس جبار) وهو شخص أمريكي دعا الى توحيد الأديان السطوية في معرض شيكاغو
 وغيره حتى وصل الى مصر وتوفي فيها . لن نعاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت
 كذب هذه الدعوات في توحيد الأديان وأبانت زيفها وهرت هدفها الذي هو التلاعب
 بمفاهيم الاسلام وإزالة صفاء أفكاره (١) وهي اضية راو ت أعداء الاسلام كثيرا وفتقت أن هانهم
 عن حيل عدة كانت البهائية أحدثها وهم يقصدون أن يساووا في ذلك بين الاسلام من جهة
 وبين اليهودية والمسيحية اللتين طالتهما الأيدي وطاشت بهما غسادا من جهة ثانية ولكن
 أنى لهم ذلك والله القائل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . لن نعاسب محمد
 عبده بحقيقة عصرنا التي كشفت الأيدي اليهودية المعقدة التي هي وراء كل دعوى تمييع للقيم
 الدينية لتعظيمها وتكون المحصلة (لا أديان) وترضى بالتالي عقد ها الأسود فليس عليها

(١) لو قال الكاتب (عقائده) لكان أحسن لأن أحكام الاسلام وعقائده ليست مجرد أفكارا .

في الأميين عرج ولاشم . لن نطاسب محمد عبده بحقيقة عصرنا ولكننا سنحاسبه بحقيقة الاسلام الناصحة التي يقربها ويدعو لها . جاور الرسول صلى الله عليه وسلم يهود المدينة سنين طويلا قبل أن يجلبهم عنها جادلوه خلالها وخاصموه وداهم بدوره الى كلمة الايمان والاسلام ولم يدعهم للتوفيق بين الاسلام واليهودية أو الى التقريب بينهما ولو علم خيرا أو بعض خير في ذلك لفعله .

حاج وفد من نجران الرسول صلى الله عليه وسلم في النصرانية فدعاه الرسول من ناحية الى الاسلام ولم يدعه الى التوفيق بين الاسلام والنصرانية (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقلوا أشهدوا بأنا مسلمون) ولو علم خيرا أو بعض خير في ذلك لفعله كان الأخرى بصحبه عبده أن يدعو أهل الكتاب الى هذه الكلمة سواء امتثالا لأمر ربه واقتداءً بنبيه صلى الله عليه وسلم . وكان الأولى بالأوروبيين عاطي هذه الفكرة دعوات قومهم الى نبذ التعصب والحقد ونهى دولهم عن استغلال المسلمين وتغريب عالمهم فيغدمون بذلك المسيحيين والمسلمين على سواء . وقد أخطأ محمد عبده في دعواته الى التآليف والتقريب بين الأديان وأخطأ في انشاء جمعية التآليف والتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاكمة على الاسلام وما كان يمكنها ذلك الا لأنه لم يلتزم بعد الاسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطاً (١)

قلت : وأمثال محمد عبده ليسوا بالقليل في عالمنا المعاصر فقد كتب الاستاذ مصطفى المراغي رسالة وجهها الى مؤتمر الأديان العالمي جاء فيها ما يلي : (اقتلح الاسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات السطوية الأخرى وأقرب بوجود

(١) الفكر الاسلامي المعاصر لغازي التوبة ص ١٧-٢٠ .

زمانة عالمية بين أفراد النوع البشرى ولم يمانح أن تتعايش الأديان جنباً الى جنب (١)
وقد قام وفد من المملكة العربية السعودية وصحه الدكتور معروف الدواليبى بزيارة باريس
والفا تيكان ومجلس الكنائس العالمى فى جنيف والمجلس الأوروبى فى ستراسبورغ بدعوة من
جمعية الصداقة (!!) الفرنسية السعيدية وكانت كلمات الوفد وتصريحاته دعوة الى ما يشبه
زمانة الأديان ، والى التعايش السلمى والى الانسانية ونحو ذلك من الشعارات ولولم
يكن من أعمال الوفد الا الاعتراف بجمعية الصداقة الفرنسية السعودية لكان كافياً للريبة من
أهدافه فان المؤمن عد والكافر لا صد يقه (٢)

ان هذه الدعوة الغبيثة (الى زمانة الأديان) أثار الاستشراق والاستعمار
فلم تصرف فى العالم الاسلامى قبل أن يستعمر ويتحكم فيه أعداؤه الظاهرون والمستترون
من وراء الكواليس وهى جزء من الحملة المسعورة على العقيدة الاسلامية لكى تفقد تميزها
وصفاؤها ونقاؤها ولكن الله لا عدائه بالمرصاد وسوف يأتى اليوم الذى يقول فيه الحجر
والحجر يا مسلم يا عبد الله ورائى يهودى تعالى فاقته وعندئذ لا تنفعهم جميعات الصداقة
ولا جميعات التقريب والزمانة بين الأديان . وعسى أن يكون قريباً .

(١) أثار الحرب المزعجلى ص ٦٣ .

(٢) أنظر عن هذا الوفد وعن الكلمات التى ألقاها فى رحلته كتاب . ندوات علمية فى الرياض
وباريس والفا تيكان . دار الكتاب اللبنانى عام ١٩٧٣ .

١٢- الدعوة الى السلام العالمى والتعايش السلمى :

الدعوة الى السلام العالمى والتعايش السلمى تكاد تصم الآذان بضجيجها فى هذا الزمان بل لقد أصبحت لكثرة القائلين بها كأنها الحق الصراح ومعادها هو الباطل عند بادى الرأى الذى لا يعرف الأحكام الشرعية . أما من يفهم الكتاب والسنة ويتمسك بهما فلا يزيدة كثرة النداء بها الا مقاتلها ولا صاحبها لأنها دعوة مائلة عن نهج الحق . وهذه الدعوة التى تنشر اليوم انما تنشر استجابة لمبادئ هيئة الأمم المتحدة لاستجابة لمبادئ الاسلام واقرأ ما جاء فى ديباجة ميثاق هيئة الأمم المتحدة تتكشف لك الأمور (نحن شعوب الأمم المتحدة وقد آلىنا على أنفسنا أن ننقذ الأحياء المقبلة من وبيلات الحرب التى فى ظلال جويل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحرزانا يعجز عنها الوصف وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية وأن نبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى !! وأن ندفع بالرقى الاجتماعى قدما وأن نرفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح وفى سبيل هذه الغايات اعترضا أن نأخذ أنفسنا بالتسامح وأن نعيش معا فى سلام ! وحسن جوار ! وأن نضم قوتنا كى نحفظ بالسلام والأمن الدولى . وأن نكفل بقبولنا مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها الا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة !! وأن تستخدم الأداة الدولية فى تسوية الشئون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها وقد قررنا أن نوحدهم جميعا لتحقيق هذه الأغراض ولهذا فان حكوماتنا المختلفة على يد مندوبيها المجتمعين فى مدينة سان فرانسيسكو الذين قدموا وثائق التفويض المستوفيه للشرائط قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة هذا وأنشأت بمقتضاها هيئة دولية تسمى الأمم المتحدة (١) .

(١) القانون الدولى العام لأبى هيف ص ٩٢٣-٩٢٤ .

وجاء في مقاصد هيئة الأمم المتحدة ومبادئها ما يلي :

المادة الأولى :

- ١ - حفظ السلم والأمن الدولى وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التى تهدد السلم لزالتها ولقمع أفعال العدوان وغيرها من وجوه الاخلال بالسلم وتتذرع بالوسائل السلمية وفقا لمبادئ العدل والقانون الدولى لحل المنازعات الدولية التى قد تؤدى الى الاخلال بالسلم أو لتسويتها .
- ٢ - انشاء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذى يقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب وأن يكون لكل منها تقرير مصيرها وكذلك اتخاذ التدابير الملائمة لتعزيز السلم العام .
- ٣ - تحقيق التعاون الدولى على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك اطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء .
- ٤ - جعل هذه الهيئة مرجعا لتنسيق أفعال الأمم وتوجيهها نحو اذراك هذه

(١) الغايات المشتركة

وقد حاول لفيف من الكتاب أن يثبتوا أن هذه الدعوة لا تنافى أحكام الجهاد وهذا بناء على مفهومهم الخاطيء للجهاد ان يقصرون الجهاد على جهاد الدفاع وبالتالي لا يرون مانعا أن يعمش المسلم بجوار الكافر من غير ضرب جزية على الكافر أو إخضاعه لحكم الاسلام.

(١) المصدر السابق ص ٦٢٤ .

يقول الدكتور محمد البهي تحت عنوان السلام العالمي في الاسلام (السلام العالمي
معناه نبذ الخصومات بين الشعوب والجماعات وقيام العلاقات بينها على أساس من الاستقرار
والطمأنينة . السلام العالمي هو توجيه نشاط الشعوب والجماعات نحو حياة انسانية أفضل
وأهدأ وتوجيهها الى البناء بدلا من الهدم لصالح الجماعة العامة وهي الانسانية وهنا
نرى الاسلام يقر مبدأ عدم الاعتداء ثم من اقرار هذا المبدأ يسعى لتحقيق خطوه أخرى
بعده هي العمل لصيانة السلم وادامته والاسلام لا يحمل على الايمان بعقيدته ولا يكره
الناس عليها ^(١) وانطلاقا من هذا المفهوم الخاطيء للجهاد تجد أغلب الكتاب المعاصرين
يقررون أن الأصل في طلاقه المسلمين بغيرهم هو السلام وأنهم لا يحاربون الكفار الا اذا
اعتدوا عليهم ^(٢) ، وقد بينا فيما مضى بطلان هذا القول وأن الجهاد قد شرعه الله ابتداء
ودفعا لاعلاء كلمة الله واخضاع الكفار لحكم الاسلام وانلال من تقبل منه الجزية بدفعها
وهو صاغر وذكرنا النصوص الشرعية الموضحة لذلك وجماع أمة محمد عليه الصلاة والسلام عليه
قبل أن تثبت هذه النطابطة التي تتلمذت على مواعد المستعمرين والمستشرقين والمبشرين .
والاسلام لا يقر السلام الذي يزعمه أولئك وهو أن تبقى كل دولة تمارس الكفر على شعبيها
وتشرح لهم من عند نفسها وهي مرفوعة الرأس لم تذلل بجزية ولا قتل ويعترف لها بحق
تقرير المصير وأن تطبق ما شاءت من كفر وزندقة والحاد على خلق الله ، ان الاسلام ممن
هذا براء وحكم الاسلام في الكفار واضح وهو تخيير الدول الكافرة بين الاسلام أو دفع
الجزية وهي صاغرة أو القتل الا اذا عجز المسلمون عن جهادهم فهذه ضرورة واستثناء وليست
أصلا في الاسلام ويجب على المسلمين أن يعدوا المدة حتى يصلوا الى الحال التي تمكنهم
من ممارسة الجهاد أما أراد الله أما أن يجعل حال الضرورة هو الأصل في الاسلام فهذا

(١) الاسلام في حياة المسلم للبهى ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) أنبار العلاقات الدولية لوهبه الزعيلي ص ٢٣ والعلاقات الدولية لمحمد رأفت عثمان

- هو التعريف لدين الله وهو المؤامرة الرهيبة التي تمارس الآن ضد حكم الجهاد يدل على ذلك ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة من واجبات على دول المشتركة في هيئة الأمم المتحدة^(١) ان جاء في تشريعاتها الطاغوتية ما يلي :-
- ١- في المادة الأولى أوجبوا على كل دولة مراعاة أحكام القانون الدولي . وهذا غير جائز فان الواجب على الدولة المسلمة أن تراعى أحكام القرآن لا أحكام القوانين الموضوعية من البشر .
 - ٢- وفي المادة الثانية : أوجبوا على الدول تسوية النزاع سلمياً مع مراعاة أحكام القانون . وهذا ايجاب مالم يوجب الله بل الدولة المسلمة تخير الدول والكافة بين خصم ثلاث أما الاسلام وألجزية مع الصغار أو القتل الا في حال ضعفها فلها أن تهادنها هدنة مؤقتة كما في صلح الحديبية .
 - ٣- وفي المادة الثالثة أوجبوا على كل دولة ألا تتدخل في الشؤون الداخلية والخارجية لدولة أخرى . وهذا خلاف حكم الاسلام الذي أمر بالتدخل حتى يكون الدين كله لله .
 - ٤- وفي المادة الرابعة أوجبوا على كل دولة ألا تساعد أي دولة تلجأ الى العرب في غير صورة الدفاع . وهذا الحكم لا يجوز في الاسلام بل لو غزت دول مسلمة بلاد الكفار لنشر الاسلام لوجب مساعدتها .
 - ٥- وفي المادة الخامسة أوجبوا على الدول عدم الاعتراف بأن زيادة اقليمية تؤخذ عن طريق الحرب وهذا غير جائز في الاسلام بل طفتحه المسلمون عن طريق الجهاد فهو ملك من أملاكهم .

(١) أنظر هذه الواجبات في القانون الدولي العام لأبي هيف ص ٢٤٠ .

- ٦- وفي المادة السادسة أوجبوا على الدول عدم تشجيع الثورات الأهلية في أقاليم الدول الأخرى . وهذا غير جائز بل إذا كان في بلد الكفار أقلية مسلمة فالواجب على المسلمين مساعدتهم حتى يزيلوا حكم الكفر عنهم لأنه لا يجوز للمسلم أن يخضع تحت حكم كافر .
- ٧- وفي المادة السابعة أوجبوا على كل دولة أن تكون الأحوال في أقاليمها لا تهدد السلام الدولي وهذا في الإسلام لا يجوز بل يجب على المسلمين أعداد المدة والاعتناء بها لارهاب الكفار وتهديد يدهم وتبديل أمنهم خوفا حتى يخضعوا لحكم الله ورسوله .
- ٨- وفي المادة الثامنة أوجبوا على الدول معاملة الأشخاص الخاضعين لحكمهم على مقتضى حقوق الانسان التي أعلنتها الأمم المتحدة ومنها حرية الاعتقاد ومساواة المسلم بالكافر وهذا لا يجوز في الإسلام .
- ٩- وفي المادة التاسعة أوجبوا على الدول الخضوع لكل المعاهدات الدولية وكل ما كان من القانون الدولي العام ولا يحل للمسلم الخضوع إلا لأحكام القرآن والمعاهدات لها أحكام في الشريعة الإسلامية تخالف ما يوجد في القانون الدولي فلا يحل للمسلمين أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .
- ١٠- وفي المادة العاشرة أوجبوا على الدول عدم اللجوء للحرب مطلقا إلا في حال الدفاع إذا اعتدت قوة مسلحة على أرضيها . وهذا اسقاط لأحد أنواع الجهاد وهو جهاد الابتداء والطلب .
- وبهذا يظهر أن ما شرعته لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة مناقض لحكم الجهاد في الإسلام وأن الرضا به وتحكيمه رضا بالباطل وتحكيم للباطل . سلك الله بنا سبيل الهدى والرشاد . ورد الأمة الإسلامية الى مصدر عزها ورفعتها كتاب رب العالمين وسنة الهادي الأمين صلى الله عليه وعلى أصحابه أجمعين .

الباب الرابع

الفرق الضالة في بعض أحكام الجهاد

- الفصل الأول : الفرق القديمة .
- الفصل الثاني : الفرق الحديثة .

(٤٣٠)

الفصل الأول :

الفرق القديمة :

- ١ - المرجئة .
- ٢ - الصوفية .
- ٣ - الشيعة الاطمية .
- ٤ - الجبرية الجهمية .

١ - المرجئة :

المرجئة هم الذين يخرجون العمل من دائرة الايمان وهم أصناف شتى فممن من يزعم أن الايمان هو المعرفة (أى معرفة القلب فقط) وممن من يزعم أنه قول اللسان . وممن من يزعم أن الايمان أفسق الفساق من بنى آدم كما يمان الملائكة والأنبياء لأن الايمان عند هم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص . وممن من يقول من قال لا اله الا الله فهو المؤمن ولو أتى من الأعداء ما أتى ! (١)

وعقائد المرجئة لها تأثير بالغ على ازالة فريضة الجهاد بالكيفية أو انضمامها وزعزعتها في النفوس . فمن اعتقد أن الايمان هو المعرفة فقط ! كيف يتصور منه أن يجاهد الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، ومن اعتقد أن العمل خارج عن دائرة الايمان وان الانسان يكون مؤمنا بمجرد التصديق أو النطق من غير عمل مطلقا فما الذي يحمله على المخاطرة بنفسه وماله وتعرضهما للمهلك وإيمانه كامل تام !! وما الذي يستفيدة من جهاده اذا تساوى في اعتقاده ايمان من مات بين الصفوف - محاربا للكفار - مع ايمان من مات مخمورا في أعضان المومسات - وهو ينطق بالايمان -

هل يتصور ما قل أن هناك من يضحى بماله ونفسه وولده ووقته وهو يستطيع أن يكون ايمانه كما ايمان جبريل عليه السلام بدون تلك التضحيات بل بمجرد كلمة ينطق بها وهو مستلق على فراشه لا تكلفه جهدا ولا عملا !! ومن يعتقد أن من يعلن الاسلام بلسانه لا يخرج ممن دائرة الايمان مهبط عمل من الأعمال هل يتصور منه أن يجاهد المرتدين والزنادقة والمنافقين الذين يعلنون الاسلام بأقوالهم ويهدمون أصوله وفروعه بأفعالهم !!

(١) أنظر عن هذه الفرقة مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٢١٢ / ١ وطبعها والتبويه والترنم للمدني الشافعي ص ١٤٦ وطبعها والمطل للشهرستاني ص ١٢٩ / ١ ، وطبعها .

لقد فرت عقائد المرجئة في الأمة الاسلامية فريا عظيما . وعند رتها على مدار التاريخ
وجعلتها نهبا لكل الماع ولقمة سائفة لكل مستعمر .

اننا في العصر الحاضر نكتوى بنا عقائد المرجئة قها هي جموع كثيرة من المسلمين
تضخ لملاحة وزناقة ينادون بالعلمانية - وهي اقامة الحياه على غير الدين أو فصل
الدين عن السياسة - أو ينادون بملحدية لينين و غوانه الاقتصادي (كالمشيوعيين والاشتراكيين)
أو يارسون التشريح للبشر من دون الله أو مع الله (كسائر الطواغيت الذين يعكسون
المجتمعات بأهوائهم وقوانينهم التي لا تستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)
ولا تفكر هذه الجموع في جهاد أولئك مطلقا لأنهم يعلنون اسلامهم على رؤوس الأشهاد
وقد يحتفلون بالمولد النبوي والهجرة !! وما هذا السكوت وهذا الخمود وعدم الاحساس بالأمر
الا من تأثير عقائد المرجئة التي ابتليت بها الأمة الاسلامية . ان الأمة الاسلامية
ان لم تنهض من كبوتها فتصح عقيدتها وتعترف معنى الايمان ومعنى الكفر ومعنى
لاله الا الله وماذا ينقضها من أعمال أو أقوال واطهي مقتضايتها فلن تقوم بالجهاد كما
أمر الله تعالى .

لأن الله أمر المؤمنين بأن يجاهدوا الكافرين فانما حصل ليس في معنى الايمان والكفر
فأعطيت صفة الايمان لمن لا يستحقها أو نزع صفة الكفر عن استحقاقها فكيف ينفذ أمر الله
وعده وده غير معروفة !!

ان عقائد الارجاء وسعت دائرة الايمان حتى ادخلت فيه اصنافا كثيرة من الكفار والمرتدين
والزنادقة وبالتالي رفعت عنهم سيف الحق الذي أمر الله بأنزاله على رقابهم فغربوا العباد
والبلاط وطبقوا اصناف الكفر في ديار المسلمين باسم الاسلام حينما وبغير اسمه أسيانا وانخدعت
بما حير الناس بفتاوى علماء الارجاء واعتقدت بعقيدتهم أو تأثرت بايحا تمها فخلا الجو
للملاحة والزناقة يشرعون الكفر للناس باسم الاصلاح والتقدمية والاشتراكية ويعارضون
نصوص القرآن والسنة وهم متسرلون بسر بال الايمان في نظر علماء الارجاء وفي نظر الجماهير
المتأثرة بهم طام أنهم يسمعونهم في بعض المرات يقولون لاله الا الله . وكان من نتائج

هذا قوانين وضعية تبيح انتهاك الأعراض وفساد العقول وتهلك الحرث والنسل
عنى أصبحت المادة القانونية ((اذا زنت البكر برضاها فلا شيء عليها)) أشهر عند أقوام
يدعون الاسلام من قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . . . الآية)^(١) وأصبحت
تصاريح فتح الخطرات والملاهي والمواخير والبنوك الربوية أشهر عند أقوام يدعون
الاسلام من قول الله تعالى (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون)^(٢) ، وقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)^(٣) ، وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ؛ فان لم تفعلوا فأنذروا بحرب من الله ورسوله)^(٤)
وانا نصحت صاحب عمارة أو دغارة أو بنك ربوي قال لك عندى اذن وتصريح قانونى فما لك
وشأنى !!

وطا كان هذا ليحدث فى مجتمع مسلم يصر عدو ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
لولا تغلغل عقائد الارجاء فيه وذهاب عقيدة الجهاد من واقعة وانطس معرفته بعقيدة
الايان ومقيقة الكفر . انه ليس كل من قال لا اله الا الله بلسانه لا يجوز جهاده كما يزعم
بعض المرجئة بل أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على جهاد المرتدين الذين امتنعوا
عن دفع الزكاة مع قوتهم لا اله الا الله وقاتمهم للصلاة ومع هذا قال الخليفة الراشد
أبو بكر الصديق رضى الله عنه (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)^(٥) وقد ضرب
عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رجل يشهد أن لا اله الا الله ويظهر الاسلام لأنه لم يرض

(١) النور ٢ .

(٢) المائدة ٩٠ .

(٣) النور ١٩ .

(٤) البقرة ٢٧٨-٢٧٩ .

(٥) صحيح البخارى مع الفتح ١٢ / ٢٤٤ .

بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك .
يقول شيخ الاسلام ابن تيمية - في معرّفوا استدلاله على كفر من سب الرسول صلى الله عليه وسلم -
(. . . الدليل الرابع على ذلك أيضا قوله سبحانه وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم عرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) أقسم
سبحانه بنفسه انهم لا يؤمنون حتى يحكموه في الخصومات التي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
ضيقا من حكمه بل يسلموا لحكمه ظاهرا وباطنا وقال قيل ذلك (ألم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) وانا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله
والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

فبين سبحانه أن من دعى الى التحاكم الى كتاب الله والى رسوله فصد عن رسوله كان
منافقا وقال سبحانه (ويقولون أما بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد
ذلك وما أولئك بالمؤمنين) وانا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أى قلوبهم مرضى أم ارتابوا أم يخافون أن يعيب الله
عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول
وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن . وأن المؤمن هو الذى يقول سمعنا وأطعنا
فانما كان النفاق يثبت بزول الايمان بمجرد الأعراس عن حكم الرسول واردة التحاكم الى غيره
مع أن هذا ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص والسب ونحوه ويؤيد ذلك ما رواه
أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم فى تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب
حدثنا أبو المنيرة حدثنا عتيبة بن ضمرة حدثنى أبى عن رجلين اختصما الى النبى -
صلى الله عليه وسلم - ففتنى للحن على المبطل فقال المقضى عليه لا أرضى فقال صاحبه فما تريد
قال ان تذهب الى بكر المديق فذهبا اليه فقال الذى قضى له قد اختصمنا الى النبى -
صلى الله عليه وسلم فقضى لى عليه فقال أبو بكر فأتت على ما قضى به النبى صلى الله عليه وسلم

فأبى صاحبه أن يرضى وقال نأتى عمر بن الخطاب فأتياه فقال المقضى له قد اختصنا
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فضى لى عليه فأبى أن يرضى فسأله عمر فقال كذلك فد غل
 عمر منزله فخرج والسيك فى يده قد سله فضرب به رأس الذى أبى أن يرضى فقتله فأنزل
 الله تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . . الآية ، وهذا
 المرسل له شاهد من وجه آخر يصلح للاعتبار . (ثم ذكر ابن تيميه رواية أخرى للقصة
 غير أنه ليس فيها أن المتحاكمين ذهبا الى بكر الصديق رضى الله عنه) وقال وقد رويت
 هذه القصة من غير هذين الوجهين (١)

ان ضرر أهل الأرجاء على الأمة الاسلامية ليس بالأمر الهين فكم من مصلح مجاهد ظهر
 يدعو لزاله الشرك وقامة شرع الله وقف أهل الأرجاء حجر عثرة فى أريق جهاده بعقيدتهم
 الفاسدة وأوضح مثال على ذلك شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب فإنه لما أعلن جهاده
 على المشركين الذين يأتون بالقبور ويدعون عند النذور ويستغيثون بأهلها ممن
 دون الله ويتحاكمون الى أولادهم ويستهنون بالشرح قام فى وجه علماء الأرجاء وقالوا
 كيف تقاتل من يقول لا اله الا الله فأجابهم رحمه الله بأدلة فى غاية الوضوح هذا ملخصها
 (. . ان المسلم فى زماننا يقولون من قال لا اله الا الله فهذا المسلم حرام المال والدم
 ولا يكفر ولا يقاتل حتى انهم يصرحون بذلك فى شأن البد والذين يكذبون بالبعث وينكرون
 الشرائع ويزعمون أن شرعهم الباطل هو حق الله ولو طلب أحد منهم خصمه أن يغاصمه عند
 شرع الله لعدوه من أنذار المنكرات بل من حيث البجطة أنهم يكفرون بالقران من أوله الى آخره
 ويكفرون بدين الرسول كله مع اقرارهم بذلك بالسنتهم واقرارهم أن شرعهم أحد شه أبأؤهم
 لهم كقرا بشرح الله . وطما الوقت يعترفون بهذا كله . . ثم استطرد الشيخ فى الرد على
 هؤلاء قائلا ونزيد المسألة ايضا ودلائل لشدة الحاجة اليها فنقول ليتظن العاقل

لقصة واحدة منها . وهى أن بنى عنيقة أشهر أهل الردة وهم الذين يعرفهم العامة من أهل الردة وهم عند الناس أقبح أهل الردة وأعلمهم كثرا وهم مع هذا يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ومع هذا فان أكثرهم يظنون أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك لأجل الشهود الذين شهدوا مع الرجال . والذي يعرف هذا ولا شك فيه يقول من قال لا اله الا الله فهو المسلم ولو لم يكن معه من الاسلام شعرة بل قد تركه واستهزأ به متعمدا فسبحان الله مقلب القلوب كيف يشاء !!

كيف يجتمع فى قلب من له عقل ولو كان من أجهل الناس انه يعرف أن بنى عنيقة كفروا مع أن حالهم طان كرتنا . وأن البدو والاسلام ولو تركوا الاسلام كله وأنكروه واستهزأوا به طسى عمد لأنهم يقولون لا اله الا الله . . .

الدليل الثانى . قصة أخرى وقعت فى زمن الخلفاء الراشدين وهى أن بقايا من بنى عنيقة لما رجعوا الى الاسلام . . . كبر نبيهم عند أنفسهم وتحملوا بأهليهم الى الثغر لأجل الجهاد فى سبيل الله . . . فنزلوا الكوفة وصار لهم بها محلة معروفة فيها مسجد يسمى مسجد بنى عنيقة فمر بعض المسلمين على مسجد هم بين المغرب والعشاء فسمعوا منهم كلاما معناه أن مسيلمة كان على حق وهم جماعة كثيرون لكن الذى لم يقله لم ينكره على من قاله فرفضوا أمرهم الى عبد الله بن مسعود فجمع من عنده من الصحابة واستشارهم هل يقتلهم وأن تابوا أو يستتبيسهم فأشار بعضهم بقتلهم من غير استتابة وأشار بعضهم باستتابتهم فأستتاب بعضهم وقتل بعضهم ولم يستتبه . . . فأين هذا من كلام من يزعم أنه من العلماء ويقول البدو ما معهم من الاسلام شعرة الا أنهم يقولون لا اله الا الله ومع ذلك يحكمها سلامهم بذلك أين هذا مما أجمع عليها الصحابة فيمن قال تلك الكلمة أو حضرها ولم ينكر . . .

الدليل الثالث . ما وقع فى زمان الخلفاء الراشدين . قصة أصحاب على بن أبى طالب لما اعتقدوا فيه الالهية التى تعتقد اليوم فى اناس من أكفر بنى آدم وأفسقهم فدأهم الى التوبة فأبوا فخذلهم الأعداء وملأها حطبا وأحرم فيها النار وقد فهم فيها وهم أعياء . . . هذا وهم يقومون الليل ويمومون النهار ويقرأون القرآن آخذين له عن أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلما غلوا في علي ذلك الغلوا أحرقهم بالنار وهم أحياء وأجمع الصحابة وأهل العلم كلهم على كفرهم .

الدليل الرابع : ما وقع في زمن الصحابة أيضا وهي قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل من التابعين مهاجر لعبد الله بن عمر من مظهر للصالح فظهر في العراق يطلب بدم الحسين وأهل بيته فقتل ابن زياد وطال اليه من مال لطلبه دم أهل البيت ممن ظلمهم ابن زياد فاستولى على العراق وأظهر شرائع الاسلام ونصب القضاة والأئمة من أصحاب ابن مسعود وكان هو الذي يعلو بالناس الجمعة والجماعة لكن في آخر أمره زعم أنه يوحى اليه فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزمو جيشه وقتلوه وأمير الجيش مصعب بن الزبير وتحت امرأة أبوها أحد الصحابة فدعاها مصعب الي تكفيره فأبت فكتب الي أخيه عبد الله يستفتيه فيها فكتب اليه أن لم تبرأ منه فاقتلها فامتعت فقتلها مصعب وأجمع العلماء على كفر المختار مع إقامة شعائر الاسلام لما جنى على النبوة وانا كان الصحابة قتلوا المرأة التي هي من بنات الصحابة لما امتعت من تكفيره فكيف بمن لم يكفر البد و مع اقراره بحالهم . .

الدليل الخامس : ما وقع في زمن التابعين وذلك قصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة فلما جحد شيئا من صفات الله مع كونها مقالة غبية عند الأكثر ضحى به خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى . . . ولم يعلم أن أحدا من العلماء أنكروا ذلك عليه بل ذكر ابن القيم اجتمعهم على استحسانه . . .

الدليل السادس : قصة بني عبيد فانهم أظهروا على رأس المائة الثالثة فادعى عبيد الله أنه من آل علي بن أبي طالب من ذرية فاطمة وتزيى بزي أهل الطاعة والجهاد في سبيل الله فتبعه أقوام من البربر من أهل المغرب وعمار له دولة كبيرة في المغرب ولأولاده من بعده ثم ملكوا مصر والشام وأظهروا شرائع الاسلام واقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتن . لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة وأظهروا منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم فأجمع أهل العلم أنهم كفار وان دارهم دار حرب مع أظهروا مع شعائر الاسلام . . .

الدليل السابع . قصة التتار وذلك بعد ما فعلوا بالمسلمين ما فعلوا وسكنوا بلاد المسلمين وعرفوا دين الاسلام استحسنوه وأسلموا لكن لم يعطوا بما يجب عليهم من شرائعه وأظهِروا أشياء من الخروج عن الشريعة لكنهم كانوا يتلفظون بالشهادتين ويصلون الصلوات الخمس والجمعة والجماعة وليسوا كالبعد ومع هذا كفرهم العلماء وقاتلوهم وغزوههم حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين . . . (١)

(١) أنظر مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد بن عبد الوهاب

الصوفية فرقة قديمة تعود نشأتها الى أواخر القرن الثاني الهجرى وأوائل القرن الثالث وهي منحرفة عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه الكرام رضى الله عنهم ومبدأ نشأتها من الزنادقة الذين دخلوا فى الاسلام ظاهرا وادوا هدمه من الداخل كما فعل عبد الله بن سبأ اليهودى وجهم بن صفوان والجمع بين دهرهم واضرابهم . فقد ظهرت بعض مقالات التصوف على السنة جماعة فى الكوفة ومخداد منهم ، حبان الحريرى المتوفى قبل عام ٢٠٠ هـ وكليب المتوفى قبل عام ٢٠٠ هـ وعبدك الصوفى المتوفى فى سنة ٢٠٠ هـ وأبو هاشم عثمان بن شريك الكوفى الصوفى - ت ١٥٠ هـ^(١) ، وقد عد الفقيه الثقة أبو الحسين الملقب بطوائف من المتصوفة الأوائل من جملة فرق الزنادقة فقال (ومنهم) أى من الزنادقة العبدكية : زعموا أن الدنيا كلها حرام محرمة لا يحل الأخذ منها الا القوت من حين ذهب أئمة العدل ولا تحل الدنيا الا بامام عادل ولا فهى حرام . ومعاطة أهلها حرام فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان وانما سما العبدكية لأن عبدك وضع لهم هذا وداهم اليه وأمرهم بتمديقه . . ومنهم الروحانية وهم أصحاب وانما سما الروحانية لأنهم زعموا أن أرواحهم تنزل الى ملكوت السموات وسها يعاينون الجنان ويصامون الحور العين وتسرح فى الجنة وسما أيضا الفكرية لأنهم يتفكرون زعموا فى هذا حتى يصيروا اليه فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ومنتهى ارادتهم ينظرون بأرواحهم فى تلك الفكرة الى هذا الخاية فيتلذذون بمخاطبة الله لهم ومضافته اياهم . . ولو كانت الفكرة فى نوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيما وأما هذه الفكرة فبويها لهم

(١) أنظر كتاب التصوف الاسلامى ومدارسه لصمد جلال ص ٧٨ ، ١٢٠ .

الشیطان لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة الا من صار اليها يوم القيامة . ومنهم صنف من الروحانية زعموا أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم واران تهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء طيبهم فاذا كان كذلك عند هم كانوا عند هبهذه المنزلة ووقعت عليهم الخلقة من الله فجعل لهم السرقة والزنا وشرب الخمر والفاوحش كلها على وجه الخلقة التي بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلقة كما يحل للخليل الأخذ من خليله بغير اذنه منهم رباح وكليب كانا يقولان بهذه المقالة ويدعوان اليها .

ومنهم صنف من الروحانية زعموا أنه ينبغي للعباد أن يدخلوا في مضمار الميدان حتى يبلغوا الى غاية السبقة من تضمير أنفسهم وعطها على المكروه فاذا بلغت تلك الغاية أعطى نفسه كل ما تشتهى وتتغنى وان أكل الطيبات كأكل الأزالة من الأطمعة وكان الصبر والخبير عند بمنزلة وكان الحسل والخل عند بمنزلة فاذا كان كذلك فقد بلغ غاية السبقة وسقط عنه تضمير الميدان واتبع نفسه ما شتهت منهم ابن عيان كان يقول هذه المقالة .

ومنهم صنف يقولون أن ترك الدنيا اشغال للقلوب وتعظيم للدنيا وصعوبة لها ولما عظمت الدنيا عند هم تركوا طيب طعامها ولذينة شرابها ولين لباسها وطيب رائحتها فأشغلوا قلوبهم بالتعلق بتركها وكان من اهانتها مؤاناة الشهوات عند اعتراضها حتى لا يشتغل القلب بذكرها ويعظم عنده ما ترك منها . ورباح وكليب كانا يقولان هذه المقالة (١) ويلخص الرازي فرق المتصوفة في ست فرق وهي :-

- ١- أصحاب العبادات : وهم قوم منتهى أمرهم وفايته تزيين الثلاهر كلبس الفرقة وتسوية السجادة .
- ٢- أصحاب العبادات . وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الاشغال .
- ٣- أصحاب الحقيقة . . وهم قوم اذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بتوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق الجسمانية وهم يجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم

(١) التتبيه والرد للملأى ص ٩٣-٩٤ .

عن ذكر الله تعالى .

٤- النورية وهم الطائفة يقولون أن الحجاب حجابان نوري ونارى ، أما النورى فلا اشتغال

باكتساب الصفات المحمودة كالتموكل والشوق والتسليم والمراقبة والأنس والوعدة والحالة

أما النارى فلا اشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل لأن هذه الصفات صفات

نارية كما أن ابليس لما كان ناريا فلا جرم وقع في الجسد .

٥- الحلولية : وهم الطائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالا

عجبية وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول

أوالاتحاد فيدعون دعاوى عالية وأول من ألهر هذه المقالة في الاسلام الروافض

فانهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم .

٦- المباغية : وهم قوم يحفظون طامات لا أصل لها وتلبيسات في الحقيقة وهم يدعون

صبيح الله تعالى وليس لهم نصيب من شيء من العقائد بل يخالفون الشريعة ويقولون

أن الحبيب رفع عنهم التكليف (١)

وبالقاء نظره على فرق التصوف التي ذكرها الططلى والرازي يتضح أن هذه العقائد

الالابادية انما أحدثت في المجتمع الاسلامي لكي تقضى عليه وليست نتيجة اجتهادات

علماء مسلمين مبنية على الكتاب والسنة وانها شبيهة بما أحدثه اليهود في دين

الرافضة من رجعة على بن أبي طالب ومن عصمة الأئمة وان قولهم تشريع وانهم يعلمون

الغيب ونحو ذلك يقول الشيخ محمد الصباغ (ان التصوف انحدارنا من أصول

أجنبية وقد دخل علينا ليؤدي مهمات تخريبية في التصور والسلوك) (٢) هذه لمحة سريعة

عن نشأة التصوف وأهدافه وفرقه كما ذكرها طالمان قد يمان الأول : الططلى الفقيه

الشافعي المتوفى عام ٣٧٧ هـ ، والثاني . فخرالدين محمد بن عمر الخطيب الرازي المتوفى

عام ٦٠٦ هـ .

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١١٥-١١٦ .

(٢) أبو نعيم حياته وكتابه الحلبي لمحمد الصباغ ص ١٢ .

أما اليوم فالتصوف بعد لا ساحل له فقد تعددت فرقة وطرقه كالطريقة الشاذلية والطريقة الرفاعية والطريقة النقشبندية والطريقة القادرية والطريقة التيجانية والطريقة البريوطية والطريقة الأحمدية وغير ذلك كثير وكلها يجمعها قاسم مشترك هو الابتداع وتكبر طريق الكتاب والسنة وبمنها أخف من بعض ومن أحدث ما قرأت عن التصوف رسالة وجهت إلى مفتي المملكة العربية السعودية عن طريقة صوفية جديدة أحدثت في مصر وغيره في مجلة الدعوة عن طريقة صوفية أخرى أحدثت في ألمانيا وأسوان الرسالة والخبر بنصهما ليعلم القارئ مدى الأهداف التخريبية التي يراود من التصوف أن يقوم بها في سيطر العالم الاسلامي .

يقول المرسل (. . .) وقد ظهر في الأيام الأخيرة طريقة صوفية في شكلها لكنها في مضمونها من أضل ما عرفناه من الطرق القائمة الآن - وان كانت طه الكفر واحدة - هذه الطريقة تسمى العصبة الهاشمية والسدنة العلوية والساسة الحسينية الحسينية ويقودها رجل من صعيد مصر يسميه اتباعه الامام العربي وهو يعتزل الناس في صومعة له ويمسرون عليه صقفا ويسلمون عليه ويحذثونه ويمنحهم البركات ويكشف لهم المخبوء بالنسبة لكل واحد وهذا كله من رواء ستار فهم يسمعون صوته ولا يرون شكله اللهم الا الخاصة من أحابيه وأصحابه فهم المسموع لهم بالدخول عليه وعدد هم قليل جدا وهو لا يحضر مع الناس الجمع ولا الجماعات ولا يصلى في المسجد الذي بناه بجوار صومعته ويعتقد اتباعه أنه يصلى الفرائض كلها في الكعبة المشرفة جماعة خلف النبي صلى الله عليه وسلم ويعتقدون كذلك أنه ممن البقية الباقية من نسل الأئمة المعصومين وأن المهدي سيخرج بأمره وقد أنشأ لطريقته فروط في بعض مدن مصر يجتمع روادها فيها على مواعيد الأكل والشرب والتدخين ويأمرون مرديهم بخلق اللحن وهم حضور الجماعة في المساجد وذلك تمهيدا لاسقاط الصلاة نفسها . . .

وقد ازداد أمر هؤلاء في نالنا خطورة حين ظننا أن لهم اتصالات ببعض أفراد في السعودية وقد هيأت لبعض أتباعهم فرص عمل في المملكة عن طريق هؤلاء الأفراد الذين لم نتعرف على أساليبهم بعد نظرا للسرية التي يعميتون بها حركتهم ونحن في سبيل ذلك ان شاء الله ولكن الذي وقفنا عليه وعرفناه يقينا لا يقبل الشك ان الشيخ محمد طوى بن عباس

المالكي الحسنى يتصل بهم اتصالا مباشرا ويزور شيخهم المحتجب ويدخل عليهم ويختلي به ويخرج من عنده بعد ذلك طائفا باتباعه في البلاد متحدثا معهم معاضدا فيهم خطيبا بينهم كأنه نائب عن الشيخ المزعوم ثم يختم زيارته بالتوجه الى ضريح ابي الحسن الشاذلي الشيخ الصوفي المعروف المدفون في أقصى بلاد مصر ومعه بطانة من دعاة التصوف في مصر . . . (١) وأما الخبر فهو كما يلي (نشرت الزميلة المدينة في عدد ١٥٠٠ الصادر يوم ٢٨ / ١ / ١٤٠٤ هـ تقريرا خطيرا من مراسلها في بون الاستاذ أحمد كمال حمدي ذكرت فيه أن قرية شديدة الواقعة في شمال ألمانيا تشتهر الآن باسم مكة بعد أن تحولت الى مركز للطائفة الجديدة المهترت في ألمانيا منذ ثلاث سنوات أُلقت على نفسها اسم الحركة الصوفية الاسلامية وهي حركة بعيدة عن الاسلام وقد قام المراسل بزيارة الى مقر هذه الطائفة . . . ويتزعم هذا الطائفة أحد الأفقيين الهنود اسمه باجوان وقد قال أحد أتباع الطائفة وهو مواطن ألماني درس الاقتصاد السياسي بأن أحد الأشخاص العرب هو الذي اقنعه بفكرة التصوفية والتي تعنى في رأيه الارتباط بالله عن طريق التصعيد الروحي وممارسة الطقوس الصوفية من رقص وغناء وترديد الأناشيد والدوران وأضفاف الألمانى الصوفى بأنه يطرس الجنس بحرية مع التصوفات اللاتى يحضرن الى المركز ويقمن فيه أحيانا باعتبار أن الجنس صورة من صور السموات الروعى . وعند سؤال أحد الأعضاء عن مصدر تمويل المركز الصوفى أجاب بأن المركز ينتقى توجيهاته ونشراته من المقر الرئيس للحركة الصوفية الاسلامية في الخرطوم بالسودان . . . وقد لاحظ مراسل الجريدة وجود نجمة اسرائيلية معلقة على أحد جدران المركز ولما سأل عنها قال له أحد المسؤولين بأنها ترمز الى التصوف والتضامن واللقاء بين الأديان السماوية) (٢) !!

(١) حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته ص ١٠-١١ . تأليف سليمان الضيغ.

(٢) مجلة الدعوة العدد ١١٧ الاثنين ١٧ صفر ١٤٠٤ هـ ص ١٥٠.

وأهل التصوف ليسوا على عقيدة واحدة في كل شيء بل هم طوائف وطرق شتى كما تقدم ولا يمكن عصر هذا بهم لكثرة الانحرافات التي تحدث في محيط التصوف لأنه لا يعتمد على المصدر المصنوع (الكتاب المميز والسنة الصحيحة) بل يعتمد على الأحاد يثبت المكذوبة والحكايات الموضوعية والقصص الخيالية ويعتمد بالدرجة الأولى على الأحلام والنامات وعلى الكشف واللاهام والخواطر والرجوع إلى كتب المتصوفة أو إلى الكتب التي تحدثت عن الصوفية يمكن تلخيص جل الانحرافات الموجودة في محيط التصوف فيما يلي :-

(١) القول بوحدة الوجود وأن الخالق هو عين المخلوق كما قال أبو يزيد البسطامي (سبحاني سبحاني ما أعظم شأنى)^(١).

(٢) القول بالحلول والاتحاد كقول أبي يزيد البسطامي (رفعتني مرة فأقامني بسني يديه وقال لي يا أبا يزيد أن خلقي يحبون أن يروك فقلت زيني بوحدةانيتك والبسني أناانيتك ورفعتني إلى أهديتك حتى إذا رأني خلقتك قالوا رأيناك فتكون أنت ذاك^(٢)) وكقول الشبلي (ان قلت كذا فالله وان قلت كذا فالله وانما أتمنى منه ذرة وأنه حاضر لا يضييب وهو بكل مكان لا يسمعه مكان ولا يخلو منه مكان)^(٣) وكقول أبي الحسين النوري لما سمع نباح الكلب فقال (لبيك وسعديك)^(٤)

(٣) الاشرار مع الله غيره في الرجاء والاستغاثة والدعاء كقوله بعضهم ((شعرا)) .

(١) شطحات الصوفية للبدوي ص ٣٠ .

(٢) اللوح للسراج اللوسى ص ٤٦١ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٢ .

ولما رأيت الدهر قد حارب الـورى

جعلت لنفسى نعل سيده حصنا

تحصنت منه فى بديع مثلهـا

بسور منيع نلت فى ظله الأضـا^(١)

وكقول الآخر :

فلذ به^(٢) من كل ما تشـتـكى

فمـوشـفـيح دائماً يقبـل

ولذ به من كل ما ترتجـى

فانه المأمـن والمعـقل

ومـطـأ أعمال الرجا عـده :

فانه المرجح والمؤثـل

وناده أن أزمـة أنشـبت

أنفـارها واستحكـم المعضـل

يا أكرم الخلق على ربـه :

وخـير من فيهم به يسـأل

كم مسـنى الكـرب وكم مـرة

فرجـت كـربا بعـضه يذـهل

فبالذى خصـك بين الـورى

برتيمة عنها العـلا تنزل

(١) ص ١٤ من كتاب حوار مع الطالـكى فى رد منكراته وضلالاته لسليمان بن منيع .

(٢) يتـصد مـعدداً صلى الله عليه وسلم .

عجل بانها اب الذي اشـتـكى

فان توقفت فمن أسأل^(١)

(٤) الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم - كقول بعضهم:

طأرسل الرحمن أو يرسل:

من رحمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه:

من كل ما يختص أو يشمل

الا وطه المصطفى عبده:

نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها وأصل لها:

يعلم هذا كل من يعقل^(٢)

(٥) ادعاء علم النبي كقول الشبلي (لودبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء

ولم أشعر بها أولم أعلم بها لقلت أنه مذكورين^(٣)) وكقوله لبعض مرديه (مروا

أنا معكم حيث ما كنتم أنتم في رطيتي وفي كراعتي^(٤))

(٦) القول بأن الخلق يمشقون الله ويمشقهم كقول أبي الحسين النوري انا أعشى الله

وهو يحشقني^(٥).

(١) المصدر السابق ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شطحات الصوفية للبدوي ص ٤٤٠.

(٤) اللوح للسراج الطوسي ص ٤٧٨.

(٥) المصدر السابق ص ٤٦٢.

- (٧) زعم بعض المتصوفة بأنه أفضل من الأنبياء كقول أبي يزيد ((تالله ان لوأى أعظم من لوأى محمد صلى الله عليه وسلم . لوأى من نور تحته الجان والجن والانس كلهم)^(١) وكقول الشبلى (ان محمدا يشفع في أمته وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد)^(٢)
- (٨) الاستخفاف بعذاب الله وثوابه كقول أبي يزيد عن الجنة ((الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا الى الجنة وكل من سكن الى الجنة سكن الى سواه فهو معجوب وكقوله عن النار ((الهى ان كان فى سابق ظمك انك تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقى فيه حتى لا يسع صمى فىرى)) . وقوله . ما النار ؟ ! لا أستدن اليها فدا وأقول اجعلنى لأهلها فدا^(٤) أو لأبلعنها))^(٤)
- وكقول الشبلى ((ان لله عبادا لو بزقوا طوى جهنم لأطفأوها))^(٥) .
- (٩) وحدة الأديان . كما قال العلاج :

تفكرت فى الأديان جدا محققا

فألقيتها أصلا له شعب حيا

فلا تطلبن للمرء دينا فانه

يصد عن الأصل الوثيق وانما

يألبه أصل تعبر عنه

جميع الممالى والمعانى فيفهما

ويقول كذلك :

الا أبلح أعبائى بأنى

رگبت البحر وانكسر السفينة

- (١) شطحات الصوفية للبدوى ص ٢٠ .
 (٢) شطحات الصوفية للبدوى ص ٤٣ .
 (٣) شطحات الصوفية للبدوى ص ٢٠ .
 (٤) المصدر السابق ص ٣١ .
 (٥) المصدر السابق ص ٢١ .

على دين الصليب يكون موتى

ولا البطلحا أريد ولا المدينة^(١)

ويقول ابن عربى (فإياك أن تتقيد بمعتقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه فكن فى نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها فان الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عدد دون عدد فانه يقول فاينما تولوا فثم وجه الله^(٢))

وقال ابن الفارض :

فبى مجلس الأناكار سمع مطالع

ولى عانة الخمار عين طليمة

وطعد الزنار حكما سوى يدي

وان حل بالقرار بى فهى حلت

وان نار بالتنزيل محراب مسجد

فط بار بالانجيل هيكل بيعة

واسفار نوراة الكليم لقومه

ينا جى بها الأهار فى كل ليلة

وان غر للأعجار فى البعد طكف

فلا تعد بالانكار بالعصية

فط زافت الأبار من كل طفة

وط زافت الأفكار من كل نحلة^(٣)

(١) نشأة التصوف الاسلامى للبيوتى ص ١٨٧ .

(٢) تبية الخبى الى تظهير ابن عربى للبقاعى ص ١٠٠ .

(٣) تبية الخبى الى تظهير ابن عربى للبقاعى ص ١٢٦ .

(١٠) إسقاط التكاليف الشرعية واستحلال المحرمات .

يقول الدكتور عرفان عبد الحميد - بعد أن بين أن غلاة الشيعة قد سبقوا أهل التصوف إلى إسقاط التكاليف واستحلال المحرمات - (ولقد سرت هذه النزعة المدعية التي لا تعترف بحدود الشرع المنزل إلى صفوف غلاة الصوفية ممن أباغوا لأنفسهم أطراح الشرائع وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا تلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده وزعم البعض أن المحظور على غيرهم من المحرمات مباح لهم إذا بلغوا درجة الولاية التي سموها المنزلة الخاصة وتأول البعض قوله تعالى ((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)) قائلاً إذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة (١) .

(١١) الأعراس عن العلم والانشغال بالزهد والتبتل (٢) .

(١٢) ترك المباحث وتقليل الطعام والامتناع عن شرب الماء البارد حتى يبيس البدن .

(١٣) إهمال الحقوق وأطراح السبل واللحوق بزوايا المساجد أو البراري والمغارات ، والكهوف

(١٤) بناء الأربطة والاعتكاف فيها وجعلها مشابهة للمساجد وتشبيها بالرهبان .

(١٥) ترك الطيب من اللباس وليس الصوف والمرقمات .

(١٦) التجرد من الأموال والعيش على صدقات الناس .

(١٧) ترك التزوج وترك التداوى .

(١٨) العزلة والانقطاع عن الجمع والجماعات وإظهار التخشع ومطأطأه الرأس .

(١٩) استباحة الفنا والرقص ومصاحبة المردان .

(٢٠) ابتداع أفكار ووراد وعبادات لم ترد في الشرع كالموالد . وكالهجرة إلى قبور

الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد ص ٧٤ .

(٢) أنظر هذا الانحراف وطبعه من انحرافات في كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي

ص ١٦٠ وطبعه ١٥ .

(٢١) أصدر الفتاوى الكاذبة التي لا تستند على دليل شرعى بل التي تعارضها الأدلة

كقول رباح بن عمرو القيسى (لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها
أرطاة وأولاده كأنهم أيتام ويأوى الى منازل الكلاب)^(١) .

وكقول بعضهم مفسرا التوحيد ((هو الذى يعصى البصير ويحير العاقل ويدهش

الثابت))^(٢) وقول الآخر (من الملح علم نورة من علم التوحيد حمل السموات والأرض

على شمرة من بطن عينه)^(٣) وكقول آخر أيضا ((علامة التوحيد . نسيان التوحيد))^(٤)

(٢٢) الرضا بط يفتح عليهم من مصائب ونوب فلا يحاولون دفعها عن أنفسهم زعما منهم

أن دفعها ينافي الرضا بالقدر فلو وطئ الكفار رقابهم يرضون ويسلمون لأن الله

أراد ذلك !! تقول رابعة المدوية ((يكون العبد راضيا اذا سرته المصيبة كما

سرته النعمة))^(٥) . ويذكر الاستاذ محمود مهدي قصة ملخصها : أن الفرنسيين

أبان استعظروهم لتونس كانوا يجدون معارضة شديدة من الناس فتفاهم الفرنسيون

مع شيخ الصوفية على أن يدخلوا البلاد فلما أصبح الصباح قعد الشيخ مطرقا رأسه

وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله فلما سأله أتباعه عن الأمر الذي يقلقه قال لهم

لقد رأيت الخضر وسيدى أبا العباس الشاذلى وهما قابضان بحصان جنرال فرنسا

ثم أوكلا الجنرال أمر تونس . يا جماعة هذا أمر الله فما العمل ؟ فقالوا له اذا كان

سيدى أبا العباس راضيا ونحن نتارب في سبيله فلا داعى للحرب ثم دخل الجيش

الفرنسى تونس دون مقاومة)^(٦)

(١) نشأة التصوف الاسلامى للبسيونى ص ١٥٨ .

(٢) اللمع للطوسى ص ٥٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٥) نشأة التصوف للبسيونى ص ١٤٥ .

(٦) أنظر ص ٧٨ من كتاب . كتب ليست من الاسلام لمحمود مهدي .

(٢٣) الجهل بمعنى التوكل والدخول في الفلاة والسفر بخيراد كما قال بعضهم :

((من أراد أن يقوم بحسب التوكل فليحفر لنفسه قبرا ويدفن فيها وينسى الدنيا وأهلها))

وكقول الغلام السوفى الذى لقيه ابراهيم الخواص ان يقول . لقيت غلاما فى التيه
كأنه سبيكة فضة فقلت له الى اين يا غلام فقال الى مكة عرسها الله تعالى فقلت
بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة فقال يا ضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والأرض
الا يقدر على أن يوصلنى الى مكة بلا علاقة (٢)

هذه جل الانحرافات التى يقع فيها أوفى بعضها أصحاب التصوف وهى مناقضة
للجهاد وصميتة للروح الجهادية عند كل من تأثر بالتصوف . وهل يتصور من شخص
يعتقد أن الله حال فى الكفار شجاعة فى قتال الله ! أو يتصور من شخص يعتقد
أن الأديان كلها صحيحة وأنها طرائق موصله الى الله حماس فى قتال من يراهم
على حق ! بل طالقائه من جهاد من هذه عقيدته وهو من أشد الناس كفرا !
اما من يعتقد بسقوط التكاليف الشرعية فلا أمل فى جهاده مطلقا فالجهاد من أصعب
التكاليف والعيب لا يكف حبيبه ما يثقل كاهله !

ان الجهاد يحتاج الى عقيدة صحيحة راسخة والى أيدان قوية سليمة والى أموال
تكون قواما للجند وثمنا للسلاح وكل هذه الأمور مفقودة عند المتصوفة . فمن كان
يعتقد أنه لا يكون من الصديقين حتى يأوى الى ضازل الكلاب كيف يكون قائد جيش
يصبح الكفار فى ديارهم أو يمسوهم ولو ترك المسلمون التزوج كما يفعل ذلك أكثر
المتصوفة فأين الشباب الذين هم ناطق عطاء الجيوش الفاتحة .

ولو ان الرسول صلى الله عليه وسلم انعزل فى بعض شعاب مكة وعام النهار وقام الليل
وأطال سبخته وانا تعب من الأذى كار والاراد قام يرقص وينشد ويتطيل يمينا وشمالا

(١) المصحح للطوسى ص ٤٦ .

(٢) نشأة التصوف للبسيونى ص ١٥٢ .

كم يدخل في الاسلام من الناس !! ان انحراف المتصوفة العقيدى والسلوكى أثر على
الجهاد الاسلامى فاية التأثير وهو مناقض لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم (. فمن أبى
هريرة رضى الله عنه أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينة
ماء عذب فأعجبه طيبه فقال لو أقمت في هذا الشعب فاعتزلت الناس . ولا أفعل حتى استأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام
أحدكم في سبيل الله غير من صلاة ستين عاما غالبا الا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم
الجنة اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)^(١) ، وعن
أئمن بن مالك رضى الله عنه قال جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وذين نحن
من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحد هم انا فانسى
أصل الليل أبدا وقال آخر انا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر انا أعتزل النساء فلا أتزوج
أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله أنسى
لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أضوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى
فليس منى)^(٢)

ان عقيدة الصوفية المنحرفة فى التوكل والرضا بالقدر جعلت نفوسهم راضية مطمئنة ولو
وطئ الكفار على رقابهم . فان التوكل عند عدم ممارسة الأسباب والرضا معناه أن ترضى
بطا يحصل لعلو هو استيلاء الكفار على بلاد المسلمين وسبى ذراريتهم وان أبديت مقومة
فأنت معارضى للقدر !! ونير متوكل على الله !! فالذى يسافر فى البرارى الغالية بغير
زاد - كطرم معنا - هل يتصور منه أن يلبس لامة الحرب ودروع القتال وليته ان لم يفعل

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥٢٤/٢

(٢) صحيح البخارى ١١٦/٦

ذلك غمس نفسه في القتال حاسرا !! ولكن ماله ولفرقعة السلاح ولعزير الدماء
 وحلق الرقص وطققة المسابح كغيله بانزاله منازل الصديقين على زعمه !! أن انحسرات
 هذا أصاب الأمة الاسلامية وأي فرحة للكفار تحصل لهم أشد من فرحتهم من هذه النحلة .
 يقول الرجل الذي سهر الصوفية في مصر وعرف خفيا أمورهم الاستاذ عبدالرحمن الوكيل
 (. . .) ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الاسلام في بطن كثيرة !! ، ولقد علمت
 مياد بين الصوفية فما نشروا الا أساطير حقا وخرافات بلها وبدعا بلباء شوها ما نشروا
 الأوثية تؤله الحجر وتميد الرمم ما نشروا دينهم الا في حياية الغاصب المستعمر وطوخ
 هو الغاصب المستعمر .

فعدو الاسلام يوقن تماما أن البدع هي الوسيلة التي تصل الى الهدف دائما لكي
 يقضوا بها على الاسلام وأعله فعلها قديما . ويفعلها حديثا وأقرأوا تاريخكم ان كنتم
 تمترون أرونى صوفيا وبعدا قاتل في سبيل الله ! أرونى صوفيا واحدا جالد الاستعمار
 أو كافحه أو دنا الى ذلك . ان كل من نسب اليهم مكافحة المستعمر وهم قله لم يكافحوه
 الا حين تغلى هو عنهم فلم يطعمهم السعت من يديه ولم يبح لهم جمع الفتات من تحت
 قدميه والا حين قهرت فيهم عزة الوطنية ذل الصوفية فقاتلوا حمية لا للدين ! ثم أقرأوا
 ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه المسألة الشرقية ((ومن الأمور المشهورة عن احتلال
 فرنسه للقيروان ان رجلا فرنساويا دخل في الاسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد
 في تحصيل الشريعة عتي وصل الى درجة عالية وعين اماما لمسجد كبير في القيروان فلما
 اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءوا يسألونه أن يستشير
 لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل سيد أحمد الضريح ثم خرج مهولا لهم
 بما سينالهم من المصائب وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم لأن وقوف البلاد صار بعثا
 فسأتح القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع بل دخلها الفرنسيون آمنين)) .
 وعين اغار الفرنجة على المنصورة قبيل منتصف القرن السابع الهجرى اجتمع زعماء الصوفية !!
 أتدري لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الأولياء من أجل ذلك يجب
 ألا نستغرب اذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال فرب مفوض سام لم يكن

يرضى أن يستقبل نوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ثم تراه يسعى الى زيارة حلقة من حلقات الذكر ويقضى هنالك زيارة سياسية تشتت عن الساطت . أليس التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة فى الأمم .

ثم ان كل من نسبت اليهم الصوفية انهم جاهدوا فى سبيل الله وعطوا على نشر الاسلام ليسوا صوفيين وانما عسرتهم الصوفية فى زمرتها زورا ومهتانا واستانها فى ذلك الشيعة لقد سمى الصوفية رسول الله صلى الله عليه وسلم صوفيا ومثله الخلفاء وكل بطل عبقرى فد من المسلمين زعموا أنه صوفى هذا ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن زعمائهم من طواغيت الصوفية وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية والتاريخ يذكر أن لقب صوفى لم يبتدع الا فى منتصف القرن الثانى الهجرى وأن أول من لقب به هو أبو هاشم الكوفى (١)

وهذا العزى عن موقف الصوفية من الجهاد نذكر لماذا تهتم الصليبية والصهيونية بالصوفية وتخصص علماء وأتباعا يبرزون فكر الصوفية ودعاتها وفرقها ويمجدونها أن أخشى ما يفسده الأعداء من الاسلام عقيدة الجهاد ويودون لو قضوا عليها قضاء مبرما . ونشر الفكر الصوفى والسلوك الصوفى أكبر عون لهم على ذلك . يقول الاستاذ محمد قطب (والمستشرقون الذين هم الامتداد الحقيقى للمبشرين يسيرون على نفس المنوال فى تبنى الحركات الزائفة والمنحرفة لعلها تقطع الشجرة التى ينيلهم وجودها ورسوخها فى الأرض وتعدى بها لكل جهنم يبذلون لوقف امتدادها وتفرغها . ومن هنا نجد عناية شديدة فى كتب المستشرقين بما يسمى ((التصوف الاسلامى)) الى حد أن يتخصص له مستشرقون مثل نيكسون وأوليرى ينفقون مبالغ جهنم فى هذا السبيل والتصوف فى صورته المنحرفة الشاطعة فلا أكثر من سبب يهتم به المستشرقون ويحتفلون به هذا الاعتقال . أولا : لأنه ليس اسلاميا

(١) هذه هى الصوفية للوكيل ص ١٧٠-١٧٢ .

في الحقيقة انما هو مستمد من أصول غير اسلامية فارسية وهندية ويشتمل على مجموعة من المفاهيم والأفكار التي تتعارض مع الاسلام فالحصيلة النهائية للتصوف هي أقرب الى الانحراف عن خط الاسلام ومن أجل هذا يهتم به المستشرقون اهتماما بالغا ويهتمون بصفة خاصة بأصناف الشطحات من المتصوفين لأنها انحراف عن الاسلام وكل انحراف عن الاسلام فهو كسب لهم في معركتهم الدائمة ضد هذا الدين . وقد كان الحسن الاسلامي المستقيم عند المسلمين ينفر من انحرافات الصوفية وشطحاتها ولا يستسيغ فلسفتها وان كان الموم قد فتتوا بمشايخ الطرز وكان يشركون بهم في عبادة الله . ولكن المستشرقين يهاولون في كتاباتهم أن يبرزوا الصوفية في ثوب خلاف لعله يخفى المسلمين بمزيد الانحراف (١) من هذا الاستطراد عن انحرافات الصوفية واهتمام الكفار بهم يظهر لنا مدى تأثير التصوف على عقيدة الجهاد وأنه يميته ويجعل رياضة النفس والاستغراق في الأوران والأندكار هو الجهاد الأكبر . وان تغيير الواقع وتحويله الى الحال التي كان عليها في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن صحابته الكرام أمر لا يعنى المتصوفه كثيرا فما لهم ولناس وللعبادة . ففي الجبة والزوايا وحلق الرقص وأضرحة الموتى ورسائل القشيري والمدائح النبوية شاغل لهم نسأل الله أن يلهمنا وياهم رشدنا .

(١) المستشرقون والاسلام للاستاذ محمد قطب ص ٥٤-٥٥ .

٣- الشيعة الامامية الاثنا عشرية :

الشيعة هم القائلون بأن الامامة وراثية في أهل البيت ويقدمون عليا رضي الله عنه على سائر الصحابة ويظنون في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين لكونهم لم يعطوا الخلافة عليا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم طوائف مختلفة وبعضهم لهم اعتقادات فاسدة تخرجهم عن دائرة الاسلام (١).

وأما الاثنا عشرية منهم فهم الذين ساقوا الامامة من جعفر الصادق الى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى وزعموا أن الامام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا ويقال لهم الاثنا عشرية لدعواهم أن الامام المنتظر هو الثاني عشر من نسله الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه اختلفوا في سن هذا الثاني عشر عند موته فضعف من قال كان ابن أربع سنين ومنهم من قال كان ابن ثمانى سنين واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت فضعف من زعم أنه في ذلك الوقت كان اماما طلب بجميع ما يجب أن يعلمه الامام وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال كان في ذلك الوقت اماما علي معنى أن الامام لا يكون غيره وكانت الأحكام يومئذ الروايات من أهل مذاهبه الى أو أن بلوغه فلما بلغ تحقق امامته ووجبت طاعته ، وهو الآن الامام الواجب طاعته وان كان غائبا ويسمى البغدادي الامامية الاثنا عشرية في كتابه الفرق بين الفرق بالقطعية (٢) وقال عباس بن منصور الحنبلي عنهم انما سماوا بالقطعية لقولهم بانقطاع الامانة (٣) ، ويقول أبو زهرة (ويرى الاثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين ومن بعده لمحمد الباقر ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر ثم لابنه موسى الكاظم ثم لعلي الرضا ثم لمحمد

(١) أنظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ٦٥/١ والمطل والنحل للشهرستاني ١٤٦/١ والفرق

بين الفرق للبغدادي ٢٩ والمناهب الاسلامية لأبي زهرة ٣٥/١.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٦٥.

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لعماد الحنبلي ص ٣٨.

الجواد ثم لعلى الهادي ثم للحسن العسكري ثم لمحمد ابنه وهو الامام الثاني

عشر ويعتقدون أنه دخل سردابا في دار أبيه (بسر من رأى) ولم يعد بعد (١)

وللامية الاثنا عشرية في الجهاد أقوال ظاهرة السقوط منها :-

- ١- قولهم أن الشيعة شهداء ولو ماتوا على فرشهم. (٢)
- ٢- قولهم لا يجهد الا مؤمن قد أكمل شرائط الدين. (٣)
- ٣- قولهم أنه لا يجهد الا مع امام عادل. (٤)
- ٤- قولهم أن جهاد الابتداء وغزو الكفار في ديارهم لا يكون الا مع الامام المعصوم الذي ينتأرونه. (٥)

يقول محمد جواد مغنیه في كتابه فقه الامام جعفر الصادق ما يلي :-

(قسم الفقهاء الجهاد الى نوعين : الأول جهاد الغزوي في سبيل الله وانتشار

الاسلام واعلاء كلمة الله في بلاد الله وعباده وهذا النوع من الجهاد لا بد فيه من ان الامام . .

النوع الثاني : جهاد الدفاع عن الاسلام وبلاد المسلمين والدفاع عن النفس والمال والعرض

بل الدفاع عن الحق المطلقة سواء كان له أو لغيره على شريطة أن يكون القصد بالصلح

لوجه الله والحق وهذا الدفاع لا يشترط فيه ان الامام ولا نائبه الخاص أو العام (٦)

ويقول الخميني - حاكم ايران حاليا وهو من الاثنا عشرية - في كتابه تحرير الوسيلة

ج ١/ ٤٨٢ في عصر فبية ولي الأمر وسلطان العصر - عجل الله فرجه الشريف ! - يقوم

نوابه العامة وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء في اجراء السياسات وسائر الامام

عليه السلام الا ابتداء في الجهاد (٧)

(١) تاريخ مذاهب لأبي زهرة ١/ ٥٤ . (٢) وسائل الشيعة للعالمى ١١/ ٢١ .

(٣) المصدر السابق ١١/ ٢٦ . (٤) المصدر السابق ١١/ ٢٢، ٣٥، ٢٦ .

(٥) المصدر السابق ١١/ ٣٢ وقارن بشرائح الاسلام للعلی ١/ ٣٠٧ .

(٦) فقه الامام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنیه ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٧) وجلاء دور المجهوس للدكتور الغريب ص ١٩٨ .

وهذه الأقاويل بالغة السقوط بحيث لا تحتاج الى الرد وهي مبنية على أوهام الرافضة
 في الامام المعصوم المقتدى منذ مدة طويلة الذي يعتقدون أن قوله تشريع وان عنده من
 أسرار الشريعة الشيء الكثير وان عصيانه شرك (١)

٤ - الجبرية الجهمية :

الجبرية الجهمية هي التي تجعل العبد مجبوراً على أفعاله فهو عندهم كالريشة
 في الهواء وهم أتباع جهنم بن صفوان يقول البخدادى عن هذه الفرقة (الجهمية أتباع
 جهنم بن صفوان الذي قال بالاجبار ولا اضطرار الى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم
 أن الجنة والنار تبديان وتفنيان وزعم أيضاً أن الايطان هو المعرفة بالله تعالى فقط وأن الكفر
 هو الجهل به فقط. وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله وانما تسبب الأعمال الى المخلوقين
 على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرعى من غير أن تكونا فاعلتين أو مستطيعتين
 لما وصفتا به (٢) ويقول عن هذه الفرقة أيضاً الشيخ حافظ الحكيم (وخافة الفمائل
 والانفعال كلاهما الى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون أن العبد
 مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوى من أعلى الى أسفل
 وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده - من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي كتكليف
 العيون البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب وأن تعذبيه
 اياهم على معصيتهم اياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم وان ذلك كتعذيب
 الأوبل لم لم يكن قصيرا ولقصر لم لم يكن اربلا والأسود لم لم يكن أبيض والأبيض لم لم يكن

(١) للاطلاع على مغاير الرافضة وعلى نعتهم الخبيثة أنظر كتاب تبديد الظلام وتبديه
 النيام للأستاذ ابراهيم الجبهان وكتاب وجاء دور المجوس للدكتور عبد الله محمد
 الخريب وكتاب الشيعة والسنة لاسان الهبي المير وكتاب الخطوط المعريضة
 لمذهب الامامية الاثنا عشرية لمحب الدين الخطيب وكتاب سراب في ايران للدكتور أحمد
 الأفغانى . (٢) القرن بين الفرق للبخدادى ص ٢١١ .

أسود فسلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها
ومصالحها ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة وجهده وحجته الدامغة وأثبتوا عليه تعالى
الحجة لعباده ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدله وشرعه فلا قيام عند هم لسوق
الجهاد ولا معنى لأقامة لعدو ولا للشواب والعقاب بل ولا لارسال الرسل والالتجبالا التكليف
في غير وسع وتعميل ما لا يطاق للظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده
محرما فأقاموا عند إبليس اللعين وعند فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة المقوتين
المقبولين المضطوب عليهم المغسوف بهم السعداء لهم جهنم وساءت مصيرا . وان غضب
الله عليهم ولعنه وقاتبه أياهم على فعله لا على أفعالهم بل قالوا انه طاقبهم ومقتنهم على
الاعتقدهم أياه لأنهم ان كانوا خالفوا شرعه فقد أطلعوا ارادته ومشيعته هذا معنى اثبات القدر
عند هذه الفرقة الابليسية وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرا من عباراتهم التي
لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أقوال الكفار قبحهم الله
فمن ذلك قول بعضهم القاه في اليم مكتوبا وقال له اياك اياك أن تبطل بالماء .
وقول آخر فيحه الله :

د طاني وسد الباب عنى فهل الى دخول سبيل بينوا لى قضيني

وقول كافر آخر في الله فاه :

| | |
|--------------------|-----------------------|
| وضعت اللحم للبر | ة على ذروتى عــــــدن |
| ثم لاموا البراة ان | نلعوا عنهم الرسن |
| لوا أرادوا صيانتى | ستروا وجهك الحسن |

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف افساده فقال لى عمن بنات لا أخاف على افساده من
غيره . وصعد رجل يوط على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريتته فنزل وأخذهما
ليعاقبهما فقال الغلام ان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فلمنا ذلك فقال لعلمه بالقضاء
والقدر أحب الى من كل شئ أنت حر لوجه الله . ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر لياخذ
فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول القضاء والقدر فقال يا عدوة الله أتزينين وتمتدريين
بمثل هذا فقالت أوه تركت السنة وأخذت بذهب ابن عباس فقتبه ورمى بالسود من يده

واعترار اليها وقال لولاك لضللت . ورأى آخر رجلا يفجر بأمراته فقال ما هذا فقالت
هذا قضاء الله وقدره فقال الخيرة فيما قضى الله فلقب بالغمرة فيما قضى الله وكان اذا دعى
به غضب وقيل لبعضه هؤلاء أليس هو يقون ولا يرضى لعباده الكفر فقال دعنا من هذا رضىه
وأعبه وأراده وما أفسدنا غيره (١) ويلزم من هذا الاعتقاد الخبيث لهذه الفرقة الخبيثة
ان مجاهدة الكفار لا معنى لها بل هي ظلم وعدوان فكيف يجاهدون على عمل أعبه الله
وأراده منهم ولم يمكنهم من نبيه وهذه عقيدة خبيثة تسعى الى اقتلاع عقيدة الجهاد من
قلوب المؤمنين . بل الى اقتلاع الايمان كله وقد كان لهذه العقيدة الخبيثة غاية التأثير فى
أكثر الصوفية لأن أكثر المتصوفة جبرية !! ووضوح بطلان قول هذه الفرقة أظهر من
الشمس فى رابعة النهار فان الانسان يحس من نفسه الاختيار على العمل ولو لم يكن للانسان
اختيار فوانتهاج العمل الذى يريد لكان بعثة الرسل عموما وانزال الشرائع من العيب
تعالى الله عز وجل عن العيب ولو ضرب ما عيب هذه العقيدة ضربا مبرها لغضب وادفع
عن نفسه ولم يرغب بالقدر على حد زعمه !!!

(١) معارج القبول للحكمى ٢/٢٨٩-٢٩١ .

الفصل الثاني :
الفرق الحديثة

١ - القاديانية .

٢ - البابية والبهاية .

١ - القاديانية :-

القاديانية فرقة مرتدة عن الاسلام رباها الاستعمار الانجليزي في الهند وانتشرت الى بقاع كثيرة في العالم وهي تنسب الى مرزا غلام أحمد القادياني المولود في الهند في قرية قاديان سنة ١٨٣٩ م ، وقد كشف مؤسس هذه الفرقة الخبيثة عن عمالته للاستعمار فهو يقول (لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر ((الانجليز)) من الكتب والاعلانات والنشرات ما لوجع بعضها الى بعض لملأ غمسين خزانة وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتصحى من قلوبهم قصص المهدي السفاك والمسيح السفاح والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى (ترياق القلوب ص ٢٥ للقادياني) ويقول (لقد نشرت غمسين ألف كتاب ورسالة وعلان في هذه البلاد وفي البلاد الاسلاميه تفيد أن الحكومة الانجليزية صاعبة الفضل والمنة على المسلمين فيجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة اطاعة صادقة وقد ألفت هذه الكتب في اللغات الاربية والعربية والفارسيه وأذعتها في أقطار العالم الاسلامي حتى وصلت وذاعت في البلدي المقدسين مكة والمدينة وفي الآستانه وبلاد شام ومصر وأفغانستان وكان نتيجة ذلك أن أقل العرف من الناس عن فكرة الجهاد التي كانت من وحي العلماء الجامدين وهذه مأثره أتياهي بها يعجز المسلمون في الهند أن ينافسوني فيها ((ستارة قيصره ص ٧ مكتوب القادياني الى ملكة انكلترا)) وقال (ان أبي غلام مرتضى كان من الذين لهم روابط طيبة وعلاقات ودية مع الحكومة الانكليزية وكان له كرسي في ديوان الحكومة وهو ساعد الحكومة حينما ثار عليها أهل وطنه ودينه الهنديون مساعده طيبة في سنة ١٨٥٧ م (ثورة معروفه ضد الاستعمار) بل مدنا بخمسين جنديا وخمسين فرسا من عنده وعدم الحكومة فوق طاقتة (تحفة قيصرية ص ٢٦) وقال (لقد ظلمت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم المستين اجاهد بلساني وقلبي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والمطاب عليها والفي فكرة الجهاد التي يدبر بها بعض

جهالهم (!) والتي تمنعهم من الاغلام لهذه الحكومة وأرى ان كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأعدت تحولا في مئات آلاف منهم (تبليغ رسالت المجلد السابع ص ١) وقال أيضا (ولا يخفى على هذه الحكومة المباركة (!) انا من خدامها ونصحاءها ودواعي غيرها من قديم وجئنا هم في كل وقت بقلب صميم وكان لأبي عندنا زلفى وخطاب التحسين ولنا لدى هذه ولاية أيدي الخدمة ولا نلن أن نسميها في حين كان والدي الميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطاء محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوي الغلة وعندنا من أرباب القرية . وكان يصدر على تكمة العزة وكانت الدولة تصرفه غاية المعرفة وما كنا قط من ذوي الالفة بل ثبت اخلاصنا في أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكمين ولتستطلع الدولة حكامها الذين جاؤنا ولبثوا بيننا كيف عشنا أطام أعينهم وكيف سبقنا في كل خدمة مع السابقين (!) (نورالحق الحصة الأولى ص ٢٧ - ٢٨) وقال (اني أعلم أن الله تعالى جعل الحكومة البريطانية حصى ولجأ لي ولجماعتي بفضل الخاص وهذا الأمان الذي حصل لنا تحت ظل هذه الحكومة لا يمكن أن يعمل هو في مكة المكرمة ولا في المدينة المنورة (تزيق القلوب ص ٢٦) وقال (والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الاسرة التي هي من غرس الانجليز أنفسهم ومن صناعتهم بكل عزم واعتباط وتحقيق ورعاية وتؤمى رجال حكومتها ان تعاطني وجماعتي بصفتك خاص ورعاية فافقه لأننا ما تأخرنا أبدا من التضحيات في سبيلكم لا بالنفوس ولا بالدماء (تبليغ رسالت ج ٧ ص ١٩)

وقال (ثبت من محاضراتي المسلسلة طوال سبعة عشر سنة بأني وفي مظهري للدولة الانكليزية من صميم القلب والروح وطاعة الحكومة وعب الناس عقيدتي وهذه هي العقيدة التي ادخلتها في شروط البيعة لمتبعي ومريدي وصرحت عن هذه العقيدة تحت الطادة الرابعة في رسالة شروط البيعة التي توزع على المهديين والمتبعين لي (اشتهاار واجب الاظهار مطبعة كتاب البرية ص ١١١ للقادياني) .

ويقول (ان مذاهب وعقيدتي التي أكررها ان الاسلام جزآن : الجزء الأول : اطاعة الله والجزء الثاني اطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين وهي

(١) الحكومة البريطانية (شهادة القرآن ص ٨٦)

ويبدو من كتابات القادياني الى اسياده الانكليز ومن امتنانه عليهم بالعمالة والخدمة أنه رجل معتموه وأنه لم يحصل في نظره على الشئ الكافي لدينه الذي باعه لهم لذا فهو يذكركم بجهاده في سبيلهم لعله يستدرع عطفهم فيجعلونه في وضع أحسن من الوضع الذي هو فيه !! وأما موقف هذه الفرقة الضالة من الجهاد فقد صرح به القادياني في كتبه ورسائله وقد مر معنا أرف منه واليك المزيد أيها القارئ الكريم ، يقول هذا العميل المأفون (ان الله عطف شدة الجهاد أي القتال في سبيل الله بالتدرج فكان يقتل الأبطال في عهد مرسي وفي عهد محمد صلى الله عليه وسلم الضى قتل الأبطال والشيوخ والنسوة ثم في عهد الضى حكم الجهاد اصلا (أربعين رقم ٤ ص ١٥) للقادياني) ويقول (اليوم الضى حكم الجهاد بالسيف ولا جهاد بعد هذا اليوم فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمى نفسه فازيا يكون مخالفا لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنا بالغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود فأنا المسيح الموعود ولا جهاد بعد ظهوري الآن فنحن نرفع علم الصلح ورؤية الأمان .

(خطبة الهامية ص ٢٨ تبليغ رسالت ج ٩ ص ٤٧)

ويقول (اتركوا الآن فكم الجهاد لأن القتال للدين قد حرم وجاء الامام والمسيح ونزل نور من السماء فلا جهاد بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن فهو عدو الله ومنكر للنبي الذي يعمتد هذا (ترجمة أبيات اردويه ضميمه تحفة كولرويه ص ٢٩) ، ويقول (ان هذه الفرقة القاديانية لا تزال تجتهد ليلا ونهارا لقمع العقيدة النجسة عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين)) عريضة القادياني الى الحكومة المندرجة في المجلة ريرير آف ريليجنز رقم ٥ - ١٩٢٢ (١٠٠) .

(١) أنظر هذه الأقوال في كتاب القادياني ومعتقداته للشيخ منظور أحمد جنيوتسي

الباكستاني ص ٢٦-٢٠ .

وقال (ان الفرقة الاسلامية التي قلدني الله امامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تتنظره بل ان الفرقة المباركة لا تستحله سرا كان أو علانية وتحرمه تحريماً باتاً) (ترياق القلوب ص ٢٢٢) ، وقال (قد كتبت مرارا أن القرآن لا يعلم تعليم الجهاد أبداً بل كان هذا الحكم مختصاً بالزمان وما كان الى الأبد والاسلام برئ عن الأعمال التي ظهرت عن الملوك بعد زمان النبوة بخطأهم الصريح أو بأغراضهم النفسانية) (١)
((ضميمه الحكومة الانجليزية والجهاد ص ١٠ ، (١))) ،

وللقاد يانية عقائد زائفة كل واحدة منها توجب ردتها فضلاً عن جميعها - يقول احسان الهى ظهير (فخلاصة الكلام ان النقاد يانية تعتقد أولاً بأن لهم الالهة يتصرف بصفات البشر يصوم ويصلى وينام ويصحو يخطئ ويصيب . . .

ثانياً : ان الأنبياء والمرسلين يبعثون ويرسلون الى يوم القيامة .

ثالثاً : ان غلام أحمد نبي الله ورسوله .

رابعاً : انه أفضل من جميع الانبياء والمرسلين بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

خامساً : ينزل على غلام الوحي .

سادساً : الطاء الموكَّل بالوحي اليه هو جبريل .

سابعاً : ان لهم دناءة منفضلاً عن الأديان كلها . . .

ثامناً : ان لهم كتاباً مستقلاً يفاها القرآن في المرتبة والمنزلة وله عشرون جزءاً واسمُه

(٢)
الكتاب المبين

(١) أنار كتاب القاد ياني ومعتقداته للشيخ منظور أحمد ص ٣٠ ، ٣١ وكتاب القاد يانية لاحسان الهى ظهير .

(٢) أنار القاد يانية لاحسان الهى ظهير ص ١١٧ .

وقد بين الصعداء الشهير محمد أنور شاه الكشميري الحاد القادياني من وجوه متعددة
في كتابه القيم ((اكفار الملحدين في ضروريات الدين)) وقد عنيت رابطة العالم الاسلامي
بمكة بنشر مؤلفات كثيرة ، تبين ارتداد القاديانية عن الاسلام منها للشيخ أبي الحسن
الندوي والشيخ أبي الأعلى المودودي والشيخ محمد الخضر حسين وغيرهم من العلماء
وأما قولهم في الجهاد بأنه ساقط فليس مبني على شبه أدلة حتى تناقش وانما أرادوا خدمة
الاستعمار بحماسة بلهاة مكشوفة لا تنطلي على أحد والا فاجتاح أمة محمد على استمرار الجهاد
الى قيام الساعة وهذا من حفظ الله لدينه ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون))
وكم من سفية ممتوه من أمثال القادياني يريد أن يشتت فيطمعن في الاسلام فيسقط هو ويبقى
الاسلام محفوظا لحفظ الله له وانما الأثر قد يصل الى المسلمين أنفسهم لا الى
الاسلام فقد ينخدع باعداء الاسلام عوام وجهلة فيسقطون هم لا الاسلام .
والحمد لله على منه وكرمه .

٢ - البابية والبهائية :

البابية نحلة أسسها على محمد الشيرازي المولود عام ١٢٣٥ هـ فأعلن في ٥ جمادى الأولى عام ١٢٦٠ هـ بأنه باب المهدي وأول من أجاب دعوته الملاحمين البشروئيين فضح لقب ((باب الباب)) وقد تلقف هذا الدعوة بها حسين علي المازنداني ابن الميرزا عباس المولود في إيران عام ١٢٢٣ هـ فصار يلقى عليها البهائية نسبة إلى البهاء وصار كل من يدخل فيها يزيد فيها ضلالات جديدة وهي دعوة شبيهة بالدعوة القاد يانية فأصبح الماسونية فيها ظاهراً وهدفاً صرف المسلمين عن دينهم والتشكيك في بعض أحكام الإسلام كجهاد الكفار ووجوب عداوتهم وفرقة البابية والبهائية فرقة مرتدة عن الإسلام لا داعية بعض دعاتها النبوة وقولهم بالحلول والاتحاد والتناسخ وتعريفهم لأحكام الإسلام المجمع عليها (١).

وأما موقف البهائية من أحكام الجهاد فهو شبيه بموقف هيئة الأمم المتحدة في بعض الجوانب وهذا ما يقوى صلة البهائية بالماسونية . فأن البهائية أخذت على عاتقها الدعوة إلى الاخوة الانسانية ونبتد الحروب ان يقول عبدالبهاء (ان الدين الالهى يجمع القلوب المتفرقة ويزيل المنازعات والحروب عن وجه البسيطة فيخلق الدين روحانية ونورا وحياة لكل نفس ولو يكون الدين سببا للعداء والبغضاء والانقسام فعدم الدين أولى وترك مثل هذا الدين هو الحق لأن الدين هو الكدواء والمرض من الداء هو الشفاء فانا كان الكدواء مسببا لزيادة المرض فالأولى تركه فأى دى لا يكون سببا للمحبة والاتحاد فانه ليس بدى (٢)

(١) أنظر البهائية وموقف الإسلام منها رسالة ما جستير للطالب د خيل الله الأزورى قدمت لجامعة أم القرى وكتاب البهائية لمحب الدين الخطيب .

(٢) البهائية وموقف الإسلام منها للأزورى ص ٢٦٥ .

وتدعو البهائية الى تعريم تجاره الرقيق والى عتن الارقاء^(١) ، وتدعو الى السلام والى التحكيم الدولى حيث يقول عبد البهاء (منذ خمسين سنة أمر بهاء الله فى الكتاب الاقدس أن يقوم الناس على تأسيس السلام العام ودط كل الأمم الى مائدة التحكيم الدولى)^(٢) وتدعو البهائية الى وحدة الأديان وصحة الانسانية ونبذ التعصبات والى الاغوة العامة تطام كما تدعو الماسونية حيث يقول أحد دعاة البهائية (ان الفرضى من بعثة بهاء الله للعالم هوالاتحاد أى اتحاد العالم كله فى الله وبالله وقد قال : ان أبهى ثمرة لشجرة العرفان على هذه الكلمة العليا كلكم أثمار شجرة واحدة ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم . وقال عبد البهاء فى معنى البهائى لان تكون بهائيا يلزمك أن تحب العالم وتحب الانسانية وأن تجتهد فى خدمتها وتعمل للسلام العام والأغوة العامة . ويغاطب علماء الأمم بقوله يا علماء الامم غضوا الأعين عن التجانب وانظروا الى التقارب والاتحاد وتمسكوا بالاسباب التى توجب الراحة والاطمئنان لعموم أهل الامكان ويقول عبد البهاء يجب على الجميع ترك التعصبات وان يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض لأن اسم الله يذكر فى جميع هذه المعابد ما دام الكل يجتمعون لعبادة الله فلا خلاف بين الجميع فليس منهم أحد يعبد الشيطان فيحق للمسلمين أن يذهبوا الى كنائس النصارى وصور مع اليهود والعكس يذهب هؤلاء الى المساجد الاسلامية)^(٣) .

وقد حرم البهاء على اتباعه الجهاد فقال (البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الاعظم لجميع أهل العالم معو حكم الجهاد من الكتاب) وقال (حرم عليكم حمل آلات العرب) وقال عبد البهاء عن أبيه (محا اية السيف ونسخ حكم الجهاد)^(٤)

(١) المصدر السابق ص ٢٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧١ .

(٣) البهائيه للأزورنى ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .

(٤) البهائية للأزورنى ص ٢٧٩ .

ولا غرو أن تقدم هذه الفرقة الخبيثة على الكذب على الله وتحريم ما أوجب الله من جهاد الكفار وعداوتهم فهي وسيلة وسائل الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة لتدمير الاسلام وهي شقيقة الطائفة البهائية فرقة مرتدة حاقدة على الاسلام والمسلمين يقول الدكتور محسن عبد الحميد عن علاقة البهائية بالصهيونية (ثم ان البهائية تسفر عن وجههم الصهيوني أخيراً ان بعد موت ميرزا شوقي افندي ريانى لاغوتهم الثالث بعد البهائى وابنه اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية فى اسرائيل وانتخب صهيونيا أمريكيا اسمه ((ميسون)) ليكون رئيسا روحيا لجميع أفراد الطائفة البهائية فى العالم (١) ، ويقول الدكتور محسن عن علاقة البهائية بالصليبية (وأما علاقة الانجليز بعباد البهائى عباس فعلاقة قوية بلغت حد العطالة العلنية والخدمة المباشرة لمصالحهم فلقد كان عبد البهائى الجاسوس الانجليزى الذى كان يعرف كيف يقوم تحت جناح اللام بتطبيق ماعقدوا عليه العزم من هدم الاسلام وسلخ جزء عزيز من بلادهم لتسليمه الى اليهود . . . ان خدمة عبد البهائى للانجليز لم تكن عرضية وانما جاءت بناء على ما كتبه والده فى الاشرافات (انا قام أى ملك من الملوك وفقهم الله - كذا - على عطف هذا الحزب - البهائية - المظلوم واعناته يجب على الكل أن يتسابقوا فى محبته وخدمته وهذا فرض على الكل اربى للعالمين) .

ان ولاء عبد البهائى عباس زعم البهائية بعد والده للانجليز يتأكد لكل انسان عند ما يقرأ تلك الخطب الرنانة التى ألقاها فى نواحي لندن وكنايسها ومجامعها . يقول فى احدى تلك الخطب مخاطباً الانجليز (ان مغناطيس حبكم هو الذى جذبني الى هذه المملوكة) ويقول (انى عرفت الأمة الانجليزية والذين قابلتهم هم أنفسيهم يشغلون للسلام والاتحاد) ويقول (أصبحت المدينة الغربية متقدمة عن الشرقية وأصبحت الاراء الغربية أقرب الى الله من اراء الشرقيين) .

(١) عقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص ٢٣٧ .

... ان تاريخ البهائيين في عمالتهم بالانجليز تاريخ أسود يخزيهم ويدينهم الى يوم الدين ويكشف عن ابيعة حركتهم الهدامة التي مانسجت خيوطها الا في عواصم الصليبية العالمية وسرايب الماسونية اليهودية ولذلك فان الانجليز ردوا عليهم بمضى جميلهم فشدوا ازرهم في مستعمراتهم وقد مولاهم مساعدات كبيرة وفوق ذلك فانهم همهم وآوهم وجعلوا لندن مركزا من مراكز الحركة البهائية ولقد اعترف عبدالبهاء بذلك فقال (ان لندن ستكون مركز النشر الأمر) ولم تقف لندن عند حد ايواء البهائيين وانما اعتضنت المؤتمر البهائي العالمي الذي عقد سنة ١٩١٣م وصعمل القول ان الانجليز وضموا مع أعداء الاسلام اللينات الأولى في بناء هيكل البهائية ولقد استمروا في توجيهها عبر عقود من السنين وطيزالون يلقون منهم كل اجلال واكبار ولقد قام البهائيون من جانبهم بأعمال سرية للانجليز في البلاد العربية يقول أمين سعيد ويعتمد الانجليز على هؤلاء البهائيين المستعمرين في أعمالهم السرية ببلاد العرب ويثقون بهم لما خبروه من اغلاصهم (١) هذه حقيقة البابية والبهائية والقاد يانية ردة سريعة وعماله خسيصة مكشوفة . وهذه حقيقة الحرب المشبوبة على الاسلام وعلى عقيدة الجهاد على شتى الجبهات تعرضت لطرف منها في هذا البحث وطغى أعظم اواني أدعوا كافة المخلصين لله الى أن يدركوا حجم هذه الحرب وأن يعمدوا للأمر عده ويدافعوا عن دينهم قبل أن يجهز على البقية الباقية منه (وأن يتمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم فبهما يعتصمون من الزلل وبهما يفلقون هام الكفر وأهله كما فعل الرعيل الأول رضى الله عنهم أجمعين .) يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واشغل أعمالهم (٢) .

(١) حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبدالحميد ص ٢٢٧-٢٤٤ .

(٢) سورة محمد ٧-٨ .

الخاتمة :

لقد تم هذا البحث المتواضع بعون من الله وتوفيقه وأسأل الله سبحانه أن يتجاوز عن الزلل والتقصير وأن ينفع بالمكتوب . ويمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يأتي :

١- ان الله سبحانه أرسل خاتم رسله عليه الصلاة والسلام بأكمل وأشمل واتم رسالة سطوية وكلفه بالدعوة الى الله عز وجل وشرع له وسائل الدعوة وطرقها فقام بأمر ربه غير قيام فبلغ الرسالة وادى الأمانة ونصح الأمة .

٢- ان الواجب على الدعوة الى الله اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في نهجه ولاهتداء بنور الوحي وقد بين صلى الله عليه وسلم غاية البيان وسائل الدعوة المشروعة وطرقها فليس في الاسلام ((ان الغاية تبرر الوسيلة)) كما هو في الأنظمة الوضعية بل لا بد أن تكون الوسيلة مشروعة والغاية مشروعة .

٣- ان الرسول صلى الله عليه وسلم مارس الدعوة بنوعيهما السرى والعلنى تبعاً للمصلحة الشرعية .

٤- ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى العقيدة أولاً ويوليها كل اهتمامه لأنه بدون تصحيح العقيدة وتثبيتها في النفوس لا تستقيم الأعمال .

٥- ان التربية على العقيدة تحتاج الى فترة طويلة حتى ترسخ في النفس وتكثف بها في واقع الحياة .

٦- ان أقوى سلاح تتسلح به الدعوة في حال ضعفها هو الاتصال بالله وتكثيف العبادة والصبر والثبات على الحق .

٧- ان الابتلاء سنة ربانية في طريق الدعوة الى الله .

٨- ان النجاح في الابتلاء وسيلة للنجاح في الدعوة الى الله تعالى .

٩- ان التنازل عن شيء من العقيدة تشويه للمنهج لا يقره الاسلام ((ودوا لو تدنن فيد هنون))

١٠- في حال ضعف المسلمين وغلبة الكفر لا يحل ترك الدعوة الى الله واعداد النفوس

المؤمنة التي تتنازلت على حمل الحق ونشره بين الناس حسب الاستطاعة .

١١- ان انتفاش الباطل وهيمنته وتعذ يبه للمؤمنين وفتنتهم عن دينهم يكون عند فقد
الجهاد والقوة الرادعة لقوى الشر والظلمين ووضح مثال على ذلك العهد المكي
في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا العصر الحاضر .

١٢- ان الجهاد القتلى مرحلة حتمية من مراحل الدعوة الى الله وهو الذي ينشورها
ويوسع قشرها ويكثر اتباعها ويمز شأنها وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد
المدني أكبر دليل على ذلك .

١٣- ان الجهاد الاسلامي مراحل يسلم بعضها الى بعض آخرها قتال الكفار كافة حتى
يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويخضعوا لحكم الاسلام على خلاف بين
العلماء فيمن تقبل منهم الجزية .

١٤- ان الله ختم الدين بالدين الاسلامي وجعل الجهاد منه في الذرة كما تقدم في
الحديث ((و ذروة سنامه الجهاد)) .

١٥- ان جهاد المرتدين عن الاسلام أولى من جهاد الكفار الأصليين اذا أمكن ذلك
كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم .

١٦- ان الزنادقة والمنافقين الذين يتكرر نفاقهم وزندقتهم بعد اقامة الحجة عليهم
يجاهدون دائماً وابدأ حتى يقضى عليهم ولا تقبل توبتهم في الاظهر في أصح قولى
العلماء .

١٧- ان الجهل بالكتاب والسنة من أكبر أسباب تقبل المسلمين للغزو الفكري الداعي الى
هدم الجهاد وتعريف معناه .

١٨- ان أى دعوة تدعو الى ترك الجهاد أو الأضعاف من شأنه انما هي دعوة الى هدم الاسلام
لأنه لا قيام للمسلمين بغير جهاد .

١٩- انا تقرر أنه لا قيام للمسلمين بدون الجهاد فانه يجب على المسلمين اعداد العدة

لكي يجاهدوا الكفار وان من أقوى عود الجهاد النفوس المؤمنة المهتدية بنور الوحي .

٢٠- أن الكفار يخافون أشد الخوف من عقيدة الجهاد ومن أجل ذلك يحاربونها بأساليب

شيئاً لانية كثيرة من أهمها :

- أ - تبني الحركات الزائفة التي لاتعبر الجهاد كبيرا اهتمام كفرق التسوف والروافض ونحو ذلك .
- ب - ايجاد حركات محسوبة على الاسلام وهي منه براءه تدعو الى الغاء الجهاد كالنقاد يانية والبهائية .
- ج - الدعوة الى التعايش السلمى لكل تظل دول الكفر آمنه مطمئنة لا يقتضى مضاجعتها جهاد ولا جزية .
- د - نشر الثقافة الطاسونية والعلمانية التي لاتجعل للدين تأثيرا فى مجرى الحياة .
- هـ - رفع رايات جاهلية تجتمع تحتها الشعوب المستغفلة بدل راية لاله الا الله .
- كراية القومية والوطنية وعدم الانحياز . . . ودول العالم الثالث . . . والوعدة الآسيويه والافريقية . . . ونحو ذلك .
- و - شغل المسلمين بالشبهوات والدعوة الى تبرج النساء والتعليم المختلط والجرائم الهابطة والمحافظة الرخيصة والرياضة المنعرفة التي تصرف الشباب عن معالى الأمور الى سفاسفها .
- ٢١- ان ما ينشره تلاميذ الاستشران والاستعمار من أن الجهاد فى الاسلام هو للدفاع فقط بدعة مضارة مخالفه لاجماع علماء المسلمين قاطبة قبل هذا العصر .
- ٢٢- ان ما يرفع من شعارات فى هذا العصر كالقومية والوطنية والانسانية وزمالة الاديان والسلام العالمى كلها ظلمات بعضها فوق بعض مصدرها غير اسلامى واهدافها غيبية تقتضى على عقيدة الجهاد .
- ٢٣- ان تلاميذ الاستشران والاستعمار عقدوا العناصر على اطلاق الروح الجهادية فى الأمة الاسلامية فحرفوا عقيدة الحب فى الله والبغض فى الله وحرفوا معنى الجزية وحكم الرق والاسرى وكثيرا من أحكام الجهاد .
- ٢٤- ان الانبياء الذين أحاب بعض مسلمى هذا العصر بما عند الكفار من تقدمهم على وصناعي جعلهم يلوون اعناق النصوص الشرعية لكي توافق ما توصل اليه العالم المتقدم

صناعيا المتخلفة عقائدا وسلوكيا - من اراء ونظريات لكى يكسبوا الاسلام مدحا
وثناء من الكفار وهذا الصنيع ينم عن سذاجة كبيرة وجهل بالمصدر المعصوم وبخس
لعقه أو ينم عن هزيمة .

٢٥- ان فرقة المرجئة قد أثرت في اامة الروح الجهادية في الأمة الاسلامية تأثيرا
بالغا وذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الايمان ويرونه لا ينقص بالمعاصي ولا يزيد
بالإلحاح فيستوى عند هم ايمان من يموت في ساحات الوفا وايمان من يموت في
أحضان المومسات ! وأن الارجاء قد تسرب الى فكر هذه الأمة في صور شتى .

٢٦- ان أهل التصوف بعقائد هم الزائغة وسلوكهم المشين وانحرفهم في عقيدة التوكل
والرضا بالاقدار واعتزالهم الحياة وركونهم الى الزوايا والمنارات قد طعنوا الجهاد
الاسلامي طعنات في الصميم وللقارئ الكريم أن يتصور مدى الخسارة الجسيمة
التي تصيب المسلمين لو أن عمر بن الخطاب وعالم بن الوليد وسائر الصحابة
تركوا الجهاد وانعزلوا في ناحية من نواحي المدينة وجلسوا يخنون ويتراقصون
حتى وان كان رقصهم شوقا الى الله !!!

٢٧- ان الجهمية الجبرية التي تجعل الكافر مجبورا على كفره لا اختيار له قد ساعدت
أيضا في اامة الروح الجهادية فيكف يجاهد من لانبله على زعمهم ! وكذلك
الرافضة الجعفرية قد عطلوا جهاد الابتداء والطلب في انتظار امامهم المعصوم
المختفي في السرداب !!

٢٨- ان القاديانية والبهائية مركبان مرتدان تربطهما أوثق العلاقات بالاستعمار الغربي
والمخالف الطسونية وقد وجهتا سهامهما لعقيدة الجهاد لتفادي خطرهما .

٢٩- انه لا فلاح ولا نجاح لهذه الأمة الا بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا السلوك السالح واستمداد العقائد والأحكام ومناهج الحياة بكاملها من المصدر
المعصوم ونيل المناهج البشرية المنحرفة . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

فهرس المراجع :

- ١- أبجديات التصور الحركى للعمل الاسلامى . تأليف فتحى يكن .
الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ . مؤسسة الرسالة .
- ٢- ابن تيمية والتصوف . تأليف الدكتور مصطفى علمى .
دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع . الاسكندرية عام ١٤٠٣هـ .
- ٣- أبونعيم - حياته وكتابه العملية . تأليف محمد لطفى الصباغ .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ - دار الاعتصام .
- ٤- الاتقان فى علوم القرآن تأليف عبدالرحمن السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٥م .
- ٥- الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر تأليف الدكتور محمد محمد حسين .
الطبعة الرابعة عام ١٤٠٠هـ . مؤسسة الرسالة . بيروت .
- ٦- اثار الحرب فى الفقه الاسلامى . تأليف الدكتور وهيب الزحيلي .
الطبعة الثانية . دار الفكر .
- ٧- الأهمية المفيدة لمهمات العقيدة . تأليف عبدالرحمن الدوسرى .
الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ - دار الأرقم بالكويت .
- ٨- الاجتهاد فى ظلب الجهاد . تأليف اسماعيل بن عمر بن كثر الدمشقى ، تحقيق
د . عبدالله عبدالرحيم عسيلان .
الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ . مؤسسة الرسالة .
- ٩- اجنحة المكر الثلاثة . عبدالرحمن حسن هبنكة الميدانى .
الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ - دار القلم .
- ١٠- الاحتجاج بالقدر لابن تيمية .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ .

- ١-١) أحجار على رقعة الشطرنج . الأدميرال وليام غاي كار ، ترجمة سعيد جزائري .
الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م - دار النفايس . بيروت .
- ١-٢) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، تحقيق على
محمد الجاوي .
الطبعة الثانية عام ١٣٨٧هـ . مطبعة عيسى العلي وشركاه . بمصر .
- ١-٣) أحكام القرآن لابن بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ،
دار الكتاب العربي . بيروت .
- ١-٤) أحكام القرآن . محمد بن ادريس الشافعي .
دار الكتب العلمية ببيروت طم ١٣٩٥هـ .
- ١-٥) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٦هـ - تأليف الدكتور عبدالكريم زيدان ، مؤسسة
الرسالة ومكتبة القدس .
- ١-٦) أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ، تحقيق " صبحي صالح . دار العلم للملايين .
الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ .
- ١-٧) أحكام المرتد في الشريعة الاسلامية . نعمان عبدالرزاق السامرائي . نشر دار العربية
بيروت ، والمكتب الاسلامي عام ١٣٨٧هـ .
- ١-٨) اعياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ونذيلة تخريج العراقي .
دار المصرف للطباعة والنشر - بيروت .
- ١-٩) اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ، تحقيق بعوزيف شاخت .
- ٢٠-) الاغواء الديني ومجمع الاديان وموقف الاسلام . د . محمد البهي ،
الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ . مكتبة ونيه بالقاهرة .
- ٢١-) ارشاد الساري بشأن صحيح البخاري . أحمد بن محمد القسطلاني وبهامشه صحيح
مسلم بشأن النووي .
طبع مكتبة المشي ببغداد .

- ٢٢- ارادة القتال في الجهاد الاسلامي . محمود شيت خطاب .
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨ هـ - دار الفكر .
- ٢٣- ارواء الخليل في تعريخ أحداث منار السبيل . محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب الاسلامي .
- ٢٤- الاسلام والعضارة الانسانية د . / محمد عبدالضعف خفاجي .
- ٢٥- الاسلام في حياة المسلم للدكتور محمد البهي .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٢ هـ . مكتبة وهبه بالقاهرة .
- ٢٦- الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة لمحمد عبده . نشر مكتبة علي صبيح وأولاده
بمصر عام ١٣٧٧ هـ .
- ٢٧- الاستشراق والمستشرقون . د . مصطفى السباعي .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ . المكتب الاسلامي .
- ٢٨- اسماء مؤلفات ابن تيمية لشمس الدين ابن قيم الجوزية . تحقيق د . صلاح الدين المنجد .
الطبعة الثالثة عام ١٩٧١ م - دار الكتاب الجديد . بيروت .
- ٢٩- أساليب الخبز الفكري للعالم الاسلامي ، د . علي محمد جريشه ومحمد شريف الزبيق .
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨ هـ - دار الاعتصام .
- ٣٠- الاسلام والدعوات الهدامة . أنور الجندي . دار الكتاب اللبناني بيروت عام ١٩٧٤ م
الطبعة الأولى .
- ٣١- الاستعمار احقاد واطماع . محمد الخزالي .
الطبعة الثانية عام ١٣٨٩ هـ ، الدار السعودية للنشر .
- ٣٢- الاسلام امام افتراءات المفترين . توفيق علي وهبه . نشر جامعة الامام محمد بن
سعود بالرياض عام ١٣٩٧ هـ .
- ٣٣- الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة . أبو الأعلى المودودي تعريب خليل أحمد
الطمدوي . الطبعة الثالثة عام ١٣٦٨ هـ - دار القلم بالكويت .

- ٣٤- الاسلام والحرب : أبو لبابه حسين ،
الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ - دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض .
- ٣٥- الاسلام والرق . د . محمد البهي .
الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ - مكتبة وهبه .
- ٣٦- الاسلام والحضارة الغربية . د . محمد محمد حسن .
الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ - المكتب الاسلامي .
- ٣٧- الاسلام - المهوره وانتشاره . حامد عبدالقادر .
الطبعة الثالثة . دار نهضة مصر للطبع والنشر .
- ٣٨- الاصابة في تميز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر وبها مشه الاستيحاب
في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر النمري .
الطبعة الأولى عام ١٢٢٨ هـ - دار احياء التراث العربي ببيروت .
- ٣٩- أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان .
الطبعة الثالثة عام ١٣٩٦ هـ ، مكتبة المنار الاسلامية .
- ٤٠- اغواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين الشنقيطي .
مطبعة المدني عام ١٢٨٦ هـ .
- ٤١- اعلام الانام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للاسلام لعبدالله بن علي بن ياسين .
الطبعة الأولى .
- ٤٢- اعتقادات فرق المسلمين والشركين لمحمد بن عمر الرازي وضعه كتاب المرشد
الأمين الي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . تأليف طه عبدالرؤوف سعد
ومصطفى الهوارى . نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ .
- ٤٣- الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام لعبدالله التل .
الطبعة الثانية ، المكتب الاسلامي .
- ٤٤- اكفار الملحدين في ضروريات الدين لمحمد أنور شاه الكشميري نشر المجلس العلمي
في كراتشي سنة ١٣٨٨ هـ .

- ٤٥- الأكليل في استتباط التنزيل لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
دار الكتب العلمية ببيروت ، توزيع دار البازيمكة .
- ٤٦- الأم لصحيف بن ادريس الشافعي تصحيح محمد زهرى النجار .
الطبعة الثانية طم ١٣٩٢ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .
- ٤٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد منشور
بمجلد التوعية الاسلامية فى الحج طم ١٣٩٦ هـ .
- ٤٨- ايثار الرحمن طوى الخلفى لمحمد بن المرتضى اليطاني . دار الكتب العلمية ببيروت
طم ١٣١٨ هـ .
- ٤٩- الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخة لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق
أحمد عسبن فرحات ، الطبعة الأولى طم ١٣٩٦ هـ ، نشر جامعة الامام محمد
ابن سعود بالرياض .
- ٥٠- الايمان - اركانه حقيقته نواقضه . د . محمد نعم ياسين ،
نشر دار عمر للطباعة بالاسكندرية .
- ٥١- الايمان وبالاته لمحمد حافظ الشريده رسالة طجستن ، قدمت لجامعة أم القرى
بمكة المكرمة طم ١٣٩٩ هـ .
- ٥٢- الايمان للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه ، تحقيق محمد ناصر
الدين الألباني . نشر وتوزيع دار الأرقم بالكويت .
- ٥٣- البابية - عرض ونقد - احسان الهى المهيبر .
الطبعة الثالثة عام ١٤٠١ هـ ، الناشر ادارة ترجمان السنة . لاهور .
- ٥٤- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفى .
الطبعة الثانية طم ١٣٩٤ هـ ، نشر دار الكتاب العربى ببيروت .
- ٥٥- بداية المجتمع ، ونهاية المقتصر لمحمد بن أحمد بن رشد .
الطبعة الثالثة طم ١٣٧٦ هـ ، نشر مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

- ٥٦- البداية والنهاية للحافظين كثر .
- الطبعة الثانية طم ١٩٧٧ م ، دار الفكر ومكتبة المعارف ببيروت .
- ٥٧- بحوث المؤتمر الثالث للسيرة النبوية المنعقد في الدوحة في محرم ١٤٠٠ هـ مراجعة
عبدالله بن ابراهيم الأنصاري . الطبعة الأولى طم ١٤٠١ هـ ، المكتبة
المصرية ببيروت .
- ٥٨- بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعاد الدعاة المنعقد بالجامعة الاسلامية
بالمدينة طم ١٣٩٧ هـ .
- ٥٩- البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم . الطبعة الثانية ، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٦٠- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لمعالي بن منصور السكسكي ، تحقيق خليل
أحمد ابراهيم ، الطبعة الأولى طم ١٤٠٠ هـ نشر دار التراث العربي .
- ٦١- البهائية لمعالي بن الخطيب .
الطبعة الثانية طم ١٣٩٤ هـ نشر المطبعة السلفية بمصر .
- ٦٢- البهائية وموقف الاسلام منها لدخيل الله محمود الأزوري ، رسالة ماجستير قدمت
لجامعة أم القرى بمكة طم ١٤٠٢ هـ .
- ٦٣- تاريخ المذاهب الاسلامية لمحمد أبي زهره . دار الفكر .
- ٦٤- تاريخ الدعوة الى الله بس الأمان واليوم . اد م عبدالله الأورى .
الطبعة الثانية طم ١٣٩٩ هـ مكتبة وهبه القاهرة .
- ٦٥- تاريخ التصوف الاسلامي ، د . عبدالرحمن بدوي نشر وكالة المطبوعات بالكوييت
طم ١٩٧٥ م .
- ٦٦- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي الزيلعي الحنفي .
دار المعرفة . لبنان .
- ٦٧- تبيد اللام وتبويه النيام . ابراهيم سليمان الجيهان .
الطبعة الثانية طم ١٤٠٠ هـ مكتبة الحرمين بالرياض .

- ٦٨- التجانية لعلى بن محمد الدخيل الله - دار آيية الرياض ،
- ٦٩- تعريم الحروب في العلاقات الدولية د . يحيى الشيمي ، القضاء العسكري ١٩٧٦ م .
- ٧٠- تحفة الأعدوي شن جامع الترمذى لمحمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري
تصحيح عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٦ هـ .
- ٧١- تذكرة دة الاسلام لابي الأعلى المودودي .
مؤسسة الرسالة عام ١٣٨٥ هـ .
- ٧٢- تذكرة الدعاة للبهى العزلى ،
الطبعة الخامسة طم ١٣٩٧ هـ ، دار العلم بيروت ومكتبة الفلاح بالكويت .
- ٧٣- الترغيب والترهيب لعبد العظيم بن عبدالقوى الضدى ، تعليق مصطفى محمد
عمارة ، الطبعة الثانية طم ١٣٧٣ هـ ، دار الفكر .
- ٧٤- التأوير التشريعى فى المملكة السعودية ، د . محمد عبدالجواد محمد
منشأة المحارف بالاسكندرية ١٣٩٧ هـ .
- ٧٥- التعرف لدهب أهل التصوف . أبو بكر محمد الكلابانى ، تحقيق عبدالحميد محمود
وله عبدالباقي سرور ، طبع عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر طم ١٣٨٠ هـ .
- ٧٦- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير الضار لمحمد رشيد رضا .
الطبعة الثانية . دار المعرفة بيروت .
- ٧٧- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، تحقيق عبدالعزيز غنم ومحمد طشور
ومحمد ابراهيم البنا . مطبعة الشعب بالقاهرة .
- ٧٨- التفسير القيم للأمام ابن القيم رحمه الله محمد حامد الفتى .
دار الكتب العلمية بيروت طم ١٣٩٨ هـ .
- ٧٩- تقرير المصر . حسن على الجيشى .
دار الكتاب العربى ودار الخديريه بيروت ١٩٦٧ م .

- ٨٠- تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ،
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ .
- ٨١- تيسر العزيز العميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد
ابن عبدالوهاب نشر رئاسة البحوث والافتاء بالرياض .
- ٨٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ،
دار الكتب المصرية عام ١٣٦٥ هـ .
- ٨٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب
الحنبل ، دار المعرفة للطباعة والنشر .
- ٨٤- جامع الاصول في أحكام نبيك الرسول لابن الاثير ، تحقيق عبدالقادر الرناؤوط نشر
مكتبة الحلواني ، ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان عام ١٣٨٩ هـ .
- ٨٥- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الابرص -
دار الفكر بيروت عام ١٣٩٨ هـ .
- ٨٦- جاهلية القرن العشرين لمحمد قلب ،
دار الشروق عام ١٣٩٥ هـ .
- ٨٧- جذور البلاء لعبدالله التل ،
المكتب الاسلامي ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٨٨- الجزية في الاسلام ، د . محمد يوسف النجراي
دار الفكر عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ٨٩- الجهاد في السنة النبوية لابراهيم القيسي ، رسالة ماجستير قدمت لجامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض عام ١٣٩٩ هـ .
- ٩٠- الجهاد طريق النصر ، لعبدالله فوشه ، نشر وزارة الأوقاف بالاردن عام ١٣٩٦ هـ .
- ٩١- الجهاد في القرآن الكريم . عطيه الدسوقي محمد .
مطابع دار الشعب بالقاهرة عام ١٣٧٩ هـ .

- ٩٢- الجهاد في الاسلام ، محمد محمود الرامس ،
دار مكتبة الحياة . بيروت عام ١٩٦٧م .
- ٩٣- الجهاد . محمد اسماعيل ابراهيم ،
دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية .
- ٩٤- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، د . فايد حماد عاشور
مؤسسة الرسالة عام ١٤٠١هـ ، الطبعة الأولى .
- ٩٥- الجهاد في الاسلام . محمد شديد ،
مؤسسة الرسالة بيروت ،
- ٩٦- الجهاد والفتاوى في الاسلام . حسن أيوب ،
المطبعة المصرية بالكويت عام ١٣٩٩هـ ، الطبعة الأولى
- ٩٧- الجهاد في الاسلام . توفيق علي وهبه
دار اللطاف ، الرياض عام ١٣٩٧هـ .
- ٩٨- الجهاد - ميادين وأساليبه . د . محمد نعم ياسين . مكتبة الأقصى ، عمان
عام ١٣٩٨هـ ، الطبعة الأولى .
- ٩٩- الجهاد في سبيل الله لأبي الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب
اصدار الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية عام ١٣٨٦هـ .
- ١٠٠- الجهاد . أحمد محمود توزيح ،
دار الانصار بالقاهرة . اصدار مجلة الدعوة المصرية .
- ١٠١- الجهاد في الاسلام - مراتبه ومطالبه - أحمد محمد جمال .
نشر رابطة العالم الاسلامي عام ١٤٠١هـ .
- ١٠٢- الجهاد وما يترتب عليه في مذهب المالكية ، د . علي عبدالرحمن ،
دار الهدى بمصر عام ١٤٠٠هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٠٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لأحمد بن تيمية
نشر رئاسة البحوث والافتاء بالرياض .

- ١٠٤- حاشية رد المختار لمحمد أمين الشهر بآبن طابدين طى الدر المختار شرح
توير الابصار فى نقه ابى حنيفة ، الطبعة الثانية مصطفى البابى الحلبي
وشركاه عام ١٣٨٦ هـ .
- ١٠٥- الحركات القومية الحمد يثقى ميزان الاسلام . منير محمد نجيب
مكتبة العرصم بالرياض عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٠٦- حرية الاعتقاد فى الاسلام لجمال البنا .
المكتب الاسلامى عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١٠٧- حرية الاعتقاد فى الشريعة الاسلامية لعبدالله ناصح علوان
دار السلام بيروت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٠٨- الحرب والسلام فى الاسلام لعبدالكريم الخطيب .
دار نجد للنشر والتوزيع عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٠٩- الحرب والسلام فى شريعة الاسلام للمستشرق مجيد خذورى
نشر الدار المتحدة ببيروت عام ١٩٧٣ ، الطبعة الأولى .
- ١١٠- حركة الفتح الاسلامى فى القرن الأول . شكرى فيصل . دار العلم للملايين
عام ١٩٨٠ م ، الطبعة الخامسة .
- ١١١- الحسبة فى الاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق عبدالعزيز رباح
نشر مكتبة دار البيان بدمشق عام ١٣٧٨ هـ .
- ١١٢- عصا الضور . محمد الخزالي ، المختار الاسلامى بالقاهرة عام ١٣٩٩ هـ
الطبعة الثانية .
- ١١٣- حصوننا مهددة من داخلها . د . محمد محمد حسين . المكتبة الاسلامى
عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الرابعة .
- ١١٤- حقائق أساسية عن الأمم المتحدة .
طبع فى المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار فى العالم العربى بمصر عام ١٩٧٣ م .

- ١١٥- عقائد عن التبشير . حماد شرف . المختار الاسلامي بالقاهرة طم ١٣٩٥ هـ
الطبعة الأولى .
- ١١٦- الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الاسلام ، د . محمد رأفت عثمان
مطبعة السعادة بمصر طم ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١١٧- عقيدة البائية والبهائية . د . محمد عبدالسميد
المكتب الاسلامي طم ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١١٨- حقيقة الجهاد في سبيل الله وقيامته في الاسلام .
عبدالله بن قادري رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية طم ١٤٠٢ هـ .
- ١١٩- الحكم الجديدة بالاناعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين
يدي الساعة لعبدالرحمن بن رجب العنيلي ، تحقيق محمد حامد الغفقي
مكتبة السنة المحمدية بمصر ضمن مجموعة بعنوان ((د فائن من كنوز السنة))
- ١٢٠- الحلول المستورنه وكيف حدث علي امتناء يوسف القرضاوي مكتبة وهبه طم ١٣٩٧ هـ
الطبعة الثالثة .
- ١٢١- الحسنه والسنية لابن تيميه .
دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٢٢- حوار مع الطالكي في رد منكراته وضلالاته . عبدالله بن سليمان بن ضبيح ، نشر
ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة طم ١٤٠٣ هـ .
- ١٢٣- حياة محمد . تأليف محمد حسين هيكل
دار الكتب المصرية طم ١٣٥٤ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١٢٤- الخراج للمقاضي أبي يوسف صورة لطبعة بولان ١٣٠١ هـ .
- ١٢٥- الخطار اليهودي - بروتوكولات حكماة صهيون - محمد خليفه التونسي
دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الرابعة .

- ١٢٦- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية .
 محب الدين الخطيب . توزيع محمد نصيف .
- ١٢٧- خفايا المبشرين في تنصر أبناء المسلمين . أحمد محمد سالمان
 المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥٢ هـ .
- ١٢٨- خلاصة في أصول الاسلام وتاريخه لابن حزم تحقيق أبو عبد الرحمن بن عقيـل
 الناهري وعبد الحليم عويس . دار الاعتصام .
- ١٢٩- ٢٣١- خمسون ظمًا في جزيره العرب . عافك وهبه
 مكتبة مصطفى البابي الحلبي ظم ١٣٨٠ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٣٠- دار الاسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما . عابد محمد السفياني
 رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١ هـ .
- ١٣١- دراسة سقوط ثلاثين دولة اسلامية . د . عبد الحليم عويس ،
 دار الشروق عام ١٤٠٢ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١٣٢- دراسات قرآنية . محمد قطب .
 دار الشروق ، الطبعة الأولى .
- ١٣٣- دراسات اسلامية . سيد قطب .
 دار الشروق عام ١٢٩٣ هـ .
- ١٣٤- دراسة مقارنة للحركات القومية للدكتور صلاح العقاد محاضرات القاها على طلبة
 السنة الأولى بمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة السدول
 العربية سنة ١٩٦٦-١٩٦٧ م .
- ١٣٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي
 نشر محمد أمين دمج . بيروت .
- ١٣٦- الدرر السنية في الأجمية النجدية جمع عبد الرحمن بن قاسم
 طبع دار الافتاء بالمملكة عام ١٣٨٥ هـ ، الطبعة الثانية .

- ١٣٧- الدعوة الى الجهاد فى القرآن والسنة لعبدالله بن محمد بن حميد
مؤسسة مكة للطباعة عام ١٣٩٤هـ ، الطبعة الثالثة .
- ١٣٨- الدعوة الاسلامية وللهوور الدولة . حمادى العبيدى
الدار التونسية للنشر .
- ١٣٩- الدعوة الاسلامية فريضه شرعية وضرورة بشرية د . صادق أمين .
دار الايمان . عمان .
- ١٤٠- الدعوة الى الاسلام . لتوماس وارنولد . ترجمة الى العربية حسن ابراهيم حسن
وعبدالمجيد عابدين واسماعيل النجراوى . مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة الثالثة .
- ١٤١- دفع ايها الم الاضطراب عن آيات الكتاب . محمد الأمين الشنقيطى
مطبعة المدنى بالقاهرة .
- ١٤٢- دلالة النصوص والاجماع على فرض القتل للكفر والدفاع ، سليمان بن عبدالرحمن بن
حمدان . دار الابعاد والنشر بعمان عام ١٣٨٢هـ .
- ١٤٣- دلائل النبوة للمصطفى صلى الله عليه وسلم .
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة .
- ١٤٤- دور الضمير الربانى فى الدعوة الاسلامية . عدنان النسوى
دار الاصلاح بالدمام . الطبعة الأولى .
- ١٤٥- الردة عن الاسلام وخطرها على العالم الاسلامى . عبدالله بن أحمد قادى ،
مكتبة العلم بجهده عام ١٤٠٢هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٤٦- الرسالة الخالدة . عبدالرحمن عزام .
دار الشروق ودار الفكر ببيروت عام ١٩٦٩م ، الطبعة الرابعة .
- ١٤٧- رسالة تحكيم الثمانين الوضعية . لمحمد بن ابراهيم مفتى المملكة العربية
السعودية .

- ١٤٨- الروضة الندية شرح الدرر البهية لأبي طيب صدق بن حسن القنوجي البخاري .
دار المعرفة بيروت .
- ١٤٩- الروضة البهية في شرح اللمعة المشقية . محمد جمال الدين مكي العاملى .
تصحيح محمد كلاتر . منشورات جامعة النجف الدينية عام ١٣٨٧ هـ .
- ١٥٠- روح الدين الاسلامى . عفيف عبدالفتاح طباره ،
دار العلم للملايين - بيروت ط ١٤٣١ هـ ، المطبعة الثانية عشر .
- ١٥١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى .
المنتب الاسلامى .
- ١٥٢- زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب الرناؤوط
وأخيه عبدالقادر . مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية عام ١٤٠١ هـ ،
الطبعة الثانية .
- ١٥٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر لأحمد بن حجر الهيتمي .
الطبعة الثانية ، نشر مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .
- ١٥٤- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للصنعمانى .
مكتبة المشهد الحسينى بالقاهرة .
- ١٥٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحى ،
نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة عام ١٣٩٢ هـ .
- ١٥٦- سبيل الدعوة الاسلامية . د . محمد أمين المصرى
دار الأرقم عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٥٧- سلسلة الأعداء يث الصحيفة لمحمد ناصر الدين الألبانى .
المكتب الاسلامى .
- ١٥٨- السلاح فى الاسلام . د . محمد عبدالحميد أبوزيد .
دار النهضة العربية بالقاهرة ط ١٤٠٠ هـ .

- ١٥٩- السلام العالمي والاسلام ، سيد قطب .
 دار الشروق عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة السابعة .
- ١٦٠- سطة الاسلام للدكتور أحمد محمد الحوفي ،
 طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامي بالقاهرة عام ١٣٩١ هـ .
- ١٦١- سنن النسائي بشرح المحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي .
 دار احياء التراث ببيروت .
- ١٦٢- السنة للمحافظ أبي بكر عمرو بن أبي طاصم ومعه ظلال الجنه في تخريج السنه
 لمحمد ناصر الدين الألباني . المطب الاسلامي .
- ١٦٣- السنن الكبرى للمحافظ البيهقي وذي له الجوهري النقي لابن التركماني .
 دار الفكر .
- ١٦٤- سنن أبين طاجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
 دار احياء التراث العربي ، بيروت عام ١٣٩٥ هـ .
- ١٦٥- سنن أبي داود بتعليق عزت عبيد الدباس
 نشر دار الحديث بحمص عام ١٣٨٨ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٦٦- السياسة الشرعية لعبد الوهاب خلافت
 دار الأنصار عام ١٣٩٧ هـ .
- ١٦٧- السياسة الشرعية لابن تيمية .
 دار الكاتب العربي .
- ١٦٨- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد عزة دروزة . عيسى الحلبي وشركاه ،
 الطبعة الثانية .
- ١٦٩- سيد قطب - خلاصه حياته منهجه في الحركة النقد الموجه اليه - محمد توفيق
 بركات . دار الدعوة - بيروت .
- ١٧٠- السير والمغازي لمحمد بن اسحاق ، تحقيق سهيل زكار دار الفكر عام ١٣٩٨ هـ
 الطبعة الأولى .

- ١٧١- السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وبرايم البياري وعبد الحفيظ شلبي . دار الكونز الأدبية .
- ١٧٢- شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ، تأليف الحلبي أبو القاسم جعفر بن الحسن ، مطبعة الأديب في النجف عام ١٢٨٦ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٧٣- شرح فتح التدير لمحمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام على الهداية شرح بداية المبتدئ لعلو بن أبي بكر المرغيناني ومعه شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرقي ، وعاشية المحقق سعد الله بن عيسى .
- ١٧٤- شرح السنن للأمام البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش . المكتب الاسلامي .
- ١٧٥- شريعة القتال . عثمان سعيد الشرقاوي . نشر مكتبة الزهراء بالقاهرة عام ١٣٩٢ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٧٦- شرح منتهى الإرادات لمنصور بن يونس البيهوتي دار الفكر .
- ١٧٧- شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني املاء محمد بن أحمد السرخسي تحقيق د . صلاح الدين المنجد ، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عام (١٩٧١ م) .
- ١٧٨- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفى ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامي عام ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الخامسة .
- ١٧٩- شهادات ماسونية . حسين عمر عطاه . دار قتيبة للطباعة والنشر . دمشق عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٨٠- الصائم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . دار الفكر .
- ١٨١- الصبر في القرآن . د . يوسف القرضاوي . مكتبه وهبه بالقاهرة ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .

- ١٨٢- صحيف مسلم معشن النووى .
 دار احياء التراث العربى بيروت ومكتبة المثنى بيروت .
- ١٨٣- صحيف البخارى . المكتبة الاسلاميه باستنبول عام ١٩٧٦ م .
- ١٨٤- صحيف الجامع الصغير وزيادته ، الفتح الكبر . لمحمد ناصر الدين الألبانى .
 المكتبة الاسلامى طم ١٣٩٢ هـ .
- ١٨٥- الصراح بين الفكرة الاسلاميه والفكر الغربيه لأبى الحسن الندوى ،
 دار القلم بالكويت ودار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الثالثة .
- ١٨٦- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن محمد الدوسرى .
 مكتبة دار الارقم بالكويت طم ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٨٧- ضيف الجامع الصغير لمحمد ناصر الدين الالبانى .
 المكتبة الاسلامى .
- ١٨٨- الطبقات الكبرى لابن سعد .
 دار صادر بيروت .
- ١٨٩- طريق الدعوة فى ظلال القرآن لسيد قطب ، جمع أحمد فائز .
 مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٩٠- طرغ الثريب فى شرح التقريب للحافظ عبد الرحيم العراقى .
 دار المعارف بسورية - حلب .
- ١٩١- العالم الاسلامى والمكائد الدولية . فتحى يكن .
 مؤسسة الرسالة عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٩٢- المعبره مطبوعه فى الغزو والشهادة والهجرة لصدىق حسن القنوجى النجارى
 المطبع الساهنجه بالهند سنة ١٣٩٤ هـ .
- ١٩٣- العبودية لابن تيميه ، تقديم عبد الرحمن البانى .
 المكتبة الاسلامى عام ١٩٧٧ هـ ، الطبعة الرابعة .

- ١٩٤- عدة المجاهدين في الكتاب والسنة . عطيه عبد الرحيم عطيه
 نشرة المجلد من الاعلى للشئون الاسلاميه بالقاهرة طم ١٤٠٠ هـ .
- ١٩٥- العرب والاسلام لأبي الحسن الندوي
 المكتب الاسلامي طم ١٣٨٩ هـ ، الطبعة الثانية .
- ١٩٦- العقيدة في الله . عمر سليمان الاشقر .
 مكتبة الفلاح الكويت طم ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الأولى .
- ١٩٧- العقيدة والشريعة في الاسلام للمستشرق اجناس جولك تسهيز ترجمة محمد
 يوسف موسى وعبد العزيز عبدالحق وعلی حسن عبدالقادر ،
 دار الراشد العربي - بيروت .
- ١٩٨- العلاقات الدولية في القرآن والسنة . د . محمد علي العسن
 مكتبة النهضة الاسلامية - عمان .
- ١٩٩- العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث . د . وهيبه
 الزعيلي مؤسس الرسالة طم ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى .
- ٢٠٠- العلاقة الدولية في العروب الاسلامية . علي قراعه
 دار مصر للطباعة طم ١٣٧٤ هـ .
- ٢٠١- علي طائفة القرآن - أحمد محمد جلال . دار الفكر طم ١٣٩٤ هـ .
 الطبعة الثانية .
- ٢٠٢- العلاقات الدولية في الاسلام على ضوء الاعجاز البياني في سورة التوبة . د . كامل
 سلامة المدقم . دار الشروق طم ١٣٦٥ هـ ، الطبعة الأولى .
- ٢٠٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ،
 تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية طم ١٣٦٦ هـ ،
 الطبعة الثالثة .

- ٢٠٤- الفاره على العالم الاسلامي ١ - ل . شاطييه لخصها ونقلها الى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي . المطبعة السلفية بالقاهرة .
- ٢٠٥- النزوات الفكرى ولتيارات المعادية للاسلام ، مجموعة بحوث قدمت لمؤتمر الفقه الاسلامى الذى عقد بالرياض سنة ١٣٩٦ هـ ، طبع ونشر جامعة الامام محمد ابن سعود
- ٢٠٦- فتاوى قاضى خان ، مطبوع بها من الفتاوى الهندية على مذهب أبى حنيفة . المطبعة الأميرية ببولاق بمصر سنة ١٣١٠ هـ ، الطبعة الثانية توزيع المكتبة الاسلامية محمد ازدي ميرترگيا .
- ٢٠٧- الفتاوى الهندية لمجموعة من علماء الهند فى مذهب أبى حنيفة ، جمع محمد اوزنك السلطان ابنى المانفر .
- ٢٠٨- الفتاوى السعدية . عبدالرحمن الناصر السعدى . مطبعة دار الحياة بدمشق عام ١٣٨٨ هـ ، الطبعة الأولى .
- ٢٠٩- فتح البارى شرح صحيح البخارى للمافظ ابن حجر . دار المعرفه للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الثانية .
- ٢١٠- الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد الشيبانى مع مختصر شرحه بلوغ المنى من أسرار الفتح الربانى ، تأليف أحمد عبدالرحمن البنا نشر دار الحديث بالقاهرة .
- ٢١١- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكانى . مكتبة العلى وأولاده بمصر عام ١٣٨٣ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢١٢- الفرد والدولة فى الشريعة الاسلامية - عبدالكريم زيدان . طبع الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية عام ١٣٩٨ هـ .
- ٢١٣- فقه السيرة . د . محمد سعيد رمضان البوطى ، دار الفكر ، الطبعة السابعة .
- ٢١٤- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البندادى ، تحقيق محمد محى الدين عبدالعزيم دار المعرفه - بيروت .

- ٢١٥- فقه السيرة لمحمد الغزالي .
دارالكتاب الحديث بمصر ، الطبعة السابعة بتحقيق محمد ناصر الدين
- الألباني .
- ٢١٦- فقه السنة . سيد سابق ،
دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٢١٧- فقه الدعوة ، سيد قطب اختاره من الظلال أحمد حسن .
مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٠ هـ ، الطبعة الأولى .
- ٢١٨- فقه الامام جعفر الصادق . محمد جواد مغنیه
دار العلم للملايين ١٩٦٥ م - الطبعة الأولى .
- ٢١٩- الفروسية لابن قس الجوزيه
دار التراث العربي .
- ٢٢٠- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - د . محمد البهي
مكتبة ونبه عام ١٣٦٥ هـ ، الطبعة الثامنة .
- ٢٢١- فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ، صالح العبود
دار ابيية ، الرياض عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الأولى
- ٢٢٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب .
دار الشروق عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الرابعة .
- ٢٢٣- القاد يانية لمجموعة من العلماء . أبو الحسن الندوي ، أبو الأعلى المودودي ،
محمد الخضر حسن - نشر رابطة العالم الاسلامي بمكة .
- ٢٢٤- القاد يانية - دراسة وتحليل - اعسان الهبي الشهر .
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٧ هـ - الطبعة الاولى .
- ٢٢٥- القاد ياني ومعتقداته . لمناور أحمد عينيوتي الباكستاني رئيس الادارة المركزية
للدعوة والارشاد واين جمعية علماء اسلام منطقة فنجانب باكستان .

- ٢٢٦- قادة العرب يقطون د مروا الاسلام ابيد واهله . جلال العالم طرابلس عام
١٣٩٥هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٢٧- قانون العقوبات السوداني . د . محمد صبي الدين عوض ،
الطبعة العالمية بالقاهرة . ١٩٧٠ م .
- ٢٢٨- القانون والملاقات الدولية في الاسلام . د . صبحي محمصاني
دار العلم للملايين - بيروت عام ١٣٩٢هـ .
- ٢٢٩- القانون الدولي العربي . محمود كامل المحامي .
دار العلم للملايين عام ١٩٦٥ م ، الطبعة الاولى .
- ٢٣٠- القتال في الاسلام . أحمد نارالدار السعودية للنشر بجد ه عام ١٣٨٩هـ ،
الطبعة الثانية .
- ٢٣١- القانون الدولي العام . د . علي صادق أبو هيف . منشأة المعارف بالاسكندرية
عام ١٩٧٥ م ، الطبعة الثانية عشرة .
- ٢٣٢- القتال في الاسلام محمد بن ناصر الجصوان ، الطبعة الاولى عام ١٤٠١هـ .
- ٢٣٣- قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي . أحمد محمد جمال
نشر دار مجلة الثقافة في دمشق عام ١٤٠٠هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٣٤- القواعد الحسان لتفسير القرآن عبدالرحمن بن ناصر السعدي
مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٠هـ .
- ٢٣٥- القوى الخفية التي تهكم العالم ، تأليف جان مينو ترجمة محمد كامل حسن
ومحمد فوزي محمود . دار البحوث العلمية عام ١٣٩٣هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٣٦- الكافي في فقه أهل المدينة الطالكي لابن عبدالبر النمرى ، تحقيق محمد محمد
الموريتاني . نشر مكتبة الرياض الحديثة عام ١٣٩٨هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٣٧- الكتاب المصنف في الاحاديث والاثار للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق
عبدالحال الأفغاني نشر مختار أحمد الندوي . الدار السلفية بالهند
عام ١٣٩٩هـ ، الطبعة الثانية .

- ٢٣٨- كشاف القناع عن متن الاقناع لمنصور بن يونس البهوتي .
مكتبة النصر الحديثة بالرياض .
- ٢٣٩- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي .
دار احياء العلوم ببيروت ط ١٩٧٨ ، الطبعة الاولى .
- ٢٤٠- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلى بن محمد الشهير بالخازن وبها مشه
تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل ، مطبعه الحلبي وأولاده بمصر
ط ١٣٧٥ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٤١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور .
دار صادر بيروت .
- ٢٤٢- لعبة الأمم . طيلزكويلاند تعريب مروان خير نشر الانترناشنال ، بيروت ،
الطبعة الاولى .
- ٢٤٣- الملح لأبي نصر السراج الطوسي . تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي
سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ط ١٣٨٠ هـ .
- ٢٤٤- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - البخاري ومسلم . وضعه محمد فؤاد
عبد الباقي توزيع دار الباز بمكة .
- ٢٤٥- ليلتهره على الدين كله بقلم مسلم .
دار الانصار بالقاهرة .
- ٢٤٦- لمحات في الثقافة الاسلامية لعمر عوده الخطيب
مؤسسة الرسالة ببيروت ط ١٣٩٩ هـ ، الطبعة الثالثة .
- ٢٤٧- ماذا نفسر المعالم بانحطاط المسلمين . تأليف أبي الحسن الندوي ، دار السلام
للطباعة بحلب ط ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الحادية عشر .
- ٢٤٨- ما يجب أن يعرفه المسلم من عقائد عن النصرانية والتبشير . ابراهيم سليمان الجبهان .
طبع دار الافتاء بالملكة ط ١٣٩٧ ، الطبعة الاولى .

- ٢٤٩- ما يتال عن الاسلام . عباس محمود العقاد . دار الكتاب العربي . بيروت .
- ٢٥٠- الماسونية في العراق . د . محمد علي الزعبي
- مؤسسة مطابع معتون اخوان بيروت عام ١٣٦٥ هـ ، الطبعة الثالثة .
- ٢٥١- طهي علاقة الأمة الاسلاميه بالأمم الأخرى ، أحمد محمود الأحمدي .
- المكتب الاسلامي ١٣٦٨ هـ . الطبعة الاولى .
- ٢٥٢- المبسوط لشمس الدين السرخسي
- دار المعرفة ببيروت . الطبعة الثانية .
- ٢٥٣- مبادئ الاسلام . أبو الأظى المودودي
- مؤسسة الرسالة ١٣٦٥ هـ .
- ٢٥٤- المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث للحاکم ، وفي ذيله تلخيص المستدرک للذهبي . دار الفكر - بيروت عام ١٣٦٨ هـ .
- ٢٥٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي
- دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الثالثة .
- ٢٥٦- المجتمع الاسلامي والعلاقات الدولية . د . محمد الصادق عفيفي
- مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ٢٥٧- المجتمع الانساني في ظل الاسلام . محمد أبو زهرة
- الدار السعودية للنشر بجده طم ١٤٠١ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٥٨- مجموعة بحوث فقهية . د . عبد الكريم زيدان .
- مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس طم ١٣٦٦ هـ .
- ٢٥٩- مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد
- تصوير ، الطبعة الاولى عام ١٣٦٨ هـ .
- ٢٦٠- مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود
- المكتب الاسلامي عام ١٣٦٨ هـ .

- ٢٦١- مجموعة التوحيد للشيخ ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
نشر دار الافتاء بالمملكة .
- ٢٦٢- محاضرات في تسليم المجرمين القاها د . محمد الفاضل علي معهد الدراسات
العربية التابع لجامعة الدول العربية عام ١٩٦٦ م .
- ٢٦٣- محاضرات في نمو قانون عقابي موحد للبلاد العربية القاها حسن جميل عام ٦٤ م
على ألية قسما لدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية التابع
لجامعة الدول العربية .
- ٢٦٤- المحلى لابن حزم تصحيح حسن زيدان طلبه .
مكتبة الجمهورية العربية بمصر عام ١٣٩٢ هـ .
- ٢٦٥- محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمي تعليق محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر بيروت عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٦٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن محمد عبد الحق بن عايبه النمرناطلي
تحقيق أحمد صا د الملاح ، نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
بالقاهرة ١٣٩٤ هـ .
- ٢٦٧- محاضرات في النصرانية . محمد أبو زهرة
دار الفكر العربي عام ١٣٩٧ هـ ، الطبعة الخامسة .
- ٢٦٨- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الوهاب ، نشر دار الافتاء
بالمملكة السعودية .
- ٢٦٩- المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام محمد محمود الصواف
دار الثقافة بمكة ١٣٨٤ هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٧٠- المدونة الكبرى للامام مالك رواية سحنون بن سعيد وسعها مقدمات بن رشيد
دار الفكر عام ١٣٩٨ هـ .
- ٢٧١- المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها . د . عبد الرحمن عميره -
دار اللواء للنشر والتوزيع عام ١٣٩٨ هـ الطبعة الاولى .

- ٢٧٢ . مسند الامام أحمد بن حنبل .
المكتب الاسلامي ودار صادر ببيروت .
- ٢٧٣ - المستشرقون والاسلام . د . عرفان عبد الحميد .
المكتب الاسلامي عام ١٩٨٠ م ، الطبعة الثانية .
- ٢٧٤ - مصرع التصوف . برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل .
مطبعة السنة المحمدية بمصر عام ١٣٧٢ هـ .
- ٢٧٥ - المعتمد في أصول الدين للقاظم أبي يعلى ، تحقيق د . وديع حداد
دار المشرق - بيروت عام ١٩٧٣ م .
- ٢٧٦ - معالم في الطريق سيد قطب .
دار الشروق .
- ٢٧٧ - معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد للشين حافظ
الحكيمي . نشر جماعة احياء التراث .
- ٢٧٨ - المعنى لابن قدامة . مكتبة الرياض الحديثة .
نشر رئاسة البحوث السعودية .
- ٢٧٩ - الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق محمد سيد كيلاني
دار المعرفة للطباعة ١٣٩٥ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٨٠ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن السرج بن الجوزي ، تحقيق الدكتور زينب
ابراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٨١ - منهج الاسلام في الحرب والسلام لمعتمد بن جعفر ، تحقيقه نشر مكتبة الأرقم بالكويت
عام ١٤٠٢ هـ الطبعة الاولى .
- ٢٨٢ - المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضه رسوم المدونة من الاحكام الشرعية . لابن رشد
دار صادر .
- ١٨٣ - المنطلقات العربية المتخصصة في نيلان جامعة الدول العربية للاستاذ غسان يوسف
مؤاخذم . اصدار معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٧٦ م .

- ٢٨٤- من هدى القرآن . محمود شلتوت ،
دار النايب العربى للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية .
- ٢٨٥- منهاج الانقلاب الاسلامى أبو الأعلى المودودى
دار الفكر .
- ٢٨٦- من هدى سورة الانفال - د . محمد أمين المصرى .
دار الأرقم بالكويت .
- ٢٨٧- منهاج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير . فهد بن عبدالرحمن الرومى
مؤسسة الرسالة - بيروت عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٨٨- مقالات الاسلاميين . أبو الحسن على الاشعري ، تحقيق محمد محى الدين
عبدالحميد . مكتبة النهضة المصرية عام ١٣٨٦ هـ ، الطبعة الثانية .
- ٢٨٩- منهاج الدعوة النبوية فى المرحلة المكية . على بن على بن جابر اليماني ، رسالة
ماجستير قدمت الى جامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠١ هـ .
- ٢٩٠- منهاج التربية الاسلامية . محمد قطب .
دار الشروق .
- ٢٩١- منحة القريب المجيب فى الرد على عباد الصليب للشيخ عبدالعزيز بن حمد آل معمر
نشر دار ثقيف بالطائف عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الثالثة .
- ٢٩٢- نحن والعقيدة الضربية . أبو الأعلى المودودى .
مؤسسة الرسالة .
- ٢٩٣- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د . عرفان عبدالحميد .
المكتب الاسلامى ببيروت عام ١٣٩٤ هـ .
- ٢٩٤- نشأة التصوف الاسلامى . د . ابراهيم بسيونى
دار المعارف بمصر .
- ٢٩٥- نظرية الحرب فى الشريعة الاسلامية . د . اسماعيل ابراهيم محمد أبر شريعة . مكتبة
الفلاح بالكويت عام ١٤٠١ هـ ، الطبعة الاولى .

- ٢٩٦- نظام البرق في الاسلام . عبد الله طوان .
دار السلام بحلب عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٩٧- النفاق اثاره ومفاهيمه . عبدالرحمن الدوسري
دار الأرقم بالكويت عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الاولى .
- ٢٩٨- النفاق والزندقة . عطية عتيق الزهراني رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى
بمكة عام ١٤٠٠ هـ .
- ٢٩٩- نقد القومية العربية على ضوء الاسلام والواقع عبدالمعز بن باز .
المكتب الاسلامي عام ١٤٠٠ هـ ، الطبعة الرابعة .
- ٣٠٠- نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار لمحمد بن علي الشوكاني
مطبعة مصطفى الحلبي وشركاه .
- ٣٠١- هداية العيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية .
دار الكتب العلمية ببسوت .
- ٣٠٢- هذا هو الاسلام . د . مصطفى السباعي .
المكتب الاسلامي عام ١٤٠٠ هـ الطبعة الاولى .
- ٣٠٣- هذه هي الصوفية . عبدالرحمن الوكيل . دار الكتب العلمية عام ١٣٩٤ هـ -
الطبعة الثالثة .
- ٣٠٤- هذا الدين . لسيد قطب .
دار الشروق .
- ٣٠٥- واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . أبو الأعلى المودودي .
مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٨ هـ ، الطبعة الثالثة .
- ٣٠٦- وجاء دور المجهوس . د . عبدالله محمد الخريب
دار البيل للطباعة بمصر عام ١٣٨١ م ، الطبعة الاولى .
- ٣٠٧- الوحي المحمدي . محمد رشيد رضا . مكتبة القاهرة عام ١٣٨٠ هـ .
الطبعة السادسة .

- ٣٠٨- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، تأليف محمد بن الحسن الحر
العاملي ، تحقيق عبدالرحيم الشيرازي ، دار احياء التراث البيروت ،
الطبعة الثانية .
- ٣٠٩- الولاية والبراء في الاسلام ، محمد سعيد القحطاني
دار طيبة بالرياس ، الطبعة الاولى .
- ٣١٠- الولاية والأولياء في الاسلام - الخضر عبدالرحيم أحمد رسالة ماجستير قدمت
لجامعة أم القرى بمكة عام ١٤٠٢ هـ .
- ٣١١- يامسلى العالم اتحدوا ، عبدالفتاح عبدالحميد المحامى
دار الانصار بالقاهرة .
- ٣١٢- اليهودية العالمية خطط وأهداف . عبدالله رشيد الحلاق ، سلسلة نحو
وعى سياسى عام ١٤٠٠ هـ .

فهرس الموضوعات :الصفحةالعنوان

| | |
|-----|--|
| ٢ | المقدمة |
| ١٠ | الباب الأول : منهج الدعوة الى الله قبل تشريع الجهاد القتالى |
| ١١ | ١- وصف موجز للجاهلية التى بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٢٢ | ٢- هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاسرار والجمهور بالدعوة الى الله |
| ٤١ | ٣- تربية الرسول صلى الله عليه وسلم للرعييل الأول على تحمل اعباء الدعوة |
| ٤١ | ١ - ترشيح العقيدة فى قلوب المؤمنين وايضا همها للناس كافة |
| ٥٩ | ٢ - تربية الرعييل الأول على مكارم الأخلاق وتثقيته من الرذائل |
| ٦٣ | ٣ - تركية ارواح الرعييل الأول بانواع العبادات |
| ٦٨ | ٤ - تربية الروح الجماعية والعمل المنظم لد الرعييل الأول |
| ٨٩ | ٤ - الفتنة والابتسلا |
| ٩٦ | ٥ - الصبر والثبات |
| ١٠٦ | الباب الثانى : منهج الدعوة الى الله بعد تشريع الجهاد القتالى |
| ١٠٧ | ١ - تعريف الجهاد وعلمه |
| ١٢٩ | ٢ - مراحل تشريع الجهاد |
| ١٥٠ | ٣ - أهداف الجهاد وقيامه |
| ١٨٥ | ٤ - حكم جهاد المرتدين والمنافقين |
| ٢٢٧ | ٥ - الترغيب فى الجهاد وبيان فضائله |
| ٢٣٦ | ٦ - الترهيب من ترك الجهاد وبيان عواقبه |
| ٢٤٥ | ٧ - أثر الجهاد فى انتشار الدعوة الاسلامية |
| ٢٧٩ | ٨ - صور جهادية من الرعييل الأول |

| | |
|-----|---|
| ٢٨٤ | الباب الثالث / موقف تلاميذ الاستشراق والاستعمار من أحكام الجهاد |
| ٢٨٥ | ١ - تمهيد : كيف تمكن الكفار من التأثر على المسلمين |
| ٣٠٤ | ٢ - قصرهم الجهاد على جهاد الدفع فقط |
| ٣٣١ | ٣ - حكم بغض الكافرين |
| ٣٤٢ | ٤ - حكم دار الحرب والكفر |
| ٣٥٠ | ٥ - حكم الرق |
| ٣٥٩ | ٦ - حكم الجزية |
| ٣٦٤ | ٧ - حكم الأسرى |
| ٣٧٤ | ٨ - الدعوة الى القومية |
| ٣٨٦ | ٩ - الدعوة الى الوطنية |
| ٣٩٠ | ١٠ - الدعوة الى الانسانية |
| ٤١٩ | ١١ - الدعوة الى زطلة الاديان |
| ٤٢٤ | ١٢ - الدعوة الى السلام العالمى والتعايش السلمى |
| ٤٢٩ | الباب الرابع : الفرق الشالة فى بعض أحكام الجهاد |
| ٤٣٠ | الفصل الأول : الفرق القديمة |
| ٤٣١ | ١ - المرجئة |
| ٤٣٩ | ٢ - الصوفية |
| ٤٥٦ | ٣ - الشيعة الامامية الاثنا عشرية |
| ٤٥٨ | ٤ - الجبرية الجهمية |
| ٤٦١ | الفصل الثانى : الفرق الحديثة |
| ٤٦٢ | ١ - القاديانية |
| ٤٦٧ | ٢ - البابية والمهائبة |
| ٤٧١ | الخاتمة |
| ٤٧٥ | فهرس المراجع |